مجلي مرآة المنجي

في الكلام والحكمتين والتصوف

تأليف

الحكيم الإلهي والفقيه المحدث
الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي
(المتوفى أوائل القرن العاشر الهجري)

المجلد الرابع

تحقيق وتصحيح
رضا يحيى پور فارمد

جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي
لإحياء التراث

حقوق الطبع والنشر محفوظة لجمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
لايجوز قانونياً نسخه أو طبعه أو نشره إلّا بإذن خطّيّ من الجمعيّة
ما تنشره الجمعيّة لايعبّر بالضرورة عن وجهة نظرها

الطبعة الأولى

لبنان ـ بيروت

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

ISBN : 978-614-426-072 - 2

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: 12خ لسنة 2012

بطاقة تعريفيّة بالكتاب:

عنوان الكتاب: مُجلي مرآة المُنجي في الكلام والحكمتين والتصوّف

المؤلّف: الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ (المتوفّى أوائل القرن العاشر الهجريّ)

المحقّق: رضا يحيى پور فارمد

الناشر: جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث

وكيل النشر: دار المحجّة البيضاء، لبنان ـ بيروت/ الرويس، تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٢٨٤٧

عدد الأجزاء: خمسة مجلّدات

تاريخ النشر: ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

عدد صفحات الكتاب: lxiv + ٢١٧٨ صفحة

كمّيّة الطبعة الأولى: ٢٠٠٠ دورة

جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث

مؤسّسة علميّة ثقافيّة مستقلّة، تعني بنشر وإحياء تراث علماء الأحساء

المركز الرئيسي : إيران - قم - خيابان معلم - كوجه ٤ - بلاك ٧٤ - تلفاكس: ٠٠٩٨٢٥١٧٧٤٦٠٣١

الموقع الرسميّ للجمعيّة على شبكة الإنترنت: www.Ibnabijumhur.com

البريد الإلكترونيّ للجمعيّة: Ibnabijumhur@gmail.com

مُجلي مرآة المنجي

في الكلام والحكمتين والتصوّف

تأليف

الحكيم الإلهي والفقيه المحدّث

الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي

(المتوفى أوائل القرن العاشر الهجري)

المجلد الرابع

تحقيق وتصحيح

رضا يحيى پور فارمد

جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث

دار المحجة البيضاء

[تعيّن الإمامة في عليّ عليه السلام بالنظر إلى النصّ والعصمة]

قوله: وباعتبار شرط هذين تعيّنت الإمامة بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام بلافصل؛ لأنّ العصمة والنصّ لم يحصلا لغيره إجماعاً. ووقوع النصّ عليه من النبيّ صلى الله عليه وآله جليّاً وظاهراً منقول بالتواتر الذي يفيد العلم بالضرورة في مواقف مشهورة كيوم الدار ويوم الغدير ويوم المؤاخاة ويوم حديث المنزلة ويوم سدّ الأبواب وغيرها، والألفاظ وإن تغايرت فالمعنى المراد منها واحد. وفي الآيات القرآنيّة من الظواهر الدالّة على هذا المعنى كثيرة أظهرها آية المائدة والمباهلة وآية الشورى وغيرها.

قال: لمّا بيّن أنّ الولاية لاتتمّ ولاتصحّ ثبوتها لأحد حتّى يجمع[1] الشرطين ـ أعني وصفَي النصّ والعصمة ـ وجب أن تتعيّن الولاية بعد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك هو مذهب الشيعة كافّة على اختلاف طبقاتهم، وباقي من أطلق عليه اسم الإسلام يذهب إلى أنّها في أبي بكر بن أبي قُحافة. وفي الصدر الأوّل لم يكن غير هذين المذهبين، وحدث بعد مدّة مذهب ثالث هو أنّ الإمامة للعبّاس بن عبد المطّلب، ولاأظنّ في هذه الأوقات قائل به[2].

---

١. حج: يجتمع.

٢. ما حكي من القول بخلافة العبّاس فقد صرّح جماعة من أهل السيَر بأنّه ممّا وضعه الجاحظ تقرّباً إلى العبّاسيّين ولم يقل به أحد قبل زمانه (بحار الأنوار: ٦٥٢/٢٩).

[أقسام الصحابة في اتّباع النبيّ ﷺ]

ولاريب أنّ أهل الإسلام بعد موت نبيّهم ﷺ اختلفت آراؤهم وتفرّقت كلمتهم في أكثر اعتقاداتهم أصولاً وفروعاً وخصوصاً في أمر الولاية لأمره والقيام مقامه، وسبب ذلك في الصدر الأوّل من الصحابة أنّهم كانوا في اتّباعه على أنواع ثلاثة:

طائفة تبعوه بحقيقة الإخلاص له واعتقاد صحّة نبوّته وصدقه في كلّ ما جاء به عن اللّه تعالى؛ لعلمهم به بالبراهين الدالّة على صحّة نبوّته وصدق دعواه. وهؤلاء هم أهل الإيمان الحقيقيّ والإسلام الصحيح، فهم أهل الظاهر والباطن والمقتدون به في جميع الأفعال والأحوال، المتمسّكون بحبال الدين والمعتصمون بأوثق عُراه. فهم المطيعون لأمره العاملون بمراضيه، يجاهدون في اللّه حقّ جهاده، وقد مدحهم اللّه في كتابه العزيز في مواضع كثيرة.

وطائفة تبعوه ظاهراً وفي قلوبهم التكذيب لمدّعاه، فلم يدخل الإسلام في قلوبهم ولا الإيمان في صدورهم مع التزامهم الاقتداء به ظاهراً، وهؤلاء هم أهل النفاق الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وكانوا يومئذٍ فرقتان[1]:

فرقة تبعوه طمعاً في نيل الأمور الدنيويّة وطلب حظوظها من الرياسات وظهور الاسم وانتشار الصيت وطيب المعاش وراحة من المتاعب البدنيّة وتعظيم الخلق لهم؛ لما ظنّوه من أنّ أمورهم تأول بسبب اتّباعه إلى هذه الأحوال، فاتّبعوه لرجاء هذه الآمال. وهذه كانت صفات جماعة وصلوا بقصدهم إلى ما قصدوه، فكان جهادهم ودفاعهم وقيامهم بالأوامر والنواهي /١٨٦ أ/ لذلك الغرض

١. مر، حج: فريقان.

لاالخالص الاعتقاد ورجاء الوعد وخوف الوعيد الذي جاء به نبيّهم؛ لأنّهم غير مصدّقين به.

وفرقة تبعوه خوفاً من القتل وسبي الذراريّ ونهب الأموال؛ لما رأوه من ظهور دينه واستيلاء جنوده وعلوّ كلمته وانتشار أمره وغلبة عساكره وظفره على أعدائه في أكثر غزواته، فانقادوا خوفاً من السيف واتّقاء من القتل. وقد ذكر اللّه الطائفتين في كتابه العزيز وسمّاهم بالمنافقين في عدّة مواطن بنصوص[1] لاتحتمل التأويل.

وطائفة أتباعاً رعاعاً وهم أهل التقليد للرؤساء الذين يغضبون لغضب الرئيس ويرضون برضاه وينقادون بانقياده ويأبون بإبائه، وليس لهم دين ثابت ولادليل قاطع ولافكرة في عواقب الأمور وكانوا يومئذ قسمين: قسم هم أتباع القسم الأوّل وهم مقلّدو أهل الحقّ، وقسم هم أتباع القسم الثاني وهم مقلّدو أهل النفاق. ونطق القرآن بهذه الطائفة وذكرهم في مواضع كثيرة.

[معرفة النبيّ وقوع هذه الأقسام في أتباعه]

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يعرف وقوع هذه الأقسام في أتباعه، إلّا أنّه صلى الله عليه وآله كان مأموراً بترك البحث عن أحوالهم وإظهارها باعتبار الأشخاص وتعيينهم وإن كان قد أخبر عنهم على سبيل الإجمال وبيّن كلّاً منهم بحاله التي هو عليها وعرّف الكلّ ووصف كلّ طائفة بصفاتها؛ لئلّا يكون للناس على اللّه حجّة بعد الرسل[2].

---

١. مر، حج: عدّة مواضع.

٢. مقتبس من: النساء/١٦٥

[وقوع التشاجر بين الأصحاب بعد النبيّ ﷺ]

فلمّا اختار اللّه له النقل إلى دار القرار ومحلّ الأبرار بعد إتمام دينه وكمال إنعامه وقع التشاجر والخلاف بين أتباعه وكانوا هؤلاء الأتباع يسمّون بالأصحاب تعظيماً لحاله[١]. فاختلفوا بعد موته، بل قبل دفنه، بل حال احتضاره في القيام مقامه وتولية الأمر بعده وقامت أهل الاعتراض لانتهاز الفرص في تحصيل أغراضها، وكانت العوام والأتباع من أهل التقليد لايفرّقون بين الطائفتين المتّبعة على الحقيقة والتي قصدها الأمور الدنيويّة ونيل الأغراض والمطالب المقصودة من ذلك الاتّباع؛ لأنّ الكلّ يظهر الطلب لما كان ذلك النبيّ الكريم يحثّهم عليه ويعرفهم أنّه سبيل اللّه الذي جاء به من عنده. وكانوا يأخذون ذلك عنه ظاهراً؛ لالتزامهم بطريقته وشريعته في الظاهر ويوحون إلى بعض أتباعهم عكس ذلك، وبعضهم على اعتقادهم فيهم لايشعرون بدخيلة أمرهم، فهم على اعتقادهم فيهم أنّهم محقّون لايفرّقون بين أحد منهم.

فلمّا تشاجروا ووقع بينهم هذا الاختلاف وقعت المخاصمات، فقال الأنصار: نحن أهل الولاية وأصحاب المنصب؛ لأنّا الممهّدون وأهل الأساس، وقال المهاجرون: /١٨٦ ب/ نحن أهل الفضل والسابقة والشجرة، والولاية فينا. ووقع الاحتجاج، فانتمت القبائل من الأتباع إلى رؤسائها وتحاسدوا على تحصيلها وطمع فيها كلّ طامع ممّن لم يكن قبل ذلك طامعاً. فغلب جماعة المهاجرين بالحجّة بعد أشياء عدّة ذكرت في كتب السير لانطوّل بإيرادها، فسارعوا إلى البيعة والصفق بالأيدي على جاري عادات العرب في سنّتهم التي كانوا يلزمون

---

١. حج (خ ل): لجلاله.

بعضهم بعضاً بها، فجروا إلى تلك العوائد وبايعوا بالشيخ المعظّم عندهم؛ اعتقاداً فيه صلاحيّة لذلك. أمّا طائفة منهم فلِغرض لهم فيه وطائفة أخرى حسداً لغيره وآخرون اتّباعاً وتقليداً وجعلوا ذلك سبيلاً إلى الولاية والقيام مقام النبوّة.

[إنكار النصّ من أجل الاستبداد بالقدرة]

فلمّا تمّ أمرهم واستحكم نصروه وأيّدوه بإنكار النصّ منهعليه السلام واليقين له وقالوا: إنّهصلى الله عليه وآله مات وترك الأمّة على اختيارهم هملاً، لم يختر لهم أحداً ولم ينصّ على شخص معيّن ولا على بطن معيّن من بطون قريش. نعم! زعموا أنّه جعلها في قريش بخبر رووه يوم السقيفة[١] خصموا به الأنصار وأنّهصلى الله عليه وآله مات وترك الناس سُدى بغير راعٍ يرعاهم ولاوالٍ يقوم عليهم ويحفظ به أمور أخراهم

---

١. وهو ما روي عن النبيّصلى الله عليه وآله أنّه قال: «الأئمّة من قريش» (الكافي: ٣٤٣/٨؛ بحار الأنوار: ١٣٣/١٨، ١٠٤/٢٥، ١٧٠/٢٨، ٢٦١، ٣٧٨/٢٩، ١٠/٣٠، ٢٩١، ٧٦/٣١، ٨٠، ٨١، ٤٠٧، ٥٤٤، ١٤٦/٤٠؛ الاحتجاج: ١٤٥/١؛ إعلام الورى: ٢٨٨؛ بصائر الدرجات: ٣٣؛ بناء المقالة: ٣٦٥، ٣٨٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٨؛ التحصين لابن الطاووس: ٦٣٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤/٦، ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٦٣/٧، ٨٤/٩، ٨٥، ٨٧، ٨٦/١٢، ٢٣٤/١٥، ٢٦٥/١٦، ١٦٦/١٧، ٢٦/٢٠؛ الصراط المستقيم: ٨٢/١، ١٠٦/٢، ٢٦٨، ٢٨٦، ٣٠١، ١٠٠/٣، ١٠٩، ١٣١، ١٤٤؛ الصوارم المهرقة: ٥٩، ٦٩، ٧٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٩٠، ٢١٢، الطرائف: ٤٠٠/٢، ٤٨٢؛ العدد القويّة: ٧٩؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٦٣/٢؛ الفصول المختارة: ٢٩٩؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٧٧، ٦٣٦؛ كشف الغمّة: ٣٩/١، ٥٥؛ كمال الدين: ٣٢/١، ٢٧٤؛ متشابه القرآن: ٣٣/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١١٠/١، ٣٠٢، ٣٠/٢؛ نهج البلاغة: ٢٠١).

وفسّره أمير المؤمنين عليّعليه السلام في قوله: «الأئمّة من قريش، أبرارها أئمّة أبرارها وفجّارها أئمّة فجّارها»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ**﴾ [القصص/٤١]، (بحار الأنوار: ١٥٧/٢٤؛ بصائر الدرجات: ٣٣).

وأولاهم، وأظهروا أنّه جعل الاختيار إليهم، فيختاروا لأنفسهم من يريدون، فيجعلونه والياً عليهم. وأذاعوا هذه الدعاوي ونشروها بين أتباعهم، علماً منهم أنّه لايتمّ لهم ما تسابقوا إليهم من أمر البيعة التي جعلوها وسيلة إلى حصول مقصدهم إلّا بذلك؛ فإنّه متى ثبت النصّ لشخص مسمّى باسمه ونسبه وأنّ رسول اللهﷺ جعلها في قبيلة معيّنة هم أهل بيته وذرّيّته وقرابته فات[١] من أمرهم كلّ ما يريدون؛ لأنه حينئذٍ يتحقّق عند الكلّ أنّه لايصحّ أن ينالها إلّا من عينه، فلايستقيم لهم أمر الاتّباع. فلمّا أظهروا هذه الدعوى وأشاعوا إنكار النصّ تحكّمت الشبهة في قلوب الأتباع وتلقّوا ذلك منهم بالقبول وشاع بين الصدر الأوّل وصار مذهباً يعتمد عليه وأصلاً يستند إليه.

[سبب الخلاف في الاتّباع للصدر الأوّل]

وأمّا سبب الخلاف في الاتّباع للصدر الأوّل من التابعين وتابعي التابعين إلى وقتنا هذا فالتقليد وحسن الظن بالصدر الأوّل واتّباعاً للواقع منهم كيف كان؛ لما اعتقدوه فيهم من محض العدالة وأنّ أفعالهم لاتقع إلّا على وجه السداد والصحّة، حيث اعتقدوا فيهم أنّهم أهل الإسلام الصحيح والدين القويم وأنّ الآيات التي فيها مدح الصحابة والثناء عليهم شاملة لهم. فقالوا بكلّ ما قالوه واعتقدوا لجميع ما اعتقدوه وصحّحوا كلّ ما صحّحوه /١٨٧ أ/ ولم يعترضوا على شيء من أفعالهم، حتّى أنّهم لو وقع منهم ما يعترفون بمخالفته للشريعة حاولوا وجوه التأويل وتصحيح ما وقع منهم، والتزموا بهذا الطريق وتعلّقوا به

---

١. حج: فان.

ولم يلتفتوا إلى غيره. فأنكروا النصّ والعصمة؛ لإنكار الصدر الأوّل لهما ولم يشترطوا الأفضليّة ولافوّضوا أمر الولاية إلى اللّه ولم يجعلوها كحال النبوّة، بل تسامحوا فيها وأهملوها غاية الإهمال كما أهملها الصدر الأوّل حتّى نالها الأراذل والأتباع وإخوان النفاق على ما لايخفى لمن تتبّع السير والوقائع. وبنوها على الاختيار والبيعة؛ بناءً على أنّ الأوّل منهم إنّما نالها بهما، مع أنّه في الحقيقة لم يكن ثَمّ اختيار ولابيعة، بل الواقعة إنّما كان مجرّد الغلبة بسبب الميول والقصود والأغراض، وبقوا على هذا الطريق لايلوون على شيء غيره ولايرون سواه وأغفلوا الأصلين السالفين[١].

وأغفلوا أنّ الولاية فرع النبوّة وتابعة لها ومستفادة منها استفادة الضوء من الشمس، إلّا الطائفة الأولى الذين كانوا أتباعاً له على اعتقاد صحيح ونيّة صادقة؛ فإنّهم عرفوا أنّ النبيّ الكامل والوليّ الفاضل الذي كانت نبوّته وولايته خاتمة النبوّات ومكمّلة لجميع الولايات لايصحّ في حكمته ولا في شريعته، بل ولا في الأحكام العقليّة والقضايا الضروريّة ولا في تدبير الممالك والسياسات المدنيّة أن ينتقل هذا الرئيس المؤسّس لهذا البناء العظيم ويترك رعيّته هملاً وأمّته سدىً من غير تعيين شخص بعينه يختاره لهم ولاأحد يقيمه مقامه وينصّ عليه. وعلموا أنّ ذلك لايوافق فعل الحكيم المشفق[٢] ولاالوليّ المحقّق ولاالرئيس المدبّر، مع كونه موصوفاً بالكمال الأعلى والتدبير الأتمّ والرأفة العظيمة والرحمة البالغة. وكيف؟ وهو ﷺ إنّما نقله اللّه تعالى إليه بعد تمام الدين وكمال النعمة كما هو منصوص

---

١. حج (خ ل): السابقين.

٢. حج: المدقّق.

الكتاب الحكيم[١].

ولو قلنا: إنّ الإمامة من فروع الإسلام لا من أصوله، فليست بالضرورة من فروع الفروع، بل لاأقلّ من أن تكون من أصول الفروع كالصلاة والصيام والحجّ والزكاة والجهاد. واللّه ورسوله قد بيّنا أحوالها ونصّا على حقائقها واطّلعا الخلق على شرائطها وكيفيّاتها على الاستقصاء بحيث لم يهملا منها، إلّا ما خفي على غير أهل النظر من كيفيّة استخراج الفروع المتجدّدة من ذلك البيان، حتّى أنّه عليه السلام علّمهم كيفيّة الاستنجاء ومواقع الجنابة وعلامات المنيّ وغير ذلك ممّا لانسبة له إلى بعض مصالح الولاية، فكيف بأصلها؟ فبعيد عند ذوي العقول السليمة من آفة التقليد أن يترك مَن هذه صفاته[٢] وسيرته أمرَ الولاية العامّة /١٨٧ ب/ التي هي أخت النبوّة والسلطنة الكلّيّة التي عليها جميع مدار مصالح الخلق وباختلالها يختلّ جميع أصول الشريعة وفروعها، فلم يتكلّم فيها بشيء ولم يبيّن أمرها ولاأشار إلى شيء من أحوالها في شيء من أصول الشريعة وفروعها ولا في بعض أقواله ولا في حال من أحواله.

[نفي القول بأنّ النبيّ جعل الناس مختاراً في الإمامة]

فإن قالوا: إنّه بيّن أنّكم اختاروا لأنفسكم من تريدون؛ **قلنا**: فذلك حينئذٍ رجوع إلى نصّه[٣] وأنتم لاتدّعونه، مع أنّه لو كان الأمر كذلك فالمأمور بالاختيار

---

١. مشير إلى قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ (المائدة/٣).

٢. حج: صفته.

٣. حج (خ ل): نصبه.

بعض الأمّة أو كلّها؟

فإن كان الثاني لم يصحّ الاختيار بدون الاجتماع من الكلّ، ومن المعلوم بالضرورة أنّه لم يحضر يوم السقيفة الكلّ، وكيف صحّ التوثّب والاستعجال بإيقاع عقد البيعة؟ وأكثر المسلمين خصوصاً بني هاشم وأتباعهم مشتغلين بمصيبة النبيّ صلى الله عليه وآله تحصيلاً للفرصة وخوفاً من حضور جماعة لو حضروا يوم السقيفة ما استقام أمر جماعتهم وإجماعهم. كما قاله الأنصاريّ ـ لمّا سمع عليّاً عليه السلام يذكر سوابقه وما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه وحقّ أهل بيته ـ: ولو سمعت الأنصار ذلك منك يوم السقيفة لما عدلت عنك. فأجابه عليه السلام بأنّي ما كنت لأخلّي رسول اللّه صلى الله عليه وآله مسجّىً بثوبه وأخرج أنازع في سلطانه قبل جهازه، وقد أمرني أن لاأفارقه حتّى أواريه[١]. وفي حديث آخر: ما كنت أظنّ أحداً ينازعني في هذا الأمر، فما ترك يوم الغدير لأحد حجّة[٢]. ولكن كانت أموراً من عجائب الأمور وأعظم الوقائع لمن تدبّر وأنصف وترك التقليد للصدر الأوّل؛ فإنّه الداء العياء.

وإن كان المأمور بالاختيار هو البعض فذلك البعض إن كان غير معيّن لم يصحّ توجّه الأمر إليه كما هو مقرّر في الأصول. وإن كان معيّناً وجب بيانه؛ لأنّه المفيد لذلك الاختيار. فلايكون ذلك اختياراً في الحقيقة، بل نصّاً؛ فإنّه في الحقيقة يكون أمراً بأنّ المرجع في بيان الولاية إلى ذلك المعيّن، فلايكون ذلك اختياراً بل نصّاً؛ لأنّه[٣] لابدّ أن يختار من يختاره اللّه. إلّا أن يقال: إنّه يجوز أن يقع اختياره

---

١. الاحتجاج: ٧٤/١

٢. بحار الأنوار: ١٥٨/٢٨؛ الاحتجاج: ٧٤/١

٣. حج: فإنّه.

على من لايختاره اللّه، فيكون إدخالاً في الـدين بغيـر رضـاه وذلـك غيـر جـائز إجماعاً، مع أنّ أحداً لم يدّع أنّ الاختيار مرجعـه إلـى بعـض الأمّـة دون بعـض ولأنّه منحصر في معيّن. فبقي أن يكون المأمور بالاختيار هو كلّ الأمّـة وحينئـذٍ يكون من اختير مأموراً بالاختيار لغيره، فلايصحّ أن يختار نفسه؛ لأنّه مأمور بغيـر اختيار نفسه؛ لأنّ الأمر بالشيء نهي أو يستلزم النهي عن ضدّه، هذا خلف. إلّا أن يقال: إنّ الكلّ مأمور بالاختيار إلّا واحداً معيّناً، وذلك خـلاف الإجمـاع. وحينئـذٍ يرجع القول بالاختيار بالإبطال على نفسه؛ فإنّ كلّ واحد من الأمّة جاز أن يكون /١٨٨ أ/ هو المختار لها مع كونه مأموراً باختيار غيره، فيكون المـأمور بالاختيـار والمختار قد اتّحدا في كلّ شخص، فيكون كلّ شخص إمّا مأموراً باختيـار غيـره فلايصحّ أن يختار نفسه، أو غير مأمور باختيار فإمّا أن لايكون مـأموراً بالاختيـار مطلقاً أو مأموراً باختيار نفسه، لكن الثاني باطل قطعاً، ويلزم من الأوّل أن لايكون المأمور بالاختيار كلّ الأمّة بل بعضاً، وهو خلاف الفرض.

وأيضاً إذا كانوا مأمورين بالاختيـار فلايتعلّـق الأمـر باختيـار مفسـد للرعيّـة بالضرورة؛ لأنّ الغرض من الولاية إصلاح الرعيّة، والمفسد لايكون مصـلحاً وإلّا لم يكن مفسداً، هذا خلف. فينبغي أن يتعلّق باختيار مصلح. والعلم بكونه مصلحاً إمّا أن يكون حاصلاً بالقطع والضرورة أو بالاجتهاد والظنّ. والأوّل محـال بـدون الاطّلاع عليه ممّن يعلم البواطن وعواقب الأمور قبل وقوعها، وذلـك محـال مـن الخلق بدون الاطّلاع عليه بالنصّ من عالم الغيـب وهـم لايشـترطونه، فبقـي أن يكون العلم به بالاجتهاد المُثمِر للظنّ والظنّ لايغني من الحقّ شيئاً[١]، فلايتحقّـق

---

١. مقتبس من: يونس عليه السلام/٣٦؛ النجم/٢٨

الجزم بصلاحه، فكانوا حينئذٍ مأمورين باختيار من يجوّزون عدم صلاحه، فلاتكون الولاية حينئذٍ موصلة إلى الصلاح ولامستلزمة لتكميل الخلق قطعاً، بل جاز أن تكون لأضداد ذلك، وذلك مستلزم لنفي حقيقة الولاية ومفهومها، فوجب أن لايكون الاختيار سبيلاً إلى إثباتها؛ لعدم تحقّق معناها به.

[حجّة القائلين بأنّ الولاية لايصحّ تفويضها إلى الخلق]

أمّا الفرقة الأولى فقالوا بمقتضى البراهين العقليّة والدلائل القطعيّة واعترفوا بالأصلين وقالوا: إنّ الولاية لايصحّ تفويضها إلى الخلق.

أمّا أوّلاً: فلعدم الدليل على ذلك عقلاً ونقلاً.

وأمّا ثانياً: فلما يلزم منه من المفاسد الموجبة لنفي الولاية وعدم ظهور فائدتها.

وأمّا ثالثاً: فلما تقدّم من بيان وجوبها عقلاً على الله تعالى، بناءً على قواعد العدليّة السالفة.

وأمّا رابعاً: فلوقوع النصّ على العصمة واتّصاف أشخاص بها من القرآن والسنّة:

[وقوع النصّ على عصمة عليّ عليه السلام من القرآن]

أمّا من القرآن: فآية التطهير[1] الدالّة دلالة ظاهرة بل قاطعة على أنّه تعالى وصف نفسه بإرادة تطهير أهل البيت، فيجب وقوع ذلك المراد؛ لعدم جواز

---

١. مشير إلى قوله تعالى: ﴿**إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً**﴾ [الأحزاب/٣٣].

تخلّف المعلول عن العلّة التامّة. ومن طهّره اللّه تعالى فهو لاشكّ طاهر. وليست الطهارة هنا من شيء دون شيء؛ لعدم التخصيص، فهي طهارة كاملة تامّة من جميع أدناس الطبيعة وأرجاس الهيولى الموجبتين للانحراف عن الاعتدال. فوجب أن يكونوا موصوفين بالاعتدال الاستقاميّ الذي هو العدالة المطلقة وهو معنى العصمة /١٨٨ ب/ المعتبرة المستلزمة للكمال الأعلى والمقام الأسنى. وقد نبّهعليه السلام على المراد من أهل البيت وبيّن الإجمال الحاصل فيهم بسبب الاحتمالات اللغويّة وأخبر أنّ المراد منهم عليّ وفاطمة وابناهما كما ورد في النقل الصحيح بطريق الشيعة والسنّة[١]، فثبتت لهم العصمة بشهادة القرآن.

---

١. **من طريق الشيعة**: الكافي: ٢٨٦/١؛ مستدرك الوسائل: ٤٦٠/١؛ بحار الأنوار: ١٤١/١٠، ٤٢٤، ٣٥٩/١٧، ٣٣٩/٢١، ١٠٩/٢٣، ١٥٧، ٢٣٩/٢٥، ١٠٩/٢٩، ٣٢٦/٣١، ٤١٣، ٢٠٦/٣٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦١، ٣٠٨/٣٦، ٨٤/٣٧، ١٠٠، ٢٤٦، ٢٧٠، ٩٥/٣٨، ٣٠٣، ٢٤/٤٣، ٧٣، ٦٢/٤٤، ١٩٨/٤٥، ١٥٣/٦٩؛ إعلام الورى: ١٤٩؛ الأمالي للطوسيّ: ٣٦٣، ٣٦٨؛ تفسير فرات: ٣٣١، ٣٣٧؛ الصراط المستقيم: ١٨٥/١، ١٨٦؛ الصوارم المهرقة: ١٤٥، الطرائف: ١١٣/١، ١٢٥؛ العمدة: ٢٣، ٣٢، ٣٩، ٤٤، ٥١، ٧٠؛ كتاب سليم بن قيس: ٧٦٠؛ كشف الغمّة: ٤٥/١، ٤٧؛ تأويل الآيات: ٤٤٩، ٤٥٠؛ تفسير العيّاشيّ: ٢٤٩/١؛ تفسير القمّيّ: ١٩٣/٢؛ دلائل الإمامة: ١٦٣؛ سعد السعود: ١٠٦؛ الفصول المختارة: ٥٣؛ كفاية الأثر: ٦٥؛ متشابه القرآن: ٦٣؛ نهج الحقّ: ٢٢٨

ومن طريق أهل السنّة: الأمالي لابن بشران: ٢٨٥/١؛ الآحاد والمثاني: ١٣١/٥؛ الجمع بين الصحيحين: ١٧٠/٤؛ السنن الكبرى للبيهقيّ: ١٤٩/٢، ١٥٢؛ السنن الكبرى للنسائيّ: ٤١٠/٧؛ الشريعة: ٢٠٢١/٤، ٢٢٠٠/٥، ٢٢٠٥ وما بعد؛ شواهد التنزيل: ٦١/٢ وما بعد؛ المستدرك على الصحيحين: ٤٥١/٢، ١٤٣/٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٢؛ المعجم الأوسط: ١٦٦/٣، ١٣٤، ١١١/٨؛ المعجم الكبير: ٥٣/٣، ٥٦، ٩٣، ٢٥/٩، ٩٧/١٢، ٢٠٠/٢٢، ٤٠٢، ٣٣٣/٢٣، ٣٣٧؛ ←

[وقوع النصّ على عصمة عليّ عليه السلام من السنّة]

وأمّا من السنّة: فكثير نقل من أهل النقل من أقواله عليه السلام ما يدلّ دلالة ظاهرة بل قاطعة على ثبوت العصمة لبعض أهل بيته وأقربائه. من ذلك قوله عليه السلام لعليّ عليه السلام: «إنّه منّي وأنا منه»[1] في مواطن كثيرة وهو عليه السلام معصوم قطعاً، فيجب أن

المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢٤٥/٢؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٩٥/١، ١٩٨؛ جامع الأصول: ١٥٥/٩، ١٥٦؛ سنن البيهقيّ: ٦٣/٢؛ سنن الترمذيّ: ٣٥١/٥، ٣٥٢، ٦٦٣؛ شرح السنّة: ١١٦/١٤؛ شرح مشكل الآثار: ٢٣٨/٢؛ ٢٤١ وما بعد؛ صحيح ابن حبّان: ٤٣٣/١٥؛ صحيح مسلم: ١٨٨٣/٤؛ فضائل الصحابة: ٥٥٧/٢، ٥٨٧، ٦٧٢، ٦٨٢، ٧٦١، ٧٨٦؛ كنز العمّال: ٦٠٣/١٣؛ الأحاديث المختارة: ٢٧/١٣، ٢٨؛ مسند أبي داوود الطيالسيّ: ٥٣٩/٣؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٥٩/٧؛ مسند أحمد: ١٧٩/٥، ٢٧٣/٢١، ٤٣٤، ١٩٥/٢٨، ١١٨/٤٤؛ مسند ابن أبي شيبة: ٣٧٠/٦، ٣٨٨؛ معجم ابن الأعرابيّ: ٧٤٢/٢، ٩٦٤/٣؛ معجم ابن عساكر: ٧٣٨/٢؛ موارد الظمآن: ٥٥٥/١

١. **من طريق الشيعة:** الكافي: ١١٠/٨؛ بحار الأنوار: ٦٩/٢٠، ٧٠، ٩٥، ١٠٧، ١٤٤، ٤٢٦/٣٠، ٣١٨/٣١، ٣٧٢، ٣٢٥/٣٨، ٨٧/٤٠، ٨٣/٤١، ٦٥/٤٢؛ الاحتجاج: ٦٥/١؛ إرشاد القلوب: ٢٦٠/٢؛ إعلام الورى: ٨١؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٤٧؛ بشارة المصطفى: ١٨٦؛ الخصال: ٥٥٦/٢؛ دعائم الإسلام: ٣٧٤/١؛ الصراط المستقيم: ٢٥٣/١، ٨/٢، ٥٨؛ الطرائف: ٦٥/١؛ علل الشرائع: ٧/١؛ العمدة: ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤، ١٢٤؛ القصص للراونديّ: ٣٤١؛ كشف اليقين: ٤٢١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٢٤/٣؛ نهج الحقّ: ٣٩١؛ اليقين: ٣٥٧

ومن طريق أهل السنّة: إطراف المسند المعتلي: ٢٢٨/٢؛ الآحاد والمثاني: ٣٦/٣، ١٤١/٤؛ السنّة لابن أبي عاصم: ٥٦٤/٢، ٥٩٨؛ السنن الكبرى للنسائيّ: ٣١٠/٧، ٤٣٢ وما بعد؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ٢٦١/١٣؛ الطيوريّات: ٧١٥/٢؛ المعجم الكبير: ١٦/٤؛ تثبيت الإمامة: ٢٢٣/١؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٧٦/١، ١٨٢؛ جامع الأصول: ٦٥٢/٨؛ حلية الأولياء: ٢٨٤/١٣؛ سنن ابن ماجة: ٤٤/١؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٦/٥؛ شرح مذاهب أهل السنّة: ٨٩/١؛ فضائل الصحابة: ٥٩٤/٢، ٥٩٩، ٦٢٠، ٦٤٩؛ كنز العمّال: ٦٠٣/١١، ٦٠٨، ←

يكون عليّ عليه السلام كذلك وإلّا لم يتحقّق البعضيّة؛ فإنّ المماثلة تقتضي المشاركة في الحقيقة أو في الصفات الشاملة أو فيهما معاً، فكيف بالبعضيّة المستلزمة للجزئيّة؟

وكذلك قوله عليه السلام: «يا عليّ! خلقتُ أنا وأنت من نور واحد»[1] وفي حديث آخر: «من شيء واحد» وفي آخر «من طينة واحدة»[2]. وإذا ثبت أنّهما شيء واحد وجب اشتراكهما في الصفات، بل في الحقيقة، وإلّا لما تحقّقت الوحدة.

ومثله قوله عليه السلام: «مثل أهل بيتي مثل[3] سفينة نوح، من ركبها[4] نجى ومن تخلّف عنها هوى[5]»[6]. وإذا كانت النجاة إنّما تتحقّق بالاتّباع لهم وجبت العصمة لهم وإلّا

١٤٢/١٣؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٢٩٣/١؛ مسند أحمد: ٤٩/٢٩، ٥٣؛ مسند ابن أبي شيبة: ٣٤٢/٢، ٣٦٦/٦، ٣٧٢

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣/٢٥؛ تأويل الآيات: ٧٤٩. وروي أيضاً عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أنا وعليّ من نور واحد» (بحار الأنوار: ٤٨٠/٣٣، ٣٤/٣٥، ١٥٠/٣٨، ٨٥/٣٩؛ الأمالي للصدوق: ٢٣٦؛ بشارة المصطفى: ١٩٠، ٢٣٥؛ الخصال: ٣١/١؛ روضة الواعظين: ١٢٩/١؛ العمدة: ٩١؛ عوالي اللآلي: ١٢٤/٤؛ الفضائل: ٩٦؛ معاني الأخبار: ٥٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٧/١، ٢٦٩/٣).

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٣٨/٧، ١٥٠/٢٧، ١٥٥، ٢٥/٣٥، ١٨٨/٣٨، ١٢٦/٦٤؛ الإرشاد: ٤٣/١؛ إعلام الورى: ١٦٠؛ الأمالي للطوسيّ: ٧٩، ٤٥٦؛ الأمالي للمفيد: ٣١١؛ بشارة المصطفى: ١٤، ٩٥؛ تأويل الآيات: ٤٣٥؛ كشف الغمّة: ١٤٢/١

ومن طريق أهل السنّة: شرح مذاهب أهل السنّة: ١٣٧/١؛ فضائل الخلفاء الراشدين: ٥٣/١

٣. حج: كمثل.

٤. مر: ركب فيها.

٥. حج: غرق.

٦. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٤٨/٢٢، ١٠٥/٢٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٥٥، ١١٢/٢٧، ٣٤١/٢٩، ٢٧٧/٣١، ٣٩٨/٤٧، ٢٠/٨٧، ١٩٠/١٠٤، ٤٧/١٠٥، ١٠٩/١٠٦، ١٦٨؛ الاحتجاج: ١٥٥/١، ٢٧٣، ٣٨٠/٢؛ إرشاد القلوب: ٢٣٢/٢؛ الأمالي للطوسيّ: ٦٠، ٣٤٩،

لم تتحقّق بهم النجاة؛ فإنّ من خرج عن دائرة الاعتدال إلى جانبي الإفراط والتفريط لايكون صراطاً مستقيماً، بل يكون إمّا ضالاً أو مغضوباً عليه، فكيف تتحقّق النجاة به؟ وهو غير ناجٍ بنفسه؛ فإنّ من ليس بناجٍ بالضرورة لايكون منجياً، وذلك بيّن لايخفى إلّا على ذوي الغباوة من أهل التقليد أو مكابر جعل إنكار المعقولات دأبه، فيدخل بذلك في قسم السوفسطائيّة[1].

[النصوص النبويّة على ولاية عليّ عليه السلام]

وإذا ثبت بطريق العقل والبرهان القطعيّ وجوب كون الوليّ موصوفاً بالعصمة وثبت أنّ اللّه تعالى ورسوله بيّنا المتّصف بها من بين الخلق كان ذلك نصّاً ظاهراً بل قاطعاً على وجوب الولاية له وهو بيّن. هذا مع أنّهم نقلوا النصّ الصريح من النبيّ صلى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام بأنّ الولاية له وأنّه الوصيّ والخليفة القائم بالأمر بعده نقلاً

٤٥٩، ٤٨٢، ٥١٣؛ بشارة المصطفى: ٨٨؛ بصائر الدرجات: ٢٩٧؛ تقريب المعارف: ١٢٥؛ جامع الأخبار: ١٨٢؛ رجال الكشّيّ: ٢٦؛ صحيفة الرضا عليه السلام: ٥٧؛ الطرائف: ١٣٢/١؛ العمدة: ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠؛ عوالي اللآلي: ٨٥/٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٧/٢؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٥٩، ٩٣٧؛ كشف الغمّة: ٥١/١، ٤٠٨؛ كشف اليقين: ٣٢٢؛ متشابه القرآن: ٥٧/٢

ومن طريق أهل السنّة: أخبار مكّة: ١١٢/٣؛ الأمالي لابن بشران: ٢٩٨/١؛ أمثال الحديث: ٣٨٤/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٨/١؛ الشريعة: ٢٢١٤/٥، ٢٢١٥، ٢٢٢١؛ الكنى والأسماء: ٢٣٢/١؛ المستدرك على الصحيحين: ٣٧٣/٢، ١٦٣/٣؛ المعجم الأوسط: ٩/٤، ٣٥٤/٥، ٨٥/٦؛ المعجم الكبير: ٤٥/٣، ٤٦، ٣٤/١٢؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٩٩/١، ٢٠٢، ٢٠٥؛ حلية الأولياء: ٣٠٦/٤؛ فضائل الصحابة: ٧٨٥/٢؛ كنز العمّال: ٩٤/١٢، ٩٥، ٩٨؛ مسند البزّار: ٣٤٣/٩، ٣٢٩/١١؛ مسند الشهاب القضاعيّ: ٢٧٣/٢، ٢٧٤؛ مشيخة قاضي المارستان: ٣٩٣/٢

١. تش، حج: السوفسطانيّة.

متواتراً من أهل الحديث بحضرة جمّ غفير من الصحابة في مواقف عدّة، عدّ المصنّف في الأصل منها بعضاً من كثير وقطرةً من بحر غزير.

[يوم الدار]

فيوم الدار: كان في أوّل الأمر وبدء الدعوة وأوّل الإسلام، خصّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيه بالخلافة والولاية والقيام مقامه بعده بمشهد جماعة من بني هاشم، والقصّة مشهورة في كتب السير والتواريخ. بعد أن عرض الإسلام والموازرة والنصرة على جميعهم بشرط ولاية العهد والخلافة فلم يقبله أحد منهم وقبله عليّ عليه السلام من بينهم، فأعطاه النبيّ صلى الله عليه وآله ما شرطه وقبل منه من أجابه إليه.[١]

[يوم الغدير]

ويوم الغدير: /١٨٩ أ/ هو اليوم المشهور كان بمحضر الحشد[٢] العظيم وجماعة أهل الإسلام الذين كانوا في حجّة الوداع والقصّة متواترة. فإنّه عليه السلام أشار

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٦٣/١٨، ١٩١، ٢١٥، ٦٧/٢٩، ١٠٩/٣٦، ٣/٣٨، ١٤٤، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥١؛ الاحتجاج: ٨٨/١؛ الإرشاد: ٧/١، ٤٩؛ إعلام الورى: ١٦٢؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٨١؛ بناء المقالة: ١٢٨؛ تأويل الآيات: ٣٩٠؛ تفسير فرات: ٣٠١؛ تقريب المعارف: ١٣٥؛ سعد السعود: ١٠٥؛ الصراط المستقيم: ٣٢٥/١، ٣٢٨؛ الطرائف: ٢٠/١، ٣٢؛ العمدة: ٧٦، ٨٨؛ كشف الغمّة: ٦٢/١؛ كشف اليقين: ٤٠، ٢٥٨؛ متشابه القرآن: ٣٠/٢، ٤٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤/٢، ٤٩/٣، ٢١٤

ومن طريق أهل السنّة: تاريخ دمشق: ٤٦/٤٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٠/١٣؛ شواهد التنزيل: ٤٨٥/١، ٥٢٤؛ الطبقات الكبرى: ١٨٧/١؛ كنز العمّال: ١٣٢، ١٤٩؛ مختصر تاريخ دمشق: ٢٣٧٣/١، ٢٣٧٤، ٣٧٣/٥، ٣٧٤

٢. هامش حج: حشد من الناس أي جماعة (صحاح).

في ذلك اليوم إلى جماعتهم مخاطباً بقوله: ألست أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه! فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحقّ معه كيف ما دار[١]. رواه عامّة

---

١. **من طريق الشيعة**: الكافي: ٢٩٣/١، ٢٩٥، ٢٧/٨؛ من لايحضره الفقيه: ٢٢٩/١؛ التهذيب: ١١٩/٣، ١٢٠، ٢٦٣؛ وسائل الشيعة: ٢٨٦/٥، ٤٧٩/٩؛ بحار الأنوار: ٢٠/٥، ٢٣٧/٢١، ٣٨٧، ١٤١/٢٣، ١٤٥، ٣٢٢/٢٤، ٩٨/٢٨، ١٨٥، ٦٤٥/٢٩، ٣٣٠/٣١، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٧٢، ٤١٠، ٤٤٦، ٣٢١/٣٢، ٣٣١، ٣٣، ١٤٧/٣٣، ٢٦٥، ٣٢٦/٣٤، ٣٤٠، ١٨٤/٣٥، ١٨٥، ١٨٧، ٢٨١، ٣٦٩، ١١٦/٣٦، ٣٩٦، ١١٢/٣٧ وما بعد، ١٤٢/٣٨، ٣٣٩، ٣٥٤، ١٦٩/٣٩، ٣٠٤، ٣٩/٤٠، ٥١، ٩٣، ٢٠٥/٤١، ١٤٨/٤٢، ١٥٥، ٧٤/٤٤، ٢٣٧/٦٠، ١٤٥/٦٩، ٧٤/٩١، ٣٣٢/٩٢، ١٠٨/٩٥، ١١٠، ٢٢٥/٩٧، ٢٨٧، ٣٦٣، ١٠٦/٩٩، ١١٢، ١١٧/١٠٤؛ الاحتجاج: ٦١/١، ٧٤، ١٣٤، ١٤٧، ٢٧٣، ٣٣٠/٢، ٤٥٠؛ الاختصاص: ٧٩؛ الإرشاد: ١٧٦/١، ٣٥٢؛ إرشاد القلوب: ٢٥٩/٢، ٣٣٠؛ إعلام الورى: ١٣٢، ١٦٥؛ الإفصاح: ١٢٩؛ الإقبال: ٩٦، ٩٨، ١٤٦، ٢٩٦، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧؛ أقسام المولى: ٣١؛ الأمالي للصدوق: ١٢٢، ٣٤٧، ٣٥٤، ٥٧٤؛ الأمالي للطوسيّ: ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٧٢، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٣، ٥٤٥، ٥٥٤؛ الأمالي للمفيد: ٥٥؛ بشارة المصطفى: ٥١، ٤٣، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٦، ١٦٥، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٦٤، ٢٦٩؛ بصائر الدرجات: ٧٧؛ البلد الأمين: ٢١، ٨٨، ٢٣٠، ٣٠٣؛ بناء المقالة: ٧٢، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٢؛ تأويل الآيات: ٣٧، ١٥١، ١٦٢، ٦٠٣، ٦٩٧؛ التحصين لابن الطاووس: ٥٨٦، ٦٣٢؛ تفسير الإمام العسكريّ: ١١١، ٥٦٠؛ تفسير العيّاشيّ: ٤/١، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٩٧/٢، ٣١٩؛ تفسير فرات: ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ٣٤٠، ٤٢٠، ٤٥٠، ٤٩٠، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥١٥، ٥١٦، ٥٧٤؛ تفسير القمّيّ: ١٧٣/١؛ جامع الأخبار: ١٠؛ جمال الأسبوع: ٤٨٥، ٥٠٦، ٥١٢؛ الجمل: ٨١؛ الخرائج: ٢٠٨/١؛ الخصال: ٦٥/١، ٢١٩، ٤٧٨/٢؛ دعائم الإسلام: ١٦/١، ١٩؛ رجال الكشّيّ: ٦٦؛ روضة الواعظين: ٩٤/١، ١٠٣، ٣٢٤/٢؛ سعد السعود: ٧٠، ٧١؛ صحيفة الرضا عليه السلام: ٦٤؛ الصراط المستقيم: ٢٩٨/١، ٧٤/٣، ٢٥٦؛ الصوارم المهرقة: ٨٩، ١٤٨، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ٢٠١؛ الطرائف: ١٢١/١، ١٤٣ وما بعد؛ العدد القويّة: ١٧٥، ١٨٣، ٢٤٧؛ علل الشرائع: ١٤٣/١؛ العمدة: ٩٢ وما بعد؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٥٤/١، ٤٧/٢، ٤٩؛ الغارات: ٤٥٢/٢؛ ←

غيبة النعمانيّ: ٦٨؛ الفصول المختارة: ٢٤٥؛ الفضائل: ٥، ١٦٩؛ قرب الإسناد: ٢٧؛ القصص للراونديّ: ٣٥٥؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٤٣، ٧٥٧، ٨٢٨، ٨٣٤، ٨٨٧؛ كشف الغمّة: ٤٨/١، ٤٩، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٥، ٢٨٣، ٢٩٢، ٣١٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣٨٠؛ كشف اليقين: ٢٥٢، ٤٢١، ٤٦٢؛ كمال الدين: ٢٣٤/١، ٢٧٥، ٣٣٦/٢؛ كنز الفوائد: ٨٤/٢، ٨٧، ٩٧؛ متشابه القرآن: ٣٠/٢، ٤٢؛ المسائل العكبريّة: ٥٦؛ مسار الشيعة: ٣٩؛ المصباح للكفعميّ: ٣٧، ٥٤٨، ٦٢٨؛ مصباح المتهجّد: ٣٩٩، ٤٠٩، ٦٢٠، ٦٢٢؛ معاني الأخبار: ٦٧؛ المقنعة: ٢٠٣، ٣٢٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٨٧/٢، ٢٢٦، ٢١/٣، ٢٧، ٣٥، ٢١٧؛ نهج الحقّ: ١٩٢، ١٧٣، ٣٩١؛ وقعة صفّين: ٣٣٨؛ اليقين: ٣٥١

ومن طريق أهل السنّة: أحاديث إسماعيل بن جعفر: ٥٢٤/١، ٥٢٦؛ إطراف المسند المعتلي: ٣٧٥/٢، ٥٠٥/٤، ٢٧٢/٨؛ الاعتقاد: ٣٥٤/١، ٣٧١؛ السنن الكبرى: ٣١٠/٧، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٢ وما بعد، ٤٦٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨٨/٢، ٢٠٨/٣، ١٧/٨، ٢١، ١٩٣/١٣، ٢٣/١٨، ٧٢، ٢١٧/١٩، ٢٢١/٢٠؛ الشريعة: ٢٠٤٩/٤ وما بعد، ٢٠٦٣، ٢٢٢١/٥؛ شواهد التنزيل: ٢٠١/١، ٢٢٣، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦، ٣٩٠/٢، ٣٩١؛ الطيوريّات: ٤٩٠/٢؛ الفوائد: ١٦٨/١؛ المخلصيّات: ٣١٣/١؛ المستدرك على الصحيحين: ١١٨/٣، ١٢٦؛ المعجم الأوسط: ٢٤/٢، ٢٧٥، ٣٦٨، ٢١٨/٦؛ المعجم الكبير: ٣٥٧/٢، ١٨٠/٣، ١٦/٤، ١٧٣، ١٦٦/٥، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٩٢ وما بعد، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٢، ١٢٢/١٢؛ المقصد العليّ: ١٨٢/٣، ١٨٣؛ بحر الفوائد: ٣٠٥/١؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٩١/١، ١٩٢؛ سنن ابن ماجة: ٤٣/١؛ شرح مذاهب أهل السنّة: ١٠٣/١؛ شرح مشكل الآثار: ١٤/٥، ١٥، ١٨، ٢٠، ٤٥/١١، ٥١٤/١٢؛ صحيح ابن حبّان: ٣٧٦/١٥؛ فضائل الخلفاء الراشدين: ٤٣/١؛ فضائل الصحابة: ٥٨٥/٢، ٥٨٦، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦١٠، ٦٨٢، ٧٠٥؛ كنز العمّال: ٨٧/١ وما بعد، ٢٩٠/٥، ٦٠٩/١١، ٦١٠، ١٠٣/١٣، ١٠٥، ١٣١، ١٣٤، ١٣٩، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٩، ١٧١؛ الأحاديث المختارة: ١٠٥/٢، ١٠٦، ١٧٤، ٢٧٤، ٢١٣/٣؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٤٢٨/١، ٣٠٧/١١؛ مسند أحمد: ٢٦٢/٢، ٢٦٩، ٢٧١، ٤٣٤، ٤٣٠/٣٠، ٢٩/٣٢، ٥٦، ٧٦، ٢١٩/٣٨؛ مسند البزّار: ١٣٣/٢، ٢٣٥، ٣٤/٣، ١٧١، ٢١١/١٠، ٢١٢، ٢٣٣، ٢٨٦/١٢، ١٠٢/١٧؛ مسند الشاميّين: ٢٢٢/٣؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٦٨/٦، ٣٦٩، ٣٧٢؛ معجم ابن المقرئ: ٣٥/١، ٣٦؛ موارد الظمآن: ٥٤٤/١

أهل العلم[1] بطرق متعدّدة لاينكره إلّا من ينكر حجّة الوداع، حتّى أنّ أهل الخلاف حملوه على التأويل البعيد اعترافاً بصحّته[2]، بناءً على وجوب حسن الظنّ بأفعال السلف وتصحيح الواقع منهم كيف ما كان وقوعها.

[يوم المؤاخاة]

ويوم المؤاخاة: يوم مشهور وموقف معلوم مبناه على تميّز الأشباه والنظائر والاطّلاع على الخصائص والضمائر. ولم تكن المؤاخاة يومئذٍ عن الهوى، بل إنّما هو وحي يوحى[3]. فآخى بين أصحابه، فقرن كلّ شبه إلى شبهه وجعل كلّ نظير مع نظيره ولم يقرن بين عليّ عليه السلام وبين أحد من الصحابة، بل عدل به عن جميعهم، ثمّ اختاره لنفسه وقرن بينه وبينه وميّزه من بينهم بأخوّته وشرفه عليهم بقربه؛ إظهاراً لشأنه واحتجاجاً عليهم ببيان حاله[4]. وكان ذلك بوحي من اللّه ونصّه، فكان ذلك موجباً له استحقاق الولاية والقيام فيهم مقامه؛ إذ كلّ أخ قائم

---

١. تش (خ ل): النقل.

٢. راجع: الأربعين في أصول الدين: ٤٦٣

٣. مقتبس من: النجم/٤

٤. **من طريق الشيعة**: روي أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله آخى بين أصحابه، فجاء عليّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول اللّه! آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنت أخي في الدنيا والآخرة (بحار الأنوار: ٣٣٣/٣٨، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥؛ الأمالي للصدوق: ٣٤٩؛ بناء المقاله: ٣١١؛ الطرائف: ٦٤/١؛ العمدة: ١٧٢؛ كشف الغمّة: ٣٢٩/١، ٥٥٢، ٥٨١؛ كنز الفوائد: ١٧٩/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٨٥/٢؛ نهج الحقّ: ٢١٧).

ومن طريق أهل السنّة: المستدرك على الصحيحين: ١٥/٣، ١٦؛ تثبيت الإمامة: ٢٤٠/١؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٨٥/١؛ جامع الأصول: ٦٤٩/٨؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٦/٥؛ كنز العمّال: ٥٩٨/١١؛ معجم ابن الأعرابيّ: ٦٨١/٢

مقام أخيه في ما له من المزايا؛ فإنّ الأخوّة مشاكلة ومشابهة في الصفات. فيقال للشيء أخو الشيء إذا كان بينه وبينه مشابهة كلّيّة في جميع صفاته، ولمّا كانت الولاية من أجلّ الصفات التي كان صلى الله عليه وآله متّصفاً بها وجب أن يكون أخوه ومماثله ومشاكله موصوفاً بها، وإلّا لما تحقّقت الأخوّة ولاثبت معناها ولم يكن للمماثلة والمشاكلة حينئذٍ معنىً، فتضيّع الفائدة من ذلك الفعل الصادر عن الحكيم بنصّ أحكم الحاكمين.

[النبوّة معلومة الاستثناء في المماثلة]

فإن قلت: يلزم على ما قرّرتموه إدخال النبوّة؛ لأنّها من جملة الصفات وهو خلاف الإجماع؛ **قلت**: النبوّة معلومة الاستثناء بالأصل؛ لما ثبت عند الكلّ من عدم جواز المشاركة فيها؛ لتحقّق معنى الختم به، فانحجب ما سواه عن بلوغ مرتبتها، فلاتصحّ المشاركة والمماثلة فيها ويبقى ما عداها داخلاً في عموم الأخوّة. هذا مع أنّ الولاية المطلقة الثابتة له صلى الله عليه وآله ـ كما عرفت ـ أعلى وأجلّ وأعظم من مرتبة النبوّة؛ لما عرفت أنّ مقام الأولى مقام الوحدة وأنّ مقام الثانية[١] مقام الكثرة، والوحدة أجلّ وأعلى من الكثرة. فإذا ثبت أنّ الولاية له فقد ثبت له مقام الوحدة الذي هو مبدأ الكثرة.

ثمّ إنّ الولاية التي هي مقام الوحدة الثابت له باعتبار الأخوّة يستلزم ثبوت مقام الكثرة بواسطة الردّ إلى الخلق بعد /١٨٩ ب/ المرور على مقام الوحدة الثابت له بقوله عليه السلام لعليّ عليه السلام: «يا علي! إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلّا أنّك

---

١. حج (خ ل): مقام الوليّ مقام الوحدة وأنّ مقام النبوّة.

لست بنبيّ»[١]. فمقام النبوّة الخاصّ بعد الولاية المطلقة استثني ولم يستثن مقتضاه، أعني الردّ إلى الخلق؛ لأنّه إذا كان له مقام الولاية الخاصّة كانت السياسة بيده وهي مقتضى الكثرة بواسطة إهداء الخلق والقيام عليهم بما يكمّلهم ويصلح معاشهم ومعادهم، فلايكون مقتضى مقام الكثرة مسلوباً عنه، وذلك هو مقتضى مقام النبوّة ولازمه لا هو، فالواجب للوليّ هو مقتضى مقام النبوّة ولازمه لا هو. فما فاته عليه السلام شيء من معاني الأخوّة ولاخصائص كمال الأخ سوى الاسم المحجوب عنه وعن كلّ ما سواه؛ للمصلحة المقتضية لسلبه، فتدبّره تجده تحقيقاً لم تمسّه أذهان أسلافنا[٢].

[يوم حديث المنزلة]

ويوم حديث المنزلة: من المقامات المعلومة في سيَر المحدثّين وعند سائر الرواة أجمعين وهو يوم غزوة تبوك وقد أرجف المنافقون به لمّا استخلفه على المدينة وفاتهم ما دبّروه بجلوسه فيها، فقال عليه السلام: خلّفتني على النساء والصبيان. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله له: ألاترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي؟[٣] أثبت له عليه السلام جميع المنازل التي كانت لهارون من موسى واستثنى منها

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٤٧٥/١٤، ٢٢٣/١٨، ٢٧٠/٣٧، ٣٢٠/٣٨، ٢٦٤/٦٠؛ الصراط المستقيم: ٦٥/٢؛ الطرائف: ٤١٣/٢؛ عوالي اللآلي: ١٢٢/٤؛ نهج البلاغة: ٣٠٠
ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٧/١٣

٢. حج: أسلفنا.

٣. **من طريق الشيعة**: الكافي: ١٠٦/٨؛ مستدرك الوسائل: ٣٦٦/١٨؛ بحار الأنوار: ٢٢٥/٢، ٢٠/٥، ٦٩، ١٤٣/١٠، ٢٩٢، ١٦٣/١٨، ١٠/٢١، ١٤٢، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٥٩، ٣/٢٦، ٣١٥/٣١، ٣٣٠، ٣٦٠، ٤١٣، ٤٣٢، ٣١٠/٣٢، ٣٤٧، ٤٨٥، ٥١/٣٣، ١٧٦، ٢١٧، ١٨٤/٣٥، ←

٢٩٩، ٣٣١/٣٦، ٤١٧، ٢٥٥/٣٧ وما بعد، ١٣٠/٣٨ وما بعد، ٣٠/٣٩، ١/٤٠، ٩، ٣٩، ٤٣، ٧٦، ٧٨، ٨٨، ١١٨/٤٤، ٢٠٨/٤٩، ١٤٧/٦٤، ١٣٧/٦٥، ١٥٥/٦٩، ٤٤٤/٧٢، ١٢٣/٩٠، ٣٦١/٩٧، ١٠٦/٩٩، ٤٢٣/١٠١؛ الاحتجاج: ٥٠/١، ١٣٤، ١٤٩، ١٦٨، ٢٥٤، ٣٣٠/٢، ٤٥١؛ الإرشاد: ٨/١، ١٥٦؛ إرشاد القلوب: ٢١٤/٢، ٢٣١؛ إعلام الورى: ١٦٧، ١٨٦؛ الإفصاح: ٣٣؛ الإقبال: ٢٩٦، الأمالي للصدوق: ٩٦، ١٧٣؛ الأمالي للطوسي: ١٧٠، ٢٥٣، ٣٠٦، ٣٤٢، ٥٦٦، ٥٩٨؛ بشارة المصطفى: ١٥٥، ١٦٨، ٢٠٣، ٢٠٤؛ بناء المقالة: ١٣٠، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣٢٤؛ التحصين لابن فهد: ٦٣٥؛ تحف العقول: ٤٥٨؛ تفسير الإمام العسكري: ٣٣٠، ٤٨٥، ٥٦٠؛ تفسير العيّاشي: ٣٣٢/١؛ تفسير فرات: ١٥٨؛ تفسير القمّي: ١٠٩/٢؛ تقريب المعارف: ١٤٤؛ الجمل: ٧٦؛ الخصال: ٣١١/١، ٥٥٣/٢، ٥٧٢؛ دعائم الإسلام: ١٦/١؛ روضة الواعظين: ٨٩/١، ١١٢؛ الصراط المستقيم: ٦١/١، ٢٣١، ٣١٦، ٤٧/٢؛ الصوارم المهرقة: ٢٠٤؛ الطرائف: ٥٢/١، ٥٣، ٦٣، ٢٧٥، ٤١٣/٢؛ العدد القويّة: ٢٤٧؛ علل الشرائع: ٦٤/١، ٤٧٣/٢؛ العمدة: ١٢٦ وما بعد؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٩/٢، ١٩٤؛ الفصول المختارة: ٢٨، ٢٥٢؛ الفضائل: ١٣٤، ١٥٢؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٤٦، ٧٨٠؛ كشف الغمّة: ٨٠/١، ١٠٩، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٨٧، ٢٩٨، ٣٢٦، ٣٤٦؛ كشف اليقين: ١٠٧، ١٤٥، ٢٠٠، ٢٨١، ٤٢٥، ٤٥٨، ٤٦٦؛ كفاية الأثر: ١٣٤؛ كمال الدين: ٢٧٧/١؛ كنز الفوائد: ١٦٨/٢ وما بعد؛ مئة منقبة: ٩١؛ متشابه القرآن: ٣١/٢؛ المحاسن: ١٥٩/١؛ معاني الأخبار: ٧٤، ٧٦، ٧٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١، ١٨٦/٢، ١٩٤، ١٦/٣؛ منتخب الأثر: ٧٢؛ النكت الاعتقاديّة: ٣٨، ٤٢؛ النكت في مقدّمات الأصول: ٤٧؛ نهج الحقّ: ٢١٧، ٣٨٨، ٣٩١؛ اليقين: ١٣٨، ١٧٣

ومن طريق أهل السنّة: الأمالي لابن بشران: ٢٨٦/١؛ الأمالي لابن سمعون: ١٢٣/١، ١٣٢؛ إطراف المسند المعتلي: ٤٣٥/٢، ٢٩٠/٦، ٣٨٦/٨؛ الآحاد والمثاني: ٥٤١/٤، ٥٤٧؛ الاعتقاد: ٣٥٥/١؛ الجمع بين الصحيحين: ١٠٠/١؛ السنّة لأبي بكر بن الخلال: ٣٤٧/٢، ٤٠٧؛ السنّة لابن أبي عاصم: ٥٦٥/٢، ٦٠٠ وما بعد، ٦٢٤؛ السنن الكبرى للبيهقي: ٤٠/٩؛ السنن الكبرى للنسائي: ٣٠٧/٧، ٣٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٧، ٤٢٥ وما بعد، ٤٥٤، ٩٥/٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦٤/٢، ٢٤٧/٥، ١٦٧/٦، ٢٢٢/١٠، ٢١١/١٣؛ الشريعة: ١٧٥٨/٤، ١٧٥٩، ٢٠١٩، ٢٠٢١، ٢٠٣٦ وما بعد؛ شواهد التنزيل: ١٩٢/١، ٣٥/٢؛ الفوائد: ٩٧/١، ١٧٠؛ الكنى والأسماء: ٥٩٤/٢؛ اللؤلؤ والمرجان: ٧٥٦/١؛ المخلصيّات:

شركته في النبوّة؛ لأجل أنّ هارون كان شريكاً لأخيه فيها، وأخوّة النسب لم

٣٠١/١، ٣٣٤، ١٤٨/٤، ٢١٢، ٢٢٩؛ المستدرك على الصحيحين: ٣٦٧/٢، ١١٧/٣، ١٤٣؛ المسند للشاشي: ١٢٦/١، ١٦١، ١٦٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٥؛ المعجم الأوسط: ١٢٦/٢، ١٣٩/٣، ٢٩٦/٤، ٢٨٧/٥، ٣٦٥، ٧٧/٦، ٨٣، ٣١١/٧، ٤٠/٨؛ المعجم الكبير: ١٤٦/١، ١٤٨، ٢٤٧/٢، ١٧/٤، ١٨٤، ٢٠٣/٥، ٢٢٠، ٧٤/١١، ٧٥، ١٨/١٢، ٩٧، ٢٩١/١٩، ٣٧٧/٢٣، ١٤٦/٢٤؛ المقصد العلي: ١٨١/٣؛ بحر الفوائد: ٣١٢/١؛ تثبيت الإمامة: ٢٢٠/١ وما بعد؛ تخريج الأحاديث: ٣٩٦/١؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٧٧/١؛ جامع الأصول: ٦٤٩/٨؛ جامع بيان العلم وفضله: ٤٥٧/١؛ جامع معمّر بن راشد: ٢٢٦/١١؛ جزء الألف دينار: ١٨٨/١، ٢٠٤؛ حديث أبي الفضل الزهري: ٤٢٤، ٤٩٣، ٦٥٠؛ حديث السراج: ٢٥١/٢؛ حلية الأولياء: ٣٤٥/٤، ١٩٤/٧ وما بعد، ٣٠٧/٨؛ سنن ابن ماجة: ٤٢/١، ٤٥؛ سنن البيهقي: ٤٧٦/٢؛ سنن الترمذي: ٦٣٨/٥، ٦٤٠، ٦٤١؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنّة: ١٤٥٥/٨، ١٤٥٦؛ شرح السنّة للبغوي: ١١٣/١٤؛ شرح مذاهب أهل السنّة: ٧٤/١؛ شرح مشكل الآثار: ٢٣/٥، ٢٤، ٥١٤/١٢؛ صحيح ابن حبّان: ١٦/١٥، ٣٦٩، ٣٧١؛ صحيح البخاري: ١٩/٥، ٣/٦؛ صحيح مسلم: ١٨٧٠/٤، ١٨٧١؛ فضائل الخلفاء الراشدين: ٣٨/١؛ فضائل الصحابة: ٥٦٦/٢ وما بعد؛ ٥٩٢/٢، ٥٩٨، ٦١٠، ٦٣٣، ٦٣٨، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٦٣، ٦٦٦، ٦٧٠، ٦٧٥، ٦٨٢؛ الفوائد: ٦٣٥/١؛ كنز العمّال: ٦٣٥/١، ١٦٧/٩، ١٧٠، ٥٦٧/١١، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٠٧، ١٠٦/١٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٥١، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٧٢، ١٩٢، ١٨٦/١٦؛ الأحاديث المختارة: ١٥١/٣، ٢٠٧، ٢٧/١٣، ٢٩؛ مسند أبي داوود الطيالسي: ١٦٧/١، ١٧٠، ١٧٣؛ مسند أبي يعلى الموصلي: ٢٨٥/١، ٥٧/٢، ٦٦، ٧٣، ٨٦، ٩٩، ١٣٢، ٣١٠/١٢؛ مسند أحمد: ٦٧/٣، ٨٤، ٩٥، ١١٤، ١٢٤، ١٤٦، ١٥٥، ١٦٠، ١٧٩/٥، ٣٧٣/١٧، ٩/٢٣، ١٤/٤٥، ٤٥٩؛ مسند إسحاق بن راهويه: ٣٦/٥؛ مسند ابن الجعد: ٣٠١/١؛ مسند البزّار: ٥٩/٣، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٢٤، ٣٦٨، ٣٢/٤، ٣٨؛ مسند الحميدي: ١٨٩/١؛ مشيخة قاضي المارستان: ١٠٩٩/٣؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٦٦/٦، ٤٢٤/٧؛ مصنّف عبد الرزّاق الصنعاني: ٤٠٥/٥؛ معجم أبي يعلى الموصلي: ٧٠/١، ١٦٧، ٢١٤؛ معجم ابن الأعرابي: ٢٦٤/١، ٥١٩/٢؛ من حديث خيثمة بن سليمان: ١٩٩/١؛ موارد الظمآن: ٥٤٣/١

يحتج إلى استثنائها لفظاً؛ لاستثنائها عقلاً، ولاريب في ثبوت الولاية لهارون كما هي لموسى، فتكون ثابتة لعليّ‌عليه‌السلام كما هي ثابتة للرسول وذلك قطعيّ.

[ولاية عليّ‌عليه‌السلام للأمّة في حياة الرسول‌صلى‌الله‌عليه‌وآله]

فإن قيل: إنّ الولاية الثابتة لعليّ‌عليه‌السلام إن كانت هي التي كانت لهارون في حياة أخيه فمعلوم أنّها ليست لعليّ‌عليه‌السلام؛ لأنّه لاولاية له في حياة النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، وإن كانت هي التي له بعد موته فذلك لامعنى له؛ لأنّ هارون مات قبل أخيه، فلاولاية له بعد موت أخيه ضرورة؛ **قلنا**: إنّ الولاية الثابتة له‌عليه‌السلام هي الولاية الثابتة لهارون في حياته ويكون عليّ‌عليه‌السلام وليّاً للأمّة في حياة الرسول كما كان هارون كذلك من غير فرق؛ فإنّ مقام الولاية الخاصّة غير مقام النبوّة. وإذا صحّ اجتماع مقام النبوّة مع مثلها فلأن يصحّ اجتماع مقام الولاية معها أولى، ولمّا مات هارون انتفت ولايته لابالعزل عنها من اللّه؛ لأنّ من ولّاه اللّه لايصحّ أن يعزله؛ لعدم جواز البداء عليه؛ فإنّه لايولّي[1] إلّا من علم استحقاقه لها باشتماله على الاعتدال الحقيقيّ الموجب للعصمة وجميع الأوصاف الكماليّة وثبوته على الصراط المستقيم، فلايصحّ أن يتغيّر عن هذه الصفات؛ لاستحالة تغيّر علمه تعالى. وإنّما انتفت ولاية هارون بالموت والانتقال /١٩٠ أ/ عن دار التكليف، وعليّ‌عليه‌السلام عاش بعد رسول اللّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله قطعاً، فلاموجب[2] لزوال ولايته ولامقتضي لانتفائها ولاموجب لعزله عنها.

---

١. حج: + الأمر.

٢. حج: + له.

[يوم سدّ الأبواب]

ويوم سدّ الأبواب: التي كانت شارعة في بيوت بعض الصحابة إلى المسجد وأمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله بسدّها بوحي اللّه تعالى لمّا علم أنّ جماعة يدخلون المسجد بالجنابة، فأراد اللّه تكرمة نبيّه[1] صلى الله عليه وآله بتطهير مسجده، فأمره بسدّ الأبواب وإخراج الكلّ من المسجد ما خلا عليّاً عليه السلام؛ فإنّه لم يسدّ بابه كما سدّ أبوابهم، بل شابه بينه وبين نفسه في إطلاق الباب وبقائه على حاله، وقال: إنّه لايحلّ لأحد أن يدخل المسجد جنباً غيري وغير عليّ. فلم ينسخ ذلك الحكم بالنسبة إلى نفسه وإلى عليّ عليه السلام ونسخه بالنسبة إلى الكلّ، فلمّا عوتب على ذلك أجاب بأنّي ما سددتُ أبوابكم وفتحتُ بابه، بل اللّه سدّ أبوابكم وفتح بابه أن يحلّ له في مسجدي ما يحلّ لي.[2]

فاختصّ عليّ عليه السلام بمماثلته عليه السلام في جميع أحواله، فلم يثبت لرسول اللّه صلى الله عليه وآله

---

١. حج: بنبيّه.

٢. **من طريق الشيعة**: وسائل الشيعة: ٢١٠/٢؛ بحار الأنوار: ٢١٧/٣٣، ١٣٠/٣٨، ١٩٠، ٢٧/٣٩، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٨٥/٤٠، ٦٢/٧٨، ٢٦١/٨٣، ٣٨٣/٩٧، ١٠٦/٩٩؛ إعلام الورى: ١٦٠؛ الإقبال: ٢٩٦؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٩٨؛ تفسير الإمام العسكريّ: ١٧؛ دعائم الإسلام: ١٦/١؛ الصراط المستقيم: ١٢/١، ٢٣١، ٢٢٧/٣؛ العمدة: ١٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩؛ عوالي اللآلي: ٨٩/٤؛ فقه القرآن: ٧٤/١؛ كشف الغمّة: ٣٣٠/١، ٣٣١، ٣٣٢؛ كشف اليقين: ٢٠٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١، ١٨٩/٢، ١٩١

ومن طريق أهل السنّة: السنن الكبرى للنسائيّ: ٤٢٣/٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٣/٩، ٤٨/١١؛ المستدرك على الصحيحين: ١٣٥/٣؛ شرح مشكل الآثار: ١٨٩/٩؛ فضائل الصحابة: ٥٨١/٢؛ كنز العمّال: ٧٢٦/٥، ٥٩٨/١١، ٦١٨؛ مسند أحمد: ٤١/٣٢؛ مسند الرويانيّ: ٢٧٧/١

فضيلة إلّا وأثبت لعليّ عليه السلام مثلها تنبيهاً لذوي البصائر على ترجيحه عليهم واختصاصه دونهم باجتماع خصائص الكمال واشتماله على نهاية الاعتدال. فيجب له التعظيم والإجلال المستلزم لوجوب الطاعة والمودّة وولاية المقام وجميع المزايا التي كانت لنبيّه صلى الله عليه وآله؛ فإنّ جميع الحالات التي كان عليها الكامل بعد اللّه كان عليّ عليه السلام موصوفاً بها على أتمّ الأحوال؛ لعلّة المماثلة والمشاكلة والبعضيّة بل النفسيّة، فيستحقّ ولايته والقيام مقامه؛ لاجتماع سائر المقامات فيه واحتوائه لجميع مراتب الولاية واشتماله على سائر الكمالات النبويّة الأحمديّة التي لايمكن الاستقصاء عليها في هذا المختصر. نعم! ذكرها متكلّمو أصحابنا في مصنّفاتهم المطوّلة.

ومن مشاهير مزاياه وخصائصه يوم الأحزاب ويوم بعث خيبر ويوم غَزاة[1] السلسلة ويوم خصف النعل وحديث المقاتلة على التأويل كالتنزيل وحديث أخذ براءة وحديث الطائر والقرابة والمناجاة وإيجاب المودّة والتطهير والمباهلة والتزويج والولادة ومواقف غيرها كثيرة تملأ الطرس[2] ويعجز عن حصرها الجنّ والإنس.

[يوم الأحزاب]

أقول: أمّا يوم الأحزاب: فهو اليوم المشهور المذكور في الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ**

---

١. حج: غزوة.

٢. هامش حج: أي الصحيفة.

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[١]؛ فإنّه كان يوماً شديداً؛ لاجتماع أحزاب المشركين وقصدهم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى دار الهجرة لاستيصاله، فضاق بالمسلمين الأمر والتجؤوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فعمل الخندق على المدينة واشتدّ الحصار وأقاموا على الحصار بضعة عشر[٢] يوماً. ثمّ إنّ عمرو بن عبد وُدّ العامريّ عبر الخندق على المسلمين غير محتفل بجمعهم ثقةً منه بنفسه /١٩٠ ب/ وجرأةً منه على النزال وأنّه في زعمه ليس له فيهم منازل وكان من شجعان العرب المشهورة. فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً بمبارزته بعد أن عرض ذلك على سائر الصحابة، فلم يجب أحد منهم إلى مبارزته وأجحموا[٣] كلّهم خوفاً من بأسه وسطوته وشدّة مراسه اعترافاً منهم بشجاعته التي لايقاومها أحد منهم. فبرز إليه عليّ عليه السلام راجلاً، ولمّا برز عليّ عليه السلام اشتغل النبيّ صلى الله عليه وآله بالدعاء له بالنصر والمعونة فقال: «اللّهمّ إنّك أخذت منّي عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد ولم يبق لي غيره، اللّهمّ فأيّده»[٤]. وقال عند بروزه إليه قولاً دالاً على النصر عليه وإظهار ولايته وأنّه قام مقامه؛ ليعرف الكلّ له ذلك المقام وهو قوله في ذلك اليوم: «برز الإيمان كلّه إلى الكفر كلّه»[٥]، فعلم أنّ الإيمان كلّه كان هو عليه السلام رأسه وأساسه كما أنّ عمرواً كان رأس

---

١. الأحزاب/١٠

٢. هامش تش: أي سبعة عشر.

٣. هامش حج: أي وقفوا.

٤. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣/٣٩

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨٣/١٣، ٦١/١٩

٥. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢١٥/٢٠، ٢٧٣، ١/٣٩، ٣؛ إرشاد القلوب: ٢٤٣/٢؛ تأويل الآيات: ٤٤٤؛ الطرائف: ٣٥/١، ٦٠؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤؛ كنز الفوائد: ٢٩٧/١؛ نهج الحقّ: ٢١٧ ←

أهل الشرك ورئيسهم. ولهذا إنّه لمّا قتل تفرّق أهل الشرك فرقاً وانشعبوا شعباً وولّوا الدبر منهزمين في أقبح صورة، وظفر أهل الإسلام واستقام أمرهم وعلت كلمتهم وتمّ أمرهم، ونصر اللّه نبيّه بعليّ عليه السلام واستكمل دينه وانتشرت دعوته وظهرت حجّته، وكان ذلك كلّه برئيس الإيمان وأميره لمّا قتل رئيس الشرك وأميره بنصّ الرسول صلى الله عليه وآله. ولهذا قال صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم بعد قتل عليّ عليه السلام العمرو: «لضربة عليّ لعمرو[1] يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين[2]»[3]، وذلك دليل على عظم موقعها في الإسلام وشدّة تأثيرها في الدين؛ فإنّ استقامته وثباته إنّما كان بها.

[دلالة هذه الواقعة على ولاية عليّ عليه السلام]

وهذه الواقعة مع ما اشتملت عليه من الأقوال والأفعال الصادرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله دليل قاطع على ثبوت رياسته وولايته على أهل الإسلام؛ فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم فعل مع عليّ عليه السلام عند بروزه أفعالاً دالةً على رياسته ووزارته عنه على ما وردت به الأخبار الصحيحة المرويّة من الفريقين، وهي أنّه عليه السلام قام إليه وعمّمه

ومن طريق أهل السنّة: حياة الحيوان الكبرى: ٢٧٤/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦١/١٣، ٢٨٥، ٦١/١٩؛ ينابيع المودّة: ٢٨١/١، ٢٨٤

١. مر: ـ لعمرو.

٢. هامش حج: أي الجنّ والإنس.

٣. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١/٣٩، ٢؛ الإقبال: ٤٦٧؛ بناء المقالة: ١٥٢؛ سعد السعود: ١٣٩؛ الطرائف: ٥١٩/٢؛ عوالي اللآلي: ٨٦/٤

ومن طريق أهل السنّة: تاريخ بغداد: ١٩/١٣؛ تاريخ دمشق: ٣٣٣/٥٠؛ شرح المقاصد: ٢٩٨/٥؛ شرح المواقف: ٣٧١/٨؛ كنز العمّال: ٦٢٣/١١؛ المستدرك على الصحيحين: ٣٤/٣؛ المناقب للخوارزميّ: ١٠٧؛ المواقف: ٤١٢؛ ينابيع المودّة: ٢٤٩/١، ٣٥١

بعمامته وأعطاه سيفه وشدّ له وسطه بمنطقته[١]، وهذه الأفعال وأمثالها إنّما تفعلها الرؤساء لوزرائهم ومن لهم القيام مقامهم كما هو عادات الرؤساء وأهل السلطنة مع وزرائها إظهاراً لحالهم للرعايا وتميّزاً لهم عن سائر المقرّبين؛ لتبيّن للكلّ مرتبتهم وعظم شأنهم وغاية قربهم واستحقاقهم للإمارة والوزارة. ففعلهعليه السلام ذلك مع الأقوال الصادرة منه أدلّة ظاهرة على وجوب هذه المرتبة لعليّعليه السلام، وظاهر لذوي العقول ذلك إذا خلوا من شبهة التقليد.

[يوم بعث خيبر]

وأمّا يوم بعث خيبر: فهو أيضاً من الوقائع المشهورة والأخبار المتواترة وذلك أنّهصلى الله عليه وآله حاصر خيبراً مدّة وكانت حصناً منيعاً. فبعث الراية يوماً مع أبي بكر فسار والمسلمون بين يديه، فما لبث أن رجع منهزماً يحطّ الراية وقد قتل من أصحابه جماعة. فأعطاها في اليوم الثاني عمراً، فرجع كصاحبه وهو يجبن أصحابه وأصحابه يجبنونه. فاغتمّ النبيّصلى الله عليه وآله لذلك، ثمّ إنّهعليه السلام قال ـ وقد اجتمع أصحابه إليه ليلاً ـ: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله[٢]،

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٥/٣٩، ٨٩/٤١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٥٣/٣
ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨٤/١٣؛ شواهد التنزيل: ١٠/٢

٢. **من طريق أهل السنّة**: الأسماء والصفات: ٤٥٩/٢؛ الإيمان لابن منده: ٢٦٢/١؛ الجمع بين الصحيحين: ١٠٤/١، ٣٤٥، ٣٦٤، ٣٧٤؛ السنّة لابن أبي عاصم: ٦٠٨/٢، ٦١٠؛ السنن الكبرى للبيهقيّ: ٣٦٢/٦، ١٠٧/٩، ١٣١؛ السنن الكبرى للنسائيّ: ٣١١/٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤٥٤؛ الشريعة: ١٧٥٧/٤، ٢٠٢٦، ٢٠٢٧؛ الطيوريّات: ٤٨٣/٢؛ القضاء والقدر: ١٧٤/١؛ اللؤلؤ والمرجان: ٧٥٧/١؛ المسند للشاشيّ: ١٢٦/١، ١٤٥؛ المعجم الأوسط: ٥٩/٦؛ المعجم الكبير: ١٥٢/٦، ١٦٧، ١٨٧، ١٩٨، ١٣/٧، ١٧، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٧٧،

كرّاراً /١٩١ أ/ غير فرّار، لايرجع حتّى يفتح اللّه على يديه. فباتوا على فرش الهناء، كلّ يقول أنا، وكان عليّ عليه السلام يومئذ أرمد العينين. فلمّا أصبح واجتمع الناس إليه قال صلى الله عليه وآله: أين عليّ؟ فقيل: يا رسول اللّه! إنّه أرمد العينين لايبصر من شدّة الرمد. فقال صلى الله عليه وآله: ادعوه لي. فجاءه عليه السلام وهو يتهادى بين اثنين من شدّة الوجع. فقال: ادنُ منّي يا عليّ. فدنا منه، فتفل في عينه ودعا له، فبرأ لوقته وساعته، ثمّ أعطاه الراية وقال: امض بها، فأنت أولى بها. فمضى عليّ عليه السلام بالراية عجلاً والمسلمون حوله، فقال عليه السلام: ارسلته كرّاراً غير فرّار.[1]

١٨/٢٣٧، ٢٣٨؛ تخريج الأحاديث: ٨٢٥/١؛ جامع الأصول: ٣١٠/٨، ٦٥٠، ٦٥٣، ٦٥٤؛ حديث السراج: ٣٠٦/٢؛ حلية الأولياء: ٦٢/١، ٣٥٦/٤؛ سنن ابن ماجة: ٤٥/١؛ سنن البيهقيّ: ١٨٠/٢، ٣٧٥؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٨/٥؛ سنن سعيد بن منصور: ٢١٤/٢، ٢١٥؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنّة: ١٤٥٦/٨، ١٤٥٧؛ شعب الإيمان: ١٧١/١؛ صحيح ابن حبّان: ٣٧٧/١٥، ٣٨٢؛ صحيح البخاريّ: ٤٧/٤، ٥٤، ٦٠، ١٨/٥، ١٣٤؛ صحيح مسلم: ١٤٣٣/٣، ١٨٧١/٤، ١٨٧٢؛ فضائل الصحابة: ٦٠٤/٢، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٣٧، ٦٤٣، ٦٥٩؛ كنز العمّال: ٤٦٧/١٠، ٤٦٨، ١٢١/١٣، ١٢٣، ١٦٣؛ الأحاديث المختارة: ١٥١/٣؛ مستخرج أبي عوانة: ٣٠١/٤، ٣٠٧، ٣١١، ٣٥٤؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٢٩١/١، ٥٢٢/١٣، ٥٣١؛ مسند أحمد: ١٦٨/٢، ١٦٠/٣، ٦٨/٢٧؛ مسند البزّار: ١٣٥/٢، ٢٨١/٣، ٣٢٤، ٣١٨/١٠، ٣٢٧/١١، ٣٨٧/١٤، ٢٣/١٦؛ مسند الحارث: ٧٠٨/٢؛ مسند الرويانيّ: ٢٥٢/٢، ٢٦١؛ مسند الشاميّين: ٣٤٧/٣؛ مشيخة قاضي المارستان: ١٠٩٩/٣؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٦٦/٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٩٢/٧، ٣٩٤؛ معجم ابن الأعرابيّ: ٢٧١/١

١. **من طريق الشيعة:** الكافي: ٣٤٩/٨؛ بحار الأنوار: ٦٩/٥، ٢/٢١، ٤، ٢١، ٢٨، ٧٧، ٨٣، ٣٧٢/٣١، ٣٢/٣٦، ٩/٣٩، ١٥، ٣٩/٤٠، ٦٨/٤١، ٨٤، ٩٢، ٣٤٧/٤٦؛ الإرشاد: ٦٤/١، ١٦٣؛ إرشاد القلوب: ٢٤٥/٢، ٢٥٩؛ إعلام الورى: ٩٨؛ الإفصاح: ٣٤، ٦٨، ٨٦، ١٣٢، ١٥٧، ١٩٧؛ الإقبال: ٥٢٥؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٤٥؛ الأمالي للمفيد: ٥٥؛ تأويل الآيات: ١٥٥، ٨١١؛ تحف العقول: ٤٥٨، ٤٦٠؛ تفسير فرات: ٥٩٢؛ الجمل: ٤٠٩؛ الصراط المستقيم: ٢٢٧/٣؛ الصوارم

ولمّا انتهى عليّ عليه السلام إلى القوم خرج إليه مَرحَب وكان رئيس خيبر وشجاعها، فلم يمهله عليه السلام أن ضربه ضربة شطره وجواده بهما نصفين، فانهزم عسكره بقتله وانكمشوا داخل الحصن وأغلقوا عليهم الباب، وكان حصناً منيعاً وباباً محكماً عظيماً يقوتون[1] به كلّ من طلبهم. فجاء عليه السلام وجمع أذياله وقعر الخندق حتّى وصل إلى الباب وقبض على حلقة الباب فاقتلعه من موضعه، وكان باباً عظيماً من الصخر وكان من ثقله لايغلقه إلّا عشرون ولايفتحه إلّا عشرون من أقوياء الناس. فدحا به عليه السلام وجعله جسراً على الخندق وعبر عليه الجيش بعد أن شدّه بيده الشريفة وعبر الجيش كلّه وهو يمسكه بيده، ففتح الحصن وأخذ الغنائم وجاء بالأسارى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وفيهم صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب رئيس اليهود، فاصطفاها النبيّ صلى الله عليه وآله من الغنيمة وجعلها من جملة نسائه.[2]

المهرقة: ٨٤؛ العمدة: ١٥٣؛ الفضائل: ١٥٢؛ كشف الغمّة: ٢٣١/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٢٧/٣، ١٤٠؛ النكت الاعتقاديّة: ٤٢

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٦/١٣ .

١. حج: يفرّقون.

٢. هامش حج: ولنعم ما قال ابن أبي الحديد في قصيدته الخيبريّة [الروضة المختارة (شرح القصائد العلويّات السبع): ٨٤]:

وما أنس لاأنس اللذين تقدّما	وفرّهما والفر قد علماً حوب
وللراية العظمى وقد ذهبا به	ملابس ذلّ فوقها وجلابيب
عليّ أمير المؤمنين زعيمه	وقائده نسر المفازة والذئب
جواد على ظهر الجواد وأخشب	تزلزل منه في النزال الأخاشيب
تجلّى لك الجبّار في ملكوته	وللتحف تصعيد إليك وتصويب

[سبب إعطاء النبيّ ﷺ الراية في اليومين الأوّلين لأبي بكر وعمر]

وفي هذه الواقعة عدّة من الدلائل وجملة من الفضائل لولا خوف الإطالة لأشرنا إلى تفصيلها، وقد ذكرناها على سبيل الإجمال وتركنا التفصيل إحالة على ذوي العقول الباهرة والفطنة الظاهرة. قال بعض أهل الفحص في إعطاء النبيّ ﷺ الراية في اليومين الأوّلين للرجلين المذكورين ووقوع ما وقع منهما من الانهزام والخذلان: إنّما كان لإظهار شأنهما وبيان حالهما؛ ليعلم الكلّ بالعلم الضروريّ نقصهما وأنّهما لايصلحان للمراتب العالية ولاأنّهما من أهل الكمالات النفسانيّة ولاالبدنيّة التي يستحقّان بها أقلّ المراتب، فكيف بالمناصب الجليلة التي هي الخلافة النبويّة والولاية الإلهيّة؟ وذلك ظاهر بيّن عند ذوي العقول وأهل الإنصاف إذا خلوا عن شبهة التقليد وتركوا التعصّب؛ لأنّ ذلك منه عليه السلام ما كان عن اجتهاد أو ظنّ، بل عن علم ومعرفة ووحي من اللّه تعالى؛ لتكون الحجّة على الخلق قائمة والدلالة على المستحقّ لتلك المناصب دلالة ظاهرة رفعاً لأوهام جماعة من الضعفاء وأهل التقليد والاتّباع الذين كانوا يظنّون ويتوهّمون في الرجلين شيئاً من تلك الخصائص؛ لما رأوه لهما من القرب الظاهر. فأظهر اللّه تعالى ورسوله لهم ما ترفع به تلك الأوهام وتزيل به الشكوك وتقوم به على الكلّ حجّة وذلك ظاهر واضح.

[يوم غزاة السلسلة]

وأمّا يوم غزاة[1] السلسلة: /١٩١ ب/ فهو أيضاً من المقامات المعلومة

---

١. حج: غزوة.

والروايات المتواترة أنّ قوماً من الأعراب من بني سليم كانوا بوادي القرى يريدون تبييت[1] النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة، فجاء الوحي إليه وأعلمه بذلك. فانتهض جماعة من أهل الصفّة وغيرهم وأمر عليهم أبا بكر وأمره بقتالهم، فلمّا التقوا بهم خرج إليهم بنو سليم من جنبات الوادي، فهزموهم وقتل من المسلمين جماعة ورجعوا إلى المدينة. فأمر عليهم عمراً وخرج إليهم، فأصابه من القوم ما أصاب صاحبه ورجع منهزماً بعد أن قتل من أصحابه جماعة. فاغتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله لذلك غمّاً شديداً. فقال عمرو العاص: ابعِثني إليهم لعلّي أخدعهم، فبعث به مع العسكر فرجع كالأوّلين.

فزاد غمّ النبيّ صلى الله عليه وآله لذلك وبقي أيّاماً يدعوا عليهم، وكان عليّ عليهم غائباً في بعض حوائج النبيّ صلى الله عليه وآله. فلمّا قدم قال له: يا عليّ! اخرج إلى بني سليم فاكفني أمرهم، فليس للقوم غيرك. فخرج عليه السلام والمسلمون معه وأبو بكر وعمر وعمرو العاص، فسلك بهم طريقاً خفيّاً وجاء الوادي من أعلاه. فعلم عمرو العاص أنّه يفتح، فأراد الإفساد عليه، فقال لأبي بكر: كلّم عليّاً وأعلِمه أنّ هذه أرض ضباع وسباع وهي أشدّ علينا من بني سليم، فليسلك بنا الطريق. فكلّموه في ذلك فلم يردّ عليهم جواباً ومضى على حاله وكبس[2] القوم من أعلى الوادي وقت صلاة الفجر، فظفر بهم وقتل مقاتليهم وسبى[3] وغنم أموالهم.

---

١. حج (خ ل): سبي؛ هامش مر: تبيت العدوّ أن يقصد في الليل من غير أن يعلم، فيؤخذ بغتة. (مجمع البحرين).

٢. هامش مر: في الدعاء: «يا من كبس الأرض على الماء» أي أدخلها فيه. من قولهم: كبس رأسه على الماء، أي أخفاه وأدخله فيه.

٣. مر: ــ وسبى.

واستبطأه النبيّ ﷺ، فتوجّل من إبطائه واشتغل بالدعاء له. فنزل جبرئيل عليه السلام ببشارة الفتح بسورة العاديات، فأقسم تعالى بتلك الخيل العادية إلى حرب أهل الكفر والمسرعة في عدوّها حتّى توري النار[1] من تحت حوافرها المغيرة وقت صلاة الصبح، فعلم النبيّ ﷺ بظفر عليّ عليه السلام على أعدائه وأعلمه جبرئيل بقدومه، فخرج النبيّ ﷺ متلقّياً له فرحاً بقدومه. فلمّا رآه عليّ ترجّل له عن فرسه، فقال له النبيّ ﷺ: اركب يا علي! فإنّ اللّه ورسوله عنك راضيان، واللّه لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالاً لاتمرّ بملأ[2] منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدمَيك وأخذوا فضل وضوءك يتبرّكون به.[3]

وفي هذه القصّة دلالة ظاهرة وحجّة بيّنة على ثبوت الولاية والخلافة له وبيان عظم حاله وعلوّ مرتبته عند اللّه وعند رسوله وأنّ الإسلام إنّما تمهّدت قواعده وثبتت أركانه بسيفه وجهاده دون من عداه ممّن تقدّمه وغيرهم من الأصحاب. ويكون بعث رسول اللّه ﷺ لأولئك الجماعة قبله لإظهار نقصهم وتعريف العوام وأهل الأوهام فيهم أنّهم لايغنون عن الإسلام شيئاً ولايصلحون لشيء من

---

١. هامش مر: قوله: ﴿أفَرَأَيْتُمُ النارَ الَّتي تُورُونَ﴾ [الواقعة/٧١] أي تستخرجون بقدحكم.

٢. هامش مر: قيل: الملأ جماعة من الناس يملؤون العين. وقيل: هم أشرف الناس ورؤساؤهم الذين يرجع إلى قولهم. (مجمع البحرين).

٣. **من طريق الشيعة**: الكافي: ٥٧/٨؛ بحار الأنوار: ٢١٦/١٠، ٣٢٩/٣١، ٣٢٢/٣٥، ٢٧٢/٣٧، ٢٤٧/٣٨، ١٨/٣٩، ١٠٤/٤٠، ١٦٧/٤٧؛ إعلام الورى: ١٨٦؛ الأمالي للصدوق: ٩٦؛ تأويل الآيات: ٦٣١؛ روضة الواعظين: ١١٢/١؛ الصراط المستقيم: ١٢/١، ٢٠٠؛ عوالي اللآلي: ٨٦/٤؛ كشف الغمّة: ٢٨٧/١، ٢٩٨؛ كشف اليقين: ١٠٧، ٢٨١؛ كنز الفوائد: ١٨٧/٢

ومن طريق أهل السنّة: ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٧٥/١

المراتب البتّة وذلك ظاهر بيّن.

[يوم خصف النعل]

وأمّا يوم خصف النعل: فحديثه من المتّفق على نقله وروايته بين أهل الحديث وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أراد /١٩٢ أ/ الحجّ وورد إلى الحديبيّة مُحرماً علم مشركو مكّة بقدومه، فخرجوا لقتاله وصدّه عن دخول مكّة وعن إتمام حجّه، وكان يومئذ أميرهم سهيل بن عمرو، فلم يقاتلهم النبيّ صلى الله عليه وآله لأجل تلبّسه بالإحرام وقال لهم: إنّي متقلّد للمحارم وسائق للهَدي وإنّما جئت حاجّاً. فقالوا: لاندعك تدخل إلى مكّة. وكثر بينهم الكلام وأمره الله[1] بالصلح والنزول على حكمهم؛ لمصلحة اقتضاها الوقت، فصالحهم النبيّ صلى الله عليه وآله على ترك الحرب وهادنهم مدّة ورجع عن دخول مكّة وذبح هديه في مكانه ذلك وحلق وأحلّ من إحرامه. وكانوا في أثناء الصلح يشترطون عليه شرائط كثيرة حتّى غضب عليه السلام من كثرتها فقال: لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله إليكم رجلاً منّي كنفسي يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريّكم. فقيل له: ومن هو يا رسول الله؟ فقال: هو خاصف النعل في الحجرة. فنظروا فإذا هو عليّ عليه السلام يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله.[2]

---

١. حج: أمر الله نبيّه.

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣٦٠/٢٠، ٣٦٤، ٣٠٠/٣٢، ٣٠١، ٣٣/٣٦، ٢٤٧/٣٨، ٢٥٠، ٦٨/٤١؛ الإرشاد: ١١٩/١؛ الإفصاح: ١٣٥؛ الصراط المستقيم: ٦٢/٢؛ العمدة: ٢٢٤، ٢٢٦؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤؛ كشف الغمّة: ٢١١/١، ٢٨٦، ٣٣٥؛ كشف اليقين: ١٠٦، ١٣٤؛ نهج الحقّ: ٢٢٠

←

و هذه القصّة كان لعليّ عليه السلام فيها فضائل كثيرة؛ فإنّ الرواة ذكروا أنّ تدبيرها كان بعليّ عليه السلام وأنّه الذي دبّر أمر الصلح وكتب الكتاب بين القوم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله. وقول رسول الله صلى الله عليه وآله ما قاله دليل على عظم حاله عند الله وعند رسوله وأنّ مهمّات الدين وأمور الإسلام كلّها منوطة به وأنّ نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله من الله تعالى إنّما هي على يديه وبه، فوجب أن يكون هو صاحب الأمر بعده. يعرف ذلك لمن تدبّر هذه الأقوال والأحوال الجارية له وعلى يديه وترك التقليد والعناد.

[حديث المقاتلة على التأويل كالتنزيل]

وأمّا حديث المقاتلة على التأويل كالتنزيل: فهو ممّا رواه المخالف والمؤالف حتّى صار من الأحاديث المشهورة والأخبار المتواترة وهو قوله صلى الله عليه وآله يوماً بحضرة جمّ غفير من الصحابة مشيراً إلى جملتهم: إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال عليه السلام لا. فقال عمر: أنا هو[1]؟ فقال عليه السلام: لا، ولكنّه خاصف النعل في الحجرة، وكان عليّاً عليه السلام.[2]

ومن طريق أهل السنّة: السنن الكبرى للنسائيّ: ٤٣٤/٧؛ المستدرك على الصحيحين: ١٤٩/٢؛ المعجم الأوسط: ١٥٨/٤؛ جامع الأصول: ٣٠٩/٨؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٤/٥؛ شرح مشكل الآثار: ٢٣١/١٠؛ شرح معاني الآثار: ٣٥٩/٤؛ طرق حديث من كذب عليّ: ٤١/١؛ فضائل الصحابة: ٥٧١/٢، ٦٤٩؛ كنز العمّال: ٣٢٦/٧، ١١٥/١٣، ١٧٣، ١٧٤؛ مسند البزّار: ١١٨/٣

١. حج: + يا رسول الله.

٢. **من طريق الشيعة**: الكافي: ١٠/٥؛ التهذيب: ١١٤/٤، ١٣٦/٦؛ وسائل الشيعة: ٢٥/١٥؛ بحار الأنوار: ٢٩٢/٣٢، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٥٢/٣٣، ٣١٥/٣٦، ١٦٦/٧٥، ١٦/٩٧؛ الإرشاد: ١٢٣/١؛ الأمالي للطوسيّ: ٢٥٤؛ تأويل الآيات: ٥٨٦؛ تحف العقول: ٢٨٨؛ الخصال: ←

و الاستدلال عليه كالحديث المتقدّم، وفي قول أبي بكر وعمر وسؤالهما «أنا هو؟» دليل على أنّهما فهما من ذلك وجميع من حضر أنّ الموصوف بهذه الصفة يكون هو المستحقّ للخلافة والوزارة بعده والقائم بأمر الدين، ولهذا تطاولا إلى ذلك واستفهما عنه طلباً لتلك المرتبة وتحصيلاً للنصّ عليها من النبيّ ﷺ؛ لعلمهم أنّ من نصّ عليه النبيّ لايختلف في ولايته ولايشكّ في خلافته ووزارته، فنفى ﷺ ذلك /١٩٢ ب/ عنهما وأثبته لعليّ عليه السلام، فيكون هو صاحب هذه المرتبة دون جميعهم.

[حديث أخذ براءة]

وأمّا حديث أخذ براءة: فذلك ممّا رواه الكلّ وتحدّث به عامّة أهل العلم أنّه لمّا نزلت براءة بنبذ العهد إلى أهل مكّة أرسل النبيّ ﷺ أبا بكر بالآيات إلى أهل مكّة وأمره أن يقرأها عليهم وقت الموسم ويُعلمهم بنقض العهد وأنّه عازم على قتالهم. فخرج أبو بكر بالآيات متوجّهاً إلى مكّة، فلمّا سار بها حتّى بلغ بعض

٢٧٤/١؛ الصراط المستقيم: ٣١٨/١، ٦٢/٢، ٦٣؛ الطرائف: ٧٠/١؛ كشف الغمّة: ١٢٣/١، ٢١١، ٣٣٦؛ كشف اليقين: ١٣٧؛ كفاية الأثر: ٨٧؛ متشابه القرآن: ٤١/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٤٤/٣، ٤٥؛ نهج الحقّ: ٢٢٠

ومن طريق أهل السنّة: السنن الكبرى للنسائيّ: ٤٦٦/٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧٧/٢، ٢٠٦/٣؛ الشريعة: ٢٠٩٧/٤؛ الفوائد المعلّلة: ٣/١؛ المستدرك على الصحيحين: ١٣٢/٣؛ المقصد العليّ: ٣٨٠/٢؛ حلية الأولياء: ٦٧/١؛ شرح السنّة: ٢٣٣/١٠؛ شرح مشكل الآثار: ٢٣٧/١٠، ٢٣٨؛ صحيح ابن حبّان: ٣٨٥/١٥؛ فضائل الصحابة: ٦٢٧/٢، ٦٣٧؛ كنز العمّال: ٦١٣/١١؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٣٤١/٢؛ مسند أحمد: ٣٩١/١٧، ٢٩٦/١٨؛ موارد الظمآن: ٥٤٤/١

الطريق نزل جبرئيل عليه[١] وقال له: إنّ اللّه تعالى يقول: لايبلّغ عنك إلّا أنت أو رجل منك. فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله علياً في أثر أبي بكر وقال: ادركه قبل وصول مكّة وخذ الآيات منه واقرأها أنت على أهل مكّة وتولّ نبذ عهدهم، إنّ اللّه تعالى أوحى إليّ أن لايؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي، وأنت يا عليّ منّي وأنا منك. فركب عليّ عليه السلام ناقة رسول اللّه صلى الله عليه وآله العضباء وأدرك أبا بكر بكُراع الغَميم، فسمع أبو بكر رغا ناقة رسول اللّه صلى الله عليه وآله فعرفها، فالتفت إلى ورائه، فرأى علياً عليه السلام وقد أدركه، فعلم أنّه لأمر حدث. فقال: ماذا جئت فيه يا عليّ؟ لتكون رفيقاً لي؟ فقال عليه السلام: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله أمرني بأخذ الآيات منك وأكون أنا الذي أقرؤها على أهل مكّة، وإنّه خيّرك بين أن تكون معي أو ترجع إليه. فقال أبو بكر: بل أرجع إليه. فأخذ عليّ عليه السلام السورة منه ورجع هو إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فلمّا حضر بين يديه قال: يا رسول اللّه! إنّك أهّلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليّ، فلمّا مضيت فيه رددتني وبعثت به غيري؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه أوحى إليّ أن لايبلّغ عنّي إلّا أنا أو رجل منّي، وعليّ منّي وأنا منه، فبعثت علياً. فسكت أبو بكر ولم يردّ جواباً.[٢]

[دلالة هذه الواقعة على نفي استحقاق أبي بكر للولاية]

وفي هذه الواقعة دلالة واضحة وآية بيّنة على أنّ المردود غير مستحقّ للقيام

---

١. حج: عليه السلام.

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٩٢/٣٥؛ تأويل الآيات: ٢٠٣؛ معاني الأخبار: ٢٩٨

ومن طريق أهل السنّة: السنن الكبرى للنسائيّ: ٤٣٤/٧، ٤٣٥؛ الطيوريّات: ٧٠٨/٢، ٩٣٨/٣؛ فضائل الصحابة: ٥٩٩/٢؛ الأحاديث المختارة: ١٧٢/٦

مقام رسول اللّه ولايصلح لأن يكون نائباً عنه في شيء من الأمور البتّة؛ فإنّ من لم يستصلحه اللّه لتبليغ عشر آيات من القرآن فهو أولى بأن لايكون صالحاً للولاية الكلّيّة والقيام بجميع مصالح الأمّة وأنّ المبعوث بها النائب في تبليغها الذي هو من النبيّ والنبيّ منه بأمر اللّه وأمر رسول اللّه هو المستحقّ لذلك والمستصلح له بأمر اللّه.

قال بعض المحقّقين: إنّ بعث أبي بكر كان بأمر اللّه تعالى ووحيه لاباجتهاد من النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّه صلى الله عليه وآله كان غير متديّن بالاجتهاد، وكذلك ردّه وأخذ السورة منه. ولايلزم من هذا النسخ عبث /١٩٣ أ/ ولابداء ولاتناقض، بل الغرض منه والحكمة فيه الدلالة الظاهرة لجميع الخلق وقيام الحجّة عليهم في بيان نقص المعزول وكماليّة المبعوث وإيقاظ لذوي الغفلة أنّه غير صالح لتبليغ الأحكام وتولية الأمور الشرعيّة ولاتدبير الممالك ولاسياسة الخلق؛ لما علم اللّه من حاله وأنّه غير مستجمع للشرائط المفتقر إليها في هذه المهمّات ولامستعداً لقبول هذا الكرامات ولايصحّ أن يتولّى هذه المقامات، وأنّ المستحقّ لها والمستجمع لشرائطها والمستعدّ لقبولها هو المبعوث الذي هو بعض من الرسول وجزء منه القائم مقامه في كلّ أموره وذلك ظاهر.

[حديث الطائر]

وأمّا حديث الطائر: فهو من الأحاديث المتواترة التي لاينكرها أحد، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أهدي إليه طائر مشويّ فقال صلى الله عليه وآله: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر. فجاء عليّ عليه السلام، فقال له أنس: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله على حاجة، فرجع عليّ عليه السلام. فدعاه النبيّ صلى الله عليه وآله ثانية، فجاء عليّ عليه السلام، فقال له أنس كما

قال أوّلاً، فرجع. فدعا النبيّ ﷺ ثالثة، فجاء عليّ عليه السلام وطرق الباب، فسمع النبيّ الصوت فقال: من بالباب يا أنس؟ فقال: عليّ. فقال ﷺ: ادخل يا أبا الحسن، ما أبطأك عنّي؟ لقد دعوت اللّه ثلاثاً، واللّه لقد هممت في الرابعة أن آمر الأرض أن يلتقي طرفاها حتّى يجمع اللّه بيني وبينك، اجلس يا عليّ وكُل معي من هذا الطائر. فقال عليّ عليه السلام: لقد جئت يا رسول اللّه قبل هذه مرّتين في كلتاهما يردّني أنس. فقال رسول اللّه: ما حملك يا أنس على ذلك؟ فقال أنس: سمعت الدعوة، فأحببت أن يكون لها رجل من قومي. فتبسّم النبيّ ﷺ وقال: إنّ الرجل ليحبّ قومه.[1]

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٤٣١/١٠، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٣٣٨/٢٢، ١١/٢٩، ٥٢١/٣٠، ٣١٥/٣١، ٣٥٠، ٣٦٠، ٥١/٣٣، ١٨٨/٣٨ وما بعد، ١٩٤/٣٩، ٦٩/٤٠، ٩٣، ١٩٢/٤٩، ٣٠٠/٥٧؛ الاحتجاج: ١٢١/١؛ الإرشاد: ٣٨/١؛ إعلام الورى: ١٥٩؛ الإفصاح: ٣٣؛ الإقبال: ٥٢٦؛ الأمالي للصدوق: ٦٥٥؛ الأمالي للطوسيّ: ٢٥٣، ٣٣٢، ٥٥٨؛ بشارة المصطفى: ١٦٥، ٢٤٣؛ بناء المقالة: ٤٠٩؛ تأويل الآيات: ٧٦٤؛ تفسير الإمام العسكريّ: ٦٢١؛ تفضيل أمير المؤمنين: ٢٧؛ الخصال: ٥٥٠/٢، ٥٥٣؛ روضة الواعظين: ١٣٠/١؛ الصراط المستقيم: ١٩٣/١، ٢١٠؛ الطرائف: ٧١/١، ٧٢، ٤١١؛ علل الشرائع: ١٦١/١؛ العمدة: ٢٤٢ وما بعد؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٨٧/٢؛ الفصول المختارة: ٩٦، ٩٧، ١٠٠؛ كشف الغمّة: ١٥٠/١، ١٥٦، ٢٥٦؛ كشف اليقين: ٢٨٨؛ متشابه القرآن: ٤٣/٢؛ مجموعة ورّام: ٢٦٨/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٨٢/٢؛ النكت الاعتقاديّة: ٤٢

ومن طريق أهل السنّة: السنن الكبرى للنسائيّ: ٤١٠/٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣/١٨؛ المخلصيّات: ٤٤١/٣، ٢٠٩/٤؛ المستدرك على الصحيحين: ١٤٢/٣؛ المعجم الأوسط: ٢٠٦/٢، ٩٠/٦، ٢٦٧/٧، ١٤٦/٩؛ المعجم الكبير: ٢٥٣/١، ٨٢/٧، ٢٨٢/١٠؛ المقصد العليّ: ١٨٣/٣؛ كنز العمّال: ١٦٦/١٣؛ تخريج الأحاديث: ٧٢٤/١؛ جامع الأصول: ٦٥٣/٨؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٦/٥؛ شرح مذاهب أهل السنّة: ١٦٠/١؛ فضائل الخلفاء الراشدين: ٦٥/١؛ ←

وفي هذا الحديث دلالة بيّنة وحجّة واضحة على شدّة اعتناء النبيّ صلى الله عليه وآله بعليّ عليه السلام وأنّ اللّه تعالى ورسوله لم يكن أحد من الخلق أحبّ من عليّ عندهما، وتلك المحبّة لاتكون واقعة إلّا على سبيل الصحّة والسداد والاستحقاق بالضرورة. فعلمنا أنّ عليّاً كان أعظم الخلق عندهما وأقربهم لديهما، فاستحقّ الخلافة عنهما والولاية لهما على جميع ما لهما الولاية عليه، وهو بيّن لمن اتّبع هداه وترك هواه.

[القرابة]

وأمّا القرابة: فأمرها ظاهر من جهة النسب المعلوم بالضرورة أنّه لم يكن أحد أقرب إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله نسباً من عليّ عليه السلام؛ فإنّه ابن عمّه لِحاً[1].

[عليّ عليه السلام أقرب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله من العبّاس]

فإن قلت: إنّ العبّاس عمّه، فهو أقرب منه بدرجة؛ لأنّ العمّ أقرب من ابن عمّ؛ **قلت:** إنّ عليّاً عليه السلام أقرب من العبّاس؛ لأنّه ابن عمّ النبيّ لأبيه وأمّه؛ لأنّ أبا طالب /١٩٣ ب/ وعبد اللّه أخوان للأب والأمّ، وأمّا العبّاس فلم يكن أخاً لهما إلّا من الأب خاصّة وأمّه غير أمّهما، فعليّ عليه السلام متقرّب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بدرجتَي الأبوّة والأمومة، والعبّاس إنّما هو متقرّب بدرجة الأبوّة، وصاحب الدرجتين أقرب بالضرورة من ذي الدرجة الواحدة.

وأيضاً فأقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وأحواله مع عليّ عليه السلام دون العبّاس وغيره من ذوي

فضائل الصحابة: ٥٦٠/٢؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ١٠٥/٧؛ مسند البزّار: ٨٠/١٤

١. هامش حج: «لحاً» مأخوذ من لح الشجرة، وهو القشر الذي تحت القشر الأعلى. «منه قدّس سرّه».

قرابته دالّة على حصول القرب له باعتبار الصورة والمعنى، ولهذا قال له عليه السلام في مواضع كثيرة: «إنّه منّي وأنا منه»[١]، وقال: «خلِقتُ أنا وعليّ من نور واحد ومن شيء واحد»[٢]، وقال: «لم أزل أنا وعليّ شيئاً واحداً ينقلنا في الأصلاب الطاهرة والأرحام الزكيّة حتّى افترقنا من صلب عبد المطّلب شطرين، في ظهرَي عبد اللّه وأبي طالب، ففيّ النبوّة وفي عليّ الخلافة»[٣]، إلى غير ذلك من أقواله وتقريبه إيّاه

---

١. **من طريق الشيعة**: الكافي: ١١٠/٨؛ بحار الأنوار: ٦٩/٢٠، ٧٠، ٩٥، ١٠٧، ١٤٤، ٤٢٦/٣٠، ٣١٨/٣١، ٣٧٢، ٣٢٥/٣٨، ٨٧/٤٠، ٨٣/٤١، ٦٥/٤٢؛ الاحتجاج: ٦٥/١؛ إرشاد القلوب: ٢٦٠/٢؛ إعلام الورى: ٨١؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٤٧؛ بشارة المصطفى: ١٨٦؛ الخصال: ٥٥٦/٢؛ دعائم الإسلام: ٣٧٤/١؛ الصراط المستقيم: ٢٥٣/١، ٨/٢، ٥٨؛ الطرائف: ٦٥/١؛ علل الشرائع: ٧/١؛ العمدة: ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤، ١٢٤؛ القصص للراونديّ: ٣٤١؛ كشف اليقين: ٤٢١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٢٤/٣؛ نهج الحقّ: ٣٩١؛ اليقين: ٣٥٧

ومن طريق أهل السنّة: إطراف المسند المعتلي: ٢٢٨/٢؛ الآحاد والمثاني: ٣٦/٣، ١٤١/٤؛ السنّة لابن أبي عاصم: ٥٦٤/٢، ٥٩٨؛ السنن الكبرى للنسائيّ: : ٣١٠/٧، ٤٣٢ وما بعد؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ٢٦١/١٣؛ الطيوريّات: ٧١٥/٢؛ المعجم الكبير: ١٦/٤؛ تثبيت الإمامة: ٢٢٣/١؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٧٦/١، ١٨٢؛ جامع الأصول: ٦٥٢/٨؛ حلية الأولياء: ٢٨٤/١٣؛ سنن ابن ماجة: ٤٤/١؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٦/٥؛ شرح مذاهب أهل السنّة: ٨٩/١؛ فضائل الصحابة: ٥٩٤/٢، ٥٩٩، ٦٢٠، ٦٤٩؛ كنز العمّال: ٦٠٣/١١، ٦٠٨، ١٤٢/١٣؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٢٩٣/١؛ مسند أحمد: ٤٩/٢٩، ٥٣؛ مسند ابن أبي شيبة: ٣٤٢/٢، ٣٦٦/٦، ٣٧٢

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٤٨٠/٣٣، ٣٤/٣٥، ١٥٠/٣٨، ٨٥/٣٩؛ الأمالي للصدوق: ٢٣٦؛ بشارة المصطفى: ١٩٠، ٢٣٥؛ الخصال: ٣١/١؛ روضة الواعظين: ١٢٩/١؛ العمدة: ٩١؛ عوالي اللآلي: ١٢٤/٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٥٨/٢؛ الفضائل: ٩٦، ١٢٦؛ معاني الأخبار: ٥٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٧/١، ٢٩٦/٣

٣. **من طريق الشيعة**: الكافي: ٤٤١/١؛ بحار الأنوار: ٢٤/١٥، ٣٤٠/٢٤، ٩٩/٣٥، ١٥٦، ١٩٦/٥٤، ←

وإدنائه له وترجيحه على الكلّ وتربيته له وكونه في كفالته منذ أيّام صغره إلى موته دليل على ذلك القرب الذي لم يحصل لأحد سواه.

[اعتراف أبي بكر بأنّ عليّاً عليه السلام أقرب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله]

ومحاكمة عليّ والعبّاس في ميراث النبيّ صلى الله عليه وآله على يد أبي بكر وحكم أبي بكر لعليّ عليه السلام على العبّاس باستحقاق الإرث دونه دليل على اعترافه له بأنّه أقرب من العبّاس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله. وكانت تلك المحاكمة تهجيناً له وتقريعاً وإظهاراً لظلمه وتبيّناً لجهله وتوبيخاً له على فعله، من حيث اعترافه بالقرابة الخصيصة التي يستحقّ بها أن يكون وارثاً للنبيّ صلى الله عليه وآله دون عمّه مع قيامه مقام صاحب الوراثة وأخذه الحقّ منه، مع أنّه إنّما أخذ المنصب بحجّة القرابة لما تداعى هو والأنصار فيه وزعم الأنصار أنّهم أهل الاستحقاق له، فقال لهم: نحن الشجرة وأنتم الجيران، فغلبهم وأخذ المنصب بحجّة القرابة مع اعترافه أنّ القرابة الحقيقيّة لغيره.

وحينئذٍ نقول: إذا ثبت أنّ عليّاً عليه السلام أقرب الخلق إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وجب أن تكون الولاية والخلافة له دون من سواه؛ لعموم قوله تعالى: ﴿**وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ**﴾[1]؛ فإنّه تعالى

٣٠٠/٧٤؛ إيمان أبي طالب للفخّار: ٥٦؛ جامع الأخبار: ١٥؛ الصراط المستقيم: ٣٤١/١؛ الفضائل: ٥٤؛ كنز الفوائد: ١٦٤/١

ومن طريق أهل السنّة: الرياض النضرة: ٥١/١؛ سمط النجوم العوالي: ٤٥٣/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٣/٧، ٦٧/١٤

١. الأحزاب/٦

حكم أنّ الأمَسّ رحِماً أولى برحمه وأحقّ بميراثه من الأبعد، وقد ثبت أنّ عليّاً أمسّ رحماً بالنبيّ ﷺ وأقرب قرابة من الكلّ، فيكون أولى وأحقّ بميراثه من الكلّ، وأعظم ميراثه مقامه وخلافته ومنصبه الذي جعله اللّه تعالى له، فيجب أن يكون ذلك ثابتاً لعليّ عليه السلام وهو ظاهر.

[المناجاة]

وأمّا المناجاة: فحديثها من المشاهير وهو أنّ رسول اللّه ﷺ يوم الطائف خلا بعليّ عليه السلام يومه أجمع، لم يكن معهما في ذلك اليوم أحد غيرهما، وكان كلّما جاء أحد من الأصحاب أو الأنساب يريد الدخول على النبيّ ﷺ لم يؤذن له وكان بينهما ذلك اليوم مناجاة طويلة. فشقّ ذلك على جماعة كثيرة من الصحابة وأظهروا الحسد لعليّ عليه السلام على ذلك. فلمّا خرج النبيّ ﷺ إليهم قالوا: يا رسول اللّه! أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟ فأجابهم بقوله عليه السلام: «واللّه ما أنا انتجيته ولكن اللّه انتجاه».[١] فأسند عليه السلام تلك المناجاة إلى اللّه إعلاماً لهم وتنبيهاً على /١٩٤ أ/ أنّ الذي وقع منه إنّما كان لمن هو مستحقّه وأهله وأنّه متميّز دونهم بخصائص

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٠٠/٣٨، ١٥١/٣٩، ١٥٦، ١٥٧، ٣٤/٤٠، ٨٥؛ الاختصاص: ١٩٩؛ الأمالي للطوسيّ: ٣٣١؛ بشارة المصطفى: ٢٣٦؛ الصراط المستقيم: ٢٤٥/١؛ العمدة: ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣؛ عوالي اللآلي: ٨٩/٤؛ كشف الغمّة: ٢٢٧/١، ٢٩٢؛ متشابه القرآن: ٣٨/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٢٢/٢

ومن طريق أهل السنّة: أخبار مكّة للفاكهيّ: ١٦٢/٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤/٧، ١٧٣/٩؛ المخلصيّات: ٢٠/٤، ٢٩١؛ المعجم الكبير: ١٨٦/٢؛ كنز العمّال: ٥٩٩/١١، ١٣٩/١٣؛ السنّة لابن أبي عاصم: ٥٩٨/٢؛ جامع الأصول: ٦٥٨/٨؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٩/٥؛ كنز العمّال: ٦٢٥/١١

اختصّه بها، يجب له بها التعظيم منهم والاعتراف له بالكماليّة الموجبة له من اللّه التقديم على جملتهم، وأنّه لايصحّ أن يحسدونه على تقريبه له واختصاصه إيّاه بالمزايا والكرامات من حيث إنّ ذلك جميعه واجب له من اللّه تعالى؛ لما له عنده من المقام الموجب له التقديم والأفضليّة على جميعهم، فيكون واجب المودّة منهم والطاعة من سائرهم وذلك هو معنى الإمرة عليهم وهو من الدلائل الواضحة والعلامات البيّنة والنصوص الدالّة على خلافته.

[إيجاب المودّة]

وأمّا إيجاب المودّة: فثابت له على جملة الخلق بآية الشورى وهي قوله تعالى: **﴿قُلْ لاأسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾**[1]. وسبب النزول أنّه عليه السلام لمّا غنم غنائم حُنَين قسمها كلّها في المهاجرين وجماعة من المؤلّفة ولم يصل إلى الأنصار منها إلّا القليل. فتكلّم جماعة الأنصار في ذلك وقالوا: إذا كانت الحرب دعانا وإذا كانت الغنيمة قسّمت في غيرنا. وبلغ النبيّ صلى الله عليه وآله مقالتهم، فجمعهم في المسجد وقام فيهم خطيباً وقال: ما شكاية بلغتني عن جماعتكم؟ ألم تكونوا أذلّاء فأعزّكم اللّه بي؟ فقالوا: بلى يا رسول اللّه! ألم تكونوا متفرّقين فجمعكم اللّه بي؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه! ألم تكونوا فقراء فأغناكم اللّه بي؟ فقالوا: بلى يا رسول اللّه! ألم تكونوا خائفين فأمنكم اللّه بي؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه! ثمّ قال: ألاتجيبوني؟ فقالوا: بماذا نجيبك يا رسول اللّه؟ فقال: ألاتقولون كنت طريداً فآويناك، وكنت خائفاً فآمنّاك، وكنت ذليلاً فأعززناك، وكنت وحيداً

---

١. الشورى/٢٣

فكثّرناك؟ فانتحبوا بالبكاء وقالوا: يا رسول اللّه! بل الفضل والمنّة لك علينا وعلى جميع الخلق وإنّما قال من قال منّا لجهله.

وقام إليه سعد بن معاذ سيّد الأوس وقال: يا رسول اللّه! أعذرنا وإن شئت فهذه أموالنا بين يديك، فاقسمها بين قومك. فأنزل اللّه تعالى عليه هذه الآية: قل يا محمّد! لاأسئلكم عليه أجراً، أي لاأطلب منكم على ما أنعم اللّه عليكم بسببي أجرة ولاعوضاً إلّا المودّة في أهلي وقرابتي. فقالوا: يا رسول اللّه! ومن قرابتك الذين جعل اللّه مودّتهم ومحبّتهم أجراً لرسالتك؟ فقال عليه السلام: هم عليّ وفاطمة وابناهما[1]. فأوجب اللّه تعالى بنصّ الكتاب على جملة الخلق مودّة أهل بيته ومحبّتهم وجعلها أجراً لرسالته، وذلك دليل على عظم شأنها وعلوّ مرتبتها وأنّ الخلق كلّهم مربوبون بها متعبّدون بتحصيلها وأنّهم لايبلغون في حقّها ما يجب عليهم؛ لأنّ مرتبة رسالته عليه السلام مرتبة لاأعظم ولاأكمل منها وجميع الخلق لايقدرون اكتناهها ولاأن يوفونها ما يجب لها من التعظيم؛ لعدم معرفتهم بحقيقتها حقّ المعرفة، فيجب أن يكون ما هو أجرها وعوضها كذلك؛ لوجوب مساواة العوض للمعوَّض. /١٩٤ ب/ وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تكون المرتبة النبويّة

---

١. من طريق الشيعة: بحار الأنوار: ٢٣٢/٢٣، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٥١، ٣٤١/٢٩، ٦٥/٣٧؛ بناء المقالة: ٣٨٩؛ تفسير فرات: ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠؛ سعد السعود: ١٤٠؛ الصراط المستقيم: ١٨٩/١، ٢٧٧؛ الطرائف: ١١٢/١؛ العمدة: ٤٧، ٥٠؛ كشف الغمّة: ١٠٦/١؛ نهج الحقّ: ١٧٥

ومن طريق أهل السنّة: ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٨٩/١، ١٩٤؛ جامع البيان: ١٧/٢٥؛ حلية الأولياء: ٢٠١/٣، ٣٧/٥؛ الدرّ المنثور: ٦/٦؛ شواهد التنزيل: ١٩٠/٢، ١٩٢؛ المستدرك على الصحيحين: ١٨٨/٣؛ أسد الغابة: ٤٠٢/٦؛ ذخائر العقبى: ٢٦/١؛ الصواعق المحرقة: ٤٨٧/٢، ٦٥١

والإمارة الأحمديّة والخلافة المحمّديّة لهم؛ ليوفوا بذلك بعض ما وجب لهم من المودّة والمحبّة الموجبة لهم غاية التعظيم والإجلال ونهاية التكريم والتبجيل والكمال.

[التطهير]

وأمّا التطهير: فهو ثابت بنصّ القرآن الحكيم والذكر المبين الوارد في قوله تعالى: ﴿**إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1]؛ فإنّ المفسّرين اتّفقوا بأجمعهم[2] أنّ هذه نزلت في عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين لمّا ألحقهم النبيّ صلى الله عليه وآله بكسائه وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. فنزلت الآية الكريمة إجابةً لدعائه وجواباً لسؤاله، وبيّن أنّ اللّه أراد طهارتهم وإذهاب جميع الأرجاس عنهم وأكّد ذلك في الآية بعده من التواكيد يعرفها كلّ من يعرف البلاغة. واتّفق الرواة على نقل هذه الرواية بطريق أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وغيرها وأنّها نزلت في بيتها وكان رسول اللّه يومئذٍ فيه ومعه عليّ وفاطمة وابناهما، حتّى قالت أمّ سلمة: يا رسول اللّه! وأنا معهم؟ فقال لها رسول اللّه صلى الله عليه وآله: تنحّي وإنّك لعلى[3] خير.[4]

---

١. الأحزاب/٣٣

٢. هامش حج: ما خلا شرذمة ممّن لهم طريق إلى النصب.

٣. حج: على.

٤. **من طريق الشيعة**: الكافي: ٢٨٦/١؛ بحار الأنوار: ٤٢٤/١٠، ٢١٤/٢٥، ٢٣٩، ١٤٩/٣٣، ٢٠٨/٣٥، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ١٤٩/٣٣؛ إعلام الورى: ١٤٩؛ الأمالي للطوسي: ٣٦٣، ٣٦٨؛ تفسير فرات: ٣٣١، ٣٣٧؛ الصراط المستقيم: ١٨٥/١، ١٨٦؛ الصوارم المهرقة: ١٤٥، الطرائف: ١١٣/١، ١٢٥؛ العمدة: ٢٣، ٣٢، ٣٩، ٤٤، ٥١، ٧٠؛ كتاب سليم بن

وقد أشرنا في ما سلف أنّ هذه الآية الكريمة دالّة على عصمة عليّ عليه السلام وعصمة زوجته وولدَيه؛ لأنّ الطهارة الثابتة بعد نفي الرجس وإذهابه دليل على عدم الخطأ منهم قطعاً وإلّا لانتفت الطهارة وثبت الرجس وهو خلاف مدلول الآية وخلاف مراد اللّه تعالى وذلك غير جائز قطعاً. وإذا أثبت له العصمة بنصّ القرآن وجب أن تكون الولاية والخلافة له؛ لما عرفت من أنّها مشروطة بالعصمة، فلاينالها من ليس بمعصوم، وغير عليّ ليس بمعصوم بالاتّفاق، فلايصحّ لغيره أن ينالها، فتكون ثابتة له؛ لعدم القائل بالفرق، وكذلك لولدَيه بعده؛ للدلالة المذكورة وهو بيّن واضح.

[المباهلة]

وأمّا المباهلة: فهي واقعة معلومة بالتواتر وهي من القواعد المؤسّسة للإسلام والمثبتة للنبوّة. والقصّة أنّ وفد نصارى نَجران بعد فتح مكّة قدموا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وفيهم من علمائهم العاقب وعبد المسيح والأسقف، فسألوه عن دينه وعن نبوّته وعن عيسى وجادلوه، فدعاهم بعد كثرة المجادلة إلى المباهلة، وهي مفاعلة من

قيس: ٧٦٠؛ كشف الغمّة: ٤٥/١، ٤٧؛ تأويل الآيات: ٤٤٩، ٤٥٠؛ تفسير العيّاشيّ: ٢٤٩/١؛ تفسير القمّيّ: ١٩٣/٢؛ دلائل الإمامة: ١٦٣؛ سعد السعود: ١٠٦؛ الفصول المختارة: ٥٣؛ كفاية الأثر: ٦٥؛ متشابه القرآن: ٦٣؛ نهج الحقّ: ٢٢٨

ومن طريق أهل السنّة: الأمالي لابن سمعون: ١٦٧/١؛ الشريعة: ٢٢٠٩/٥؛ الفوائد: ٢٦٤/١؛ المستدرك على الصحيحين: ٤٥١/٢؛ المعجم الكبير: ٥٢/٣، ٥٣، ٢٥/٩، ٢٤٩/٢٣، ٣٣٣؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٩٨/١؛ جامع الأصول: ١٥٥/٩، ١٥٦؛ سنن الترمذيّ: ٣٥١/٥، ٦٦٣؛ شرح مشكل الآثار: ٢٤١/٢، ٢٤٣؛ شواهد التنزيل: ٦١/٢ وما بعد؛ فضائل الصحابة: ٥٨٧/٢؛ مسند أحمد: ١١٨/٤٤؛ معجم ابن الأعرابيّ: ٩٦٤/٣

المداعاة، بمعنى أنّهم يدعون ويبتهلون إلى اللّه تعالى أن يهلك المبطل، وأنزل اللّه على نبيّه في ذلك قوله تعالى: **﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾**[١]. فدعاهم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى ذلك، فاستمهلوه للمشاورة والفكرة، فلمّا خلوا بأنفسهم قالوا لعالمهم: ماذا عندك في ما دعانا إليه محمّد؟ فقال العاقب ـ وكان أعلمهم ـ: الرأي عندي أن تدعوه وتنظروا بمن يخرج للمباهلة، فإن خرج إليكم بقومه وعشيرته فباهلوه؛ فإنّه ليس بصاحبكم، وإن خرج بأهله وخاصّة أهل بيته فلاتباهلوه فتهلكوا ولايبقى على وجه الأرض نصرانيّ.

ثمّ أرسلوا إليه عليه السلام بالدعاء /١٩٥ أ/ إلى المباهلة وتواعدوا لها وعيّنوا يوماً لإيقاعها. فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم بعليّ وفاطمة والحسن والحسين ولم يخرج بأحد غيرهم من الأنساب والأصحاب. فسألوا: مَن أولئك الذين خرج بهم؟ فقيل لهم: هم خاصّة أهل بيته، هذا عليّ ابن عمّه وزوج ابنته وهذه ابنته وهذين ولداه من ابنته أبوهما ابن عمّه. فقال العاقب لأصحابه: لاتباهلوه فتهلكوا؛ فإنّه ما خرج بنفسه وخاصّة أهل بيته إلّا وهو واثق بنجح مطلوبه واستجابة دعائه، وإنّي لأرى وجوهاً لو سألوا اللّه تعالى أن يزيل جبلاً عن مكانه لأزاله. فتركوا المباهلة، فدعاهم إلى المقاتلة، فقالوا: وما لنا بحرب العرب طاقة. وبذلوا الجزية والدخول في الطاعة، فقبل منهم الجزية وأقرّهم على دينهم.[٢]

---

١. آل عمران/٦١

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٧٦/٢١، ٢٨٠، ٢٥٨/٣٥؛ الإقبال: ٥١٣؛ تأويل الآيات: ١١٦؛ الطرائف: ٤٢/١، ٤٥؛ العمدة: ١٨٩؛ كشف الغمّة: ٢٣٤/١، ٣٠٩؛ كشف اليقين: ٢١٤ ←

وهذه الواقعة من الوقائع العظيمة التي هي من قواعد النبوّة وأساس الدين لم يحتج فيها النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أحد من الصحابة والقرابة غير عليّ عليه السلام، فيكون دليلاً على عظم مرتبته عند اللّه وشدّة قربه الدالّ على استجابة دعائه. فلو كان هناك من هو أقرب منه إلى اللّه لوجب على النبيّ صلى الله عليه وآله الخروج به، فلمّا لم يخرج إلّا به تحقّق عند ذوي العقول أنّه لم يكن فيهم من يصلح لتمهيد قواعد الدين وإثبات أصول الإسلام غيره، فيكون هو صاحب الولاية بعده بغير مانع.

وأيضاً فإنّ الآية الكريمة مصرّحة بالمماثلة الحقيقيّة بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّه عبّر عنه بنفسه في قوله: ﴿**وَأَنْفُسَنَا**﴾ ومعناه وندع أنفسنا، وليس المراد أنّه يدعوا نفسه التي هي ذاته الشريفة؛ لأنّ الداعي غير المدعوّ بالضرورة، لكن لمّا كان في غاية القرب من الداعي والمماثلة الحقيقيّة والصفاتيّة والمناسبة في جميع الأحوال جاز أن يعبّر عنه بنفسه؛ فإنّهم إذا أرادوا التشبيه قالوا: زيد كالأسد، وإذا أرادوا المبالغة فيه قالوا: زيد الأسد، فيجعلون هو هو بعينه مبالغةً في المماثلة والمناسبة. فعليّ عليه السلام هو المماثل للنبيّ صلى الله عليه وآله والمناسب له من جميع جهاته وجميع أحواله بالمماثلة والمناسبة الحقيقيّة التي لاوراءها، فيوجب له جميع صفاته التي كان صلى الله عليه وآله متّصفاً بها، ومن جملتها الخلافة عن اللّه في تدبير خلقه، فيكون عليّ عليه السلام كذلك وهو المطلوب.

ومن طريق أهل السنّة: الشريعة: ١٧٥٦/٤، ٢٢٠٠/٥ وما بعد؛ تاريخ المدينة: ٥٨٠/٢؛ جامع الأصول: ٦٥٠/٨، ١٥٤/٩؛ سنن الترمذيّ: ١٠٢/٢، ٢٢٥/٥، ٦٣٨؛ صحيح مسلم: ١٨٧١/٤؛ الجمع بين الصحيحين: ١٠٤/١؛ السنن الكبرى: ٦٣/٧؛ المستدرك على الصحيحين: ١٦٣/٣؛ مسند أحمد: ١٦٠/٣

[التزويج]

وأمّا التزويج: فهو من الأمور المعلومة بالضرورة؛ فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله زوّجه ابنته فاطمة وحباه بها بعد أن ردّ عنها كلّ من خطبها من الصحابة؛ فإنّهم تنافسوا في خطبتها ورام كلّ واحد منهم حصول الشرف بمصاهرة الرسول صلى الله عليه وآله والقرب منه والاختلاط بنسبه بأن يكون ابنته المفضّلة عنده المحبوبة لديه التي هي بضعة منه ولحمه ودمه، فتسارعوا في اقتناء هذه الفضيلة وتسابقوا إلى تحصيل هذه المنقبة، فخابت آمالهم وردّت مطالبهم ولم ينجح سؤالاتهم ولم يجب صلى الله عليه وآله أحداً منهم وقال: إنّ أمر فاطمة إلى الجليل تعالى، يزوّجها بمن أراد من عباده. فجاء الوحي من الربّ الجليل /١٩٥ ب/ على يد جبرئيل بأنّك زوِّج عليّاً من فاطمة؛ فإنّ اللّه تعالى قد زوّجها به في السماوات وكان العاقد جبرئيل والخاطب ميكائيل[١] والوليّ هو الربّ الجليل، وحضرت لذلك العقد ملائكة السماوات وملائكة العرش والكرسيّ في عدد لايحصيهم إلّا اللّه تعالى، وجعل مهرها خمس الأرض[٢]. فلمّا جاء الوحي إليه بذلك دعا عليّاً عليه السلام، فزوّجه بها في الأرض كما زوّجه اللّه بها في السماء وقال عليه السلام: لو لم يخلق اللّه تعالى عليّاً لم يكن لابنتي فاطمة كفو من أهل الأرض.[٣]

---

١. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ١٤٢/٤٣؛ إرشاد القلوب: ٢٣٢/٢؛ كشف الغمّة: ٤٧٢/١
ومن طريق أهل السنّة: ذخائر العقبى: ٣٢/١؛ المعجم الكبير: ١٥٦/١٠، ٤٠٧/٢٢؛ كنز العمّال: ٦٠٦/١١، ٦٣٨/١٣

٢. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ٣٦١/٣٦، ١١٣/٤٣؛ تأويل الآيات: ٢٤٠؛ روضة الواعظين: ١٤٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٥١/٣، ٣٥٢

٣. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ٧٧/٤٠، ٥٨/٤٣، ٩٩، ١٠٧، ١٤١، ١٤٥؛ بشارة المصطفى: ←

وهذا عند ذوي البصائر هو الشرف الذي لانهاية له ولاتقدر العقول على الإحاطة بكنهه، فيكون عليّاًعليه السلام هو صاحب القرب الحقيقيّ والشرف الكلّيّ عند اللّه وعند رسوله، فيجب أن يكون المقام له بعد الرسول من اللّه ومن الرسول وإلّا لخلا هذا التقريب والشرف عن الغرض المقصود منه وهو غير جائز في الحكمة.

[الولادة]

وأمّا الولادة: فأمرها ظاهر وحالها بيّن؛ فإنّ أمّه فاطمة بنت أسدD أخبرت عن نفسها كما رواه الثقات عنها أنّها لمّا ضربها الطلق التجأت إلى البيت الحرام والتصقت بجداره تسليماً لأمرها إلى اللّه والتجاءً إلى بيته الذي جعله آمنا لكلّ خائف. قالت: فانشقّ لي جدار البيت بإذن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ ودخلت داخل البيت والتصق الجدار كما كان، فولدتُ المولود الذي كان في بطني بإذن اللّه داخل البيت على الرخامة الحمراء، وكان تولّتني فيه حور الجنان وتأتيني الفواكه الطيّبة في غير وقتها، فسمّيته حيدرة باسم أبي، فناداني منادٍ من داخل البيت: لم أر شخصه أن سمّاه عليّاً، فإنّ اسمه عند اللّه عليّ. وفتح باب الكعبة، فخرجت والمولود على يديّ، فجئت به إلى منزل أبي طالب.[1]

١٣٩؛ روضة الواعظين: ١٤٦/١؛ الصراط المستقيم: ١٧٢/١؛ كشف الغمّة: ٤٧٢/١؛ متشابه القرآن: ٣٨/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٨١/٢

ومن طريق أهل السنّة: ينابيع المودّة: ٦٤/٢؛ سمط النجوم العوالي: ٦٧/٢

١. **من طريق الشيعة**: الكافي: ٣٤٧/٢؛ بحار الأنوار: ٢٣/٣٥؛ الإرشاد: ٥/١؛ إثبات الوصيّة: ١١٩؛ ينابيع المودّة: ٢٠٩؛ روضة الواعظين: ٨١/١؛ نهج الحقّ: ٢٥٣؛ نور الأبصار: ١٥٦

←

فجاء رسول اللهﷺ فقال: يا فاطمة! أين المولود الذي أذن ربّ العالمين أن تلد به في بيته الحرام؟ فقالت: ها هو يا رسول الله[١]. فقال: ناولنيه. قالت: فناولته إيّاه، فقبّله واستنطقه، فنطق بإذن الله بالشهادة لله بالوحدانيّة وله بالرسالة. فقال رسول اللهﷺ: هذا أخي ووزيري وخليفتي وصفيّي وناصري والقائم بأمري وخير من أخلّفه بعدي. وتولّىﷺ تربيته بنفسه، فكان يحمله على صدره ويغسله ويحرّك مهده بيده ويناغيه[٢] ويداعيه وهو دائماً يقول: هذا كهفي وناصري وحرزي ومعيني في جميع أموري.[٣]

وهذه الكرامات الباهرة والآيات البيّنة الظاهرة إذا تدبّر معانيها الذكيّ حقّ التدبّر عرف منها حقّ المعرفة أنّ صاحبها له الولاية الكبرى والخلافة العظمى عن الله وعن رسوله بغير شكّ ولاارتياب. وما ذكرناه في هذه المواقف المشهورة بعض يسير من بحر غزير وبالقليل يستدلّ على الكثير، وفي ما أشرنا إليه كفاية لطالب الهداية.

[ولاية عليّعليه السلام مع نبوّة محمّدﷺ وبعده بالنصّ الإلهيّ]

قال: وهذه المواقف في حقّه وإن كان متغايرة الألفاظ فالمعنى الذي تضمّنته

ومن طريق أهل السنّة: المستدرك على الصحيحين: ٥٥٠/٣

١. هامش حج: والصواب أنّه لايكون لفظ «يا رسول الله» من عبارة الخبر، كما لايخفى.

٢. هامش حج: المرأة تناغي الصبيّ أي تكلّمه بما يُعجبه ويسرّه. (صحاح).

٣. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ١٠/٣٥؛ إثبات الوصيّة: ١٤٤؛ إحقاق الحقّ: ٥٧/٥؛ خصائص الوحي المبين: ٢٥؛ دلائل الصدق: ٣٠٠/٦؛ كشف الغمّة: ٦٠/١؛ كشف اليقين: ٢٠/١؛ نهج الحقّ: ٢٣٣؛ أبهى المراد: ٣٤٢/٢

واحد، وكلّ واحد منها وإن لم ينقل تواتراً بحسب لفظه لكن المعنى المقصود منها بلغ حدّ التواتر وأفاد العلم يقيناً وهو أنّ المراد منها ١٩٦/أ/ البيان والإيضاح عن إثبات الولاية لعليّ عليه السلام من اللّه تعالى كما هي ثابتة للنبيّ صلى الله عليه وآله منه تعالى من غير فرق ولا إثبات واسطة، بل الذي تضمّنت هذه المواقف وعضده الدليل العقليّ وجوب الولاية له في حياته صلى الله عليه وآله كما وجب ثبوتها له بعد وفاته. فعليّ وليّ النبيّ حيّاً وميّتاً، بل قد قال بعض أهل الفحص: إنّ ولاية عليّ عليه السلام هي المبدأ لظهور نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وعلامة ظهوره. وقد تقرّر في الكتب السالفة أنّها من جملة علامات نبوّته وأمارات صحّة شريعته، فكانت ولاية عليّ عليه السلام بعده ومعه بالنصّ الإلهيّ والخطاب التكليفيّ والدليل القطعيّ، وإن اعترى الريب فيه جماعة تاهوا[1] في ميدان الضلالة.

[ما يدلّ على ذلك من القرآن والحديث]

أقول: الذي يدلّ على ذلك القرآن والحديث:[2]

أمّا القرآن: فآيات كثيرة فيها إشارات لائحة لمن عرف معنى الإشارات ولم يتقيّد بالعبارات وفيها دلالة ظاهرة على ذلك.

منها: قوله تعالى: ﴿**وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ**﴾[3]؛ فإنّ عليّاً عليه السلام هو التالي له والشاهد منه.[4]

---

١. تاه، يتوه ويتيه، توهاً: أي هلك (لسان العرب).

٢. راجع: نهج الحقّ: ١٧٢

٣. هود عليه السلام/١٧

٤. **من طريق الشيعة**: كتاب سليم بن قيس: ٩٠٣/٢؛ تفسير فرات: ١٨٨، ١٩٠، ٦٤٣؛ تفسير ←

ومنها: قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾[1] وذلك هو عليّ عليه السلام.[2]

ومنها: قوله: ﴿إنَّما أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[3]. قال عليه السلام: «أنا المنذر وعليّ الهادي»[4].

العيّاشيّ: ١٤٣/٢؛ فضائل أمير المؤمنين: ١٩٣؛ الأمالي للمفيد: ١٤٥؛ الأمالي للطوسيّ: ٣٧٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٨٥/٣؛ الاحتجاج: ١٥٩/١؛ كشف الغمّة: ٣١٥/١؛ كشف اليقين: ٣٦٠؛ شرح أصول الكافي لصدر المتألّهين: ٥٩٦/٢؛ تفسير الصافي: ٤٣٧/٢؛ البرهان في تفسير القرآن: ٩١/٣ وما بعد؛ بحار الأنوار: ٣٨٦/٣٥ وما بعد، ٤٠/١؛ تفسير نور الثقلين: ٣٤٥/٢؛ تفسير كنز الدقائق: ١٤٠/٦، ١٤٢؛ الميزان: ١٩٥/١٠

ومن طريق أهل السنّة: جامع البيان: ٢٧٢/١٥؛ التفسير الكبير: ٣٣٠/١٧؛ الدرّ المنثور: ٣٢٤/٣؛ شواهد التنزيل: ٣٥٩/١ وما بعد.

١. الأعراف/١٥٧

٢. **من طريق الشيعة**: تفسير القمّيّ: ٢٧٩/٢؛ تفسير العيّاشيّ: ٣١/٢؛ الكافي: ١٩٤/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٨١/٣، ٢٤٠، ٤٨/٤، ٢٨٤؛ الاحتجاج: ٦١/١؛ الفضائل: ١٣١؛ اليقين: ٣٥٤؛ العدد القويّة: ١٧٦؛ مشارق أنوار اليقين: ٢٠؛ الصراط المستقيم: ٣٠٣/١؛ تأويل الآيات: ١٨٥؛ الذريعة إلى حافظ الشريعة: ٥٨/٢؛ شرح أصول الكافي للمازندرانيّ: ٢١١/٥، ٩٩/٧؛ الوافي: ٥١٠/٣، ٩١١؛ تفسير الصافي: ٢٤٣/٢؛ إثبات الهداة: ٥/٢، ١٥٠، ١٤٣/٣؛ البرهان في تفسير القرآن: ٥٩٣/٢، ٥٩٤؛ مدينة المعاجز: ٥٢١/١؛ مرآة العقول: ٥٣٦/٢؛ بحار الأنوار: ١٧٨/١٥، ٣٠٩/٢٣، ٣١٠، ٥١/٢٤، ٣٤٠، ٤٨/٢٥، ٤٠٤/٣٥، ٤٥/٣٩، ٢٧٠/٤١، ٢١/٩٠؛ تفسير نور الثقلين: ٨٣/٢، ٨٥، ٥٩٠/٤؛ تفسير كنز الدقائق: ٢٠٧/٥، ٥٤٤/١١؛ عوالم العلوم: ١٨٦

٣. الرعد/٧

٤. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٠٧/٩، ٢/٢٣، ٣٩٨/٣٥ وما بعد؛ بشارة المصطفى: ٢٤٦؛ تأويل الآيات: ٢٣٦؛ تفسير العيّاشيّ: ٢٠٣/٢، ٢٠٤؛ تفسير فرات: ٢٠٥، ٢٠٦؛ الصراط المستقيم: ٢٧٢/١، ١٠/٢؛ الطرائف: ٧٩/١؛ كشف الغمّة: ٣١٢/١؛ متشابه القرآن: ٤٠/٢؛ مجمع البيان: ٤٢٧/٦؛ مجموعة ورّام: ٣٦٩/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٨٣/٣، ٨٤

←

ومنها: قوله تعالى: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ**﴾[١] والأذن الواعية هو عليّ عليه السلام.[٢]

ومنها: قوله: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ**﴾[٣] أي عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٤]

ومنها: قوله: ﴿**عَمَّ يَتَساءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾[٥] وذلك هو عليّ عليه السلام.[٦]

ومن طريق أهل السنّة: الدرّ المنثور: ٤٥/٤؛ روح المعاني: ١٠٣/٧؛ شواهد التنزيل: ٣٨١/١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٨؛ كنز العمّال: ٦٢٠/١١؛ معجم ابن الأعرابيّ: ١٠٧٩/٣؛ التفسير الحديث: ٣٤٣٥/١؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣٧٢/٤؛ التفسير الكبير: ١٤/١٩

١. الحاقّة/١٢

٢. **من طريق الشيعة**: روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام: «أنت الأذن الواعية» (بحار الأنوار: ٣٣٠/٣٥). وأخبر نفسه عنه في قوله: «أنا الأذن الواعية» (بشارة المصطفى: ١٣/٢؛ الدرّ النظيم: ٢٤٠؛ البرهان في تفسير القرآن: ٣٣٠/٤، ٤٧١/٥؛ بحار الأنوار: ٢٨٤/٣٣، ٤٦/٣٥؛ تفسير نور الثقلين: ٤٠٢/٥، ٦٠٠؛ تفسير كنز الدقائق: ٣٢٦/١٤). وروي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «الأذن الواعية أذن عليّ عليه السلام» (تفسير فرات: ٤٩٩؛ طرف من الأنباء والمناقب: ٤٦٤؛ تأويل الآيات: ٦٩٠؛ بحار الأنوار: ٤٧١/٥، ٣٢٩/٣٥، ١٨٩/٤٠؛ تفسير كنز الدقائق: ٤٠٨/١٣).

ومن طريق أهل السنّة: شواهد التنزيل: ٣٦١/٢ وما بعد؛ كنز العمّال: ١٧٧/١٣؛ البحر المحيط: ٢٥٧/١٠؛ روح المعاني: ٤٩/١٥؛ الكشّاف: ٦٠٠/٤؛ التفسير الكبير: ٦٢٤/٣٠؛ الكشف والبيان: ٢٨/١٠؛ الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٤/١٨؛ المناقب لابن المغازليّ: ٣٨٤/١

٣. الصافّات/٢٤

٤. **من طريق الشيعة**: بناء المقالة: ٤٧٢؛ كشف الغمّة: ٣١٥/١؛ كشف اليقين: ٣٦١؛ البرهان في تفسير القرآن: ٢٧٩/١؛ مجمع البيان: ٦٨٨/٨؛ منهاج البراعة: ١٦/٦

ومن طريق أهل السنّة: شواهد التنزيل: ٤٢٣/١، ١٦٠/٢ وما بعد؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٨٩/١

٥. النبأ/١ـ٣

٦. **من طريق الشيعة**: تفسير فرات: ٥٣٣، ٦٤٨؛ الكافي: ٣٠/٨؛ عيون المعجزات: ٣٣؛ المناقب

←

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالّة بالإشارات اللطيفة على هذا المعنى.

وأمّا الحديث: فقوله ﷺ: «ما من نبيّ إلّا وبعث معه عليّ باطناً وبعث معي ظاهراً».[1]

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالّة على هذا المعنى.

* * *

للعلوي: ٧٢، ١٤٤؛ نوادر المعجزات: ١١٢، ١٢٩؛ مصباح المتهجّد: ٧٤٢/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١١٨/٢، ٧٩/٣، ٨٠، ٣١٧؛ الفضائل: ٣، ٨٠، ٨٤، ١٦٠؛ الصراط المستقيم: ٢٧٩/١؛ تأويل الآيات: ٧٣٥؛ روضة المتّقين: ١٨٠/١٣؛ البرهان في تفسير القرآن: ٥٦٦/٥؛ حلية الأبرار: ١٢٤/٢؛ مدينة المعاجز: ٢٤٨/١، ٥٨/٢؛ مرآة العقول: ٤١٦/٢؛ بحار الأنوار: ٥/٢٦، ٣/٣٦؛ تفسير كنز الدقائق: ٩٧/١٤؛ عوالم العلوم: ٢٦٣/١١؛ إلزام الناصب: ٣٨/١، ١٧٩/٢، ١٩٥

ومن طريق أهل السنّة: شواهد التنزيل: ٤١٧/٢

١. قال جبرئيل عليه السلام للنبي ﷺ: «إنّ الله بعث عليّاً مع الأنبياء باطناً وبعثه معك ظاهراً» (القصص للجزائري: ٩١).

[أفضليّة عليّ عليه السلام على باقي الأصحاب]

قوله: وأفضليّته على باقي الأصحاب ثابتة بكثرة الجهاد في جميع الغزوات وفي إظهار كلمة الحقّ مع أهل الخلاف بالدلائل والبراهين وعلمه المشهور في جميع الفنون؛ لقوّة حدسه وشدّة ذكائه وملازمته للرسول وحرصه على تعليمه، وقضاياه العجيبة ـ كالقيد والأرغفة والمرأتان المتداعيتان للولد والحمار والبقرة وقصّة حكم داوود والخنثى وغيرها[1] ـ

---

١. نسي المصنّف الإتيان بشرح هذه القضايا العجيبة، فنذكرها نقلاً عن بعض آخر من كتبه (كشف البراهين: ٣٩٠):

من قضاياه العجيبة قصّة صاحب الأرغفة: وذلك أنّ رجلين اصطحبا للأكل، وكان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة، فمرّ بهما ثالث، فاستدعياه للأكل، فأكلوا جميعاً. فلمّا فرغوا رمى لهما ثمانية دراهم، فقال صاحب الخمسة: لي خمسة بعدد أرغفتي ولك ثلاثة بعدد أرغفتك. فقال صاحب الثلاثة: لاأريد إلّا النصف. فاحتكما إلى عليّ عليه السلام، فقال لصاحب الثلاثة: إنّ هذا ممّا لاتحتكم عليه الناس، وإنّ صاحبك قد أنصفك. فقال: ما أريد إلّا مُرّ الحقّ. فقال عليه السلام: لك درهم واحد ولصاحبك سبعة. فقال: ولم؟ فقال عليه السلام: لأنّ الأرغفة انقسمت أربعة وعشرين جزءً، لك منها تسعة، أكلت منها ثمانية وبقي لك جزء أكله الضيف، فلك درهم، ولصاحبك خمسة عشر جزءً أكل منها ثمانية [و] بقي له سبعة أكلها الضيف، فله سبعة دراهم (مستدرك الوسائل: ٣٩٦/١٧؛ الإرشاد: ٢١٨/١؛ إرشاد القلوب: ١١٠/١؛ كنز الفوائد: ٦٩/٢).

ومنها قصّة العبد: وهي أنّ رجلاً قيّد عبده وحلف أن لايحلّه منه حتّى يتصدّق بوزن قيده. فاستفتى عليّاً عليه السلام، فقال: ضع رجله بالقيد في قصعة فيها ماء، فإذا انتهى صعود الماء فارفع القيد، ثمّ ضع بعده برادة الحديد، حتّى ينتهي صعود الماء كما كان أوّلاً، وتصدّق بوزن ←

البرادة؛ فإنّها وزن القيد. ففعل ذلك، ووزنت البرادة مع القيد، فكانا سواء.

ومنها قصّة المرأتين المدّعيتين للولد: وذلك أنّه حضرت عنده عليه السلام امرأتان بينهما ولد صغير، كلّ واحدة منهما تدّعي أنّه ولدها، فوعظهما فلم ترجعا، فقال عليه السلام: ائتوني بمنشار. فقالوا: لأيّ شيء يا أمير المؤمنين؟ قال: أقدّة نصفين، أعطي كلّ واحدة نصفاً، فبكت إحداهما وقالت: اللّه اللّه يا أمير المؤمنين! إن كان ولابدّ فقد وهبته لها. وسكتت الأخرى، فحكم به للباكية، واعترفت الأخرى بعد ذلك بالكذب (وسائل الشيعة: ٢٨٨/٢٧؛ بحار الأنوار: ٢٥٢/٤٠؛ الإرشاد: ٢٠٥/١؛ المناقب: ٣٦٧/٢).

ومنها قصّة حكم داوود: وهو أنّ شخصاً حضر عند شريح القاضي وادّعى على أربعة أنّهم قتلوا أباه. فقال: أقِم البيّنة وإلّا فاستحلفهم. فخرج وهو يتظلّم من حكومته، فأحضر عند عليّ عليه السلام. فجاء حتّى دخل المسجد واجتمع الناس إليه، وقال: لأحكمنّ اليوم حكماً كحكم داوود عليه السلام. وأحضر الأربعة وأحضر المدّعي، فقال عليه السلام: ما تقول؟ قال: إنّ أبي خرج مع هؤلاء النفر في سفر، فقدموا ولم يقدم معهم، فقلت لهم: أين أبي؟ فقالوا: لانعلم حاله، فقلت: أين ماله؟ قالوا: لانعلم له مالاً، وأسألك الحكم في ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال لهم: ما تقولون؟ فاتّفقوا على الإنكار، وقالوا: إنّه مات حتف أنفه، فأمر بهم ففرّقوا، وجعل كلّ واحد إلى سارية من سواري المسجد، ثمّ استدعى واحداً منهم فقال: ما تقول في أب هذا الفتى؟ قال: مات حتف أنفه، فقال لكاتبه: اكتب. فقال: في أيّ يوم مات؟ قال: يوم كذا، فقال: اكتب. ثمّ قال: من غسّله؟ فقال: فلان، فقال: اكتب. ثمّ قال: فيم كفنتموه؟ فقال: في كذا، فقال اكتب. ثمّ قال: ارجعوا به إلى مكانه. ثمّ استدعى الثاني، فسأله عن ذلك كلّه، فخالف قوله قول الأول، فكبّر أمير المؤمنين تكبيرة سمعها أهل المسجد، ثمّ قال: إرجعوا به إلى مكانه. ثمّ استدعى الثالث وسأله، فخالف قوله قول الأوّلين وتلجلج، فقال: أقِرَّ، وخوّفه، فأقَرَّ أنّهم قتلوه، فكبّر أمير المؤمنين تكبيرة ثانية. واستدعى الرابع فخوّفه، فأقَرَّ بالقتل. ثمّ استدعاهم بعد ذلك، فاتّفقوا على القتل وأخذ المال، فأغرمهم وأراد قتلهم، فعفى عنهم ابن المقتول (الكافي: ٣٧٢/٧؛ من لايحضره الفقيه: ٢٦/٣؛ التهذيب: ٣١٦/٦؛ وسائل الشيعة: ٢٧٩/٢٧؛ مستدرك الوسائل: ٣٨٥/١٧؛ بحار الأنوار: ١١/١٤؛ دعائم الإسلام: ٤٠٤/٢؛ القصص للجزائريّ: ٣٣٨؛ المناقب: ٣٧٩/٢).

ومنها قصّة الخنثى: وهي أنّ شريحاً جاءت إليه امرأة وخلت معه، وقالت: إنّ لي ما للرجال

وانتساب الفضلاء إليه في جميع الفنون وإخباره عن نفسه[1] وزهده وكرمه وكثرة تواضعه وبشاشة أخلاقه وعفّته وصفحه وكظم غيظه وشجاعته التي بلغت الغاية وحرصه على إقامة الحدود وإهداء الخلق وعدم مراقبته لأحد وسبقه إلى الإسلام قبل غيره وغير ذلك.

[ثبوت الأفضليّة على الكلّ لشخص موجب لثبوت ولايته]

قال: لمّا كان وجوب أفضليّة الوليّ على جميع أهل ولايته من جملة شرائط ولايته عند أهل هذه الطائفة كان ثبوت الأفضليّة على الكلّ لشخص موجباً لثبوت ولايته، فتحقيق هذا الاستدلال يتوقّف على هاتين المقدّمتين:

أحدهما: أنّ الولاية مشروطة بالأفضليّة، وثبوت هذه المقدّمة بعد ثبوت وجوب العصمة فيه والنصّ عليه ظاهر؛ فإنّ كلّ من قال بوجوب اتّصاف الوليّ بهما قال بوجوب كونه أفضل أهل زمانه؛ لأنّ العصمة ـ كما عرفت ـ مبدأ سائر الكمالات وأصل جميع الفضائل؛ لأنّ مقتضاها الاتّصاف بالصراط المستقيم الموجب للاعتدال في جميع /١٩٦ ب/ الأحوال بسبب التوسّط الموجب لغاية الفضل ونهاية الكمال.

وما للنساء، وإنّي آتي وأوتي وأحيض وأمني، وقد آتيت بولد من بطني وولد من ظهري. فاضطرب الحكم عليه في ذلك، فأنهاه إلى عليّ عليه السلام، فقال: جرّدوها وعدّوا أضلاعها، فإن كانت متساوية من الجانبين فهي امرأة، وإن كانت مختلفة، من الجانب الأيمن أكثر ومن الجانب الأيسر أقلّ فهو رجل. ففعلوا ذلك، فوجدوا أنّ أضلاعها متساوية، فحكم لها بالأنوثة (من لايحضره الفقيه: ٢٣٦/٤؛ وسائل الشيعة: ٢٨٧/٢٦؛ مستدرك الوسائل: ٢٢٢/١٧؛ بحار الأنوار: ٢٨٥/٤٠، ٣٥٥/١٠١؛ عوالي اللآلي: ٣٤١/٢).

١. مو: + وإخبار النبيّ عنه.

وأمّا النصّ فمعلوم أنّه لبيان المستحقّ تعليماً للخلق باشتماله على الكمال الموجب لتقديمه على جملتهم، فهو أدلّ دليل على اشتمال المنصوص عليه على غاية الكمال ونهاية الجلال.

الثانية: أنّ كلّ من ثبتت له الأفضليّة على الكلّ وجب أن يكون مقدّماً على الكلّ، فيستحقّ ولاية الكلّ والقيام بمزايا خواصّ الولاية؛ لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق ليكون مقتدى الكلّ فيها ليلتحقوا[1] به إلى كمالاتهم الممكنة لهم، فينجوا من نقائص الإمكان وغلبة الطبائع والأحوال الطبيعيّة بواسطة التحلّي والتخلّق والاتّباع له. فإذَن لمّا وجب علينا البحث عن الوليّ ومن هو المستحقّ للولاية من أتباع هذا النبيّ الفاضل الذي بعث لتتميم مكارم الأخلاق، فبالضرورة تمّمها واستفادها منه من استعدّ لفيضها وتهيّأ لقبولها، فبالضرورة لابدّ وأن يكون من أتباعه من هو مجمعاً لها كما كان هو مجمعاً لها.

أقول: وممّا يدلّ على ذلك قوله ﷺ: «مَثلي في الأنبياء مَثل رجل بنى حائطاً، فأكمله إلّا موضع لَبِنَة واحدة، فأنا تلك اللبنة، فلارسول بعدي ولانبيّ»[2]. فشبّه عليه السلام النبوّة بالحائط وشبّه الأنبياء باللبن الذي قام به الحائط، وهو تشبيه معنويّ في صورة محسوس وهو في غاية الحسن؛ لأنّ الذي هو مسمّى بالحائط لم يظهر في الخارج إلّا باللبن، فكذلك المعنى الذي بعثت له الأنبياء لم تظهر صورته إلّا بهم ولم يتمّ معناه إلّا بكلّ واحد منهم، وبه ﷺ تمّ ذلك المعنى بعد نقصه وكان ﷺ

---

١. حج: ليلحقوا.

٢. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ١٢٢/٤

ومن طريق أهل السنّة: الأحاديث المختارة: ٣٩١/٣؛ شعب الإيمان: ٧٠/٣؛ مسند البزّار: ٩٠/١٦

خاتم ذلك البناء ومتمّم صورته المعنويّة، فبه تمّت مكارم الأخلاق والنبوّة والرسالة.

[وجوب كون الإمام واحداً في كلّ عصر]

قال: ويجب أن يكون واحداً؛ لأنّ الوحدة المطلقة لايتحقّق عنها ضدّها ـ أعني الكثرة ـ إلّا بوسائط وإضافات متغايرة، فأمّا باعتبار صرافتها وسذاجتها فلايتحقّق عنها بلاواسطة إلّا وحدة مثلها. فاستلزمت هذه القاعدة كون الأثر الصادر عن الكامل المطلق لايجتمع بكماله إلّا في واحد بواسطة استعداد خاصّ موجب لانطباع صورته فيه بسبب المقابلة الحقيقيّة، فلايتحقّق ذلك في جماعة؛ لأنّ المقابلة التامّة لاتحصل من جهة واحدة دفعة واحدة في اثنين، فوجب تحقّقه بالوحدة الحقيقيّة في تلك الكمالات.

[الكمالات المجتمعة في عليّ عليه السلام أعلى وأكمل من كلّ الصحابة]

ولمّا تتبّعنا آثار السلف ولاحظنا أحوالهم وانتسابهم إلى الكامل المطلق وجدنا شخصاً[1] أشدّهم له مقابلة وأعدلهم طريقة وأكثرهم استقامة وأقربهم إليه نسباً وأشدّهم به نوطاً[2]؛ لقلّة الوسائط، وذلك هو الموجب للاتّحاد الشبهيّ في المتقابلين. فالكمال المتحقّق في الوليّ المطلق يجب حصوله في الوليّ الخاصّ وذلك هو عليّ عليه السلام؛ فإنّه أقرب الخلق إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأشدّهم له اتّباعا وأقومهم لديه طريقة، فوجب أن يكون أفضل من صحبه وأجمعهم لكمالاته؛ لتمام العلّة

---

١. مر: ـ شخصاً.
٢. هامش حج: أي متعلّقاً.

الفاعلة والقابلة؛ لاستحالة اجتماع الكمال وتعدّده في أشخاص كثيرة كما سلف من القاعدة. وعلمنا ذلك بأنّا تتبّعنا الفضائل /١٩٧ أ/ والكمالات الداخلة والخارجة النفسانيّة والبدنيّة، فوجدناه عليه السلام قد احتواها بأجمعها واحتوى من كلّ نوع منها على أعلى أشخاصه وأنّها بحيث علمنا أنّ ما تفرّق فيهم منها مجتمعاً فيه، فوجدناه أعلى وأكمل في كلّ واحدة منها. وقد نبّه المصنّف على تعداد[1] بعض الفضائل التي اختصّ هو عليه السلام بها:

[الفضيلة الأولى: الجهاد في إظهار دعوة الإسلام وجهاد النفس]

أوّلها: الجهاد في إظهار دعوة الإسلام وفي إظهار كلمة الحقّ عند أهل الجدل وفي جهاد النفس باستجلابها لطاعة أحكام العقل واستخلاصها من مهاوي أحكام الطبيعة ومتعلّقات المادّة، وكلّ هذه المعاني بلغ عليّ عليه السلام فيها الغاية القصوى والنهاية العليا كما هو معروف من سيرته وأحواله المدوّنة في سير أهل الإسلام، لاينكره إلّا معاند يجعل الإنكار دأبه والخلاف سجيّته تكبّراً عن الحقّ وإباءً عن اتّباعه.

[الفضيلة الثانية: العلم]

وثانيها: العلم الذي هو أشرف الملكات النفسانيّة وأعظم الهيئات الإلهيّة، وقد بلغ عليه السلام فيه النهاية العليا والغاية التي لاوراءها، شهدت به عامّة أهل العلم واستشهد على ذلك بأحواله الظاهرة عنه الدالّة على ذلك:

---

١. حج: تعدّد.

[كثرة ملازمته للنبيّ ﷺ]

منها: كثرة ملازمته للكامل العالم الذي لاشبهة ولاارتياب في علمه وكماله مع حرصه على الأخذ عنه والاقتداء بسيرته وكونه من أهل الفهم وقوّة الذهن وشدّة الذكاء، والمعلّم الكامل المطلق شديد المحبّة له قويّ العناية به عظيم الحرص على إبلاغه مراتب الكمال، وهذه كلّها علل ناقصة باجتماعها تتمّ العلّة التامّة في حصول غايات العلم وأبلغ أحواله لوجوب وجود المعلول عند تمام العلّة.

[القضايا والأحكام المنتشرة عنه]

ومنها: القضايا والأحكام المنتشرة عنه التي بهرت العقول ولم يهتد إليه الأوّلون ولاعرفها المتأخّرون، بل اقتدى به فيها أهل الفضل واستسنّ بسنّة أهل السنن. وقد ذكر في الأصل مشاهيرها وبيان ذلك على الكمال مذكور في كتب السير وذكرنا طرفاً منه في كتابنا الموسوم بـ*معين المعين في أصول الدين*.

[انتساب جميع الفضلاء إليه عليه السلام]

ومنها: انتساب جميع الفضلاء وأهل الفنون من أهل العلم إليه من أهل الكلام والأصول والفقه والحديث والتفسير وغيرهم من الرؤساء وأهل الملل وأنّهم أخذوا عنه علومهم وجعلوا ذلك الانتساب شرفاً لهم وفخراً يفتخرون به على أضرابهم وثقة بما أخذوه عنه؛ لسلب الشبهة عنه والاعتراض عليه والمرية فيه:

تشبّه الخفرات الآنسات بها　　　فى حسنها فينلن الحسن بالخيل[١و٢]

---

١. مص: في مشيها ... بالحيل.

٢. منسوب إلى المتنبّي كما في: ديوان المتنبّي: ٣١٣؛ الموضح في شرح شعر أبي الطيّب: ←

ومن رام معرفة ذلك والاطّلاع عليه ليعرف على الحقيقة انتسابهم إليه ودعوى أخذهم عنه فعليه بكتب السير، يجد ذلك فيها ظاهراً.

[انتساب جميع فنون العلم إليه عليه السلام]

ومنها: أنّ جميع فنون العلم وأنواعه منسوب إليه وأنّه أوّل من تكلّم فيها والصدر في اختراعها واستنباطها وإثبات أصولها كعلم النحو واللغة والكلام ‎/١٩٧ ب/ والأصول والفقه والحديث والتفسير والعلوم الحكميّة العلميّة والعمليّة وتهذيب الأخلاق والرياضات وفنون البلاغة ومراتب المعارف وأحوال الحقيقة والطريقة وغوامض الشريعة وعلم الباطن حتّى علم الفتوّة وصنعة الإكسير وسائر العلوم وجميع أقسامها، يعرف ذلك من طالع كتب السير.

[إخباره عليه السلام عن نفسه بأنّه أعلم الخلق]

ومنها: أنّه عليه السلام أخبر عن نفسه بأنّه أعلم الخلق وادّعى ذلك لنفسه، وهو عليه السلام لايكذب ولايدّعي ما لايكون له. وقد وجد في كلامه المنقول عنه كثير من ذلك، مثل قوله عليه السلام: «واللّه ما من فئة تهدي فئة وتضلّ فئة إلّا أنا أعلم بناعقها وقائدها وسائقها إلى يوم القيامة»[1]. وقوله عليه السلام: «واللّه ما من آية نزِلت في ليل أو نهار أو

١١٨٧؛ شرح المشكل من شعر المتنبّي: ١٨٠؛ شرح الواحديّ لديوان المتنبّي: ٧١٤؛ معجز أحمد: ٩١٣

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٥١٧/٢٢، ٦٢/٢٦، ١٥٢، ٢٤١، ١٤٤/٤٠؛ تأويل الآيات: ٣٥٩؛ تفسير فرات: ٦٧؛ تفسير القمّيّ: ١٠٤/٢؛ الصراط المستقيم: ٢١٦/١؛ عوالي اللآلي: ١٢٩/٤؛ كتاب سليم بن قيس: ٩٤١

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٤/٧، ١٤/١٠

برّ أو بحر أو سهل أو جبل إلّا وأنا أعلم في مَن نزلت وفي أيّ شيء نزلت»[١].

وقال عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»[٢] ولم يجسر أحد أن يقول ذلك غيره.

---

١. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ١٨٦/١، ٢٥٨/٣٤؛ الطرائف: ٥١٧/٢؛ عوالي اللآلي: ١٢٨/٤؛ غرر الحكم: ١١٩؛ كتاب سليم بن قيس: ٧١٢

ومن طريق أهل السنّة: تفسير السمعانيّ: ٢٥٠/٥؛ ينابيع المودّة: ٣١٣/١؛ المواقف: ٦٢٧، ٦٣٦؛ شرح المواقف: ٣٧٠/٨

٢. **من طريق الشيعة:** وسائل الشيعة: ١٢٨/١٥؛ مستدرك الوسائل: ١٠١/١١، ٣٢٦/١٢، ٣٦٣/١٤؛ بحار الأنوار: ٢٢٤/٣، ١١٧/١٠، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ٤٦١/١٤، ١٧٩/٢٤، ٢٤٣، ٦٣/٢٦، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٩، ٢٥٧، ٦٤٧/٢٩، ٦٧٠/٣٠، ٣٦٦/٣٣، ١١٨/٣٤، ٢٩٧، ٤٠٠/٣٦، ١٠٨/٣٩، ٣٤٦، ٣٤٨، ١٣١/٤٠ وما بعد، ٣٢٧/٤١، ٣٥٤، ١٤٦/٤٢، ٢٥٦/٤٤، ٢٥٨، ١٣٤/٤٦، ٣٣/٤٧، ١٤١، ٥٧/٥١، ٢٧٢/٥٢، ٨١/٥٣، ١٦٣/٥٥، ٢٢٧/٦٦، ٨/٦٧، ٧٨/٨٩، ٦٥/٩٧، ٢٣٤؛ الاحتجاج: ٢٥٨/١، ٢٦١؛ الاختصاص: ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٧٩؛ الإرشاد: ٣٤/١، ٣٣٠؛ إرشاد القلوب: ٣٧٤/٢، ٣٧٦؛ إعلام الورى: ١٧٤؛ الأمالي للصدوق: ١٣٣، ٣٤١، ٣٤٣؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٨؛ بصائر الدرجات: ٢٦٦ وما بعد؛ تأويل الآيات: ٢٠٩، ٥٤٠؛ تفسير العيّاشيّ: ٢٨٢/٢؛ تفسير فرات: ٦٧؛ التوحيد: ٩٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧؛ الخرائج: ١١٣٣/٣؛ خصائص الأئمّة: ٦٢؛ روضة الواعظين: ٣٢/١، ١١٨؛ سعد السعود: ٢٠٩/٩٩؛ الصراط المستقيم: ٢١٦/١، ٢١٧، ٢٩٦؛ الصوارم المهرقة: ١٣٦؛ الطرائف: ٧٣/١، ٥٠٩/٢؛ العمدة: ١٥، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٩، ٣٣٦؛ الغارات: ٣/١؛ غرر الحكم: ١١٩؛ غيبة النعمانيّ: ٨٧؛ فرج المهموم: ٩٧؛ الفضائل: ٩٨، ١٣٧؛ القصص للجزائريّ: ٣٧١، ٤٥٦؛ كامل الزيارات: ٧٤؛ كتاب سليم بن قيس: ٨٠٢، ٩٤١؛ كشف الغمّة: ١٣٠/١، ١٦٢/٢؛ كشف اليقين: ٧٤، ٧٥؛ متشابة القرآن: ٩٣/١، ١٠٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٨/٢، ٣٩، ٢٦٩، ٣٨٦؛ نهج البلاغة: ٢٨٠؛ نهج الحقّ: ٢٤٠، ٢٤١، ٣٤٦؛ اليقين: ٤٨٩

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨٦/٢، ١٣٦/٦، ٤٦/٧، ٥٧، ١٤/١٠، ١٩٧/١٢، ٢٠١، ١٠١/١٣، ١٠٦، ١٠٧؛ المعيار والموازنة: ٨٢، ٢٩٨؛ دستور معالم الحكم: ١٠٤؛ كنز العمّال: ١٦٥/١٣، ٦١٢/١٤؛ دفع الارتياب: ١٦؛ تاريخ مدينة دمشق:

←

وقوله عليه السلام: «إنّ هاهنا لعلماً جمّاً، لو أصبت له [حَمَلة][١]»[٢] وأشار عليه السلام إلى نفسه الشريفة. وقوله عليه السلام: «سلوني عن طرق السماء؛ فإنّي أعرف بها من طرق الأرض»[٣]. وقوله: «لو كسرت لي الوسادة فجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينطق كلّ كتاب بأنّ عليّاً حكم بما أنزل اللّه فيّ»[٤]. وقوله عليه السلام: «علّمني رسول اللّه صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، فانفتح لي في كلّ باب ألف باب»[٥]. إلى غير ذلك من أقاويله ودعاويه.

٣٣٥/١٧، ٣٩٧/٤٢، ٤٠٠؛ تهذيب الكمال: ٧٩/٥؛ تذكرة الحفّاظ: ١٦٦/١؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٧/٦؛ تاريخ اليعقوبيّ: ١٩٣/٢؛ تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٨٩/٩، ٩٠

١. تش، مر، حج: جملة.

٢. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ٤٤/٢٣، ١٥٣/٤٠، ٢٢٤/٦٥؛ إرشاد القلوب: ٢١٢/٢؛ الأمالي للطوسيّ: ٢٠؛ الأمالي للمفيد: ٢٤٧؛ الخصال: ١٨٦/١؛ غرر الحكم: ١١٨؛ كمال الدين: ٢٨٩/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٨/٢؛ نهج البلاغة: ٤٩٥

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٢/١٢، ٣٤٦/١٨، ٣٥٠؛ دفع الارتياب: ١٨

٣. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ١٠٨/٣٩؛ الصراط المستقيم: ٢٢٥/١؛ الفضائل: ٩٨؛ كشف الغمّة: ١٣٠/١؛ كشف اليقين: ٥٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٨/٢؛ نهج الحقّ: ٣٤٠، ٣٤٦

ومن طريق أهل السنّة: تفسير ابن العربيّ: ٤٥/١، ٣٥٣/٢؛ تفسير روح البيان: ٩٢/١، ١٨١/١٠

٤. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ٢٨٧/٣٥؛ الألفين: ٣٤٥؛ بصائر الدرجات: ١٣٢؛ الطرائف: ٥١٧/٢، ٥١٨؛ العمدة: ٢٠٨؛ كشف الغمّة: ١٣٠/١؛ عوالي اللآلي: ١٢٨/٤

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣٦/٦، ٢٨٣/٢٠؛ شواهد التنزيل: ٣٦٧/١؛ المواقف: ٦٢٧/٣، ٦٣٦

٥. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ٢٩/٢٦، ١٢٨/٤٠، ١٣١، ١٥١، ٣٢٨/٤١، ٣٠٨/٤٦، ١٨٣/٦٩؛ الاختصاص: ٢٨٣؛ الأمان: ٦٨؛ إعلام الورى: ١٣٦؛ بصائر الدرجات: ٣٠٣؛ الخصال: ←

[إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله عن عليّ عليه السلام بأنّه أعلم الخلق]

ومنها: إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله عنه بذلك وذلك منقول عنه كثيراً[1]، منه قوله المشهور: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[2]، وفي حديث آخر: «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها»[3].

٦٤٧/٢؛ دلائل الإمامة: ١٠٥؛ الصراط المستقيم: ١٦٨/١، ٢٠٩/٣؛ الطرائف: ٥١٨/٢؛ عوالي اللآلي: ١٢٣/٤؛ الفصول المختارة: ١٠٦، ١٠٧؛ كشف الغمّة: ١٣٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٦/٢؛ نهج الحقّ: ٢٤٠

ومن طريق أهل السنّة: التفسير الكبير: ٢٣/٨؛ شرح المقاصد: ٣٠٠/٢؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٦٤/٥؛ غرائب القرآن: ١٤٤/٢

١. مر: كثيراً منه.

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٦٠١/٢٩، ١٨٨/٣٨، ٢١٠/٣٩، ٦٩/٤٠، ٨٧ ،٢٠٣ وما بعد؛ إعلام الورى: ١٥٩؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٥٨؛ تنزيه الأنبياء: ١٦١؛ صحيفة الرضا عليه السلام: ٥٨؛ الصراط المستقيم: ١٩/٢؛ العمدة: ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠١؛ الفصول المختارة: ٢٢٠؛ الفضائل: ٩٦؛ كشف الغمّة: ١١٣/١؛ كشف اليقين: ٥١؛ متشابه القرآن: ٣٣/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٤/٢

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ١٦٥/٩؛ شواهد التنزيل: ١٠٤/١؛ المستدرك على الصحيحين: ١٣٧/٣، ١٣٨؛ المعجم الكبير: ٦٥/١١؛ جامع الأصول: ٦٥٧/٨؛ كنز العمّال: ٦٠٠/١١، ١٤٨/١٣؛ معجم ابن المقرئ: ٨٤/١؛ البحر المديد: ٢٢٦/٥؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٦/٩؛ تفسير الراغب الأصفهانيّ: ٢٠٤/١؛ تفسير روح البيان: ٢٠٩/٥؛ مناقب الأسد الغالب: ٣١/١؛ المناقب لابن مغازليّ: ١٧ وما بعد، ١١٥ وما بعد.

٣. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٣٥/٢٥، ١١٠/٣٦، ٢٠١/٤٠، ٨٠/٦٦، ٥٧/٩٠؛ الأمالي للصدوق: ٥٢٥؛ الأمالي للطوسيّ: ٤٨٣؛ بشارة المصطفى: ٢٣، ٢٣٠؛ التحصين لابن الطاووس: ٦٢٧؛ روضة الواعظين: ١٠٢/١؛ عوالي اللآلي: ١٢٣/٤؛ كشف اليقين: ٥١

ومن طريق أهل السنّة: الشريعة للآجريّ: ٢٠٦٩/٤؛ من حديث خيثمة بن سليمان: ٢٠٠/١؛ فيض القدير: ٤٦/٣؛ تاريخ بغداد: ٢٠٣/١١؛ لسان الميزان: ٣٩٥/٥، ٤٦٩/٦؛ ميزان الاعتدال: ٤١/٣، ٤٤٤

وقوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم عليّ»[١]، ومعلوم أنّ القضاء يحتاج إلى سائر العلوم. وقوله وقد سأله سلمان الفارسيّ: مَن وصيّك مِن بعدك؟ فقال: يا سلمان! من كان وصيّ أخي موسى بن عمران؟ فقال: يوشع بن نون. فقال عليه السلام: ولمَ يا سلمان؟ فقال: لأنّه كان أعلمهم. فقال: وصيّي على أمّتي من بعدي أعلم أمّتي عليّ بن أبي طالب.[٢]

إلى غير ذلك من الأحاديث المنقولة في مواضعها.

[عليّ عليه السلام صاحب العلوم اللدنّيّة]

أقول: قد تقرّر عند أهل العلوم الحكميّة وأرباب السلوك من جميع فرق الإسلام أنّ عليّاً عليه السلام صاحب العلوم اللدنّيّة وأنّه مختصّ بها وأنّها موروثة عنه.

---

١. **من طريق الشيعة**: مستدرك الوسائل: ٢٤١/١٧؛ بحار الأنوار: ٦٨/٣٩، ٨٧/٤٠، ١٣٩/٤١، ١٣٦/٤٦، ٣٣٤/٤٧، ١٨٤/٦٩، ٢٦٣/١٠١؛ الاحتجاج: ٢٥٣/٢، ٣٩١؛ إرشاد القلوب: ٢١٣/٢؛ الإفصاح: ٢٣٣؛ الأمان: ٦٩؛ بناء المقالة: ٢٠١؛ دلائل الإمامة: ١٠٦؛ سعد السعود: ٢٠٩؛ الصراط المستقيم: ٨٢/١، ١٠٢، ١٤٤، ٢٣٠، ٩/٢، ١٠، ١٧؛ الصوارم المهرقة: ١٨١، ١٨٦؛ الطرائف: ٥١٦/٢، ٥١٨؛ العدد القويّة: ٢٤٨؛ الفضائل: ١٣٨؛ كشف الغمّة: ١١٦/١، ٢٦٣؛ كشف اليقين: ٤٥؛ المسائل العكبريّة: ٥٣؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٣/٢، ٢٥٥، ١١/٤؛ النكت الاعتقاديّة: ٤١؛ نهج الحقّ: ٢٣٦، ٣٤٦

ومن طريق أهل السنّة: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٢/١٥، ١٦٤؛ تثبيت الإمامة: ٢٧٦/١؛ التيسير بشرح الجامع الصغير: ٣٧٦/٢؛ شرح صحيح البخاري لابن بطّال: ٢٤٤/١٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١، ٢١٩/٧؛ طرح التثريب: ١٥٢/٨؛ عقود الزبرجد: ١٥٨؛ فتح الباري: ٥٩٠/١٠؛ فيض القدير: ٢١٩/١؛ تاريخ دمشق: ٣٠٠/٥١

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١/٣٨، ١٨؛ الأمالي للصدوق: ١٣؛ الصراط المستقيم: ٦٩/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٤٧/٣

ومن طريق أهل السنّة: كنز العمّال: ٦١٤/١١؛ كفاية الطالب: ٣٣٢

فاعلم حينئذٍ أنّ العلوم الحقيقيّة الحاصلة للأنبياء والأولياء كلّها لدنّيات، لكن بالنسبة إلى الأنبياء والرسل تسمّى وحياً وبالنسبة إلى الأولياء والأوصياء تسمّى إلهاماً، ويعبّر عن الأوّل بالتجلّي والفيض وعن الثاني بالكشف والذوق[١]؛ لأنّه إن حصل بغير واسطة الملَك يسمّى إلهاماً ولدنّياً وإن حصل بالواسطة يسمّى إرثيّاً ووهبيّاً، والوسائط إمّا عقل كلّيّ أو نفس كلّيّة. وباتّفاق المحقّقين إنّ الوحي عن أمّ الكتاب المعبّر عنه بالعقل الأوّل والقلم الأعلى، والإلهام من الكتاب المبين المعبّر عنه بالنفس الكلّيّة واللوح المحفوظ.

[كلام القيصريّ في العلم اللدنّيّ]

وقال بعض أهل التحقيق:

إنّ العوالم كلّها صحف إلهيّة وكتب ربّانيّة؛ /١٩٨ أ/ لأنّها محيط بالكلمات التامّات والآيات المباركات، فالعقل الأوّل والنفس الكلّيّة كتابان إلهيّان موسومان بأمّ الكتاب والكتاب[٢] المحفوظ.

وقد يقال للعقل الأوّل أمّ الكتاب؛ لإحاطته بالأشياء إجمالاً، وللنفس الكلّيّة الكتاب المبين؛ لظهورها فيها تفصيلاً، وكتاب المحو والإثبات فهو حضرة النفس المنطبعة في الجسم الكلّيّ من حيث تعلّقها بالحوادث الزمانيّة وهو تابع للكتابين في جميع الصور.

والإنسان الصغير نسخة جامعة للإنسان الكبير فهو أيضاً جامع لهذه الكتب؛ فإنّه من حيث الروح المجرّد أمّ الكتاب، ومن حيث القلب الكتاب

---

١. هامش مر: الذوق هو أوّل درجات وجود الحقّ بالحقّ في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلّي والترقّي، فإذا ازداد وبلغ أوسط مقام الشهود سمّي شرباً، فإذا بلغ النهاية سمّي ريّاً، وذلك بحسب صفاء السير عن لحوظ الغير.

٢. حج (خ ل): اللوح.

المبين، ومن حيث النفس الحيوانيّة كتاب المحو والإثبات، ومن حيث الكلّ كتاب الكلّ.

فكلّ من يحصل له الاطّلاع على أمّ الكتاب والعقل الأوّل وما فيهما من العلوم يكون رسولاً ونبيّاً، وكلّ من يحصل له الاطّلاع على الكتاب المبين والنفس الكلّيّة وما فيهما من العلوم يكون وليّاً أو وصيّاً، والاطّلاع على هذين الكتابين حقّ الاطّلاع وظيفة خاتم الأنبياء أو خاتم الأولياء؛ لقول الأوّل: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[١] ولقول الثاني: «كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين»[٢]، ووظيفة غيرهما بقدر الاستحقاق والاستعداد.[٣]

[كلام ابن العربيّ في العلم اللدنّيّ]

وإلى هذا أشار الشيخ في الفصّ الشيثيّ فقال:

وليس هذا العلم إلّا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، ولايراه أحد من الأنبياء والرسل إلّا من مشكاة الرسول الختم ولايراه أحد من الأولياء إلّا من مشكاة الوليّ الختم[٤]، حتّى أنّ الرسل لايرونه ـ متى رأوه ـ إلّا من مشكاة خاتم الأولياء؛ فإنّ الرسالة والنبوّة تنقطعان والولاية لاتنقطع أبداً. فالمرسلون من

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٤٠٢/١٦، ٢٧٨/١٨، ٢٧/٦٥، ١٥٤/٩٨؛ الأنوار: ٢؛ عوالي اللآلي: ١٢١/٤؛ مفتاح الفلاح: ٤١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢١٤/١

ومن طريق أهل السنّة: البدء والتاريخ: ٢٦/٥؛ فتوح الشام: ٧٤/٢؛ البحر المحيط: ٧٠٤/٤، ١٠٥/٦؛ البحر المديد: ٥٢٨/٢؛ الدرّ المنثور: ٥٦٩/٦؛ الكشّاف: ٣٧٢/٢؛ اللباب في علوم الكتاب: ٣٠٢/٤؛ تفسير البحر المحيط: ٢٦٣/٤، ٢٢٢/٥؛ أنوار التنزيل: ١٣٤/٣؛ التفسير الكبير: ٥٢٥/٦، ٣١١/٣٢؛ بحر العلوم: ٥٢٨/١؛ مدارك التنزيل: ٥٨/٢؛ غرائب القرآن: ٦/٢، ٢١/٤؛ كنز العمّال: ٤٠٩/١١؛ التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢٢٤/٢؛ تحفة الأحوذيّ: ٥٦/١٠؛ شرح سنن أبي داوود: ٣٦٠/٣؛ فيض القدير: ٣٥/٥؛ الطبقات الكبرى: ١٨٢/١

٢. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ١٢٤/٤

٣. شرح فصوص الحكم للقيصريّ: ٩٠

٤. حج (خ ل): الخاتم.

حيث كونهم أولياء لايرون ما ذكرناه إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل.

وذلك لايقدح في مقامه ولايناقض ما ذهبنا إليه؛ فإنّه من وجه يكون أنزل كما أنّه من وجه يكون أعلى. فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ ما منهم أحد يأخذ إلّا من مشكاة خاتم النبيّين وإن تأخّر وجود طينته؛ فإنّه بحقيقته موجود؛ لقوله: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[1] وغيره من الأنبياء ما كان نبيّاً إلّا حين بعث. وكذلك خاتم الأولياء كان وليّاً وآدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان وليّاً إلّا بعد تحصيل شرائط الولاية من الأخلاق الإلهيّة والاتّصاف بها من كون اللّه تعالى يسمّى بالوليّ الحميد. فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية نسبة الأنبياء معه؛ فإنّه الوليّ الرسول النبيّ وخاتم الأولياء الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمّد صلى الله عليه وآله.[2]

[خاتم الأولياء عليّ بن أبي طالب عليه السلام]

وكلّ ذلك دليل على أنّ خاتم الأولياء عليّ بن أبي طالب؛ لأنّه هو الحسنة من

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٤٠٢/١٦، ٢٧٨/١٨، ٢٧/٦٥، ١٥٤/٩٨؛ الأنوار: ٢؛ عوالي اللآلي: ١٢١/٤؛ مفتاح الفلاح: ٤١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢١٤/١

ومن طريق أهل السنّة: البدء والتاريخ: ٢٦/٥؛ فتوح الشام: ٧٤/٢؛ البحر المحيط: ٧٠٤/٤، ١٠٥/٦؛ البحر المديد: ٥٢٨/٢؛ الدرّ المنثور: ٥٦٩/٦؛ الكشّاف: ٣٧٢/٢؛ اللباب في علوم الكتاب: ٣٠٢/٤؛ تفسير البحر المحيط: ٢٦٣/٤، ٢٢٢/٥؛ أنوار التنزيل: ١٣٤/٣؛ التفسير الكبير: ٥٢٥/٦، ٣١١/٣٢؛ بحر العلوم: ٥٢٨/١؛ مدارك التنزيل: ٥٨/٢؛ غرائب القرآن: ٦/٢، ٢١/٤؛ كنز العمّال: ٤٠٩/١١؛ التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢٢٤/٢؛ تحفة الأحوذي: ٥٦/١٠؛ شرح سنن أبي داوود: ٣٦٠/٣؛ فيض القدير: ٣٥/٥؛ الطبقات الكبرى: ١٨٢/١

٢. فصوص الحكم: ٦٢

حسنات سيّد المرسلين، وقد قال اللّه فيه: ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[١]؛ /١٩٨ ب/ فإنّها باتّفاق أكثر المفسّرين نزلت فيه، وذلك يشهد بأنّ له اطّلاعاً على الكتاب المبين واللوح المحفوظ المستنسخ من أمّ الكتاب؛ لأنّه مفصّل إجماله؛ لأنّ القرآن لم يكن في ذلك الوقت كتاباً معيّناً حتّى تكون الإشارة إليه؛ لأنّه نزل في ثلاث وعشرين سنة نجوماً على التدريج، فلايكون المراد إلّا اللوح المحفوظ. وكلّ من كان مطّلعاً على الكتاب المبين واللوح المحفوظ لايخفى عليه شيء من العلوم الإلهيّة الغيبيّة المتعلّقة بالأكوان وذلك لايتمّ بدون الاطّلاع على حقائق الذات والصفات والأسماء والأفعال على ما ينبغي؛ لأنّ الأوّل بدون الثاني محال.

فثبت بهذا أنّه خاتم الأولياء وأنّ له الاطّلاع على ما في الكتابين، وكيف لا؟ وقد قال رسول اللّه ﷺ: «كنت أنا وعليّ بين يدي اللّه من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل اللّه ينقله من صلب إلى صلب حتّى أقرّه صلب عبد المطّلب، ثمّ أخرجه من صلب عبد المطّلب وأنزل نصفه صلب عبد اللّه ونصفه صلب أبي طالب، فعليّ منّي وأنا منه، لحمه لحمي ودمه دمي، فمن أحبّه فيحبّني أحبّه، ومن أبغضه فيبغضني أبغضه»[٢]. والمراد منه أنّ نوره ونوره إذا كان واحداً فكما كان النبيّ خاتم الأنبياء يجب أن يكون هو خاتم الأولياء.

---

١. الرعد/٤٣

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٠/٢٥، ٢٣/٣٥؛ إرشاد القلوب: ٢١٠/٢؛ الخصال: ٦٤٠/٢؛ كشف الغمّة: ٢٩٦/١؛ كشف اليقين: ١١؛ نهج الحقّ: ٢١٢

ومن طريق أهل السنّة: سمط النجوم العوالي: ٦٧/٣؛ فضائل الصحابة: ٦٦٢/٢؛ تاريخ دمشق: ٦٧/٤٢

وروى أخطب خوارزم عن عبد اللّه بن مسعود أنّه قال: قال رسول اللّهﷺ: لمّا خلق اللّه تعالى آدم ونفخ فيه من روحه عطس، فقال: الحمد للّه. فقال تعالى: حمدني عبدي، وعزّتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك. فقال آدم: إلهي! فيكونان منّي؟ فقال: نعم يا آدم! ارفع رأسك وانظر. فرفع رأسه، فإذَن مكتوب على العرش: لاإله إلّا اللّه، محمّد نبيّ الرحمة، وعليّ مقيم الحجّة، من عرف حقّ عليّ زكى وطاب ومن أنكر حقّه لعن وخاب. أقسمت بعزّتي وجلالي أن أدخل الجنّة من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزّتي وجلالي أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعني.[١ و٢]

[تحقيق معنى «باب مدينة العلم»]

فلينظر العاقل إلى هذه المرتبة وينصف من نفسه ولايعطيها لغيره؛ فإنّ

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣٣٨/٩، ٢٣/١٥، ١٠/٢٧، ١٣٠/٦٥؛ الاختصاص: ٤٤؛ الأنوار: ١٥؛ بشارة المصطفى: ٦٨؛ كشف اليقين: ٧؛ الفضائل: ١٥٢؛ مئة منقبة: ٨٢؛ نهج الحقّ: ٢٣٢
ومن طريق أهل السنّة: المناقب للخوارزمي: ٣١٨

٢. يحتمل أن يكون معناه أنّ من أطاعه ـ وإن زعم أنّ في طاعته معصية اللّه ـ أدخله الجنّة؛ إذ طاعته طاعة اللّه ولاعصيان. وكذا يدخل النار من عصاه ـ وإن زعم أنّ عصيانه طاعة اللّه ـ فإنّ عصيانه عصيان اللّه تعالى.

أو المراد بعصيانه في عدم قبول إمامته وولايته، فعصاه في ذلك، فيدخله اللّه النار وإن أطاع اللّه في غير ذلك مثل الصلاة والصوم؛ فإنّ ذلك كلّها لايصحّ بدون ولايته ومع معصيته. ويدخل الجنّة من أطاعه في إمامته وقبول ولايته والإيمان به وإن عصى اللّه في غيره؛ فإنّ المؤمن به يدخله وإن فعل بعض المعاصي، وعليه يمكن حمل قولهﷺ: «حبّ عليّ حسنة لاتضرّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة لاتنفع معها حسنة» [عوالي اللآلي: ٨٦/٤؛ نهج الحقّ: ٢٥٩]. (الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ٣١٥).

الخاتميّة للولاية المطلقة خصّصت به دون غيره؛ لأنّ نور الولاية قطّ لاينفكّ عن نور النبوّة وهما مخصوصتان بخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء، والكلّ من الأنبياء والأولياء يأخذون منهم، فنور النبوّة ونور الولاية لايفترقان أبداً، كما ورد في كتاب *المناقب* مرفوعاً إلى سلمان الفارسيّ قال: قال رسول اللّهﷺ: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي اللّه»[١] الحديث مثله، فيكون جامعاً لجميع العلوم الإلهيّة. وقولهﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليقصد الباب»[٢] أعظم

---

١. **من طريق الشيعة**: المسترشد: ٦٣٠، ٦٣١؛ فضائل أمير المؤمنين: ٥٣؛ الخصال: ٦٤٠/٢؛ الخرائج والجرائح: ٨٣٨/٢؛ الروضة في فضائل أمير المؤمنين: ٨١؛ العمدة: ٨٨، ٨٩، ٢٠٩، ٣٣٧؛ الطرائف: ١٥/١؛ كشف الغمّة: ٢٩٦/١؛ كشف اليقين: ١١؛ مختصر البصائر: ٣١٨؛ إرشاد القلوب: ٢١٠/٢؛ الصراط المستقيم: ٢٤٧/١؛ بحار الأنوار: ٣٩٨/١٨، ٦٩/٣٢، ٢٤/٣٥، ٢٨، ٣٣، ١٤٧/٣٨، ١٨/٤٠، ٧٧، ٨٣

ومن طريق أهل السنّة: المناقب للخوارزميّ: ٣١٨؛ تاريخ دمشق: ٦٧/٤٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧١/٩

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٦٠١/٢٩، ١٨٨/٣٨، ٢١٠/٣٩، ٦٩/٤٠، ٨٧، ٢٠٣ وما بعد؛ إعلام الورى: ١٥٩؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٥٨؛ تنزيه الأنبياء: ١٦١؛ صحيفة الرضاعليه السلام: ٥٨؛ الصراط المستقيم: ١٩/٢؛ العمدة: ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠١؛ الفصول المختارة: ٢٢٠؛ الفضائل: ٩٦؛ كشف الغمّة: ١١٣/١؛ كشف اليقين: ٥١؛ متشابه القرآن: ٣٣/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٤/٢

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ١٦٥/٩؛ شواهد التنزيل: ١٠٤/١؛ المستدرك على الصحيحين: ١٣٧/٣، ١٣٨؛ المعجم الكبير: ٦٥/١١؛ جامع الأصول: ٦٥٧/٨؛ كنز العمّال: ٦٠٠/١١، ١٤٨/١٣؛ معجم ابن المقرئ: ٨٤/١؛ البحر المديد: ٢٢٦/٥؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٦/٩؛ تفسير الراغب الأصفهانيّ: ٢٠٤/١؛ تفسير روح البيان: ٢٠٩/٥؛ مناقب الأسد الغالب: ٣١/١؛ المناقب لابن مغازليّ: ١٧ وما بعد، ١١٥ وما بعد.

في هذا الباب؛ فإنّه ما قال هذا إلّا بعد ما قال: «علمت علوم الأوّلين والآخرين»[١]، وقوله: «أوتيت جوامع الكلم[٢]»[٣]، وقال اللّه تعالى في حقّه: ﴿**وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُـنْ تَعْلَمُ**﴾[٤]، فلو لم يعلمﷺ أنّ عليّاًعليه السلام في هذه المرتبة من العلم لم يكن يجعله باباً لتلك المدينة؛ /١٩٩ أ/ لأنّ الباب عبارة عن شيء لايمكن الدخول في تلك المدينة إلّا منه وبإذنه وبإشارته، ومعلوم أنّ الدخول في مدينة النبوّة بغير باب الولاية غير ممكن؛ لأنّ الولاية متقدّمة على النبوّة كما أنّ النبوّة متقدّمة على الرسالة، وهو دليل على ختم الولاية النبويّة بالوراثة دون الأصالة، كما أنّ

---

١. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ١٢٠/٤

٢. حج: العلم.

٣. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٧٤/٧٠، ٢٧٦/٨٠؛ إرشاد القلوب: ١٢/١؛ عوالي اللآلي: ١٢٠/٤؛ الذريعة إلى حافظ الشريعة: ٣٨٩/١؛ مرآة العقول: ١٤٨/١٠؛ الفائق في غريب الحديث: ٩/١؛ النهاية في غريب الحديث: ٢٩٥/١؛ شرح أصول الكافي لصدر المتألّهين: ٤٥٣/٢، ٤٦٠، ٦٠٨، ٦٢٨، ٤٣٦/٣، ١٣٨/٤، ٣٦٨، ٤٤٦

ومن طريق أهل السنّة: البداية والنهاية: ٢٢٨/١؛ تاريخ ابن خلدون: ٧٥٤/١، ٧٧٦؛ أضواء البيان: ٥٧٣/٨؛ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٥/١٢؛ الدرّ المنثور: ٤٩٧/٤؛ السراج المنير: ١٦٦/١؛ الفواتح الإلهيّة: ٢٣١/١؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣٦٧/٤؛ الجواهر الحسان: ١٠٦/٣؛ التفسير الكبير: ٥٢٤/٤؛ تفسير الراغب الأصفهانيّ: ٥١٦/١؛ بحر العلوم: ٥٧٦/١؛ تفسير الشيخ المراغيّ: ٦/٣؛ نظم الدرر: ١٦١/٢؛ المقصد العليّ: ٥٨/١، ٦٠؛ حديث السراج: ٧٤/٢؛ شرح السنّة: ١٩٨/١٣، ٢٨٠؛ شعب الإيمان: ٥٠٨/٢، ٣٧/٣؛ كنز العمّال: ٣٧١/١، ٤٤٠/١١؛ الأحاديث المختارة: ٢١٦/١؛ مسند أحمد: ٣٦٦/١٢، ٤٤٠/١٥؛ مسند البزّار: ٢٣٦/١٥؛ مسند السراج: ١٧٥/١؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣١٨/٦؛ البيان والتعريف: ٢٨٥/١، ٣٠٢/٢؛ فتح الباري: ٥٢٥/١٣؛ مشارق الأنوار: ١٥٣؛ الضعفاء للعقيليّ: ٢١/٢؛ لسان الميزان: ٣٧٩/٣

٤. النساء/١١٣

النبيّ صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء بالأصالة دون الأنبياء الذين هم تابعيه بالوراثة. فافهم ولايتوهّم من هذا ترجيح الوليّ على النبيّ؛ لأنّ الوليّ تابع للنبيّ والتابع من حيث هو تابع لايكون أرجح من المتبوع، ولهذا قال عليّ عليه السلام: «ختم النبيّ صلى الله عليه وآله مئة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، وختمت أنا مئة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ»[1]، والوصيّ والوليّ مترادفان لكن لايتعاكسان؛ لأنّ كلّ وصيّ وليّ وليس كلّ وليّ وصيّاً.

وكلّ من يدخل في هذه المدينة بغير إذن صاحب الباب لايكون إلّا لصّاً خارجيّاً يستحقّ التأديب عقلاً وشرعاً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾[2]. وقال صلى الله عليه وآله: «سلمان منّا أهل البيت»[3]؛ لأنّه دخل من الباب لاغير.

---

١. من طريق الشيعة: بحار الأنوار: ٣٤٢/٣٩، ٨٥/٨٩؛ بصائر الدرجات: ١٢١؛ تفسير فرات: ٢٤٥

٢. البقرة/١٨٩

٣. من طريق الشيعة: بحار الأنوار: ١٢١/١٠، ١٤٨/١١، ٣١٣، ١٦٩/١٧، ١٩/١٨، ١٨٩/٢٠، ١٩٨، ٣٢٦/٢٢، ٣٢٩، ٣٧٣، ٣٨٥، ٢٢٣/٣٠، ٣٣١/٣٧، ٢١٩/٦٠، ٢٨/٦٥، ٥٥، ٢٩٥، ٢٨٧/٧٠، ٤٤١/٧٢؛ الاحتجاج: ٢٥٩/١؛ الاختصاص: ٣٤١؛ تفسير الإمام العسكريّ: ١٢٠؛ تفسير فرات: ١٧٠؛ دلائل الإمامة: ٤٨؛ رجال الكشّيّ: ١٤، ١٨؛ الصراط المستقيم: ٨٣/٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٤/٢؛ القصص للجزائريّ: ٧٤؛ كشف الغمّة: ٩٦/١، ٣٨٩؛ متشابه القرآن: ٢١٧/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٨٥/١؛ اليقين: ٤٧٧

ومن طريق أهل السنّة: البدء والتاريخ: ٢٤/٥؛ البداية والنهاية: ٢٢٧/٢، ١١٤/٤، ٣٣٨/٥؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٢٥/٥، ٤١٧/١٩؛ تلقيح فهوم أهل الأثر: ٩٨/١؛ خلاصة الوفا: ٦٠٨/٢، شذرات الذهب: ٢٠٩/١؛ فتوح الشام: ١٩٠/٢؛ مرآة الجنان: ٨٣/١؛ أضواء البيان: ٤٧/٣؛ التحرير والتنوير: ١٦/٢٢؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/١٤؛ الكشف والبيان: ٤٠/٣؛ لباب التأويل: ٤١١/٣؛ جامع البيان: ٢٣٣/٢٠؛ في ظلال القرآن: ٣٨٢٧/٦؛ ملاك التأويل: ←

وروى أخطب خوارزم عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّهﷺ: يا عبد اللّه! أتاني ملَك فقال: يا محمّد! سَل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قال فقلت: يا ربّ! على ما بعثوا؟ فقال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب[١].

وجاء في حديث آخر مخاطباً لآدم: إنّي ما خلقتك ولاالعالم إلّا لأجلهما وأجل ذرّيّتهما.[٢]

[تحقيق معنى «كشف الغطاء»]

وقالعليه السلام في حقّ نفسه: «لو كشف الغطاء ما أزددت يقيناً»[٣]. وتقديره: لو

٩٣/١؛ نظم الدرر: ٣٥٠/١٣؛ المستدرك على الصحيحين: ٦٩١/٣؛ المعجم الكبير: ٢١٢/٦؛ جامع الأصول: ٤٤٤/١٢؛ البيان والتعريف: ٧٠/٢؛ التيسير بشرح الجامع الصغير: ٣٩٨/٢؛ سبل السلام: ٧٧/١؛ طرح التثريب: ٥٥/١؛ عمدة القارئ: ١٦٧/٢٠؛ فيض القدير: ١٠٦/٤، ٦٢/٦؛ الطبقات الكبرى: ٨٣/٤، ٣١٩/٧؛ تاريخ دمشق: ٢٧٠/٤، ٤٠٨/٢١؛ سير أعلام النبلاء: ٤٩٤/١

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٤٧/١٥، ٢٩٧/١٨، ٣٠١/٢٦، ٣٠٦، ٣١٨، ١٥٥/٣٦، ٤٤/٣٨؛ إرشاد القلوب: ٢١٠/٢؛ العدد القويّة: ٨٧؛ كشف الغمّة: ٣١٢/١؛ كشف اليقين: ٦؛ كنز الفوائد: ١٣٩/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٨٨/١

ومن طريق أهل السنّة: الكشف والبيان: ٣٣٨/٨؛ غرائب القرآن: ٩٣/٦؛ تاريخ دمشق: ٢٤١/٤٢

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣٣٨/٩، ٢٣/١٥، ١٠/٢٧، ١٣٠/٦٥؛ الاختصاص: ٤٤؛ الأنوار: ١٥؛ بشارة المصطفى: ٦٨؛ شواهد التنزيل: ٢٢٢/٢، ٢٢٤؛ كشف اليقين: ٧؛ الفضائل: ١٥٢؛ مئة منقبة: ٨٢؛ نهج الحقّ: ٢٣٢

ومن طريق أهل السنّة: المناقب للخوارزميّ: ٣١٨

٣. **من طريق الشيعة**: مرويّ عن أمير المؤمنين في بحار الأنوار: ١٥٣/٤٠، ١٣٤/٤٦، ٣٢١/٦٤، ٢٠٩/٦٦، ١٤٠/٦٧، ٣٠٤/٨٤؛ إرشاد القلوب: ١٢٤/١، ٢١٢/٢؛ الألفين: ١١٥؛ الصراط المستقيم: ٢٣٠/١؛ الطرائف: ٥١٢/٢؛ غرر الحكم: ١١٩؛ الفضائل: ١٣٧؛ كشف الغمّة:

ارتفع هذا الغطاء الواقع في الوجود الحاجب في نفس الأمر بالنسبة إلى الخلق لايزيد في يقيني ذرّة؛ لأنّي في المشاهدة العينيّة الغير القابلة للزيادة والنقصان؛ لأنّ عين اليقين وحقّ اليقين لايقبلان الزيادة. فمعناه: لاغطاء بيني وبين ربّي من حيث الكشف والعرفان والمشاهدة والعيان، وإن كان واقعاً من حيث الوجود؛ لأنّ ارتفاعه من حيث الوجود والأعيان مستحيل، وكيف؟ وليس الحجاب والغطاء إلّا أسماءه وصفاته وأفعاله ولاوجود لها إلّا في الاعتبار والإضافات، فلاحجاب أصلاً وفي الوهم أنّ هنا حجاباً.

أو يكون تقديره: لو كشف الغطاء الواقع على وجه المعلومات لايزيد في يقيني ذرّة؛ لأنّي شاهدتها على ما هي عليه، بحكم «من عرف اللّه عرف الأشياء كلّها ومن جهل اللّه جهل الأشياء كلّها»، ولأنّي شاهدتها إجمالاً وتفصيلاً بمقتضى اطّلاعي على أمّ الكتاب واللوح المحفوظ الثابت فيهما كلّ ما يجري في الوجود من الأزل إلى الأبد، ولهذا قال عليه السلام: «لو شئت أن أخبر[1] كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكنّي أخاف أن تكفروا فيّ برسول اللّه صلى الله عليه وآله»[2].

١٧٠/١، ٢٨٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٨/٢

ومن طريق أهل السنّة: البحر المديد: ٢٥٧/٧؛ تفسير المنار: ١٩٨/٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٣/٧، ١٤٢/١٠، ١٧٩/١١، ٢٠٢، ٨/١٢؛ نظم الدرر: ١٣٦/٢، ٧٣/٤؛ حاشية السنديّ على سنن النسائيّ: ٩٦/٨؛ طبقات الشافعيّة الكبرى: ٦١/٦؛ وفيات الأعيان: ٣٤٤/٧

١. حج (خ ل): لأخبر.

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٢٧/٣٤، ١٩٠/٤٠، ١٩١؛ عوالي اللآلي: ١٢٧/٤؛ غرر الحكم: ١١٩؛ نهج البلاغة: ٢٥٠

←

[كيفيّة علم النبيّ والوليّ]

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الوجود دائر على ظاهر وباطن، فعبّر عنهما بـالأوّل والآخر. والأوّل النزول من الحضرة الأحديّة إلى الحضرة الكثريّة الخلقيّة، والآخر هو العروج تدريجاً إلى ما نزل منه، ويسمّى هذا الوجود وهمـا بمقتضـى اسـمَي /١٩٩ ب/ الظاهر والباطن في الإنسان الكبير والصغير وجوداً وإيجاداً، وفي العقل والنفس علماً وكمالاً، وفي الـروح والقلـب كشـفاً وحـالاً، ولـيس فـي الخـارج غيرهما. فالعقل حقيقة النبيّ المطلق خاتم الأنبياء والرسل، والنفس الكلّيّة حقيقـة الوليّ خاتم الأولياء والأوصياء، ويشهد لهما الحديثان المذكوران[1] عنهما، ومعنـاه أنّهما قالا: كنّا نبيّاً ووليّاً بالفعل دون القوّة كأنبياء أخر وأولياء أخـر؛ لأنّـا لـو كنّـا بالقوّة نبيّاً ووليّاً ما قلنا هذا القول على سبيل الافتخار والشرف على غيرنا.

وتحقيقه أنّ النبيّ المطلق كان ينبّئ ويخبر العقول والنفوس والروحانيّات كلّها من الملائكة وغيرهم ممّا يجب عليه أن ينبّئهم من معرفـة اللّـه ومعرفـة صـفاته وأسـمائه وأفعالـه ومعرفـة الموجـودات والمخلوقـات علـى قـدر قابليّـاتهم واستعداداتهم كما هو المعلوم من قصّة آدم، بـل وروح آدم كـان يسـتفيض منـه العلوم والمعارف، وما منهم إلّا وقـد كـان داعيـاً بـه قومـه بـالحقّ عـن تبعيّتـه؛ لقوله ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة»[2]. وكذلك الوليّ المطلق الـذي

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/١٠

١. حج (خ ل): المشهوران.

٢. **من طريق الشيعة:** بحار الأنـوار: ٤٠٢/١٦، ٢١٣/٣٩؛ الخـرائج: ٨٧٦/٢؛ الصـراط المسـتقيم: ٢٥١/١؛ عوالي اللآلي: ١٢١/٤؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢١٤/١

ومن طريق أهل السنّة: الفواتح الإلهيّة: ٣٠٣/١؛ اللباب في علوم الكتاب: ٢٩٩/٤، ٣٠٢؛ التفسير ←

هو خاتم الأولياء كان يفيض على أرواحهم وأنفسهم ما شاء اللّه من العلوم والمعارف والحكم والحقائق؛ لأنّ نسبة الوليّ الخاتم إلى النبيّ الخاتم كنسبة النفس الكلّيّة إلى العقل الكلّيّ؛ فإنّ النفس من العقل استفادت كلّ ما استفادت، والإفادة والاستفادة بأمر اللّه وإشارته.

ومثالهما في عالم الحسّ الشمس والقمر واستفاضة القمر من الشمس وإفاضة الشمس له النور وكذلك جميع النجوم والكواكب التي استفاضوا من الشمس الأنوار بالقابليّة أوّلاً، والكواكب كالخلائق من تلك الصورة الذين يستفيضون من النبيّ والوليّ صورةً ومعنىً. ومن هذا قال النبيّ ﷺ: «أنا كالشمس وعليّ كالقمر وأصحابي كالنجوم»[١]، ومنه سمّوا أصحابنا الولاية بالشمسيّة والقمريّة نظراً إلى الولاية الذاتيّة والولاية العارضة الكسبيّة كنور الشمس ونور القمر؛ فإنّ نور الشمس ذاتيّ والقمر[٢] عارضيّ وكذلك النجوم[٣].

[رجوع جميع الأنبياء والأولياء إلى خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء]

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ المراد بخاتم الأنبياء أنّه الذي يكون رجوع جميع الأنبياء والرسل إليه كما كان إلى محمّد ﷺ؛ فإنّه كان في عالم الأرواح مرجع جميع الأرواح النبويّة المرسلين وغير المرسلين، وكذلك في عالم الأجسام وإن

الكبير: ٥٢٣/٦، ٥٢٥؛ غرائب القرآن: ٤٠٧/١، ٦/٢، ٣٨٨/٤؛ مسند البزّار: ٧١/١٣؛ تحفة الأحوذيّ: ٤٦٥/٨؛ حاشية السنديّ على سنن ابن ماجة: ٥٨٢/٢

١. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ٨٦/٤

٢. حج (خ ل): الشمسيّ ذاتيّ والقمريّ.

٣. مر، حج: للنجوم.

كان بعد الكلّ صورةً؛ لقوله: «أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً»[١]. وكذلك خاتم الأولياء هو الذي رجوع جميع الأولياء والأوصياء إليه ظاهراً وباطناً كما كان إلى عليّ؛ فإنّ كلّ من في ذلك العالم من جميع النفوس والأرواح ـ وليّاً كان أو وصيّاً ـ رجوعه إليه، وكذلك في عالم الأجسام وإن كان بعد الكلّ؛ فإنّ نور الولاية لاينفكّ عن نور النبوّة، وكذلك الوليّ عن النبيّ، كنور النفس عن نور العقل؛ فإنّ تصرّفهما في العوالم كتصرّفهما في النفوس كلّها؛ فإنّ النفس والعقل خليفتان للّه في العوالم والخلق، والنبيّ صلى الله عليه وآله والوليّ خليفتان للّه في النفوس والأرواح، ولولا أنّ نور النبوّة ونور الولاية متّحدان مجتمعان أزلاً وأبداً ما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «خلق اللّه روحي وروح عليّ بن أبي طالب من شيء واحد»[٢]، و«نوري ونوره واحد»[٣]، و«إنّه منّي وأنا منه»[٤]،

---

١. **من طريق الشيعة**: نفس المصدر: ١٢٢/٤

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣/٢٥؛ تأويل الآيات: ٧٤٩. روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أنا وعليّ من نور واحد» (بحار الأنوار: ٤٨٠/٣٣، ٣٤/٣٥، ١٥٠/٣٨، ٨٥/٣٩؛ الأمالي للصدوق: ٢٣٦؛ بشارة المصطفى: ١٩٠، ٢٣٥؛ الخصال: ٣١/١؛ روضة الواعظين: ١٢٩/١؛ العمدة: ٩١؛ عوالي اللآلي: ١٢٤/٤؛ الفضائل: ٩٦؛ معاني الأخبار: ٥٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٧/١، ٢٦٩/٣).

٣. ليس في المصادر بهذا اللفظ ولكن يقرب ما مضى.

٤. **من طريق الشيعة**: الكافي: ١١٠/٨؛ بحار الأنوار: ٦٩/٢٠، ٧٠، ٩٥، ١٠٧، ١٤٤، ٤٢٦/٣٠، ٣١٨/٣١، ٣٧٢، ٣٢٥/٣٨، ٨٧/٤٠، ٨٣/٤١، ٦٥/٤٢؛ الاحتجاج: ٦٥/١؛ إرشاد القلوب: ٢٦٠/٢؛ إعلام الورى: ٨١؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٤٧؛ بشارة المصطفى: ١٨٦؛ الخصال: ٥٥٦/٢؛ دعائم الإسلام: ٣٧٤/١؛ الصراط المستقيم: ٢٥٣/١، ٨/٢، ٥٨؛ الطرائف: ٦٥/١؛ علل الشرائع: ٧/١؛ العمدة: ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤، ١٢٤؛ القصص للراونديّ: ٣٤١؛ كشف اليقين: ٤٢١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٢٤/٣؛ نهج الحقّ: ٣٩١؛ اليقين: ٣٥٧

ومن طريق أهل السنّة: إطراف المسند المعتلي: ٢٢٨/٢؛ الآحاد والمثاني: ٣٦/٣، ١٤١/٤؛ السنّة ←

و«نفسه نفسي»[١].

[تقديم العالم الروحانيّ على العالم الجسمانيّ]

وكلّ من ينكر تقديم العالم الروحانيّ على العالم الجسمانيّ فليس بعاقل ولاعالم؛ فإنّه قد نطق به القرآن والأخبار وحكمت به العلماء والحكماء. ولهذا قيل /٢٠٠ أ/ بتقديم العالم الروحانيّ على العالم الجسمانيّ بستّة أيّام كلّ يوم منها ألف سنة، وقيل بأربعين ألف سنة؛ لقوله: «خمّرت طينة آدم بيديّ أربعين صباحاً»[٢]. والمراد بالصباح أوّل نور الشمس الممزوج بظلمة الليل من النهار كامتزاج نور آدم بأجزاء ظلمة الأجسام في حالة الإيجاد، ويوم القيامة عبارة عن الأوّل[٣] وليلة القدر عن الثاني، فافهم. وقيل بثلاثمئة ألف سنة كلّ يوم منها ألف سنة، وقيل بثلاثمئة ألف سنة كلّ يوم منها خمسين ألف سنة، والشيخ في *الفتوحات*[٤] قال بإحدى وسبعين ألف سنة.

لابن أبي عاصم: ٥٦٤/٢، ٥٩٨؛ السنن الكبرى للنسائيّ: : ٣١٠/٧، ٤٣٢ وما بعد؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ٢٦١/١٣؛ الطيوريّات: ٧١٥/٢؛ المعجم الكبير: ١٦/٤؛ تثبيت الإمامة: ٢٢٣/١؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٧٦/١، ١٨٢؛ جامع الأصول: ٦٥٢/٨؛ حلية الأولياء: ٢٨٤/١٣؛ سنن ابن ماجة: ٤٤/١؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٦/٥؛ شرح مذاهب أهل السنّة: ٨٩/١؛ فضائل الصحابة: ٥٩٤/٢، ٥٩٩، ٦٢٠، ٦٤٩؛ كنز العمّال: ٦٠٣/١١، ٦٠٨، ١٤٢/١٣؛ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٢٩٣/١؛ مسند أحمد: ٤٩/٢٩، ٥٣؛ مسند ابن أبي شيبة: ٣٤٢/٢، ٣٦٦/٦، ٣٧٢

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣١٤/٤٣

٢. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ٩٨/٤

٣. هامش حج: أي الصباح.

٤. الفتوحات المكّيّة: ١٢٢/١

وبالجملة ليس تقدّم الروحانيّات الإبداعيّات على الجسمانيّات والعنصريّات بزمان ولامكان بل بالذات، والعنصريّات والجسمانيّات في زمان ومكان وشهور وسنين، ومن هذا قيل: إنّ الروحانيّات والمجرّدات توجد من غير مدّة ولامادّة، والجسمانيّات والعنصريّات توجد بمدّة ومادّة.

[كمالات كلّ ذي نفس بإفادة النبيّ المطلق والوليّ المطلق]

وحينئذٍ نقول: كلّ موجود في عالم الغيب والشهادة والروحانيّ والجسمانيّ علمه وحياته وكمالاته بإفاضة العقل الأوّل والنفس الكلّيّة على الدوام والاستمرار أزلاً وأبداً، وكلّ نبيّ وكلّ رسول وكلّ وليّ وكلّ وصيّ بل وكلّ ذي نفس فعلمه وحياته وكمالاته بإفادة النبيّ المطلق والوليّ المطلق على الدوام والاستمرار أزلاً وأبداً، ويسمّى هذا المدد الوجوديّ وإفاضة الحقيقة كما ذهب إليه أهل اللّه بالاتّفاق. فخاتم الولاية هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإليه يستند جميع العلوم ظاهراً وباطناً.

[استناد العلوم اللدنّيّة إلى عليّ عليه السلام]

أمّا استنادها إليه وكونها مأخوذة عنه فنقول: أوّل من أخذ جميع العلوم عنه بالإلقاء والسرّ دون التعلّم والتعليم ولده الحسن المجتبى، ثمّ الحسين الشهيد، ثمّ الصحابة المستحقّين كسلمان والمقداد وأبي ذرّ وعمّار وغيرهم إلى أربعين نفراً، ثمّ أصحاب الصفّة وهؤلاء من الصحابة. وأمّا من التابعين فكميل بن زياد النخعيّ والحسن البصريّ وإليهما يرجع علم أصحاب الباطن وأهل التصوّف، وكذلك أويس القرنيّ. ثمّ أخذ الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين عليهما السلام وأخذ عنه ابنه الباقر وأخذ عنه ابنه جعفر الصادق وأخذ عنه ابنه الكاظم وأخذ عنه ابنه الرضا

وأخذ عنه ابنه الجواد وأخذ عنه ابنه الهادي وأخذ عنه ابنه العسكريّ وأخذ عنه ابنه المهديّ ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ والآن هو قطب الوقت[١] وإمام الزمان وخليفة العصر وخاتم الولاية المحمّديّة وبقيت الدنيا بوجوده، وبيُمنه رزق الخلق وبفقده وموته تقوم الساعة وتخرب الدنيا وترجع العمارة إلى الآخرة كما نصّ عليه آباؤه وأجداده عليهم السلام.

والشيخ شقيق البلخيّ أخذ عن الكاظم عليه السلام وإلى الآن طريقته وخرقته ينسبونها أولاده وتابعيه إليه، والشيخ أبو يزيد البسطاميّ أخذ عن جعفر الصادق عليه السلام وإلى الآن خرقته وخرقة أولاده ومريديه ينسبونها إليه، والشيخ معروف الكرخيّ أخذ عن الرضا عليه السلام، والشيخ السريّ السقطيّ أخذ منه، والشيخ الجنيد أخذ من السريّ وهو كان خاله وإلى الآن خرقته إلى الإمام وهو شيخ الطائفة وإليه يستند جميع الطريقة والخرقة، وكميل بن زياد والحسن البصريّ إلى هذا الوقت بيدهم الحكم والخرقة /٢٠٠ ب/ والإجازة من عليّ عليه السلام بعد جعفر الصادق عليه السلام؛ لأنّه كان القطب المتقدّم على الكلّ.

[استناد العلوم الرسميّة إلى عليّ عليه السلام]

وإذا ثبت إسناد العلوم اللدنّيّة الإلهيّة الحقيقيّة إلى عليّ عليه السلام بهذه الوجوه، فكذلك العلوم الرسميّة مستندة إليه، وهي تنقسم إلى عقليّة وشرعيّة:

[العلوم العقليّة]

والعقليّ: علم مشكل معضل يقع فيه الخطأ، وهو عند الحكيم موضوع على

---

١. حج: الآفاق.

أربع مراتب: منطقيّ ورياضيّ وطبيعيّ وإلهيّ. فالمنطق آلة يسهل بها التصرّف في الثلاثة، والرياضيّ يتعلّق بالسماوات والكواكب، والطبيعيّ يتعلّق بالأرضيّات وطبائعها وخواصّها، والإلهيّ يتعلّق بمعرفة اللّه ومعرفة صفاته وأفعاله وهو المقصود بالذات.

[العلوم الشرعيّة]

وأمّا الشرعيّ: فينقسم إلى أصول هو علم التوحيد وينظر في ذات اللّه تعالى وصفاته الفعليّة وصفاته الزائدة بالإضافات والنسب، وينظر في أحوال الأنبياء والأئمّة والصحابة والتابعين، وفي أحوال الموت والحياة وأحوال القيامة والبعث والحشر والنشر والحساب. وأهل النظر فيه يتمسّكون فيه بالآيات وأخبار الرسول والدلائل العقليّة ويدعون في عباراتهم الجوهر والعرض والدليل والنظر والحجّة والاستدلال ويختلفون في معاني هذه الألفاظ، حتّى أنّ الحكماء يعنون بالجوهر شيئاً وبالعرض شيئاً والمتكلّمون بالعكس، وكذلك الصوفيّة وتوابعهم. وهؤلاء مخصوصون بعلم الكلام وهم المتكلّمون أشعريّة ومعتزلة؛ فإنّ اسم الكلام لايقع إلّا على علم التوحيد. ومن الأصول التفسير والحديث، ويحتاجان إلى اللغة والنحو والصرف وأقسام العربيّة.

وغير الأصول من الشرعيّ هو علم الفروع؛ لأنّ الأوّل هو العلميّ وهذا هو العمليّ ويشتمل على حقّ اللّه كالعبادات، وحقّ العباد وهو أبواب العادات، فمنه المعاملة ومنه المعاقدة واسم الفقه يطلق عليها، وحقّ النفس وهو علم الأخلاق.

وبيان إسناد الجميع إلى عليّ عليه السلام أن تقول:

[علم اللغة]

أمّا علم اللغة: فمعلوم أنّ فصحاء العرب وعلماءهم عجزوا عن حلّ ألفاظه وتراكيبه وبلاغته وفصاحته ومنه استفادوا أشياء كثيرة من فنون العربيّة، وخطبه عليه السلام وكلامه كثير حوى كتاب *نهج البلاغة* على نبذة شافية منه ولكنّها بالنسبة إلى كلامه وخطبه أقلّ من سُدس. وخطبته الافتخاريّة المسمّاة بالعجماء عجزت فصحاء العرب وبلغاؤهم عن حلّ ألفاظها وأقرّوا بفصاحتها وبلاغتها وإلى هذا الوقت أكثرها مخفيّة.

ولقوله صلى الله عليه وآله في حقّه: «عليّ سيّد العرب»[1]، والسيّد عليهم لايكون إلّا في الجميع في العلم والأدب. وفصاحته بلغت الغاية وتجاوزت النهاية حتّى قيل في كلامه: إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين[2]. وكلّ الخطباء تعلّموا منه

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٩٨/٤، ٥٠٢/٢٢، ٣٢٦/٣١، ٣٧٧، ٤٢٨، ١٨٢/٣٢، ١٥/٣٨، ١٧، ٩٣، ٩٤، ١٥٠، ٣٣/٤٠، ٦٦، ٦٨، ٨٢؛ إرشاد القلوب: ٢٦١/٢؛ الأمالي للصدوق: ٣٩؛ الأمالي للطوسيّ: ٣٦٥، ٥١٠، ٥٤٩، ٦٠٦؛ الأمالي للمفيد: ٤٤؛ تفضيل أمير المؤمنين: ٣٤؛ التوحيد: ٢٠٧؛ الخصال: ٥٦١/٢؛ روضة الواعظين: ١٠١/١؛ الصراط المستقيم: ٢٣٣/٣؛ الطرائف: ٧٩/١؛ عدّة الداعي: ٣٢٥؛ العمدة: ٣٥٨؛ عوالي اللآلي: ١٢١/٤؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٤٣، ٧٩٠؛ كشف الغمّة: ١٩٠/١؛ مئة منقبة: ١٦٩؛ المصباح للكفعميّ: ٣٣٥؛ معاني الأخبار: ١٠٣؛ المقام الأسنى: ٦٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣١٠/١، ١٣/٣

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٠/٩، ٦٦/١١؛ المستدرك على الصحيحين: ١٣٣/٣، ١٣٤؛ كفاية الطالب: ٢١٠، ٢١١؛ المناقب لابن مغازليّ: ٢٠١؛ لسان الميزان: ٧٧/٦؛ مناقب الأسد الغالب: ١٠/١، ١١، ٢٣؛ ميزان الاعتدال: ١٨٥/٣؛ سمط النجوم العوالي: ٤٠/٣؛ المعجم الأوسط: ١٢٧/٢؛ المعجم الكبير: ٨٨/٣؛ حلية الأولياء: ٦٣/١، ٣٨/٥؛ كنز العمّال: ٦١٨/١١، ٦١٩، ١٤٣/١٣، ١٤٥؛ فيض القدير: ٤٦/٣؛ تاريخ دمشق: ٣٠٥/٤٢، ٣٠٦

٢. حج (خ ل): المخلوق.

وكلّ من ينسب إليه الفصاحة ما يملؤون[1] أوعية أذهانهم وظروف خواطرهم إلّا من ألفاظه وكلامه ويضمّنونها كلامهم وخطبهم، فيكون فيها كدرر العقود أو عقود الدرر.

[علم النحو]

وأمّا علم النحو: فهو أوّل من وضعه لأبي الأسود الدؤلي؛ فإنّ أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ: ﴿**أنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَرَسُولُهُ**﴾[2] بالكسر، فأنكر ذلك وقال: نعوذ باللّه من الجور بعد الكور، أي من نقصان الإيمان بعد زيادته. فراجع عليّاًعليه السلام /٢٠١ أ/ في ذلك، فقال له عليّعليه السلام: انح للناس ما يقوّمون به ألسنتهم، وأرشده إلى ذلك وعلّمه إيّاه وقال: الكلام كلّه يدور على اسم وفعل وحرف، وبيّن له وجوه الإعراب بقوله: الرفع للفاعل والنصب للمفعول والجرّ للمضاف إليه.

[علم التفسير]

وأمّا علم التفسير: فذلك مستند إليه بغير خلاف؛ فإنّ ابن عبّاس رئيس المفسّرين وهو تلميذه وروي عنه أنّه قال: «حدّثني أمير المؤمنينعليه السلام في باء بسم اللّه الرحمن الرحيم من أوّل الليل إلى آخره وما فهمت منه شيئاً إلّا قليلاً في غاية القلّة[3]»[4]. وقالعليه السلام: «واللّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم اللّه

---

١. حج: مالئون.

٢. التوبة/٣

٣. مص: من أوّل الليل إلى الفجر ولم يتمّ.

٤. **من طريق الشيعة**: كشف اليقين: ٥٧؛ نهج الحقّ: ٢٣٨

الرحمن الرحيم»[1].

وروي عنهعليه السلام أنّه قال: «ما أنزِلت من السماء آية في بحر أو برّ أو ليل أو نهار أو سهل أو جبل أو سفر أو حضر إلّا وقد كنت أعلم أنّها نزلت في أيّ وقت وفي أيّ شيء نزلت وفي من نزلت، وكنت أعلم ظاهرها وباطنها وتأويلها وتفسيرها وحقائقها، ودعا لي رسول اللّهصلى الله عليه وآله في فهمها ورعايتها وحفظها»[2]. وكلّ من كان كذلك كان إسناد التفسير إليه ظاهر، وكيف لا؟ والنبيّصلى الله عليه وآله يقول: «أعلم الناس بكتاب اللّه أنا وأهل بيتي»، ولأنّهم المشار إليهم بأنّهم الراسخون في العلم وعليّ رئيس الراسخين وأستاذ المفسّرين، ولأنّ القرآن إنّما نزل فيهم وبهم خصّص معناه.

[علم الفقه]

وأمّا علم الفقه: فالفقهاء كلّهم يرجعون إليه.

---

١. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ١٠٢/٤؛ وروي عنهعليه السلام أنّه قال: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب» (بحار الأنوار: ١٥٧/٤٠، ٩٣/٨٩، ١٠٣؛ الصراط المستقيم: ٢١٩/١)؛ وأيضاً روي عنهعليه السلام أنّه قال: «لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير بسم اللّه الرحمن الرحيم» (بحار الأنوار: ١٨٦/٤٠، كشف الغمّة: ١٣٠/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٤٣/٢).

ومن طريق أهل السنّة: البحر المديد: ١١/١، ١٧؛ فيض القدير: ٤٩/١

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٤٨/١٤، ١٠٩/٥٦؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٢٠٥/١؛ القصص للجزائري: ٣٨٨

ومن طريق أهل السنّة: تفسير السمعاني: ٢٥٠/٥؛ ينابيع المودة: ٣١٣/١؛ المواقف: ٦٢٧، ٦٣٦؛ شرح المواقف: ٣٧٠/٨

أمّا الحنفيّة: فلأنّهم من أبي يوسف ومحمّد وزُفَر وهم أخذوا عن أبي حنيفة وهو تلميذ جعفر الصادق عليه السلام وهو تلميذ الباقر عليه السلام ويرجع الأمر إلى أمير المؤمنين.

وأمّا الشافعيّة: فهم يرجعون إلى الشافعيّ وهو قرأ على محمّد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وعلى مالك، فرجع فقهه إليهما ومنهما إلى أبي حنيفة، فرجع إلى عليّ عليه السلام.

وأمّا الحنابلة: فيرجعون إلى أحمد بن حنبل وأحمد بن حنبل قرأ على الشافعيّ والشافعيّ قرأ على تلاميذ أبي حنيفة، فيرجع الأمر إلى عليّ عليه السلام.

وأمّا المالكيّة: فينتسبون إلى مالك وهو قرأ على ربيعة الرأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على ابن عبّاس وهو تلميذ عليّ عليه السلام.

وأمّا الشيعة: فانتسابهم في جميع العلوم إليه معلوم مشهور سيّما في علم الكلام والفقه وأصوله؛ فإنّهم أخذوها منه ومن أولاده.

[الحديث وأصول الفقه]

وأمّا الحديث وأصول الفقه: فهو أشهر وأظهر من أن يحتاج إلى تقرير؛ لأنّ الفقه مبنيّ على الحديث وأصول الفقه، وإذا ثبت أنّه الأفقه ثبت علمه بالحديث وأصول الفقه؛ لأنّ الفرع يتعذّر بدون الأصل.

[علم الطريقة]

وأمّا علم الطريقة: فانتساب أرباب الطريقة[1] من الصوفيّة وأهل اللّه إليه ظاهر شائع، وقد أشرنا إليه.

---

١. حج: أربابها.

[علم الفتوّة]

وأمّا علم الفتوّة: فذلك مشهور معلوم؛ لأنّ جبرئيل نزل يوم بدر وهو يقول: «لاسيف إلّا ذو الفقار ولافتى إلّا عليّ»[1]. وخرج رسول اللهﷺ يوماً فرحاناً مسروراً وهو يقول: «أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى»[2].

أمّا أنّه الفتى فلأنّهﷺ سيّد الفتيان وأعظمهم، وأمّا أنّه ابن الفتى فلأنّه ابن إبراهيم الخليل الذي نزل في حقّه: ﴿**فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهيمُ**﴾[3]، وأمّا أنّه أخو الفتى فلأنّه أخو عليّعليه السلام.

---

١. **من طريق الشيعة**: الكافي: ١١٠/٨؛ بحار الأنوار: ٣١٧/١٩، ٥٢/٢٠ وما بعد، ٥/٢٩، ٣٣٤/٣١، ٤٨٥/٣٢، ٥٢٩، ٦١٥، ٢٦٩/٣٨، ٨٧/٤٠، ٦٩/٤١، ٨٣، ١٠٠، ١٥١، ٥٨/٤٢ وما بعد؛ الاحتجاج: ١١٥/١، ١٣٤، ٣٩١/٢؛ الإرشاد: ٨٢/١، ٨٦، ٨٧؛ إرشاد القلوب: ٢١٦/٢، ٢٤٢، ٢٦٠؛ إعلام الورى: ١٩٣؛ الأمالي للصدوق: ٢٠٠، ٤٠٥؛ الأمالي للطوسيّ: ١٤٣، ٥٤٧؛ بشارة المصطفى: ١٨٦؛ بناء المقالة: ١٢٢، ١٢٤؛ تفسير القمّيّ: ١١٦/١؛ الخصال: ٥٥٠/٢، ٥٥٦؛ روضة الواعظين: ١٢٨/١، ٤٧٥/٢؛ الصراط المستقيم: ٢٥٨/١، ٣/٢، ٦٤؛ الطرائف: ٨٨/١، ٤١٣/٢؛ علل الشرائع: ٧/١، ١٦٠؛ العمدة: ٣٨١، ٣٨٢؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٨٣/١؛ الفصول المختارة: ٢٦١؛ الفضائل: ٨٥

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩/١، ٢١١/٢، ٢٤٧/٥، ٢١٩/٧، ١٨٢/١٠، ٢١٧/١١، ٢٩٣/١٣، ٢٥١/١٤؛ كفاية الطالب: ٢٧٧؛ البداية والنهاية: ٦/٦، ٢٥٠/٧، ٢٩٣، ٣٧٢؛ الكامل في التاريخ: ٤٤/٢؛ المنمّق في أخبار قريش: ٤١١/١؛ تاريخ الرسل والملوك: ٥١٤/٢؛ سمط النجوم العوالي: ٢٢/٢؛ كنز العمّال: ٧٢٣/٥؛ تاريخ دمشق: ٢٠١/٣٩، ٧١/٤٢؛ لسان الميزان: ٢٨٢/٦؛ ميزان الاعتدال: ٣٢٤/٣

٢. **من طريق الشيعة**: مستدرك الوسائل: ٢٥١/٣؛ بحار الأنوار: ٦٤/٤٢؛ كشف اليقين: ٦٠، ٤٧٧؛ معاني الأخبار: ١١٩؛ نهج الحقّ: ٢٣٩

٣. الأنبياء/٦٠

[علم القصص والتواريخ]

وأمّا علم القصص والتواريخ: فـذلك لـه خاصّـة؛ فإنّـهعليه السلام كـان يخبـر عـن الماضي والمستقبل والحال وكـانعليه السلام /٢٠١ ب/ هـو المخـتصّ بعلـم الملاحـم وأحوال الغيب، وأقواله وأحواله في ذلك كثيرة مشهورة.

[علم الكلام]

وأمّا علم الكلام: فهو الذي منه ظهر ومن خطبه استفاده النـاس كافّـة، وهـو منسوب بعده إلى ولده محمّد بن الحنفيّة وتلامذته كما ذكـره الشهرسـتانيّ فـي *الملل والنحل*[١] وغيره من العلماء. وأهل هذا العلم أربعة: معتزلة وأشاعرة وشـيعة وخوارج.

فالمعتزلة ينتسبون إلى واصل بن عطاء؛ لأنّه كبيرهم وكان تلميذ أبـي هاشـم عبد اللّه بن محمّد بن الحنفيّة وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذ والده علـيّ بـن أبي طالبعليه السلام.

والأشاعرة تلامذة أبي الحسن عليّ بن أبي بشر الأشعريّ وهو تلميذ أبي عليّ الجُبّائيّ وهو من مشايخ المعتزلة، فرجع الأمر إلى عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

والشيعة انتسابهم إليه معلوم؛ فإنّهم ما أخـذوا أصـول كلامهـم إلّا منـه ومـن أولاده ومن خطبه وحكمه، ولهم إليه وإلـى أولاده روايـات مسـتندة وأحاديـث معنعنة مذكورة في كتبهم وفهارستهم.

والخوارج ـ خذلهم اللّه تعالى ـ فإنّهم مع شدّة بُعدهم عنـه وانحـرافهم عـن

---

١. الملل والنحل: ٦٤/١

اتّباعه بالشبهة التي عرضت لهم يوم التحكيم كانوا أصحابه وتلاميذه ومنه أخذوا أصول أديانهم، وخروجهم عليه بعد أن كانوا من جملة أتباعه، وانتسابهم إليه ظاهر.

[العلوم الحكميّة]

وأمّا العلوم الحكميّة: فمنسوبة إليه صادرة عنه، سيّما وقد قال رسول اللّه ﷺ: «قسِّمت الحكمة على عشرة أجزاء، فأعطِي عليّ تسعة أجزاء والناس كلّهم جزءً واحداً»[1]، وقال: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت من الباب»[2]، وقال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٤٩/٤٠، ١٨٠؛ إرشاد القلوب: ٢١٢/٢؛ بناء المقالة: ١٨٦؛ الصراط المستقيم: ٢٢٦/١، ٢١/٢؛ العمدة: ٣٠٥، ٣٧٨؛ كشف الغمّة: ١١٣/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٢/٢

ومن طريق أهل السنّة: البداية والنهاية: ٣٩٦/٧؛ شواهد التنزيل: ١٣٥/١؛ كنز العمّال: ٦١٥/١١، ١٤٦/١٣؛ مناقب الأسد الغالب: ٣٢/١؛ فيض القدير: ٤٦/٣؛ تاريخ دمشق: ٣٨٦/٤٢؛ ميزان الاعتدال: ١٢٤/١

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٦٠١/٢٩، ١٨٨/٣٨، ٢١٠/٣٩، ٦٩/٤٠، ٨٧، ٢٠٣ وما بعد؛ إعلام الورى: ١٥٩؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٥٨؛ تنزيه الأنبياء: ١٦١؛ صحيفة الرضا عليه السلام: ٥٨؛ الصراط المستقيم: ١٩/٢؛ العمدة: ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠١؛ الفصول المختارة: ٢٢٠؛ الفضائل: ٩٦؛ كشف الغمّة: ١١٣/١؛ كشف اليقين: ٥١؛ متشابه القرآن: ٣٣/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٤/٢

ومن طريق أهل السنّة: البداية والنهاية: ٣٩٥/٧؛ سمط النجوم العوالي: ٤٧/٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ١٦٥/٩؛ الشريعة: ٢٠٦٩/٤؛ جزء الألف دينار: ٣٣٣/١؛ حلية الأولياء: ٦٤/١؛ سنن الترمذيّ: ٦٣٧/٥؛ شواهد التنزيل: ١٠٤/١؛ فضائل الصحابة: ٦٣٤/٢؛ كنز العمّال: ٦٠٠/١١، ١٤٧/١٣؛ مناقب الأسد الغالب: المجالس الوعظيّة: ١٦٧/٢؛ قوت ←

يحيى في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه وإلى لقمان في حكمته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»[١]، وقوله صلى الله عليه وآله: «من أخلص للّه أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٢]، ومعلوم أنّ عليّاً عليه السلام كان سيّد المخلصين، بل كان جميع عمره قائماً بالإخلاص للّه تعالى منحرفاً عن الأغراض الدنيويّة والأخرويّة، فالحكمة ما ظهرت إلّا منه ومن قلبه ومن لسانه، فكيف لايكون حكيماً؟

[الفضيلة الثالثة: الزهد]

قال: وثالثها: الزهد: ومنه تعلّم الناس ذلك وأهل الخرقة[٣] من المتصوّفة

المغتذي: ١٠٠٦/٢؛ تاريخ دمشق: ٣٧٨/٤٢؛ ميزان الاعتدال: ٦٦٨/٣

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣٥/٣٩، ٣٨، ٣٩، ١٢٨؛ إرشاد القلوب: ٢١٧/٢؛ الأمالي للطوسيّ: ٤١٦؛ بشارة المصطفى: ٨٢، ٢٧٧؛ بناء المقالة: ١٧٠؛ روضة الواعظين: ١٢٨/١؛ الصراط المستقيم: ٢١٢/١؛ الصوارم المهرقة: ٢٧٦؛ الفضائل: ٩٨؛ كشف الغمّة: ١١٣/١، ١١٤؛ كشف اليقين: ٥٢، ٥٣؛ كمال الدين: ٢٥/١؛ نهج الحقّ: ٢٣٦

ومن طريق أهل السنّة: البداية والنهاية: ٣٩٢/٧؛ سمط النجوم العوالي: ٥٧/٣؛ شرح مذاهب أهل السنّة: ١٥١/١؛ شواهد التنزيل: ١٠٣/١؛ تاريخ دمشق: ٣١٣/٤٢؛ لسان الميزان: ٤٢/٨؛ ميزان الاعتدال: ٩٩/٤

٢. **من طريق الشيعة**: جامع الأخبار: ٩٤

ومن طريق أهل السنّة: البحر المديد: ٢٥٥/٢؛ الجواهر الحسان: ٢١٩/٣؛ التفسير الكبير: ١٥٤/١٦؛ غرائب القرآن: ٢٨٦/١؛ جامع الأصول: ٥٥٦/١١؛ مسند الشهاب القضاعيّ: ٢٨٥/١

٣. هامش مر: قال بعض المشايخ: خرقة الصوفيّة هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور:

منها: التزيّي بزيّ المراد؛ ليتلبّس باطنه بصفاته كما يلبس ظاهره بلباسه، وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً، قال تعالى: **﴿قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباسُ التَّقْوى** ←

ينسبونها إليه عليه السلام وهو أوّل من لبس المرقّعات وقال: «واللّه لقد رقّعت مِدرَعَتي هذه حتّى استحييت من راقعها، وقال لي قائل: ألاتنبذها؟ فقلت: اغرب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السرى»[١ و٢]. وزهده ظاهر مشهور لاينكره أحد ممّن تديّن بدين الإسلام.

[الفقر والمرقّع سرّ اللّه]

أقول: روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا أسري بي إلى السماء ودخلت الجنّة رأيت في وسطها قصراً من ياقوتة حمراء، فاستفتح لي جبرئيل بابه، فدخلت

ذلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف/٢٦].

ومنها: وصول بركة الشيخ الذي لبسه من يده المباركة إليه، ومنها ينل ما يغلب على الشيخ في وقت اللباس من الحال الذي يرى الشيخ ببصيرته النافذة المنوّرة بنور القدس أنّه يحتاج إليه لرفع حجبه العائقة وتصفية استعداده؛ فإنّه إذا وقف على حال من يتوب على يده علم بنور الحقّ ما يحتاج إليه، [فيسأل] من اللّه ذلك حتّى يتّصف قلبه، فيسري من باطنه إلى باطن المريد.

ومنها: المواصلة بينه وبين الشيخ، فيبقى بينهما الاتّصاف القلبيّ والمحبّة دائماً وتذكّره الاتّباع على الأوقات في طريقته وسيرته وأخلاقه وأحواله حتّى بلغ مبلغ الرجال؛ فإنّه أب حقيقيّ كما قال صلى الله عليه وآله: «الآباء ثلاثة: أب ولدك وأب علّمك وأب ربّاك».

١. مثل يضرب لمحتمِل المشقّة العاجلة رجاء الراحة الآجلة:

فعند الصباح يحمد القومُ السرى   وتنجلي عنّى غُلالات الكَرى

[راجع: الأمثال لابن سلام: ١٧٠، ٢٣١؛ مجمع الأمثال: ٣/٢].

٢. **من طريق الشيعة**: مستدرك الوسائل: ٢٧١/٣، ٢٧٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٥/٤٠، ١٦٠/٤١، ٣٢٠/٦٣، ٣٩٤/٧٤؛ إرشاد القلوب: ١٩/١؛ الأمالي للصدوق: ٦٢٠؛ غرر الحكم: ١١٩؛ مكارم الأخلاق: ٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٠١/٢؛ نهج البلاغة: ٢٢٧

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٣/٩

القصر، فرأيت فيه بيتاً من درّة بيضاء، فدخلت البيت، فرأيت في وسطه صندوقاً من نور مقفّل بقفل من نور. فقلت: يا جبرئيل! ما هذا الصندوق وما فيه؟ فقال جبرئيل: يا حبيب اللّه! فيه سرّ اللّه لايعطيه إلّا لمن يحبّ. فقلت: افتح لي بابه. فقال: أنا عبد مأمور، فاسأل ربّك حتّى يأذن لي في فتحه. فسألت اللّه، فإذَن النداء /٢٠٢ أ/ من قِبل اللّه: يا جبرئيل! افتح له بابه. ففتحه، فرأيت فيه الفقر والمرقّعة. فقلت: يا سيّدي ومولاي! ما هذا المرقّع والفقر؟ فنوديت: يا محمّد! هذان اخترتهما لك ولأمّتك من الوقت الذي خلقتهما ولاأعطيهما إلّا لمن أحبّ، وما خلقت شيئاً أعزّ منها. ثمّ قال: فقد اختار اللّه الفقر والمرقّع لي وأنّهما أعزّ شيء عنده.

[الخرقة محفوظة الآن عند المهديّ عليه السلام]

فلبس هذه الخرقة بهذه الصورة نبيّنا صلى الله عليه وآله توجّه اللّه تعالى بها. فلمّا رجع من المعراج ألبسها عليّاً عليه السلام بإذن اللّه وأمره، وكان يلبسها ويرقّعها رقعة رقعة[1] حتّى قال: لقد رقّعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها. وألبسها عليّ بعده لابنه الحسن عليه السلام، ثمّ الحسين عليه السلام، ثمّ أولاد الحسين كانوا يلبسونها بعضهم بعضاً إلى أن وصلت إلى المهديّ عليه السلام خاتم الختم[2]. والآن هي عنده مع ذي الفقار ودُرّاعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسيفه وعِصابته ودُلدُله وخاتم سليمان وعصا آدم وموسى والطشت[3] والتابوت والجَفر والجامعة ومصحف فاطمة الذي طوله سبعين ذراعاً فيه كلّ ما يجري إلى يوم القيامة بخطّ عليّ وإملاء النبيّ صلى الله عليه وآله، فهو عليه السلام اليوم قطب زمانه

---

١. حج: ـ رقعة.

٢. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ١٣٠/٤

٣. هامش حج: الذي كان لموسى عليه السلام، يقرب فيه القربان من الدم حتّى لايقع إلى الأرض.

وإمام وقته وخليفة عصره، وسيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كما نطقت به الأخبار ورواه سائر العلماء.

واعلم أنّه ليس المراد بهذه الخرقة تلك الخرقة بعينها، بل المراد شرائط الخرقة على الوجه الذي لبسها النبيّ صلى الله عليه وآله من يد جبرئيل وهي الخرقة المعنويّة وهي عبارة عن أخذ المعنى عن صاحب المقام بقدر الاستعداد والاتّصاف بصفاته والتخلّق بأخلاقه. ولذلك تقول المشايخ من الصوفيّة: هي التشبّه والصحبة واللبس والتلقّي وهو راجع إلى الصورة والمعنى، ويعبّر عن المعنويّة بالفقر وعن الصوريّة بالخرقة.

[تحقيق معنى الفقر]

والفقر هو الذي عبّر عنه نبيّنا صلى الله عليه وآله بوجوه ثلاثة:

الأوّل: قوله عليه السلام: «الفقر فخري وبه افتخر على سائر الأنبياء والمرسلين»[1].

الثاني: قوله عليه السلام: «الفقر سواد الوجه في الدارين»[2].

الثالث: قوله عليه السلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[3].

---

١. **من طريق الشيعة**: مستدرك الوسائل: ١٧٣/١١؛ بحار الأنوار: ٣٣/٦٩؛ عوالي اللآلي: ٣٩/١
ومن طريق أهل السنّة: البحر المديد: ٤٢٠/١، ٣٨٢/٣؛ غرائب القرآن: ٥٣٥/٥، ٥٩٩، ٢٨٤/٦؛ تحفة الأحوذيّ: ١٧/٧

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣٠/٦٩؛ عوالي اللآلي: ٤٠/١

٣. **من طريق الشيعة**: الكافي: ٣٠٧/٢؛ وسائل الشيعة: ٣٦٥/١٥؛ بحار الأنوار: ٢٤٧/٢٧، ٢٩/٦٩، ٣٠، ٢٤٦/٧٠، ٢٥١، ٢٥٧؛ الأمالي للصدوق: ٢٩٥؛ الخصال: ١١/١؛ عوالي اللآلي: ٤٠/١، ٧١/٢؛ مجموعة ورّام: ١٥٨/١
ومن طريق أهل السنّة: الدرّ المنثور: ٦٩٢/٨؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٢٤/١٠؛ التفسير

وهذه الوجوه وإن كانت متغايرة بحسب اللفظ فهي في الحقيقة شيء واحد؛ لأنّ المراد بالفقر عدم التمليك والتملّك مطلقاً والقيام بالفناء في اللّه والرجوع إلى عدمه الأصليّ، ولهذا قيل: «إذا تمّ الفقر فهو اللّه»[١]. والفقير لايحتاج إلى اللّه ولا إلى غيره؛ لأنّ علّة الاحتياج الوجود، فإذا فني عن وجوده لم يبق له احتياج لا إلى اللّه ولاإلى غيره. وقولهم: «نهاية الفقر بداية الاستغناء» صحيح؛ لأنّ الفناء في اللّه بداء[٢] الفناء الذي هو البقاء في اللّه، ومن هذا قال بعضهم:

فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانياً ... ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي
ولو كنت بى من نقطة الباء خفضة ... رفعت إلى ما لم تنله بحيلة[٣]

فالاعتبار بالخرقة المعنويّة التي هي الاتّصاف بصفات الكامل والتخلّق بأخلاقه؛ /٢٠٢ ب/ لقوله عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق اللّه»[٤]. وبالجملة ليست للصوريّة بغير المعنويّة فائدة، بل أهل ذلك هم أضلّ الناس وأحمقهم.

فأمّا معنى قوله عليه السلام: «الفقر فخري» فإنّه يقول: إذا فنيت في اللّه وبقيت به

الكبير: ٨٣/١٦، ٨٤، ٤٠٠/٢٤؛ تفسير الراغب الأصفهانيّ: ٥٤٦/١؛ تفسير المنار: ٣١٣/٤؛ الدعاء للطبرانيّ: ٣١٩/١؛ بحر الفوائد: ٥٦/١؛ حلية الأولياء: ٥٣/٣، ١٠٩؛ شعب الإيمان: ١٢/٩؛ كنز العمّال: ٤٩٢/٦؛ مسند الشهاب القضاعيّ: ٣٤٢/١؛ تحفة الأحوذيّ: ١٧/٧، ٤٥/١٠؛ فيض القدير: ٥٤٢/٤، ٤٨٥/٥؛ الضعفاء للعقيليّ: ٢٠٦/٤

١. منسوب إلى أبي سعيد بن أبي الخير، كما في: المقدّمات من نصّ النصوص: ٢٠٤

٢. مر: بدء.

٣. ديوان ابن الفارض: ٣٣

٤. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٢٩/٥٨

ومن طريق أهل السنّة: الفواتح الإلهيّة: ١٩/١؛ اللباب في علوم الكتاب: ٣٩/٧؛ التفسير الكبير: ٥٨/٧، ٤٠٨/٩، ٢٣٠/١١، ٧٨/١٦، ٣٤٢/٢٣؛ تفسير المراغيّ: ٨٦/١٨؛ غرائب القرآن: ٤٠٤/١

وصرت به غنيّاً بعد فقري وباقياً بعد فنائي افتخر بذلك على جميع الأنبياء والمرسلين؛ لأنّه لم يكن فيهم من هو أفقر منه بحسب الصورة والمعنى. وافتخاره عليه السلام ليس لأنّه تفرّد به دون الأنبياء، بل افتخاره كان بقوّة الاستعداد وعلوّ المقامات؛ فإنّ مقاماته أعظم وأعلى من جميع مقاماتهم على الإطلاق.

وقوله عليه السلام: «إنّه سواد الوجه في الدارين» معناه موافق للأوّل؛ لأنّ المراد بالسواد الظلمة والفناء كما أنّ النور والضياء الوجود والبقاء، فمتى أسود وجه السالك وفني في الدنيا والآخرة والظاهر والباطن الذي هو حقيقة ذاته ـ لأنّ الوجه ذات الشيء وحقيقته ـ وفني في الدارين وصل إلى نهاية مقام الفقر الذي هو البقاء والوجود؛ لقولهم: «إذا تمّ الفقر فهو اللّه»، فليس المراد بالفقر إلّا حقيقة العدم والفناء؛ فإنّهما للوجود والبقاء.

وأمّا قوله: «كاد الفقر أن يكون كفراً» فهو أنّ نهاية الفقر إذا اقتضى بداية الألوهيّة ودعوى الربوبيّة فلاجرم يكون قريباً من الكفر، إذا لم يكن الفقير كاملاً وجامعاً بين الظاهر والمظهر والربّ والعبد والحقّ والخلق، فيصير في مقام الشطح والدعوى الكاذبة كما حصل لكثير من المشايخ. فالفقير إذا لم يكن مستقيم الحال قد يلزمه ذلك ويصير كافراً من غير شعوره بصورة الحال، فافهم ذلك.

ومظهر الفقر من مظهر اسم الخافض، أعني الذي ينخفض له كلّ شيء ويتذلّل عنده ويخضع لربّه، ومن هذا قيل: الفقير يحتاج إلى كلّ شيء ولايحتاج إليه شيء، وبه قيل: الفقير يحتاج إلى كلّ شيء وكلّ شيء يحتاج إليه، وقيل: الفقير لايحتاج إلى شيء ولايحتاج شيء إليه[1]، وهذا يكون عند فنائه فيه لا عند

---

١. منسوب إلى النوريّ كما في: المقدّمات من نصّ النصوص: ٢٠٤

بقائه به. وقيل أعلى من هذا كلّه: الفقير لايحتاج إلى شيء ولا إلى اللّه؛ لأنّ الاحتياج من لوازم الوجود، والفقير لاوجود له، فلايحتاج أصلاً.

[كلام ابن الفارض في الفقر]

وهذه دقيقة شريفة فافهمها، وإليها أشار ابن الفارض بقوله:

ولو كنت بى من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلة[١]

وتقديره: لو كنت في الخفضة والتذلّل والانكسار كالنقطة الواقعة تحت الباء التي بها يتميّز العبد عن الربّ ـ لقولهم: «بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود»[٢] ـ لرفعتك إلى مرتبة لم تكن تحصلها بحيلة من حيل العلم والعمل، وهو إشارة إلى فناء العبد في الربّ والبقاء به والرفعة الحاصلة له بعد انخفاضه عند عظمته، ولهذا جاء في الحديث القدسيّ: «أنا عند منكسرة القلوب»[٣].

وعلّة تشبيه هذا المعنى بالباء والنقطة قول عليّ عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء»[٤] وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرحمن الرحيم»[٥]. ولهذا قال عليّ عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً[٦] من باء بسم اللّه الرحمن

---

١. ديوان ابن الفارض: ٣٣

٢. الفتوحات المكيّة: ١٠٢/١

٣. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٥٧/٧٠؛ الدعوات: ١٢٠؛ عدّة الداعي: ١٧٧؛ منية المريد: ١٢٣ **ومن طريق أهل السنّة**: البحر المديد: ١٠٠/١، ١١٨/٢؛ غرائب القرآن: ٣٩٨/٥؛ فيض القدير: ٥١٩/١

٤. المقدّمات من نصّ النصوص: ٣١٠؛ جامع الأسرار: ٤١١، ٥٦٣؛ نقد النقود: ٦٩٥، ٧٠٠

٥. المقدّمات من نصّ النصوص: ٧٢، ١٥١، ٣١٠

٦. تش، مر: بقراً.

الرحيم»[١]، وتكلّم فيها لابن عبّاس من أوّل الليل إلى آخره /٢٠٣ أ/ وقال: يا ابن عبّاس! لو طال الليل أطلنا لك. وذلك لأنّ الباء الصوريّة حين انخفضت عند الألف بتعيّنها للبائيّة بواسطة النقطة الحرفيّة فيه أعطاها الألف ارتفاعه وانحجب عن الوسط وطوّلها وجعلها قائماً مقامه في البسملة؛ لعدم الابتداء بالساكن المطلق دون المتحرّك المقيّد. وكلّ عبد يصير كالباء التي هي أوّل التعيّن والتقيّد بالنسبة إلى الألف التي هي كالوجود المطلق يقوم المطلق من الوسط بإضافة وجوده إليه ويتقيّد بتقيّده ويجعله قائماً مقامه في باقي خلقه ويسمّيه خليفة كآدم وغيره من الأنبياء والأولياء وأمثالهم، فافهم؛ فإنّه دقيق وباللّه التوفيق.

[نسبة خرقة التصوّف إلى عليّ عليه السلام]

تمام البحث في ذكر نسبة خرقة التصوّف إليه عليه السلام وإلى أولاده عليهم السلام. حكى السيّد العلّامة المتأخّر صاحب الكشف الحقيقيّ رحمه الله أنّ الشيخ الجنيد لبس الخرقة من يد خاله الشيخ السريّ السقطيّ، والسريّ لبسها من معروف الكرخيّ، ومعروف الكرخيّ لبسها من الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام[٢].

ثمّ قال:

ولهؤلاء القوم في الأمر طريقين: أحدهما: نسبة الصحبة، والثاني: نسبة الخرقة.

---

١. **من طريق الشيعة**: عوالي اللآلي: ١٠٢/٤؛ وروي عنه عليه السلام أنّه قال: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب» (بحار الأنوار: ١٥٧/٤٠، ٩٣/٨٩، ١٠٣؛ الصراط المستقيم: ٢١٩/١)؛ وأيضاً روي عنه عليه السلام أنّه قال: «لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير بسم اللّه الرحمن الرحيم» (بحار الأنوار: ١٨٦/٤٠، كشف الغمّة: ١٣٠/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٤٣/٢).

ومن طريق أهل السنّة: البحر المديد: ١١/١، ١٧؛ فيض القدير: ٤٩/١

٢. المقدّمات من نصّ النصوص: ٢٢٠

فأمّا نسبة الصحبة فلشيخي وسيّدي شيخ الإسلام محمّد بن حمّوية رحمه الله وصحبته كانت مع الخضر عليه السلام.

و أمّا نسبة الخرقة فإنّه لبسها من ركن الإسلام أبي عليّ الفارمذيّ من قطب الوقت أبي القاسم الكركانيّ من الأستاذ أبي عثمان المغربيّ من شيخ الحرم أبي عمرو الزجاجيّ من سيّد الطائفة أبي القاسم الجنيد من السريّ السقطيّ من أبي محفوظ معروف الكرخيّ. واختلفوا في نسبة خرقته، فذهب أكثر المحدثين إلى أنّه أخذ هذه الطريقة ولبس الخرقة من سيّده[1] عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وذهب بعض المشايخ إلى أنّ معروفاً لبس من داوود الطائيّ وأخذ هذه الطريقة منه وهو من حبيب الأعجميّ وهو من الحسن البصريّ وهو من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وأمّا الشيخ الأعظم الشيخ الإلهيّ شهاب الدين السهرورديّ ـ قدّست نفسه ـ فمعلوم حاله من قوله: أمّا بعد فقد ألبس الشيخ الصالح المقرئ المحدّث المعمّر نجم الدين أبو الوليد إسماعيل بن أمين الدين إبراهيم بن أبي بكر التفليسيّ عرف بابن الإمام خرقة التصوّف بشروطها عند أهلها ليحيى بن عبد الرحمن بن عليّ بن محمود الجعفريّ، قال: ألبسنيها الشيخ الحافظ جمال الدين أبو حامد محمّد بن الشيخ أبي الحسن عليّ بن جمال النيرانيّ عن أبي الفتح محمود المحموديّ بن الصابونيّ السلاميّ في منزله، فقال: ألبسنيها المشايخ الثلاثة بشرائطها:

[**الطريق الأوّل:**] الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن أحمد الحميريّ الفارسيّ، قال: ألبسنيها والدي الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الحميريّ الفارسيّ، قال: شيخ الشيوخ أبو الفتح أحمد بن خليفة البيضاويّ عن أبي إسحاق إبراهيم بن شهريار الكازرونيّ /٢٠٣ ب/ عن الشيخ أبي عبد الله محمّد بن خفيف عن الإمام جعفر الحذّاء عن الإمام أبي عمر الإصطخريّ عن الإمام أبي تراب النخشبيّ عن الإمام أبي عليّ شقيق البلخيّ عن الإمام أبي عمرو موسى بن زهد الفراغيّ عن أويس القرنيّ رحمه الله عن أمير

---

١. حج: + ومولاه.

المؤمنينعليه‌السلام.

و بطريق آخر: أنّ الشيخ أبي عبد اللّه محمّد بن حبيب أخذ عن الشيخ شيخ الطائفة أبي القاسم محمّد الجنيدقدس‌سره.

والطريق الثاني: الشيخ صدر الدين أبو الحسن محمّد بن عمر بن عليّ بن محمّد بن حمّوية الجويني[1] قال: ألبسنيها الشيخ عماد الدين أبو الفتح أبو حفص عمر بن عليّ بن شيخ الشيوخ أبي عبد اللّه بن حمّوية وهو ممّن صحب الشيخ أبا عليّ الفضل بن محمّد العاقديّ وهو صحب شيخ وقته الشيخ عبد اللّه بن عليّ الطوسيّ عرف بكركان وهو صحب أبا عثمان سعد بن سلام المصريّ وهو صحب أبا عمرو محمّد بن إبراهيم الزجاجيّ النيسابوريّ وهو صحب شيخ الطائفة أبي القاسم محمّد الجنيدرحمه‌الله.

الطريق الثالث: الشيخ الربّانيّ شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد اللّه عمر بن محمّد بن عبد اللّه بن محمّد البكريّ السهرورديّ قال: ألبسنيها عمّي شيخ الإسلام أبو النجيب ضياء الدين عبد القاهر بن عبد اللّه بن محمّد السهرورديّ، قال: ألبسنيها عمّي الشيخ وجيه الدين عمر بن محمّد يعرف بعمّوية، قال ألبسنيها الشيخان:

أحدهما: والدي محمّد بن عمّوية عن الشيخ أحمد الأسود الدينوريّ عن ممشاد الدينوريّ عن شيخ الطائفة الجنيد عن خاله السقطيّ عن معروف الكرخيّ عن الإمام عليّ بن موسى الرضاعليه‌السلام.

والثاني: أخروج الدركانيّ عن أبي العبّاس النهاونديّ عن الشيخ أبي عبد اللّه محمّد بن خفيف عن شيخ الطائفة أبي القاسم الجنيد عن خاله السقطيّ عن معروف الكرخيّ عن الإمام عليّ بن موسى الرضاعليه‌السلام.

فانتهى أمر الخرقة والطريقة من جميع المشايخ إلى عليّعليه‌السلام وأولاده الطاهرينعليهم‌السلام.[2 و3]

---

١. هامش حج: غير الأوّل.

٢. نفس المصدر.

٣. هامش مر: ورأيت نسخة تتضمّن نسبة الشيخ محمّد بن طلحة الشاميّ، صورتها أنّه قال: ←

[الفضيلة الرابعة: الكرم]

قال: ورابعها: الكرم: وهو ظاهر مشهور؛ فإنّه المضروب به المثل فيه، حتّى قال فيه عدوّه معاوية بن أبي سفيان لمّا قال له محقّن بن أبي محقّن الضبيّ: جئتك من عند أبخل الناس، فقال له معاوية: أنّى يكون كذلك؟ وهو الذي لو ملك بيتاً من تبن وبيتاً من تبر لأنفق تبره قبل تبنه. وغرس بيده عدّة حدائق وباعها وتصدّق بأثمانها[١] وأعتق ألف مملوك من كسب يده. وبالجملة فكرمه وبلوغه الغاية والنهاية فيه غير منكور ولامدفوع عند أهل الإسلام.

سماعي ـ وما توفيقي إلّا باللّه ـ من شيخي وقبلتي وقدوتي وسبب نجاتي ومعتق رقبتي ومخلصي من القميص البشريّة وملحقي بالأشباح النوريّة ومعرّفي علم الوزن معرفة حقيقية، الأجلّ الأوحد، العالم الصفيّ، صفيّ الدين تاج الإسلام أبي الحسن بن عليّ بن الأرمويّ، سماعه من الشيخ الصالح رغيب الدين العراقيّ ـ قدس روحه ـ سماعه من الشيخ شهاب الدين السهرورديّ المقتول ـ قدس اللّه روحه ـ سماعه من الشيخ ليث الدين الجُبّائيّ، سماعه من الشيخ نجم الدين الرازيّ، سماعه من الشيخ جمال الدين المصريّ، سماعه من الشيخ شهاب الدين الدمشقيّ، سماعه من الشيخ عفيف الدين الحلبيّ، سماعه من الشيخ ذي النون المصريّ، سماعه من مولانا وسيّدنا الحسن الأخير العسكريّ ـ منه السلام وإليه التسليم ـ سماعه من أبيه عليّ الهادي، سماعه من أبيه الجواد، سماعه من أبيه عليّ الرضا، سماعه من أبيه موسى الكاظم، سماعه من أبيه أبي عبد اللّه جعفر الصادق، سماعه من أبيه محمّد الباقر، سماعه من أبيه عليّ بن الحسين زين العابدين، سماعه من أبيه أبي عبد اللّه الحسين الشهيد، سماعه من أخيه أبي محمّد الحسن الزكيّ، سماعه من أبيه عليّ بن أبي طالب ـ صلوات اللّه عليهم ـ سماعه من محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله، سماعه من جبرئيل عليه السلام من اللّه تعالى. وكانت هذه النسبة في سابع عشرين ربيع الأوّل سنة سبع وستّين وستّمئة الهلاليّة ببغداد، والحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين. «منه قدس سره».

١. حج: بثمنها.

[اعتراف معاوية بفضائل عليّ عليه السلام]

أقول: ورد في الحديث المنقول[١] عن الثقات أنّ محقّن بن أبي محقّن الضبيّ كان من أصحاب عليّ عليه السلام، ثمّ إنّه قدم إلى الشام /٢٠٤ أ/ وافداً على معاوية. فلمّا قدم عليه فرح به معاوية وقال له: جئت يا محقّن مِن عند مَن؟ وكان ذلك بمحضر جماعة عظيمة من أهل الشام، فقال محقّن: نعم يا معاوية! جئتك من عند أبخل الناس وأجبن الناس وألأم الناس وأعيى[٢] الناس. فقال معاوية لجُلَسائه: اسمعوا ما يقول أخوكم العراقيّ. فلم يدر محقّن أيّ الناس يكرمه ويتحفه.

فلمّا تفرّق الناس عنه قال معاوية: يا محقّن! أعِد ما قلت. فقال محقّن: جئتك من عند أبخل الناس وأجبن الناس وألأم الناس وأعيى الناس. فقال معاوية: واللّه لقد كذبت يا محقّن! أنّى يكون ابن أبي طالب أبخل الناس؟ وهو الذي لو ملك بيتاً من تبن وبيتاً من تبر لأنفق تبره قبل تبنه. وأنّى يكون أجبن الناس؟ وهو الذي ما التقت فئتان قطّ إلّا كان أشجعهما. وأنّى يكون ألأم الناس؟ وأبوه أبو طالب شيخ قريش وسيّد البطحاء وأمّه فاطمة بنت أسد وأخوه جعفر وعمّه حمزة وابن عمّه رسول اللّه وزوجته فاطمة بنت رسول اللّه وأولاده الحسن والحسين، واللّه ما جمع أحد من النسب ما جمعه. وأنّى يكون أعيى الناس؟ فواللّه ما بيّن[٣] الفصاحة لقريش غيره. فقال محقّن: فإذا علمت ذلك منه فكيف تقاتله؟ فقال: أقاتله على خاتمي هذا حتّى يجوز به أمري. فقال محقّن: فحسبك

---

١. حج (خ ل): الأحاديث المنقولة.

٢. مر: أغبى (وكذا ما يليه).

٣. حج (خ ل): سنّن.

ذلك إذَن ومصيرك إلى النار. فقال: لا، يا ابن أبي محقّن! أين أنت عن قوله تعالى: ﴿إنَّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؟[١ و٢]

وأقول: هذا من معاوية عين الحماقة؛ فإنّ الآية مصرّحة بأنّ الرحمة إنّما هي قريبة إلى أهل الإحسان، وأين إحسانه؟ وهو يحارب من حربه حرب الرسول الذي حربه حرب اللّه بنصّ الرسول في قوله ﷺ: «حربك يا عليّ حربي وسلمك سلمي»[٣]، ومن هو حرب اللّه وحرب رسوله لايفلح أبداً، وكيف؟ وهو ﷺ يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني سبّ اللّه ومن سبّ اللّه أكبّه اللّه على منخريه في النار»[٤]. فكيف حال من فعل السبّ مع ما أعظم منه وهو المحاربة المفضية إلى قتل النفوس المعصومة، بل أفضى إلى قتل جماعة من فضلاء

---

١. الأعراف/٥٦

٢. **من طريق الشيعة:** الصراط المستقيم: ١٦١/١؛ كشف اليقين: ٤٧٥

٣. **من طريق الشيعة:** الإفصاح: ١٢٨؛ الصوارم المهرقة: ٨٩؛ عوالي اللآلي: ١٠٢/٢، ٨٧/٤؛ فقه القرآن: ٣٦٥/١

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٣/١٣؛ كفاية الطالب: ٢٦٥؛ المناقب للخوارزمي: ١٢٩؛ المناقب لابن مغازليّ: ٩٦، ٢١٦؛ ينابيع المودّة: ١٥٩/١، ١٧٨، ٢٢٧

٤. **من طريق الشيعة:** تقريب المعارف: ١٢٦؛ عوالي اللآلي: ٨٧/٤

ومن طريق أهل السنّة: ينابيع المودّة: ١٤٠/١، ٩٦/٢، ١٥٠، ٢٦٦، ٢٧٠، ٣٧٩؛ كفاية الطالب: ٨٢؛ البداية والنهاية: ٣٩١/٧؛ تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٦٣٤/٣؛ تاريخ الخلفاء: ١٣٤/١؛ سمط النجوم العوالي: ٣٣/٣؛ إطراف المسند المعتلي: ٤٢٨/٩؛ السنن الكبرى للنسائيّ: ٤٤١/٧؛ الشريعة: ١٧٥٨/٤، ٢٠٥٧، ٢٠٦٠؛ المستدرك على الصحيحين: ١٣٠/٣؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ١٧٨/١؛ فضائل الصحابة: ٥٩٤/٢؛ كنز العمّال: ٥٧٣/١١، ٦٠٢؛ مسند أحمد: ٣٢٨/٤٤؛ معجم ابن عساكر: ٤٤٨/١؛ مناقب الأسد الغالب: ٢٠/١؛ البيان والتعريف: ٢١٨/٢؛ تاريخ دمشق: ١٣٢/١٤، ١٧٩/٣٠، ٢٦٦/٤٢، ٥٣٣

الصحابة كعمّار بن ياسر الذي قال فيه النبيّ ﷺ: «عمّار جلدة بين عيني، تقتله الفئة الباغية»[١]، وكهاشم بن عتبة المرقال وأضرابهما من الأفاضل؟ ولو لم يكن له إلّا قتله[٢] حجر بن عَديّ وأصحابه، ولكنّه يطمع طمعاً كاذباً ويأمل أملاً مُردياً تمويهاً على السامعين واستجلاباً لذوي الغفلة والمبتهلين.

[الفضيلة الخامسة: التواضع وحسن الخلق]

قال: وخامسها: التواضع وحسن الخلق: وهو المضروب به المثل فيه حتّى نسبه أعداؤه بسببه إلى الدعابة[٣] وكثرة المزاح واللعب. فقال عمرو[٤] العاص لأهل

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٢/٣٣؛ رجال الكشّيّ: ٣٠؛ عوالي اللآلي: ١١٣/١؛ كشف الغمّة: ٢٥٨/١؛ كشف اليقين: ١٦٠

ومن طريق أهل السنّة: البداية والنهاية: ٢٦٤/٣، ٢٦٥، ٢٤٠/٦، ٢٩٦/٧، ٢٩٨، ٣٠٠؛ الكامل في التاريخ: ٦٦٢/٢؛ تاريخ ابن خلدون: ٦١٧/٢، ٦٣١؛ تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٣٨/٢، ٥٧٨/٣، ٥٧٩، ١٦٦/٥؛ تاريخ الرسل والملوك: ٣٩/٥، ٥٠٩/١١؛ تفسير المنار: ٢٨٤/٧، ٣٩١/١٠؛ الجمع بين الصحيحين: ٣٤٦/٢؛ السنن الكبرى للبيهقيّ: ١٨٩/٨؛ السنن الكبرى للنسائيّ: ٤٦٦/٧، ٤٦٨؛ المستدرك على الصحيحين: ١٦٢/٢، ١٦٨، ٤٣٦؛ صحيح البخاري: ٩٧/١، ٢١/٤؛ كنز العمّال: ٥٣٦/١٣ وما بعد؛ مسند أحمد: ٩٦/١١، ٥٢٣، ٣٦٨/١٨، ٣٠١/٢٩، ٣١٦؛ شرح الصحيح البخاري لابن بطّال: ٢٦/٥؛ عمدة القارئ: ٢٠٨/٤، ١٠٩/١٤، ١٩٢/٢٤؛ الطبقات الكبرى: ٢٥٣/٣ وما بعد؛ تاريخ بغداد: ٢٨٨/١١، ٤٢٩؛ تاريخ دمشق: ٣٧٠/١٦، ٢٧٢/٣١، ٤٦/٤٣، ٤١٢ وما بعد؛ سير أعلام النبلاء: ٣٦٤/١ وما بعد، ٨٦/٥، ١٣٨

٢. حج: قتل.

٣. هامش مر: في الحديث: «ما من مؤمن إلّا وفيه دُعابة. قلت: وما الدعابة؟ قال: المزاح» [الكافي: ٦٦٣/٢؛ وسائل الشيعة: ١١٢/١٢؛ بحار الأنوار: ٦٠/٧٣؛ مستطرفات: ٥٧٩؛ مشكاة الأنوار للطبرسيّ: ١٩٠؛ معاني الأخبار: ١٦٤].

٤. حج: + بن.

الشام: إنّ علياً ذو دعابة شديدة. وأخبر هوعليه السلام /٢٠٤ ب/ عنه في قوله: «عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة وأنّي امرؤ تِلعابة أعافِس وأمارِس. وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة ويمنعني من كثرة الضحك ذكر الموت»[١]. وعمرو العاص أخذ هذا الكلام من عمر بن الخطّاب لمّا ذكر أهل الشورى وعابهم بما عابهم به، لم يجد لعليّ مطعناً يطعن به عليه غير أنّه قال له: أنت أبو حسن لولا دعابة فيك، لو ولّيتهم لتحملنّهم على المحجّة البيضاء لم يزد على ذلك[٢]. وعمرو العاص زاد فيها وسمجها؛ لينفّر عنه أهل الشام؛ ليستميل قلوبهم إلى معاوية.

[الفضيلة السادسة: العبادة]

وسادسها: العبادة: وهو معلوم بالضرورة، تعلّم الناس منه صلاة الليل وملازمة الأوراد وبسط له ليلة الهرير النطع بين الصفّين، فصلّى عليه وأتمّ ورده والسهام تقع بين يديه وتمرّ بسماخيه وهو لايرتاع لذلك. وكان ولده عليّ بن الحسين زين العابدينعليه السلام يصوم النهار ويقوم الليل ويصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة بدعواتها ومناجاتها ويرمي عند ذلك بضجيعته كالمتضجّر، ويقول: أنّى لي بعبادة عليّ بن أبي طالب؟[٣]

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٨٤/٣٠، ٢٢١/٣٣؛ الاحتجاج: ١٨١/١؛ نهج البلاغة: ١١٥
ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥/١، ٢٨٠/٦

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣٨٩/٣١، ١٤٧/٤١؛ الصراط المستقيم: ١٦١/١
ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥/١، ١٨٥؛ تاريخ المدينة: ٨٨٣/٣

٣. **من طريق الشيعة**: كشف اليقين: ١١٨؛ نهج الحقّ: ٢٤٧

و قصّته مع كميل بن زياد إلى رؤيته لهعليه السلام ساجداً بالليل حتّى ظنّ أنّه قد مات معروفة.

[أخبار عن توغّلهعليه السلام في العبادة وشدّة عنايته بها]

أقول: روي أنّ كميل بن زيادرضي الله عنه قال: عرضت لي مع أمير المؤمنينعليه السلام حاجة، فقصدته في جوف الليل نائلاً خلوته، فقصدت منزله وسألت عنه، فقيل لي: إنّه خرج في هذه الساعة. فاتّبعت أثره، فوجدتهعليه السلام متنحّىً عن الناس تحت نخيلات وهو قائم يصلّي. فأمهلته حتّى سجد، فسمعته يقول في سجوده: آه آه من قلّة الزاد وبعد الطريق. فما زال يكرّرها ويبكي، ثمّ شهق شهقة فلم يتحرّك، فظننت أنّه قد مات، فدنوت منه، فحرّكته فلم يتحرّك، فقلت: إنّه قد فارقت روحه. فرجعت وأخبرت أمّ كلثوم بخبره. فقالت: ما سمعته يقول يا كميل؟ فقلت: سمعته يذكر النار ويتأوّه لسفر الآخرة. فقالت لي: يا كميل! لاتخف عليه؛ فإنّها غشوته المعروفة التي يتعاهدها فيه. ثمّ إنّهاعليها السلام مضت إليه ونضحت عليه من الماء البارد، فانتبه من غشوته. وأمثال ذلك من أحواله كثير.

وروي عن ابن عبّاس قال: رأيت عليّاًعليه السلام في بعض أيّام صفّين وقت الحرب قرب الزوال وهو يرصد الشمس. فقلت: يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي تفعل ولأيّ شيء ترصد الشمس في هذا الوقت؟ فقالعليه السلام: خفت أن تكون قد زالت فنشتغل بصلاة الظهر. فقلت: يا أمير المؤمنين! أوَما لنا شغل بالحرب عن الصلاة في أوّل وقتها، فقد كفا لنا بذلك شغل عن هذا الرصد؟ فقال: يا ابن عبّاس! فعلى ما نقاتلهم؟ إنّما نقاتلهم على إقامة هذه الصلاة[1]. وهو دليل على

---

١. **من طريق الشيعة**: وسائل الشيعة: ٢٤٦/٤؛ بحار الأنوار: ٢٣/٨٠؛ إرشاد القلوب: ٢١٧/٢؛ ←

شدّة اعتنائه بإقامة الأوقات ومراعاة الفرائض فيها وإنّه لايشغله عن ذلك شاغل وإن عظم. إلى غير ذلك /٢٠٥ أ/ من أفعاله الدالّة على أنّه بلغ في العبادة مبلغاً لم يبلغه غيره.

[الفضيلة السابعة: العفّة والصفح وكظم الغيظ]

قال: وسابعها: العفّة والصفح وكظم الغيظ: وذلك معلوم منهعليه السلام؛ فإنّه لم يقابل مسيئاً بإساءته قطّ؛ فإنّه صفح عن أهل البصرة يوم الجمل بعد أن عملوا فيه ما عملوا وسار فيهم بسيرة ابن عمّه في أهل مكّة يوم الفتح، مع أنّهم من أعدائه والمجاهدين بحربه وإشهار السيوف في وجهه ووجوه أولاده. وكذلك عفى عن جماعة كانوا يستحقّون القتل بما عملوا معه من الأعمال القبيحة وما قابلوا به من الشتم والسبّ له ولأولاده. منهم عبد اللّه بن الزبير، وقد ظفر به يوم الجمل فعفى عنه وأطلقه. ومنهم عائشة؛ فإنّه صفح عنها ولم يؤاخذها بما عملت معه؛ لما علمه منها من الوهن وضعف الرأي مع ما كانت تشتمل عليه من الطعن عليه والبغض له وكان طلاقها بيده، فبعث بها مكرمة إلى المدينة. إلى غير ذلك من أحواله، من يتّبع سيرتهعليه السلام وجده موصوفاً بغاية الحلم والصفح.

[قصّتهعليه السلام مع أهل البصرة يوم الجمل]

أقول: أمّا قصّته مع أهل البصرة يوم الجمل فهي من المعلومات الضروريّة وحديث حرب الجمل رواه الثقات من المحدثّين وهو أنّ طلحة والزبير لمّا نكثا بيعته وخرجا يريدان بزعمهما العمرة لمّا استأذناه للخروج للعمرة، فقال لهما:

كشف اليقين: ١٢١؛ نهج الحقّ: ٢٤٧

واللّه إنّما[١] تريدان الغدرة[٢]، وفي رواية: إنّما تريدان البصرة[٣]. ثمّ أمرهما بتجديد البيعة والأيمان بالوفاء، ففعلا ذلك وخرجا من عنده. فقال عليه السلام: لقد دخلا عليَّ بوجهين غادرين وخرجا بوجهين فاجرين، واللّه لايلتقياني بعد اليوم إلّا في كتيبة[٤] يقتَلان فيها وصارا بعد مخرجهما يقولان لكلّ من لقيهما: ليس لعليّ في أرقابنا بيعة وإنّما بايعناه مكرهين. فقدما مكّة واستخرجا عائشة واستنهضوها للخروج معهم إلى البصرة. فأجابت إلى ذلك؛ لأجل ما كان في قلبها من الانحراف عن عليّ عليه السلام وأنّها لم ترض بخلافته.

فساروا إلى البصرة وأظهروا الطلب بدم عثمان وزعموا أنّ عليّاً عليه السلام هو الذي قتله أو أعان على قتله وأنّ قَتَلَة عثمان معه. فانحاز إليهم أهل البصرة ونكثوا بيعة أمير المؤمنين بغير سبب وقبضوا على[٥] عامل عليّ عليه السلام بها وهو يومئذ سهل بن حنيف الأنصاريّ، فأرادوا قتله، فمنعتهم عائشة وأمرت بنتف شعر رأسه ولحيته، ففعلوا ذلك به ونهبوا بيت مال المسلمين بالبصرة. فلمّا قدم سهل بن حنيف على عليّ عليه السلام تجهّز للخروج إلى حرب القوم بمن معه من أهل الحجاز حتّى وصل

---

١. حج: ـ إنّما.

٢. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ٣٦٦/٩٧؛ الجمل: ١٦٦

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٢/١، ٢٤٨/١٠

٣. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ٢٩٩/٤١، ٣١٠؛ الإرشاد: ١٦٩؛ الجمل: ١٦٦؛ الخرائج: ١٩٩/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٦٢/٢

ومن طريق أهل السنّة: سمط النجوم العوالي: ٥٥٧/٢

٤. هامش مر: أي جيش.

٥. حج: ـ على.

إلى الكوفة واستنهض أهلها لقتال أهل البصرة، فنهضوا معه وحصلت بينهم الوقعة المعروفة بوقعة الجمل، وهي من الوقائع العظيمة الشهيرة، قتِل فيها من الفريقين خلق كثير من المسلمين، وقتل يومئذٍ طلحة جاءه سهم في المعركة فقتله، وأمّا الزبير فإنّه هرب لمّا التحم القتال، فتبعه ابن جُرموز فقتله.[1]

وظفر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة، ففرّق[2] عسكرهم، فانهزموا أقبح هزيمة بعد أن قتل منهم جمّ غفير. فلمّا رآهم وقد ولّوا الدبر /٢٠٥ ب/ نادى في عسكره: لايقتل منهم منهزم ولايجاز على جريح[3]، ونادى: يا أهل البصرة! من ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيّز إلى عسكرنا فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبيّ بن خلف فهو آمن ورفع عنهم السيف وردّ عليهم جميع ما

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٩٨/٣٢، ٣٣٤ وما بعد، ٩٢/٣٣؛ الاحتجاج: ١٦٣/١؛ تنزيه الأنبياء: ١٥٨، ١٥٩؛ الجمل: ٣٧٦ وما بعد؛ الصراط المستقيم: ١٧٣/٣؛ الفصول المختارة: ١٤٢ وما بعد؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٥٨/٣

ومن طريق أهل السنّة: البدء والتاريخ: ٢١٥/٥؛ البداية والنهاية: ٢٧٨/٧؛ الفتنة ووقعة الجمل: ١٧٤/١؛ الكامل في التاريخ: ٦٠١/٢؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٩٣/٥؛ المنمّق في أخبار قريش: ٣٦٢/١؛ تاريخ ابن خلدون: ٦١٨/٢؛ تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٤٩٠/٣؛ تاريخ الرسل والملوك: ٥١٠/٤؛ تجارب الأمم: ٥٠٣/١؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٣٨/٤؛ جامع البيان: ١٠٨/١٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٤/١، ٢٣٦، ١٦٧/٢، ١١٤/٩، ٢٥٤/١٧؛ المستدرك على الصحيحين: ٤١١/٣ وما بعد؛ فضائل الصحابة: ٧٣٧/٢، ٧٤٤، ٧٤٧؛ كنز العمّال: ٢٠٥/١٣؛ مسند أحمد: ٩٨/٢؛ المجالس الوعظيّة: ١٧٨/٢؛ عمدة القارئ: ٥٠/١٥؛ الطبقات الكبرى: ١٠٥/٣؛ تاريخ الرسل والملوك: ٣١٠/٧؛ تاريخ دمشق: ٣٤٠/١٨، ٣٧٠، ٤٠٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣٦/١؛ ١٥٦/٣

٢. حج (خ ل): فتفرّق.

٣. حج: جريحهم.

غنمه عسكره من أموالهم.[1]

فتكلّم أصحابه في ذلك، فقال عليه السلام: إنّي سرت في أهل البصرة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح في أهل مكّة؛ فإنّه لمّا فتح مكّة نادى مناديه: إنّ من ألقى سلاحه فهو آمن ومن أعلن الشهادة فهو آمن ومن أغلق دونه بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.[2] فعفى وصفح وكظم غيظه ومنّ على أهل مكّة وهم أهل الكفر المجاهدين بعداوته وحربه وإخراجه وإجلائه وسبّه، فلمّا أظفره الله بهم منّ عليهم وعفى عنهم تكرّماً منه وفضلاً. أفتعجبوا منّي أن مننت على المسلمين؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله قد منّ على الكافرين. فسكت أصحابه عند ذلك.

وأمّا عائشة فإنّها كانت في وقت الحرب راكبة جملاً وهي في هودج لها

---

١. **من طريق الشيعة:** الكافي: ١٠/٥؛ وسائل الشيعة: ٢٥/١٥؛ مستدرك الوسائل: ٥٣/١١ وما بعد؛ بحار الأنوار: ٢١٠/٣٢، ٢٧٢، ١٤٥/٤١، ٣٦٧/٥٢، ١٦/٩٧؛ تحف العقول: ٢٨٨؛ تفسير فرات: ١١١؛ غيبة النعمانيّ: ٣٠٧

ومن طريق أهل السنّة: الأخبار الطوال: ١٥١/١؛ سمط النجوم العوالي: ٥٦٩/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣/١؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٣٧/٧، ٥٤٣

٢. **من طريق الشيعة:** بحار الأنوار: ١٠٣/٢١، ١٢٩، ٩٤/٣٣، ١٦/٩٧؛ إعلام الورى: ١٠٨؛ تفسير القمّيّ: ٣٢٠/٢؛ الطرائف: ٣٨٩/٢؛ القصص للراونديّ: ٣٤٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٠٦/١؛ نهج الحقّ: ٣٢٠

ومن طريق أهل السنّة: شفاء الغرام: ٥١/١، ١٦١/٢؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٦٢/٦؛ التفسير الكبير: ٣٣٨/٣٢؛ بحر العلوم: ٤٤/٢؛ أخبار مكّة للفاكهيّ: ١٩٦/٥؛ السنن الصغير للبيهقيّ: ٢٧٣/٣؛ السنن الكبرى للبيهقيّ: ٣٤/٦، ١٨١/٨، ١١٨/٩؛ سنن الدارقطنيّ: ١٧/٤؛ شرح معاني الآثار: ٢٩٩/٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٧/١٧، ٢٦٩، ٢٧٢؛ مستخرج أبي عوانة: ٢٨٣/٤؛ مسند إسحاق بن راهويه: ٢٩٩/١؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٤٠٠/٧؛ شرح النوويّ على صحيح مسلم: ١٣٠/١٢؛ شرح صحيح البخاريّ لابن بطّال: ٢٦٨/٤

وهي بين العسكر تحرض أهل البصرة على الحرب وتحثّهم على القتال. فأمر عليّ عليه السلام بعقر الجمل وقال: اعقروه؛ فإنّه شيطان. فتقدّم أصحابه لعقر الجمل وقد استدارت الحرب حوله وقد صرع حوله خلق كثير من أهل البصرة ممّن يأخذ بخِطام الجمل ودنا عليّ عليه السلام بنفسه في كتيبة الخضراء حتّى تفرّق الناس عنه وأمر رجلاً اسمه بُحَير بعقر الجمل، فضرب بحير قوائمه بالسيف، فبرك الجمل[١] وله رُغاء[٢] عظيم، وفرّ أهل البصرة من حوله. وقال عليّ عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: تولّ أمرها. فلمّا ذهبت لتقع من الهودج عند وقوع الجمل على الأرض قبض عليها محمّد بن أبي بكر، فقالت: من هذا الذي مسّ جسداً ما مسّه إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: لابأس عليك، هو أخوك الطيّب من الخبيث. فقالت: لا، بل الخبيث من الطيّب. وأسكنوها دار ابن خلف بالبصرة، فلمّا تفرّغ عليّ عليه السلام من أحوال عسكره بعث إليها ابن عبّاس يأمرها بالرجوع إلى المدينة، فأبت، فقال عليه السلام: قل لها فلترجع إلى بيتها الذي أمرها الله ورسوله فيه، وإلّا قلت الكلمة التي قالها لي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: لا، يا ابن عبّاس! بل أرجع.[٣]

وتلك الكلمة هي الطلاق الذي كان بيده بوصاية من النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك أنّه قد ورد في ما رويناه بالطريق الصحيح عن المشايخ الثقات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته جمع نساءه واستدعى عليّاً عليه السلام وقال لهنّ: إنّ وصيّي وخليفتي

---

١. هامش مر: برك الجمل، أي ناخ في موضع فلزمه. (صحاح).

٢. هامش حج: الرغاء (كغراب) صوت ذوات الخف، وقد رغا البعير رغواً ورغاءً إذا ضجّ.

٣. **من طريق الشيعة**: الجمل: ٣٤٨

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٣/١

عليكنّ عليّ بن أبي طالب، فاسمعن له وأطعن لأمره ولاتخالفن عليه. ثمّ قال: يا عليّ! ارفق بهنّ؛ فإنّهنّ إلى ضعف الرأي والوهن أقرب، ومن عصتك منهنّ وخالفت أمرك فطلّقها منّي براءة من اللّه ورسوله إلى النار. فكان طلاق نساء النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام بتلك الوصيّة، فلمّا قال لها عليّ عليه السلام: إن لم ترجعي وإلّا قلت /٢٠٦ أ/ الكلمة، فخافت أن يطلّقها من رسول اللّه صلى الله عليه وآله فتبطل حرمتها، فقالت: لا، بل أرجع.[١]

فجهّز معها عليّ عليه السلام سبعين من نساء عبد القيس عمّمهنّ بالعمائم وقلّدهن بالسيوف وأمرهن بالخروج معها، فخرجت معهنّ. فلمّا قدمت المدينة جعلت تذكر عليّاً وتقول: هتكني بجنده. فلمّا سمعن النساء ذلك منها ألقين العمائم وقلن لها: إنّما نحن نساء مثلك، فخجلت وقالت لهنّ: لاتحدثن عليّاً بما قلت. فقلن: نفعل يا أمّ المؤمنين.[٢]

وأمّا عبد اللّه بن زبير فإنّه كان من المجاهدين بعداوة عليّ عليه السلام وكان يشتمه على رؤوس الأشهاد حتّى قال عليّ عليه السلام: «لم يزل الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى شبّ ولده عبد اللّه»[٣]. وكان حاضراً يوم الجمل وهو أشدّ الناس تحريضاً على قتال عليّ عليه السلام وهو الذي قال لأبيه لمّا أذكره عليّ عليه السلام الحديث الذي قال له

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٠٧/٢٨؛ إرشاد القلوب: ٣٣٦/٢

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٤٥/٤١

ومن طريق أهل السنّة: سمط النجوم العوالي: ٥٦٩/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣/١

٣. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٤٣/٤١؛ نهج البلاغة: ٥٥٥

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٢/٢٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٢٠١/٦؛ معجم ابن الأعرابيّ: ٩٣٢/٣؛ تاريخ دمشق: ٤٠٤/١٨

رسول اللهﷺ. وذلك أنّه روي الثقات أنّه لمّا يقابل الصفّان يوم الجمل خرج عليّعليه السلام حاسراً وقال: ادعوا إليّ الزبير. فخرج الزبير إليه دارعاً وتلاقيا حتّى التقت أعناق فرسهما، فقال عليّعليه السلام: أما تذكر يا زبير يوم لقيتني مع رسول اللهﷺ في موضع كذا فاعتنقتني، فقال لك رسول اللهﷺ: أتحبّه يا زبير؟ فقلت: وكيف لاأحبّه يا رسول الله! وهو ابن خالي؟ فقالﷺ: لتقاتلنّه يوماً وأنت ظالم له[١]. فقال الزبير: أذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر، لأرجعنّ عن قتالك. ثمّ أتى إلى أصحابه، فقال له ابنه عبد الله: ما خبرك؟ فقال: إنّ عليّاً أذكرني شيئاً قد أنسيته وإنّي راجع عن حربه. فقال له عبد الله: جبنت من سيوف ابن أبي طالب؟ إنّها لسيوف حدّاد يحملها فوارس أنجاد. فقال الزبير: أبالجبن تعيرني؟ وإنّي ما جبنت منذ شجعت. ثمّ أخذ رمحه، فطرح سنانه، ثمّ حمل على عسكر عليّ، فقلب الميمنة على الميسرة، فقال عليّعليه السلام لمّا رآه وقد حمل: افرجوا له؛ فإنّه مخرج. وكان عبد الله قد أسر يوم الجمل، فجاؤوا به إلى عليّعليه السلام وهو في الأسر، فأطلقه وصفح عنه وخلّى سبيله مع ما هو عليه من تلك العداوة والبغض، فعل

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٢٣/١٨، ١٩/٣٠، ١٧٣/٣٢، ١٩٠، ٣٢٤/٣٦؛ بشارة المصطفى: ٢٤٧؛ الصراط المستقيم: ١٢٠/٣، ١٧١؛ كشف الغمّة: ٢٤٠/١؛ كشف اليقين: ١٥٣

ومن طريق أهل السنّة: البداية والنهاية: ٢٣٧/٦، ٢٣٨، ٢٦٨/٧، ٢٦٩؛ التدوين في أخبار قزوين: ١٩٤/١؛ الكامل في التاريخ: ٥٩٧/٢؛ المختصر في أخبار البشر: ١٧٣/١؛ تاريخ ابن الوردي: ١٤٨/١؛ شذرات الذهب: ٢٠٧/١، ٢٢/١١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٣/١، ٢٨٧/١٣؛ المستدرك على الصحيحين: ٤١٣/٣؛ جامع معمّر بن راشد: ٢٤١/١١؛ مسند إسحاق بن راهويه: ١٦٧/٤؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٤٥/٧؛ فتح الباري: ٢٢٩/٦؛ تاريخ دمشق: ٤٠٩/١٨، ٤١٠؛ تهذيب التهذيب: ٢٩٠/٦؛ الضعفاء للعقيلي: ٦٥/٣

ذلك كرماً وحسن سيرة.

[قصّته عليه السلام مع أهل الشام يوم صفّين]

ومن جملة ذلك ما روي في أخبار صفّين أنّ أبا الأعور السلميّ ملك الماء على أصحاب عليّ ومنعهم من ورده، فلم يقدروا منه على قطرة واحدة. فلمّا ضاق بهم الأمر واشتدّ عليهم العطش بعث عليّ عليه السلام ولده الحسين عليه السلام في خمسمئة فارس، فكشف أبا الأعور عن الماء واستحاذه الحسين عليه السلام دونهم. فقال أصحاب عليّ: نمنعهم من الماء كما منعونا منه ونقتلهم بسيوف العطش. فقال عليه السلام: كلّا! لانفعل ذلك ولانجازيهم بمثل عملهم، افسحوا[1] لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك[2]. وهذه إن نسبتَها إلى الحلم والصفح فناهيك بها حسناً وجمالاً /٢٠٦ ب/ وإن نسبتَها إلى الكرم وحسن الخلق فناهيك بها بهاءً وكمالاً، إلى غير ذلك من أحواله عليه السلام.

[الفضيلة الثامنة: الشجاعة]

قال: وثامنها: الشجاعة: وهي من المعلومات الضروريّة فلايحتاج فيها إلى بيان أحواله ومنزلته؛ فإنّ أهل العلم إذا[3] ذكروا القسم التواتريّ من أقسام الضروريّ يمثّلون بشجاعة عليّ عليه السلام وسخاء حاتم، فلايحتاج إلى الاستدلال عليه.

---

١. حج (خ ل): افتتحوا.

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٤٥/٤١

ومن طريق أهل السنّة: البدء والتاريخ: ٢١٧/٥؛ البداية والنهاية: ٢٨٤/٧، ٢٨٥؛ الكامل في التاريخ: ٦٣٥/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢/١، ٣١٢/٢

٣. حج: لو.

[شجاعته عليه السلام في يوم بدر]

أقول: من المتّفق عليه بين جميع أهل العلم أنّ جميع الفتوح النبويّة كانت كلّها على يد عليّ عليه السلام وأجمع أهل السير قتلى بدر ـ التي كانت أوّل الفتوح، ومنها ظهر أمر الإسلام وعلت كلمته ـ نصفهم بسيف عليّ، وباقي المسلمين وثلاثة آلاف من الملائكة مسوّمين[1] قتلوا النصف الآخر. وإذا تدبّر العاقل ذلك عرف أنّه عليه السلام كان في المحلّ الأعظم من الشجاعة والقوّة والحرص على الجهاد وإعلاء كلمة الإسلام.

[شجاعته عليه السلام في يوم أحُد]

وكذلك باقي الغزوات؛ فإنّ يوم أحد فرّ جميع المسلمين وقتل منهم سبعين سيّدهم ورئيسهم حمزة، وطرح النبيّ وكسرت رباعيّته ولم يلق المسلمون يوماً مثله وهو كان في ذلك اليوم الثابت الجنان الرابط الجأش، لم يفرّ كما فرّوا ولاغدر كما غدروا، وقام على رأس النبيّ صلى الله عليه وآله يذبّ عنه، وكان كلّما جاءت كتيبة قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ! اكفني هؤلاء، فيحمل عليهم، فيبدّد شملهم[2] حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات. وقتل في ذلك اليوم طلحة بن أبي طلحة وكان يسمّى كبش الكتيبة مع جماعة من صناديد[3] بني عبد الدار، حتّى قال جبرئيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ هذه لهي

---

١. والأصحّ «مُنزَلين» كما في قوله تعالى: **﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾** (آل عمران/١٢٥ـ١٢٤).

٢. حج (خ ل): فيسدد سبلهم.

٣. هامش مر: صناديد قريش، أي أشرافهم وعظماؤهم ورؤساؤهم، جمع صِنديد، وهو السيّد ←

المواساة يا رسول الله. فقال عليه السلام: وما يمنعه من ذلك؟ وهو منّي وأنا منه. وقال جبرئيل: وأنا منكما.[١]

[شجاعته عليه السلام في يوم حنين]

وكذلك يوم حنين؛ فإنّ المسلمين مع كثرتهم عانهم أبو بكر بقوله: لن نغلب اليوم من قلّة، فانهزموا بأجمعهم وولّوا مدبرين. ولم يبق منهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن بن أمّ أيمن قتل في ذلك اليوم[٢]، وكان رئيسهم عليّ عليه السلام وبثباته ثبتوا، وكان بعضهم واقفاً مع النبيّ صلى الله عليه وآله وبعضهم مشتغل معه بغير القتال وكان عليّ عليه السلام هو الذي يضرب قُدّامه بالسيف حتّى عاد المسلمون من هزيمتهم بنداء النبيّ صلى الله عليه وآله لهم. فلمّا اصطفّ الفريقان حمل عليّ عليه السلام

الشجاع (مجمع البحرين).

١. **من طريق الشيعة**: الكافي: ١١٠/٨؛ بحار الأنوار: ٦٩/٢٠، ٧٠، ٩٥، ١٠٧، ١٤٤، ٤٢٦/٣٠، ٣١٨/٣١، ٣٧٢، ٣٢٥/٣٨، ٨٧/٤٠، ٨٣/٤١، ٦٥/٤٢؛ الاحتجاج: ٦٥/١؛ إرشاد القلوب: ٢٦٠/٢؛ إعلام الورى: ٨١؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٤٧؛ بشارة المصطفى: ١٨٦؛ الخصال: ٥٥٦/٢؛ دعائم الإسلام: ٣٧٤/١؛ الصراط المستقيم: ٢٥٣/١، ٨/٢، ٥٨؛ الطرائف: ٦٥/١؛ علل الشرائع: ٧/١؛ العمدة: ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤، ١٢٤؛ القصص للراونديّ: ٣٤١؛ كشف اليقين: ٤٢١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٢٤/٣؛ نهج الحقّ: ٣٩١؛ اليقين: ٣٥٧
ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ٢٦١/١٣؛ الكامل في التاريخ: ٤٤/٢؛ تاريخ الرسل والملوك: ٥١٤/٢؛ سمط النجوم العوالي: ٣٨/٣؛ المعجم الكبير للطبرانيّ: ٣١٨/١؛ فضائل الصحابة: ٦٥٦/٢، ٦٥٧؛ كنز العمّال: ١٤٤/١٣؛ عمدة القاري: ٢١٤/١٦؛ تاريخ دمشق: ٧٦/٤٢، ١٦٨/٦٠؛ كفاية الطالب: ٢٧٥

٢. وهم: عليّ عليه السلام وأبو بكر وعمر والعبّاس بن عبد المطّلب وابنه الفضل وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وأخوه ربيعة وأسامة بن زيد وأخوه من أمّه أيمن بن أمّ أيمن وعبد الله بن مسعود، كما في ما يلي من المصادر.

على صاحب راية المشركين، فضربه بالسيف، فسقط اللواء بقتله، فوقعت الهزيمة على المشركين وولّوا الدبر، وغنموا المسلمون غنائمهم، فكان الفتح فيها على يديه.[١ و٢]

[شجاعته عليه السلام في يوم الطائف والجمل وصفّين والنهروان]

وكذلك يوم الطائف قتل ابن شهاب واستفتح الحصن[٣]، إلى غير ذلك من غزواته ومقاتلاته. وله في يوم الجمل وصفّين والنهروان مقامات معلومة في السير لم يلحقه فيها أحد من الناس.

[شجاعته عليه السلام في ليلة الهرير]

وليلة الهرير كبّر خمسمئة تكبيرة قتل عند كلّ تكبيرة واحداً من فرسان ٢٠٧/ أ/ أهل الشام، ولمّا أصبحوا عدّوا القتلى فعرفوا قتلى عليّ عليه السلام من بينهم؛ فإنّهم بين مقدود بشطرين وبين مقطوع بنصفين[٤]، ولهذا قيل: إنّ ضرباته كانت وتراً

---

١. مر: يده.

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٤٦/٢١، ١٥٥، ١٦٤؛ الإرشاد: ١٤٠/١؛ إعلام الورى: ١١٢؛ الإفصاح: ٦٧؛ بناء المقالة: ١٣٨؛ عين العبرة: ٧؛ كشف اليقين: ١٤٢؛ نهج الحقّ: ٢٥٠

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٥/١٥؛ تاريخ الرسل والملوك: ٧٤/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٩٧/٨؛ تفسير المنار: ٢٢٤/١٠؛ السنن الصغير للبيهقي: ٣٠٩/٣؛ كنز العمّال: ٥٥٤/٥؛ عمدة القارئ: ٢٣٤/١٦؛ فتح الباري: ٨٩/٧، ٣٠/٨، ٣٢؛ تاريخ دمشق: ٢٥٧/٤

٣. حج: الحصار.

٤. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٥٩٩/٣٣، ٦٧/٤١؛ كشف الغمّة: ٢٥٣/١؛ كشف اليقين: ١٥٧؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٨٢/٢

لايثني على من ضربه، وقيل فيه: إنّ سيفه إن اعتلى قدّ وإن اعترض قطّ[١]، وقيل: إنّه كان يقطّ الهام قطّ الأقلام. وبالجملة فإنّ شجاعته الباهرة ثابتة بين الخلق لاينكرها أحد، بل يعترف بثبوتها المخالف والمؤالف.

[الفضيلة التاسعة: الحرص على إقامة الحدود وهداية الخلق]

قال: وتاسعها: الحرص على إقامة الحدود وهداية الخلق: فإنّه معلوم بالتواتر من أحواله؛ فإنّه لم يراقب في اللّه أحداً لاقريباً ولابعيداً. وقصّته مع أخيه عقيل في كلام جبهه به مشهورة. وهو الذي أقام الحدّ على الوليد لمّا تحاماه الصحابة لأجل عثمان وقد قامت عليه البيّنة بشرب الخمر، وقال: لايضيَّع حقّ اللّه وأنا حاضر، وقام إليه فجلده ثمانين جلدة في مجلس عثمان في أيّام خلافته ولم يراقبه.

وممّا يدلّ على ذلك حروبه التي جرت له في أيّام خلافته وانتشار الحال عليه من الصحابة؛ لعدم مراقبته لأحد منهم في ولاية أو عزل أو ترك شيء من الحقوق أو أخذ شيء من الأموال حتّى آل أمرهم إلى حربه والخروج عليه، فقاتلهم في اللّه لم يأخذه فيه لومة لائم، وذلك ظاهر.

[سبب حروبه عليه‌السلام مع الصحابة في خلافته]

أقول: هذه الفضيلة ظاهرة الثبوت لايحتاج فيها إلى إطناب بذكر الوقائع الدالّة

ومن طريق أهل السنّة: الاستقصا: ١٠٥/١؛ المختصر في أخبار البشر: ١٧٦/١؛ تاريخ ابن الورديّ: ١٥١/١

١. منقول عن ابن عائشة، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٠/١

على ثبوتها؛ فإنّ حروبه مع الصحابة في الجمل وصفّين والنهروان من الأمور الشهيرة والقصص المتواترة وكلّها دالّة على حفظه للحدود الشرعيّة وعدم تعطيله لشيء منها، حتّى أنّ بعض العلماء قال: إنّ عليّاًعليه السلام لمّا كان مقيّداً بالشريعة لايرى الخروج عنها في شيء من صغير الأمور وكبيرها حصل عليه انتشار الحال من الصحابة ووقع في الحروب والمقاتلة لأجل ذلك، ولمّا كان غيره من الصحابة غير متقيّد بالشريعة ولاواقف عند أحكامها انقادت له الأمور وكان في رفاهيّة ودعة وتمّت له الأحوال الدنيويّة على استقامتها، ومَن تتبّع السير والوقائع عرف ذلك وتحقّقه.

[كلامهعليه السلام مع أخيه عقيل]

وأمّا الكلام الذي جبه به أخاه عقيل فهو ما ذكره السيّد في *نهج البلاغة*، ففي الأخبار الصحيحة أنّ عقيلاً شكى إليه قلّة ما في اليد وسوء الحال وأراد منه أن يزيده في عطائه، فتكلّم معه بكلام جبهه به وأحمى حديدة وأدناها من جسمه، وذكرعليه السلام ذلك في كلام له مذكور في *نهج البلاغة* من جملته قوله: «فأحميت له حديدة وأدنيتها من جسمه؛ ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي ألم دَنَف من مسيمها. فقلت: ثكلتك الثواكل يا عقيل! أتَئِنُّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرّني إلى نار سجّرها[1] جبّارها لغضبه؟ أتئنّ من الأذى ولاأئنّ من لَظى؟»[2]. إلى آخر

١. هامش مر: سجّرت التنور إذا أحميته.

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٣٤٥/٤٠، ١٦٢/٤١، ٣٥٩/٧٢، ٣٩٤/٧٤؛ إرشاد القلوب: ٢١٦/٢؛ الأمالي للصدوق: ٦٢٢؛ نهج البلاغة: ٣٤٦

ومن طريق أهل السنّة: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٥/١١

الفصل إلى غير ذلك من أحواله. /٢٠٧ ب/

[الفضيلة العاشرة: السبق إلى الإسلام قبل كلّ أحد]

قال: وعاشرها: السبق إلى الإسلام قبل كلّ أحد[١]: وذلك من المعلومات

---

١. **من طريق الشيعة**: تفسير فرات: ٣٤١، ٤٢١؛ الكافي: ٣٣٩/٨؛ الفصول المختارة: ٢٥٤ وما بعد؛ الإفصاح في الإمامة: ٢٣١ وما بعد؛ الأمالي للطوسيّ: ٢٧٤، ٣٤٣؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٤/٢؛ العمدة: ٦٠؛ الطرائف: ١٨/١؛ بناء المقالة: ٦٠، ٣١٦؛ كشف الغمّة: ٨٢/١، ٨٧، ٢٩٣؛ الدرّ النظيم: ٢٧٩؛ العدد القويّة: ٢٤٤، ٢٤٥؛ كشف اليقين: ٢٨؛ نهج الحقّ: ٢٣٥؛ الصراط المستقيم: ٢٣٨/١، ١٥٧/٣، ٢٣٢؛ الصوارم المهرقة: ٢٥٧؛ شرح أصول الكافي للمازندرانيّ: ٩٨/٦، ٣٥٢، ١٣٦/٧، ١٩٠، ١٩٥، ٣٩/١٢، ٤٥٧؛ حلية الأبرار: ٣٣/٢؛ مرآة العقول: ٢٧٧/٥، ٢٨٥، ٤٩٧/٢٦؛ بحار الأنوار: ٢/١٦، ٢١٢/٣٨، ٥٠/٤٠؛ تفسير نور الثقلين: ٢٥٦/٢؛ رياض السالكين: ٩٩/٢؛ تفسير كنز الدقائق: ٥٢٤/٥؛ منهاج البراعة: ٣٩٥/٢، ٢٧١/٨، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٩١، ٤١/١٢، ٣٣٨/١٧، ٣٣٩، ٣٤٥؛ دلائل الصدق: ٤١٥/٥، ٣١٠/٦، ٣١٣

ومن طريق أهل السنّة: أخبار مكّة للفاكهيّ: ١٩١/٣؛ إطراف المسند المعتلي: ٣٦٨/٢؛ الآحاد والمثاني: ١٢١/١ وما بعد؛ السنّة لأبي بكر بن خلال: ٣١٠/٢؛ السنّة لابن أبي عاصم: ٦٠٣/٢؛ السنن الصغير: ٣٤٩/٢؛ السنن الكبرى للبيهقيّ: ٢٠٧/٦؛ السنن الكبرى للنسائيّ: ٣٠٦/٧، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٧؛ المستدرك على الصحيحين: ١٤٧/٣، ٥٢٨، ٥٧١؛ المعجم الأوسط: ١٦٦/٣؛ المعجم الكبير: ٨٤/٥، ٢٥/١١، ٤٠٦، ٩٧/١٢، ٢٩١/١٩، ٤٥٢/٢٢؛ جامع الأصول: ٦٤٨/٨، ١١٨/١٢، ١٢٥؛ جامع معمّر بن راشد: ٢٢٦/١١، ٢٢٧؛ سنن البيهقيّ: ١٠٤/٢؛ سنن الترمذيّ: ٦٤٢/٥؛ شرح مشكل الآثار: ٢٧١/١٠؛ فضائل الصحابة: ٥٨٩/٢؛ كنز العمّال: ١٤٤/١٣؛ الأحاديث المختارة: ٢٦/١٣، ٢٨؛ مسند أحمد: ١٧٩/٥، ٣٢/٣٢، ٣٥؛ مسند ابن الجعد: ٨٧/١؛ مسند البزّار: ٣٢٢/٩؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٣٨/٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١٦/٤، ١١٨، ١٢١، ٢٣٤/١٣، ٥٣/١٤؛ مصنّف عبد الرزّاق الصنعانيّ: ٣٢١/٥؛ معرفة السنن والآثار: ٩٣/٩؛ شواهد التنزيل: ١٢٤/١

الضروريّة؛ فإنّه عليه السلام صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنوات لم يكن أحد يصلّي في الأرض من الرجال غيرهما[1]، وادّعى ذلك لنفسه ولم ينكره عليه أحد، وكان ذلك بمحضر جماعة من الصحابة، فقال: «أنا الصدّيق الأكبر وأنا الفاروق الأعظم، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم»[2]. ووصفه النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك في

---

١. **من طريق الشيعة**: الإرشاد: ٣٠/١، ٤٢١/٢؛ الفصول المختارة: ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٦؛ كنز الفوائد: ٢٧١/١، ٢٧٢؛ روضة الواعظين: ٨٥/١؛ إعلام الورى: ٣٦١/١، ٣٥٦/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٦/٢؛ العمدة: ٦٥، ٦٦، ١٨٣؛ الطرائف: ١٩/١؛ بناء المقالة: ٣١٧؛ الدرّ النظيم: ٢٨١؛ كشف اليقين: ٢٥؛ الصراط المستقيم: ٢٠٦/١، ٢٣٥، ٣٣٠؛ تأويل الآيات: ٥١٦؛ شرح أصول الكافي للمازندرانيّ: ٣٥٢/٢؛ تفسير الصافي: ١٩٤/٤؛ البرهان في تفسير القرآن: ٤٩٢/٤، ٧٤٧، ٧٤٨؛ حلية الأبرار: ٥٠/٢؛ مرآة العقول: ٢٥٥/٤، ٢٨٩/٥؛ بحار الأنوار: ٣٠٢/٢٢، ٢٠٤/٣٨، ٢٢٦، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٤، ٧٧/٤٠، ٨٧، ٥/٦٥، ١٢/١١٠؛ تفسير نور الثقلين: ٢٥٦/٢، ٢٨٨/٤، ٣٠٢؛ تفسير كنز الدقائق: ٥٢٥/٥، ٤٠٥/١٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٣٦٣/١١؛ منهاج البراعة: ٢٦٠/٨، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٧، ٣٤٥/١٧

ومن طريق أهل السنّة: شواهد التنزيل: ١٤٢/٢، ١٨٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ٢٣٠/١٣؛ المناقب لابن مغازليّ: ٦٥؛ المجالس الوعظيّة: ١٦٣/٢؛ تاريخ دمشق: ٣٦/٤٢، ٣٩؛ مختصر تاريخ دمشق: ٢٣٧٢/١

٢. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ٢٢٦/٣٨، ٢٦٨، ٢٨٤، ٣٩٨/٤٧؛ الاحتجاج: ٣٧٩/٢؛ الإرشاد: ٣١/١؛ الصراط المستقيم: ٢٣٥/١، ٢٨٢؛ الفصول المختارة: ٢٦١، ٢٧٩؛ كنز الفوائد: ٢٦٤/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٤/٢

ومن طريق أهل السنّة: الآحاد والمثاني: ١٢١/١، ١٢٦؛ الكنى والأسماء: ٩٠٤/٢؛ كنز العمّال: ٤٣٤/٢؛ السنّة لابن أبي عاصم: ٥٩٨/٢؛ السنن الكبرى للنسائيّ: ٤٠٩/٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٨/١٣، ٢٣٩؛ المستدرك على الصحيحين: ١٢٠/٣؛ فضائل الصحابة: ٥٨٦/٢؛ كنز العمّال: ٤٣٤/٢، ١٢٢/١٣؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ٣٦٨/٦

بل هناك روايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سمّى عليّاً عليه السلام الصدّيق الأكبر وأوّل المسلمين: المعجم الكبير: ٢٦٩/٦؛ بحر الفوائد: ٣١٣/١؛ ترتيب الأمالي الخميسيّة: ٥٨/١؛ كنز العمّال: ٦١٦/١١، ←

قوله لفاطمةعليها السلام: «يا فاطمة! إنّي قد زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً»[1]، وفي حديث آخر: «أوّل من يرد عليَّ الحوض أوّلهم إسلاماً أخي عليّ بن أبي طالب»[2]، إلى غير ذلك.

[تحقيق في إسلام الصبيّ]

وأهل العناد ربّما يدّعون السبق لأبي بكر ويحتجّون بأنّ إسلام عليّ قبله لااعتداد به؛ لأنّه كان في سنّ الطفوليّة وإسلام الصبيّ لااعتداد به. وذلك بناء على أصولهم الفاسدة من إنكار الواجبات العقليّة والتكاليف المنوطة بها ويدّعون أنّ المعارف العقليّة الإلهيّة إنّما تجب[3] بالشريعة. وأنت لمّا عرفت استناد وجوبها إلى العقل قبل الشرع تحقّق عندك سقوط هذه الدعوى؛ فإنّ الواجبات العقليّة تلحق المميّز، فيكون إسلامه صحيحاً معتبراً عقلاً عند ذوي العقول ومحقّقي علمي الأصول. هذا مع أنّا نمنع ما قالوه من كون الإسلام الصبيّ غير معتبر في

١٥٣/١٣؛ مسند البزّار: ٣٤٢/٩

١. من طريق الشيعة: بحار الأنوار: ٤١/٣٧، ١٣٢/٤٣، ١٤٩؛ الأمالي للطوسيّ: ١٥٤؛ كشف الغمّة: ١٥٣/١، ٣٦٢؛ كشف اليقين: ١١٧، ٢٦٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٤٤/٣

ومن طريق أهل السنّة: فضائل الصحابة: ٧٦٤/٢؛ الرياض النضرة: ١٦٠/٣؛ تاريخ دمشق: ١٣١/٤٢ وما بعد؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٧/١٣؛ مختصر تاريخ دمشق: ٢٣٨٦/١

٢. من طريق الشيعة: بحار الأنوار: ٢٧٢/٣٧، ٢٤٧/٣٨، ١٨/٣٩، ١٣٧/٦٥؛ الاحتجاج: ١٣٩/١؛ إعلام الورى: ١٨٦؛ الأمالي للصدوق: ١٨٦؛ بشارة المصطفى: ١٥٥؛ كشف الغمّة: ٢٨٧/١، ٢٩٨؛ كشف اليقين: ١٠٧، ٢٨١؛ كنز الفوائد: ١٧٨/٢

ومن طريق أهل السنّة: معجم ابن الأعرابيّ: ٥٦٢/٢؛ المناقب لابن مغازليّ: ٦٧؛ تاريخ دمشق: ٤٠/٤٢

٣. حج (خ ل): تكون.

الشرع؛ فإنّ الأحاديث الصحيحة مصرّحة بالاعتداد بإسلام المميّز وأنّ جميع عباداته واقعة على الأصول الشرعيّة، مع أنّ لنا أن نمنع من كونهعليه السلام يومئذٍ غير بالغ؛ لجواز حصوله بغير السنّ؛ لجواز اختصاصهعليه السلام بمزيد فضيلة في الخلقة أوجبت حصول البلوغ الشرعيّ قبل العدد، وما ذاك بعجب منه؛ فإنّهعليه السلام منبع العجائب وموضع الغرائب.

[امتناع إحصاء فضائل عليّعليه السلام]

وما ذكرناه في هذه المواضع من فضائلهعليه السلام قليل من كثير ويسير من جمّ غفير، ومَن الذي يمكنه إحصاء فضائله والاستقصاء على مناقبه؟ ورسول اللهصلى الله عليه وآله يقول فيه: «لو أنّ الإنس كُتّاب والجنّ حُسّاب والآجام أقلام والبحر مداد ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب»[1]، رواه أخطب خوارزم في مسنده[2]. ومن يقول فيه رسول الله هذا كيف يمكن إحصاء فضائله والوقوف على جميع مناقبه؟ وقد قيل عن بعض أهل العلم إنّه قال ممّا اختصّ به عليّ بن أبي طالبعليه السلام من العجائب: «إنّ أولياءه كتموا فضائله خوفاً وأعداؤه كتموا فضائله حسداً، ثمّ ظهر من بين الكتمانين فضائل طبّقت الخافقين». وقد ذكرنا في هذه النبذة /٢٠٨ أ/ بعضاً يسيراً منها تيمّناً بها وتبرّكاً بذكرها.

* *

---

١. **من طريق الشيعة**: بحار الأنوار: ١٩٧/٣٨، ٤٩/٤٠، ٧٠، ٧٣، ٧٥؛ إرشاد القلوب: ٢٠٩/٢؛ بناء المقالة: ١٦٤، ٣٦٩؛ الصراط المستقيم: ١٥٣/١؛ الطرائف: ١٣٨/١؛ كشف الغمّة: ١١١/١؛ كشف اليقين: ٢؛ كنز الفوائد: ٢٨٠؛ نهج الحقّ: ٢٣١

٢. المناقب للخوارزمي: ٣١٦

[النصّ الفعليّ الدالّ على ولاية عليّ عليه السلام]

قوله: ودعواه الإمامة وظهور المعجزة على يده كردّ الشمس ودفع الصخرة وقلع باب خيبر وكلام الحيتان والثعبان ونقص الفرات بضربته وهما متواتران.

قال: لمّا كان النصّ هو الطريق الموصل إلى معرفة الوليّ وثبوت ولايته ولاطريق غيره عند هذه الطائفة وذكر النصّ القوليّ الدالّ على ولاية عليّ عليه السلام[1] أشار إلى ذكر النصّ الفعليّ الدالّ على ولايته؛ فإنّ الولاية الخاصّة لمّا كانت فرع النبوّة وكان إثبات الأصل موقوفاً على النصّ الفعليّ ولاطريق إلى ثبوته سواه صحّ كونه طريقاً إلى إثبات الولاية الخاصّة المتفرّعة عليها؛ لأنّ ما ثبت به الأصل يجب أن يثبت به الفرع. وقد علم في الكلام أنّ الطريق إلى إثبات النبوّة ليس إلّا ظهور المعجزة بعد دعواه النبوّة؛ ليكون حجّة على الكلّ في وجوب تصديقه وصحّة دعواه؛ لحصول العلم الضروريّ حينئذٍ بصدقه. وهذا الطريق بعينه قائم في الولاية وثابت فيها، فيصحّ إثباتها به. وقد ثبت أنّ عليّاً عليه السلام ادّعى الإمامة وظهرت على يده معجزات كمعجزات النبيّ صلى الله عليه وآله، بل أبلغ منها وأظهر دلالة؛ إزالةً للارتياب وتأكيداً للاحتجاج وإبلاغاً في الإعذار لما حصل فيه من الاختلاف بين أهل الإسلام.

---

١. مر: ولايته.

[إثبات النصّ الفعليّ بثلاث مقدّمات]

ولهذا جعل المصنّف ذلك من جملة الأدلّة الدالّة على ثبوت ولايته، وتركّبه من ثلاث مقدّمات:

الأولى: أنّه عليه السلام ادّعى الإمامة.

الثانية: أنّه ظهر على يده المعجزة عقيب دعواه.

الثالثة: أنّ كلّ من ادّعى الإمامة وظهر على يده المعجزة كان صادقاً في دعواه.

[المقدّمة الأولى لإثبات النصّ الفعليّ]

والمقدّمة الأولى ثابتة بين الإماميّة منقولة بينهم بالتواتر، فهي عندهم من المعلومات الضروريّة، بل ورواه المخالف أيضاً؛ فإنّ شكايته عليه السلام من الصحابة ومخاصماته معهم وتظلّمه ممّن تقدّمهم وتخلّفه عن متابعتهم[1] ممّا نقل عند الكلّ وعلم بين الخلق لاينكره إلّا ذو غباوة أو معاند. فقد اشتهر عنه ما كان بينه وبين الأوّل من المجادلات والمخاصمات وأنّه استشهد جماعة من الصحابة على نصّ يوم الغدير وغيره. وإنّهم لمّا طلبوه للبيعة وامتنع قال: إنّ البيعة لي في رقابكم يوم الغدير.

[استشهاد عليّ عليه السلام جماعة من الصحابة على نصّ يوم الغدير]

أقول: وذلك ما رواه جعفر بن محمّد المشهديّ في كتابه المسمّى بكتاب *الاعتبار في إبطال الاختيار* ورواه صاحب كتاب *المناقب في فضل آل أبي طالب*

---

١. حج: مبايعتهم.

ورواه الشيخ أبو الفضائل الطبرسيّ[١] في كتاب *الاحتجاج*[٢ و٣]، وهو أنّ أبا بكر لمّا بويع للخلافة يوم السقيفة اجتمعوا في أوّل جمعة وقام أبو بكر على منبر رسول اللّه‌ﷺ يخطب. فقام إليه عليّ‌عليه السلام وذكره بحقّه وما هو /٢٠٨ ب/ الواجب له وما قاله رسول اللّه‌ﷺ في حقّه في يوم الغدير وغيره من المواقف التي نصّ فيها رسول اللّه‌ﷺ وبيّن لهم بذلك وجوب الخلافة له من بعده وأنّه القائم بالأمر دون من عداه وذكره بأيّام اللّه ووعيد الآخرة، ثمّ إنّه استشهد جماعة من الصحابة، فقال: رحم اللّه امرءً سمع مقالة رسول اللّه‌ﷺ يوم الغدير فليقم وليشهد بما سمع. فقام يومئذٍ من المسجد اثنا عشر رجلاً ستّة من المهاجرين وستّة من الأنصار، فشهدوا بحضرة الجماعة بما قاله النبيّ‌ﷺ في يوم الغدير وما أكّده من الوصيّة في حقّ عليّ‌عليه السلام وقالوا: يا أبا بكر! ردّ الحقّ إلى أهله، إنّك سمعت كما سمعنا وشهدت كما شهدنا. أما تذكر قول النبيّ‌ﷺ لك ولعُمَر: قوما فسلّما على عليّ بإمرة المؤمنين، فقلتما: أبأمرٍ من اللّه ورسوله؟ فقال‌عليه السلام: نعم! فقمتما؟ أمّا أنت يا أبا بكر فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وأمّا أنت يا عمر فقلت: بخّ بخّ[٤] لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولا كلّ مؤمن ومؤمنة. خف اللّه يا

---

١. والحقّ أنّه لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (من أعلام القرن السادس)، لا صاحب *مجمع البيان* كما زعمه المصنّف‌رحمه الله، وتبعه الشيخ يوسف البحرانيّ في هذا الانتساب. راجع: الكشكول: ٣٠١/١

٢. تش: ـ ورواه ... الاحتجاج.

٣. الاحتجاج: ٧٠

٤. هامش مر: «بخ» كلمة تقال عند الرضا والمدح مبنيّة على السكون، يقال: بخ بخ، فإن وصلت وخفّفت ونوّنت بقول بخ بخ. وربّما شدّدت كالأسر، وبخبخته قلت له: بخٍّ بخٍّ. (مجمع البحرين).

أبا بكر وأنصف الرجل ولاتظلم أهل البيت حقّهم ولاتسلبهم ملكهم الذي جعله الله لهم. وتكلّم كلّ واحد منهم بكلام يشبه هذا الكلام حتّى أفحِمَ[١] أبو بكر على المنبر ولم يستطع أن يردّ جواباً.

فلمّا فرغ القوم من كلامهم قال أبو بكر: أيّها الناس! أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم. فقام إليه عمر عجلاً وقال: لانُقيلك ولانستقيلك، قدّمك رسول اللهﷺ علينا في حياته، فكيف لانقدّمك بعد وفاته؟ ثمّ قال: يا لُكَع[٢]! إذا كنت لاتقوم بحجّة فلمَ أقمت نفسك في هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعها منك وأجعلها في أبي عبيدة. ثمّ أنزله من المنبر وخرجوا من المسجد ولم ينتظم في ذلك اليوم أمر جماعتهم.

فلمّا كانت الجمعة الثانية اجتمعوا وتشاوروا في ما بينهم. فقال عمر: والله لئن تكلّم أصحاب عليّ بمثل ما تكلّموا به الأمس فسد علينا الأمر. ثمّ إنّ أبا عبيدة جاء ومعه مئة رجل، وجاء معاذ ومعه مئة رجل، وجاء عمر ومعه مئة رجل، وساروا بأجمعهم شاهري سيوفهم وأبو بكر في ما بينهم. فبينا عليّ بن أبي طالبعليه السلام جالس في المسجد مع نفر من أصحابه إذ دخل القومُ المسجدَ بجمعهم شاهري سيوفهم، فقال عمر: والله يا أصحاب عليّ! لئن تكلّم رجل منكم بالذي تكلّم به الأمس لنأخذنّ الذي فيه عيناه. فقام إليه سلمان وقال: أشهد على رسول اللهﷺ أنّه قال: بينا حبيبي وقرّة عيني عليّ بن أبي طالب جالس في مسجدي إذ تثب عليه طائفة من كلاب أهل النار يريدون قتله، ولاأشكّ أنّكم هم.

---

١. هامش حج: أي سكت في خصومته.

٢. هامش مر: اللكع عند العرب العبد، ثمّ استعمل في الحمق والذمّ.

فأومى إليه عمر بالسيف وهمّ أن يعلوه به، فجذب عليّ عليه السلام /٢٠٩ أ/ بأذياله حتّى وقع إلى الأرض وقال: يا ابن صُهاك الحبشيّة[١]! أبأسيافكم تهدّدونا وبجمعكم تكاثرونا؟ والله لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّم لأريتكم أيّنا أقلّ عدداً وأضعف ناصراً[٢]. ثمّ قال لأصحابه: قوموا تفرّقوا. وخرج عليه السلام من المسجد[٣]، وأيّ مبالغة في المنازعة والدعوى أبلغ من هذه الواقعة.

وكان أنس بن مالك الأنصاريّ يوم الشهادة حاضراً في المسجد واستشهده عليّ عليه السلام وقال: ما لَك لاتشهد يا أنس كما شهدوا؟ وقد سمعت كما سمعوا. فقال: يا ابن عمّ رسول الله! كبرتُ ونسيتُ. فقال عليه السلام: اللّهمّ إن كان كاذباً فاضربه

---

١. روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كانت صهاك جاريةً لعبد المطّلب، وكانت ذات عجز، وكانت ترعى الإبل، وكانت من الحبشة، وكانت تميل إلى النكاح، فنظر إليها نفيل جدّ فلان، فهواها وعشقها من مرعى الإبل، فوقع عليها، فحملت منه بالخطّاب. فلمّا أدرك البلوغ نظر إلى أمّه صهاك، فأعجبه عجزها، فوثب عليها، فحملت منه بحَنتَمة. فلمّا ولدتها خافت من أهلها، فجعلتها في صوفٍ وألقتها بين أحشام مكّة، فوجدها هشام بن المغيرة بن الوليد، فحملها إلى منزله وربّاها وسمّاها بالحنتمة، وكانت مشيمة العرب مَن ربّي يتيماً يتّخذه ولداً. فلمّا بلغت حنتمة نظر إليها الخطّاب، فمال إليها وخطبها من هشامٍ، فتزوّجها فأولد منها فلان. فكان الخطّاب أباه وجدّه وخاله، وكانت حنتمة أمّه وأخته وعمّته.

وينسب إلى الصادق عليه السلام في هذا المعنى شعر:

من جدّه خاله ووالده … وأمّه أخته وعمّته

أجدر أن يبغض الوصيّ وأن … ينكر يوم الغدير بيعته

(بحار الأنوار: ٩٩/٣١، ١٠٠؛ الصراط المستقيم: ٢٨/٣).

٢. مقتبس من: الجنّ/٢٤

٣. بحار الأنوار: ٢٠١/٢٨؛ الاحتجاج: ٧٩/١؛ الصوارم المهرقة: ٥٩

ببياض لاتواريه العِمامة، فأصابه البرص في وجهه[١]. وكذلك زيد بن أرقم استشهده، فكتم الشهادة، فدعا عليه، فكفّ بصره.[٢ و٣]

---

١. بحار الأنوار: ٣٥٣/٣٨، ٢٠٤/٤١، ١٤٨/٤٢؛ الإرشاد: ٣٥١/١؛ الأمالي للصدوق: ١٩٦؛ بشارة المصطفى: ١٩١؛ الخرائج: ٢٠٧/١؛ ذخائر العقبى: ٦٨؛ الرياض النضرة: ١١٤/٣؛ كشف الغمّة: ٢٨٣/١؛ كشف اليقين: ١١٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٨٢/٢؛ نهج الحقّ: ٢٤٦

٢. بحار الأنوار: ١٢٥/١٨، ٢٨٨/٣٤، ٢٠٠/٣٧؛ كشف الغمّة: ٢٨٣/١

٣. روي عن جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ قدّام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله، منهم أنس بن مالك والبراء بن عازب والأشعث بن قيس الكنديّ وخالد بن يزيد البجليّ.

ثمّ أقبل على أنس، فقال: يا أنس! إن كنت سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية فلاأماتك اللّه حتّى يبتليك ببرص لاتغطّيه العمامة. وأمّا أنت يا أشعث! فإن كنت سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية فلاأماتك اللّه حتّى يذهب بكريمتيك. وأمّا أنت يا خالد بن يزيد! فإن كنت سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية فلاأماتك اللّه إلا ميتة جاهليّة. وأمّا أنت يا براء بن عازب! فإن كنت سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية فلاأماتك اللّه إلّا حيث هاجرت منه.

قال جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ: واللّه لقد رأيت أنس بن مالك وقد ابتلي ببرص يغطّيه بالعمامة فما تستره. ولقد رأيت الأشعث بن قيس وقد ذهبت كريمتاه وهو يقول: الحمد للّه الذي جعل دعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليٍّ بالعمى في الدنيا ولم يدعُ عليّ بالعذاب في الآخرة فأعذّب. وأمّا خالد بن يزيد فإنّه مات، فأراد أهله أن يدفنوه وحفر له في منزله، فدفن، فسمعت بذلك كندة، فجاءت بالخيل والإبل، فعقرتها على باب منزله، فمات ميتة جاهليّة. وأمّا البراء بن عازب فإنّه ولّاه معاوية اليمن، فمات بها ومنها كان هاجر (بحار الأنوار: ٤٦٦/٣١؛ الأمالي للصدوق: ١٢٢؛ الخصال: ٢١٩/١).

[احتجاجه عليه السلام بمقاماته المشهورة يوم الشورى]

قال: وفي يوم الشورى احتجّ عليهم بأبلغ الحجج وعدّد مقاماته المشهورة التي له من النبي صلى الله عليه وآله وما قاله في حقّه من النصوص وما خصّه به من الخصائص الدالّة على استحقاقه للولاية بعده والقيام مقامه، فلم ينكره عليه أحد[١].

---

١. روي أنّه عليه السلام احتجّ على أهل الشورى بهذا الكلام: بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً ويضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف. ثمّ بايع أبو بكر لعمر وأنا أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً. ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، إذَن لاأسمع ولاأطيع. إنّ عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم، لايعرف لي فضلاً في الصلاح ولايعرفونه لي، كأنّما نحن فيه شرع سواء. وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم لتكلّمت، ثمّ لايستطيع عربيّكم ولاعجميّكم ولاالمعاهد منكم ولاالمشرك ردّ خصلة منها.

ثمّ قال: أنشدكم الله أيّها الخمسة! أمنكم أخو رسول الله غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له أخ مثل أخي المزيّن بالجناحين يطير مع الملائكة في الجنّة؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدة نساء هذه الأمّة؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له سبطان مثل ولديّ الحسن والحسين سبطَي هذه الأمّة ابنَي رسول الله صلى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد قتل مشركي قريش غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد صلّى إلى القبلتين غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد أمر الله بمودّته غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد غسل رسول الله غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد سكن المسجد يمرّ فيه جُنُباً غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد ردّت عليه الشمس بعد غروبها حتّى صلّى العصر غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد قال رسول الله ـ حين قرب إليه الطير فأعجبه ـ اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك

ومنه قولهﷺ المنقول تواتراً: «والله ما زلت مدفوعاً عن حقّي مستأثراً عليّ منذ قبض اللّه نبيّه حتّى يوم الناس هذا»[١]. وقوله: «اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش؛ فإنّهم قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن عمّي وما مهّدته لنفسي»[٢].

إليك يأكل معي من هذا الطير، فجئت وأنا لاأعلم ما كان من قوله، فدخلت فقال: وإليّ يا ربّ، وإليّ يا ربّ، غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد كان أقتل للمشركين عند كلّ شديدة تنزل برسول اللّه غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد كان أعظم غناء عن رسول اللّه منّي حتّى اضطجعت على فراشه ووقيته بنفسي وبذلت مهجتي غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد كان يأخذ الخمس غيري وغير زوجتي فاطمة؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد كان له سهم في الخاصّ وسهم في العامّ غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد يطهّره كتاب اللّه غيري حتّى سدّ النبيّﷺ أبواب المهاجرين جميعاً وفتح بابي إليه، حتّى قام إليه عمّاه حمزة والعبّاس، فقالا: يا رسول اللّه! سددت أبوابنا وفتحت باب عليّ، فقال النبيّ: ما أنا فتحت بابه ولاسددت أبوابكم، بل اللّه فتح بابه وسدّ أبوابكم؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد تمّم اللّه نوره من السماء حين قال: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: أمنكم أحد ناجى رسول اللّهﷺ ستّ عشرة مرّة غيري حين نزل جبرئيل: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً**﴾ أعمل بها أحد غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: أمنكم أحد ولّى غمض رسول اللّه غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا.

قال: أمنكم أحد آخر عهده برسولهﷺ حين وضعه في حفرته غيري؟ قالوا: لا. (بحار الأنوار: ١٣٤/٢٩، ٦٣٥، ٣١٥/٣١، ٣٥٠، ٣٦٦؛ الأمالي للطوسيّ: ٣٣٢، ٥٤٤؛ بشارة المصطفى: ٢٤٣؛ بناء المقالة: ٤٠٩؛ الخصال: ٥٣٣/٢؛ الصراط المستقيم: ٦٤/٢؛ الطرائف: ٤١١/٢؛ كشف اليقين: ٤٢١؛ نهج الحقّ: ٣٩١).

١. بحار الأنوار: ٦١٠/٢٩، ١٣٥/٣٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٣/١؛ نهج البلاغة: ٥٣

٢. بحار الأنوار: ٦٠٥/٢٩، ٦٠٧، ٦٢٩، ١٤/٣٠، ٥٦٩/٣٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ←

والخطبة الموسومة بالشقشقيّة مشحونة بهذه الدعوى وبالشكاية من الصحابة حتّى قال فيها: «أرى تراثي نهباً»، وعنِي بتراثه الخلافة، وهي من المشاهير المذكورة في كتب أهل العلم، لاينكر أنّها من كلامه ولايجحدها إلّا من لااطّلاع له على السير أو مكابر ينكر الأمور الشهيرة وذلك ممّن لايلتفت إليه ولايعوّل عليه[1].

[الخطبة الشقشقيّة]

أقول: هذه الخطبة الموسومة بالشقشقيّة من الخطب الشهيرة ذكرها السيّد الرضيّ في *نهج البلاغة*[2] بروايته عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كنّا جلوساً عند أمير المؤمنين عليه السلام برحبة الجامع بالكوفة، فتذاكرنا الخلافة وتقدُّم مَن تقدّم عليه فيها، فتنفّس الصعداء وقال: أما واللّه لقد تقمّصها[3] ابن أبي قحافة[4] وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى[5]، ينحدر عنّي السيل ولايرقى إليّ الطير. فسَدَلتُ

١٠٣/٤، ١٠٤، ٩٦/٦، ٣٠٥/٩، ١٠٩/١١؛ الصراط المستقيم: ٤٣/٣؛ الصوارم المهرقة: ٢٩، ٧٤؛ الغارات: ٢٠٣/١، ٣٩٢/٢؛ نهج البلاغة: ٢٤٦، ٣٣٦

١. هامش حج: والعجب أنّ بعض من عاند باللّه ورسوله نسب هذه الخطبة إلى السيّد الرضيّ وقال: هذا من مجعولاته. والحال أنّ قبل السيّد الرضيّ نقلها عليّ بن بابويه القمّيّ في *علل الشرائع* (١٥٠/١). والفيروز آباديّ في *قاموسه* نسبها إليه بقوله: «والخطبة الشقشقيّة علويّة». فالقول بأنّها من موضوعات السيّد يبعده الوجهان المسطوران بأنّ هذه النسبة من الموضوعات.

٢. نهج البلاغة: ٤٨

٣. هامش مر: أي لبس الخلافة كالقميص وليس من أهلها.

٤. حج (خ ل): تقمّصها فلان.

٥. هامش مر: مثّل نفسه منها بالقطب من الرحى في أنّها لاتستقيم بدونه، وأكّد ذلك بالكناية عن علوّ قدره وشرفه مع فيضان العلوم والفضائل عنه بوصف من أوصاف الجبل المنيع ←

دونها ثوباً وطَوَيتُ عنها كَشحاً وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طَخيةٍ عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى فيها ربه. فعلمت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذىً وفي الحلق شجىً، /٢٠٩ ب/ أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطّاب[١] بعده. ثمّ تمثّل بقول الأعشى:

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر[٢]

فيا عجباً! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها. فصيّرها في حوزة خشناء، يغلُظ كَلمُها ويخشُن مسُّها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها. فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خَرَم وإن أسلس لها تقحّم. فمُنِي الناس لَعَمرُ اللّه بخبط وشماس وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة حتّى مضى لسبيله.

فجعلها في ستّة[٣] زعم أنّي أحدهم. فيا للّه وللشورى! متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرَن إلى هذه النظائر؟ ولكنّي أسففتُ إذ أسفّوا وطِرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ. إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حِضنَيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أميّه[٤]، يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله

العالي، وهو كونه ينحدر عنه السيل ولايرقى إليه الطير.

١. حج (خ ل): فلان.

٢. ديوان الأعشى: ٩٦

٣. حج (خ ل): جماعة.

٤. حج: أبيه.

وكبت به بطنته.

فما راعني إلّا والناس[١] كعرف الضبع ينثالون عليَّ من كلّ وجه[٢]، حتّى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون، كأنّهم لم يسمعوا كلام اللّه تعالى حيث[٣] يقول: ﴿تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلّذينَ لايُريدُونَ عُلُوّاً فِي الأرْضِ وَلافَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ﴾[٤]. بلى! واللّه لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حَلِيَت الدنيا في أعينهم وراقهم زِبرِجها.

أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ اللّه على العلماء أن لايقارّوا على كِظّة ظالم ولاسَغَب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفيتم دنياكم هذه عندي أهون من عَفطَة عَنزٍ.

قالوا: وأقبل إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه من خطبته إلى هذا الموضع، فناوله كتاباً وأقبل عليه السلام ينظر فيه، فلمّا فرغ من قرائته قال له ابن عبّاس: لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت. فقال: هيهات يا ابن عبّاس! تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت. فقال ابن عبّاس: فواللّه ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام ألّا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.[٥]

---

١. مر، حج: + إليَّ.
٢. حج (خ ل): جانب، جهة.
٣. مر: ـ حيث.
٤. القصص/٨٣
٥. بحار الأنوار: ٤٩٧/٢٩؛ الاحتجاج: ١٩١/١؛ الإرشاد: ٢٨٧/١؛ الأمالي للطوسي: ٣٧٢؛ الجمل: ←

[نفي انتساب هذه الخطبة إلى السيّد الرضيّ]

وحدّث عن ابن قتيبة عن ابن قِبَة المعتزليّ قال: قرأت هذه الخطبة على أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشّاب، فلمّا وصلتُ إلى كلام ابن عبّاس قال: لو كنت حاضراً عنده لقلت له: ما ترك ابن عمّك في هذه الخطبة شيئاً لتتأسّف على فواته، فواللّه ما رجع عن الأوّلين /٢١٠ أ/ ولا عن الآخرين وما ترك شيئاً إلّا ذكره. فقلت له: أتقول إنّها منحولة؟ فقال: وكيف ذلك؟ فقلت: إنّ في بعض أصحابنا من ينسبها إلى الرضيّ ويقول: إنّه اخترعها ونحلها إلى عليّ عليه السلام وأثبتها في *نهج البلاغة*. فقال أحمد: كلّا! لا واللّه ليس كذلك؛ فإنّي قد رأيت هذه الخطبة في مصنّفات كثير من العلماء وقرأتها على مشايخ نقلوها عن مشايخهم من قبل أن يخلق والد الرضيّ بمأتي سنة[١]. وأنّى للرضيّ أو غيره تكلّف هذا الأسلوب أو اختراع هذا السجع؟ ولقد رأينا كلام الرضيّ في أشعاره وخطبه ومنثوره ونظمه، فما رأينا منه شيئاً يماثل هذا الكلام ولايناسبه ولايقع منه لا في خلّ ولا في خمر.

[تفسير بعض الألفاظ هذه الخطبة]

تفسير بعض الألفاظ هذه الخطبة:

قوله: «تقمّصها»: مأخوذ من لبس القميص، والضمير للخلافة، وإن لم يتقدّم

١٢٦، ١٧١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٤/١؛ الطرائف: ٤١٧/٢، ٤٢٠؛ علل الشرائع: ١٥٠/١؛ معاني الأخبار: ٣٦٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٠٤/٢؛ نهج البلاغة: ٤٨؛ نهج الحقّ: ٣٢٦

١. بحار الأنوار: ٥٠٧/٢٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٥/١

في اللفظ ذكرها هو في اللغة جائز كما في قول الشاعر:

أماويّ ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[١]

وأراد بها النفس.

وقطب الرحى: هو ما يدور عليه ولايتمّ الانتفاع بها إلّا به. وشبّه نفسه به؛ لأنّ الخلافة لاتقوم ولاينتفع بها بدونه كحال القطب من الرحى.

ينحدر عنّي السيل: كناية عن ارتفاع محلّه وعظم شأنه، وكذا قوله: «ولايرقى إليّ الطير»؛ فإنّ الجبال الشامخة لايثبت عليها المطر، بل ينحدر عنها السيل إلى الوهاد، ومثله قول الشاعر:

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غاية نزلوا[٢]

وهذا كناية عن أفضليّته عليه السلام على منازعه وأنّ نسبته إليه كنسبة الجبال الشامخة إلى الوهاد.

وسدل الثوب عنها: كناية عن ضرب الحجاب بينه وبينها؛ لأنّ نفسه قد عزفت عنها؛ لأنّ منازعه عليها بغاية البعد عنها.

والكشح: هو ما بين الجنب والخاصرة، وطيّه له كناية عن الترك لها. وقال بعض الشراح: معناه أنّه أجاع نفسه عن الخلافة؛ لأنّ الكشح ينطوي عند الجوع.

وقوله: «طفقت أرتئي»: ويقال طفق في الأمر أي فكّر فيه. وأرتئي مشتقّ من الرؤية وهي الفكرة.

والصولة: عبارة عن المنابذة بالحرب.

---

١. ديوان حاتم الطائي: ٢٣

٢. ديوان المتنبي: ٣٨٨

والجذّاء: (بالجيم والذال المعجمة وبالحاء المهملة والذال المعجمة) بمعنى المقطوعة وهو كناية عن عدم الناصر في ذلك الوقت.

والطخية: القطعة من الغيم، وعمياء صفة لها كناية عن ظلمتها وسوادها وهي كناية عن شدّة الأمر وظهور الظلمات فيه وفشو الجهل بسبب استيلاء ذوي النقص على المراتب العالية.

وقوله: «يهرم فيه الكبير ويشيب فيها الصغير»: كناية عن شدّة الأهوال التي يلاقيها بمن لم يكن له في ذلك الأمر حظّ. قال بعض الشراح: إنّه على الحقيقة لطول المدّة، بمعنى أنّ الصغير يصير كبيراً والكبير يصير /٢١٠ ب/ هرماً.

ويكدح: أي يكدّ بمشقّة.

والمؤمن: أراد به نفسه عليه السلام؛ فإنّه لصبره على أخذ حقّه كان في جهد ومشقّة.

وهاتا: تثنية «ها».

وأحجى: أليق بالحِجى وهو العقل وهو اختيار للصبر على المنابذة بالحرب بعد التفكّر وحصول العلم بأنّ الصبر هو الموافق لقواعد الدين، فوجب ترجيحه على مقتضى الطبيعة.

والقذى: ما يظهر في العين عند الرمد.

والشجى: ما يظهر[١] في الحلق عند المصيبة والحزن.

وعنى بتراثه: الخلافة؛ لأنّ التراث هو الميراث وهي كانت ميراثه من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه المنصوص عليه بها منه عليه السلام.

قوله: «حتّى مضى لسبيله»: اللام في «لسبيله» بمعنى على، أي مضى على

---

١. حج: يعترض.

سبيله، أي طريقتة التي كان عليها لم يتغيّر عنها، وهو كناية عن سوء الخاتمة، كقول الشاعر: «فخرّ صريعاً لليدين وللفم»[١]. وأراد به الأوّل، يقال: مضى لسبيله إذا مات.

وأدلى بها: مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكّامِ**﴾[٢] وهو إعطاء الشيء رشوة، أي أنّ الأوّل أعطى الثاني الخلافة رشوة على مساعدته له في بدء الأمر، وجاء هذا مفسّراً في قوله عليه السلام في كلام آخر: «اشدُد له بها اليوم ليردّها عليك غداً»[٣].

والبيت المتمثّل به: لأعشى همدان، وكان بينه وبين حيّان بن السمين صحبة وكان نديمه على الشرب يقول: بعيداً بين حالي يوم أكون على كور الناقة في تعب السير وحرّ الشمس وبين يومي مع حيّان في سكرة الشرب ورفاهيّة الحال خالياً عن الأكدار. وروي أنّ حيّان اغتاظ عليه حيث نسبه إلى أخيه وقال: نسبتني إلى أخي وهو أصغر منّي سنّاً، واللّه لانازعتك كأساً بعدها. فاعتذر إليه بأنّ الرويّ[٤] اضطرّني إليه، فلم يقبل منه.

ومعناه في الحال الذي نحن فيه أنّه عليه السلام قال: بعيداً ما بين حالي يوم وصلت إلى الخلافة وحال عمر يوم وصلت إليه؛ فإنّها جاءته عفواً وانقادت له الأمور طوعاً ولم يخرج عليه فيها خارج ولم يخالف عليه هناك مخالف، بخلاف

---

١. منسوب إلى حرب بن مسعر، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٦/٣

٢. البقرة/١٨٨

٣. بحار الأنوار: ١٨٥/٢٨، ٣٤٦، ٥٢٢/٢٩؛ الاحتجاج: ٧٤/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١/٦

٤. هامش مر: الرويّ: صرف القافية.

حاله عليه السلام من انتشار الحيل وحصول الخلاف وكثرة القيل والقال والقتال. فحاله عليه السلام كحال الأعشى يوم ركوب الناقة في ما يقاسيه من المشاقّ، وحال عمر كحال يوم حيّان في الراحة والرفاهيّة.

ثمّ إنّه عليه السلام يعجب من حال الأوّل حيث قال في بدء خلافته: «أقيلوني، فلست بخيركم وعليّ فيكم»[١]، ثمّ إنّه عند الموت الذي هو وقت الزهد وردّ الحقوق وتلافي الفارط ينصّ بها على واحد بعده ويجعلها له رشوة، وهذا من الأحوال التي يتعجّب منها، ولهذا قال بعض شعراء الشيعة: /٢١١ أ/

حملوها يوم السقيفة أوزا ... راً تخفّ الجبال وهي ثقال
ثمّ جاؤوا من بعدها يستقيلو ... ن وهيهات عثرة لاتقال[٢]

قوله: «لشدّ ما»: أصله «شدد» أي أقوى وأعظم ما فعلا من حرصهما على الخلافة حتّى تشطّرا أي اقتسما ضرعيها، فأخذ أحدهما الخلفين القادمين والآخر الخلفين الآخرين، تشبيهاً للخلافة بالناقة وتشبيهاً لمنافعها الدنيويّة بالضرعين.

والحوزة الخشناء: وصف لأخلاق الثاني وجفاء طبعه وشكاسة[٣] أخلاقه؛ فإنّ الخلق السيّء كالشيء الخشن.

والكلم: الجرح.

وغلظة: كناية عن كبره وسعته.

والعثار والاعتذار الواقع منه: لكثرة خطائه في ما كان يفتي به من الأحكام؛

---

١. بحار الأنوار: ٥١٨/٢٩، ٤٩٥/٣٠، ٥٠٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٩/١؛ الطرائف: ٤٠٢/٢، ٤٩٦؛ نهج الحقّ: ٢٦٤

٢. ديوان مهيار الديلميّ: ٩٨٣

٣. هامش مر: رجل شكس (بالفتح والسكون) أي صعب الخلق. (مجمع البحرين).

فإنّه كثيراً ما كان يفتي بالحكم ويرجع عنه ويعتذر منه، وذلك دليل على كثرة خطائه وخبطه.

ثمّ إنّه وصف المصاحب لمن هذا أخلاقه بأنّه مثل راكب الناقة الصعبة التي لم تراض ولم تعوّد بالركوب؛ فإنّها لصعوبتها يقاسي الراكب منها شدّة كما يقاسي مصاحب صاحب هذه الأخلاق شدّة؛ لأنّ الراكب لهذه الصعبة بين حالتين: إمّا أن يرفع رأسها بالزمام فيخاف أن يحرم أنفسها، وإمّا يخلّيها فترميه[١] في المهالك وتسير به على غير الجادّة. وقال بعضهم: إنّه لايقال: أشنق لها، وإنّما يقال: شنقها، والشناق ما يشنق رأس القربة يشدّه به، والذي يدلّ على جواز ذلك قول الشاعر:

ولقد ساءني زيارة ذي قربى ... صغير لقربنا مشتاق

ساءها ما لها تبيّن في الأيدي ... وإشناقها إلى الأعناق[٢]

لكن كفى بقول أمير المؤمنين حجّة في ذلك.

قوله: «فمني الناس»: أي أبلي الناس.

والخبط: هو السير على غير جادّة، ومنه قولهم: خباط عشواء وخبط عشواء، وقال عليه السلام في كلام آخر: خطبات عشوات.

والعشوة: الظلمة.

والشماس: النفور، ومنه قولهم: خَيل شُمُس، أي آبية عن الركوب.

والتلوّن: التغيّر في الأمور.

---

١. حج: فترمسه.

٢. منسوب إلى عديّ بن زيد العباديّ كما في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٢/١

والإعراض: الصدّ، وكلّها أوصاف للوالي المذكور تهجيناً له.

وقوله: «فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة»: إشارة إلى طول مدّة خلافة الثاني.

قوله: «حتّى مضى لسبيله»: إشارة إلى موت الثاني.

جعلها في ستّة: إشارة إلى قصّة الثاني وما ابتدعه من الشورى عند موته؛ فإنّه ابتدع الشورى برأيه وخالف الأوّل في ابتداعها. والستّة هم عليّ وعثمان والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن.

والقصّة أنّ عمراً لمّا حضرته الوفاة قال: إن أوص فقد أوصى من هو خير منّي، يعني أبا بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي ومن أبي بكر، يعني رسول اللهﷺ، وإنّي رأيت أن أجعلها في هؤلاء الستّة. ثمّ استدعاهم وقال: إنّ رسول اللهﷺ /٢١١ ب/ مات وهو راضٍ عنكم. ثمّ إنّه بعد ذلك عاب كلّ واحد منهم بعيب ذكره، ثمّ قال: أجّلتكم بعد موتي ثلاثة أيّام؛ لتختاروا واحداً منكم. وأمر أبا طلحة الأنصاريّ أن يحجبهم في الحجرة ويكون من خارج الباب في مئة من الأنصار ويمنع أحداً أن يدخل عليهم، وأمر عبد الله بن عمر أن يحضر معهم ولادخل له في الشورى، وأمر صهيب الروميّ أن يصلي بالناس في الأيّام الثلاثة. وقال: إن اجتمع خمسة على واحد وخالف واحد فاقتلوا المخالف، وإن خالف اثنان واجتمع أربعة فاقتلوا الاثنين، وإن خالف ثلاثة فالحقّ مع الفرقة التي فيها عبد الرحمن واقتلوا المخالف، وإن مضت الثلاثة الأيام ولم يتّفقوا على واحد منهم فاقتلوا الجميع وخلّوا الناس وأمورهم، يختارون من يريدون.

فلمّا مات فعل أبو طلحة كما أمرهم، وحصل بينهم الاحتجاج والمشاجرة وعلت الأصوات وكثر الكلام واحتجّ عليهم عليّ عليه السلام في ذلك اليوم بحجج بالغة

ذكر فيها سوابقه وخصائصه التي خصّه بها رسول اللّهﷺ، فلم يلتفتوا إلى ذلك واعتمدوا على ما أوصى به عمر. فقال طلحة: نصيبي في الشورى لعبد الرحمن، فقال الزبير: نصيبي في الشورى لعليّ، فقال سعد: نصيبي في الشورى لعثمان، فلم يبق إلّا ثلاثة: عليّ وعثمان وعبد الرحمن. فقال عبد الرحمن مشيراً إلى عليّ وعثمان: أيّكما يخلع نفسه ويكون إليه الاختيار؟ فسكتا، فقال: أشهدكما أنّي قد أخرجت نفسي من الشورى على أنّ الاختيار إليّ في أحدكما. ثمّ إنّه التفت إلى عليّعليه السلام فقال: أبايعك على سنّة اللّه وسنّة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر. فقال عليّعليه السلام: أبايعك على العمل بسنّة اللّه وسنّة رسول اللّه واجتهاد رأيي. فالتفت إلى عثمان فقال له مثل ما قال لعليّعليه السلام، فأنعم له بذلك. ثمّ إنّه كرّر الكلام لعليّ وعثمان ثلاثاً، وعليّ يقول باجتهاد رأيي، وعثمان بنعم له. فصفق يده على يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقالعليه السلام: أملت منه ما أمل عمر من صاحبه، أعطيتها له اليوم ليردّها عليك غداً، دقّ اللّه بينكما عطر مَنشِم[١]. فوقعت العداوة بينهما، حتّى أنّ عبد الرحمن تأسّف على مبايعة عثمان وكان أوّل من ألّب على قتله.[٢]

وقوله: «فصغى رجل منهم لضغنه»: يعني به سعد بن أبي وقّاص؛ لضغنة كانت بينه وبين عليّعليه السلام؛ لأنّ الضغن هو الحقد والبغض، والضغنة التي كانت

١. مَنشِم: اسم امرأة كانت بمكّة عطّارة وكانت خزاعة، وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى في ما بينهم (مجمع البحرين: ١٧٥/٦).

٢. بحار الأنوار: ٣٥٨/٣١، ٣٩٨؛ الإرشاد: ٢٨٦/١؛ الجمل: ١٢٢، ١٧٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٨/١، ٥٥/٩؛ الصراط المستقيم: ١١٦/٣

بينهما لأجل قتله العاص بن وابل وكان قريبه.

والذي مال لصِهره: هو عبد الرحمن؛ فإنّه كان صهراً لعثمان.

وثالث القوم: هو عثمان.

وقيامه: أخذه الخلافة.

ونافج حضنيه: أي ممتلئ الحضنين جنبَي البطن، وكنى بذلك عن كثرة تصرّفه في بيت المال هو وأقاربه.

والنثيل: هو الخارج من فضلة الغذاء.

والمعتلف: المأكول. وهذا القول /٢١٢ أ/ وقع ذمّاً منه للثالث المذكور وهو من محض الذمّ. وقد وقع منه مثله في كلام آخر له‌عليه السلام في قوله: «وقام الثالث كالغراب همّه بطنه»[1].

وبني أميّة: هم ذرّيّة أميّة بن عبد الشمس وهم بني عمّ عثمان؛ لأنّه منهم.

والخضم: الأكل بجميع الفم.

والقضم: الأكل بأطراف الأسنان. ولهذا قال أبو ذرّ يعني بني أميّة يخضمون ويقضمون، والموعد اللّه.

والنبتة: (بكسر النون كالجلسة) وهو ما ينبته الربيع.

وقوله: «إلى أن انتكث عليه فتله»: النكث هو فساد الحال، يقال: انتكث الحبل إذا بلي وتقطّع. وفتله: بيعته التي كانت هي السبب في خلافته.

والإجهاز: هو التدفيف، يقال أجهز على الجريح أي دفّف عليه حتّى يموت؛ لأنّ أحداثه التي أحدثها هي التي دفّفت عليه بالسعي في قتله وحملت المسلمين

---

١. الكافي: ٦٧/٨؛ بحار الأنوار: ٥٨٤/٢٩، ١٤/٣٢؛ نهج الحقّ: ٣٢٥

على إجماعهم على قتله، مثل الاستبداد ببيت المال ووضعه في غير أهله وتولية بني عمّه الأعمال مع ظهور فسقهم، وردّ الحكم بن [أبي] العاص طريد النبيّ صلى الله عليه وآله، ونفي أبا ذرّ حبيبه، وضرب عبد اللّه بن مسعود وكسر ضلعه، وضرب عمّار بن ياسر وإحرامه عطاءه، وغير ذلك من الأحداث التي نقمها عليه المسلمون واستحلّوا بسببها قتله.

والبطنة: هي تكبّره وتظاهره بأعمال الجاهليّة، كلبس الحرير والتزيّن بالذهب وضرب البوقات والاحتجاب عن الناس.

فكبت به تلك البطنة: يقال كبّ الجواد إذا عثر فوقع راكبه، وكنى بذلك عن قتله.

قوله: «ينثالون»: الانثيال هو مجيء القوم شيئاً بعد شيء بغير انقطاع كانثيال الرمل إذا انحال، وكنى بذلك عن إسراع مجيء المسلمين إليه بعد قتل عثمان.

وعرف الضبع: يشبه به في الازدحام والكثرة؛ لأنّه إذا غضب قام شعره وازدحم بعضه على بعض. شبّه عليه السلام ازدحامهم وكثرة مجيئهم بعرف الضبع عند قيام شعره.

والحسنان: قيل أراد بهما ولديه عليهما السلام، يريد من كثرة ازدحام الناس عليه ضاق بهم المكان حتّى وطئ أولاده. وقال بعض الشرّاح[1]: أراد بالحسنين إبهاما الرجلين، أي وطئ إبهامَي رجلَيه، ويدلّ عليه قوله: «وشقّ عطفاي»، يعني أنّهم لكثرة ازدحامهم وطؤوا جانباي.

---

١. وهو قطب الدين الراونديّ، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٠/١؛ أو السيّد المرتضى بالنقل عن أبو عمرو غلام تغلب، كما في بحار الأنوار: ٥٣٨/٢٩، ٢٥٣/٤٣

ثمّ إنّه وصف كثرة ازدحامهم على بيعته وكثرة اجتماعهم بربيضة الغنم بعضهم فوق بعض كما يترك الغنم بعضهم فوق بعض. وقال بعض الشرّاح[١]: إنّه وصف بذلك بلادتهم وقلّة عقولهم، فشبّههم بالغنم الرابضة التي لاعقول لها.

قوله: «فلمّا نهضت بالأمر»: كنى بذلك عن قيامه بأمر الخلافة وتحمّله لأعباءها بحسب التصرّفات الظاهرة لمّا ارتفعت الأعذار المانعة وزالت التقيّة بعدم المنازع واجتماع الكلمة، فوجب عليه النهوض في الأمر والقيام به؛ لأنّه صاحبه الأصليّ، وإنّما ترك القيام فيه أولاً لوجود المانع، فلمّا زال زال العذر.

والنكث: /٢١٢ ب/ هو الرجوع والنقض للبيعة بعد انعقادها، يقال: نكث فلان عهده إذا رجع عنه.

وأراد بالطائفة الناكثة: طلحة والزبير وأهل البصرة؛ فإنّهم كانوا قد بايعوه بأجمعهم طائعين غير مكرهين، ثمّ إنّهم نكثوا بيعته وخرجوا عليه بلاسبب، بل طلباً للرياسة وحبّاً للدنيا ورغبة في حظوظها.

وأراد بالطائفة المارقة: معاوية وأصحابه من أهل الشام؛ لأنّهم مرقوا من إجماع المسلمين في مبايعته عليه السلام؛ لأنّ معاوية وأهل الشام لم يرضوا ببيعته، فخالفوا ما أجمع عليه أهل الإسلام من أهل الحلّ والعقد.

وأراد بالطائفة الفاسقة: الخوارج وأتباعهم؛ فإنّهم كانوا من أصحابه وأتباعه وممّن حارب معه في الجمل وصفّين، ثمّ خالفوا أمره وخرجوا عن طاعته، فسمّاهم بذلك فاسقين؛ لأنّ الفسق هو الخروج عن الطاعة. وسبب خروجهم قصّة التحكيم الجاري بينه وبين معاوية، فأنكروه مع أنّهم هم الذين دعوا إليه،

---

١. وهو قطب الدين الراونديّ، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٠/١

وإن كان قد سمّاهم النبيّ صلى الله عليه وآله المارقين في قوله عليه السلام: «تأتي من بعدي أقوام يقرؤون القرآن لاتجاوز قرائتهم تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، هم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة»[١].

قوله: «وراقهم زِبرِجها»: الزبرِج الزينة، وراق الشيء يروق إذا خلا في النفس.

ثمّ إنّه عليه السلام أقسم قسماً صادقاً بمن برئ النسمة أي خلق، والنسمة هي كلّ ما له روح، وفلق الحبّة بمعنى إخراج النبات منها، بأنّه لو لم يحضر من حضر من أنصاره الذين قاموا معه وجاهدوا بين يديه في مقاتلاته في وقائعه التي هي الجمل وصفّين والنهروان فقامت الحجّة عليه في وجوب القيام بالأمر والجهاد عليه بإثبات التأويل، كما وجب على النبيّ صلى الله عليه وآله الجهاد في إثبات التنزيل بسبب وجود الناصر.

وأنّ اللّه تعالى قد أخذ على أهل العلم أن لايقارّوا: أي لايقيموا ويقرّوا أهل الباطل على باطلهم؛ لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع حصول الشرائط.

والكظّة: الشبعة، يقال: كظّه الأكل إذا بهضه[٢] حمله لكثرته؛ لأنّ الظالم ينتزع الأموال من غير وجوهها وحلّها، فيكون كالذي ملأ بطنه طعاماً أثقله حمله.

والسغب: الجوع؛ لأنّ المظلوم يؤخذ ما عنده، فيضيق معاشه، فيكون ذلك سبباً لجوعه ورثاثة حاله، والعلماء إذا أمكنهم بحصول الشرائط إزالة ذلك وجب

---

١. بحار الأنوار: ١٨/١٢٣؛ إعلام الورى: ٣٢

٢. البهض: ما شقّ عليك (لسان العرب).

عليهم فعله. وهذا ممّا يدلّ على أنّه‌عليه السلام ما كان قيامه بالأمر لأجل الدنيا ولالحبّ الرياسة ولا لإقامته الجاه، بل إنّما كان لإقامة الحدود الشرعيّة وإثبات القواعد الإسلاميّة، ولهذا قال بعض العلماء: إنّ غير عليّ /٢١٣ أ/ من الخلفاء تزيّن بالخلافة وحصل له الفخر بها، وأمّا عليّ فهو الذي زيّن الخلافة وجمّلها بقيامه، وبين الحالين فرق عظيم.

قوله: «لألقيت حبلها»: يعني الخلافة؛ فإنّه لمّا شبّهها بالناقة رشح الاستعارة بذكر الحبل الذي يخطم به الناقة.

والغارب: هو ما بين الكتفين.

وسقى آخرها بكأس أوّلها: كناية عن ترك الأمر آخراً كما تركه أوّلاً، وفيه دلالة على أنّ الترك في الأوّل إنّما كان لقلّة الناصر.

وعفطة العنز: هو ما يخرج من أنفها حين تنفط، ولهذا يقال: ما له عافطة ولانافطة[١]، ويقال: للضأن عافطة وللمَعز نافطة. واستعمل‌عليه السلام العافطة للعنز استعمال لها في غير موضعها؛ لاشتراكهما في اسم الغنم.

وأهل السواد: هم أهل القرى؛ لأنّ السواد الخضرة؛ لأنّهم أهل الزرع والنخل.

والإفضاء: هو الخروج إلى الفضاء؛ لأنّ الخطيب حال الخطبة يجتمع إليه نفسه لاستخراج الكلام والمعاني، فإذا أمسك وسكت تفرّقت أفكاره، فكأنّه قد خرج إلى الفضاء.

والشقشقة: (بكسر الشينين) ما يخرج عن فم البعير وقت الهِياج. شبّه حال الخطيب بحال الفحل عند هياجه؛ فإنّه إذا اجتمعت إليه أفكاره يخرج عنه

---

١. كتاب العين، ذيل مادّة «عفط».

الأشياء المنشعبة والفنون المتغايرة التي كانت كامنة في نفسه، فسمّى ذلك بالشقشقة.

وقرّت: بمعنى سكنت، ولأنّ البعير إذا سكت هياجه وسكن هديره رجعت الشقشقة إلى مستقرّها، فكذا الخطيب إذا سكت قرّت شقشقته.

[المقدّمة الثانية لإثبات النصّ الفعليّ]

قال: والثانية معلومة أيضاً بالتواتر بين الإماميّة وغيرهم، قد نقلوا من أحواله وما ظهر على يده من خوارق العادات المطابقة لدعواه ما كثر وجلّ عن العدّ والإحصاء، وأشار المصنّف إلى يسير منه، وباليسير يستدلّ على الكثير. وخصّها بالذكر؛ لأنّها من الوقائع البالغة في الاشتهار مبلغاً قرب من العلم، ولاشتهارها لم يحتج إلى بيان أسانيدها وتعديد قصصها. واشتهر عنه عليه السلام معجزات أخرى كالإعلام بالمغيبات واستجابة الدعوات والاطّلاع على أحوال الكائنات والارتقاء إلى العلويّات وحراسة أهل الإسلام والقيام بمهامّ الرسالة والحفظ لقواعد الدين وانتظام أمر المسلمين، إلى غير ذلك من أحواله وأفعاله التي بلغت الغاية وتجاوزت النهاية وتلقّاها الخاصّ والعامّ وتحدث بعجائبها سائر الأنام ولاينكرها إلّا ذوي الغباوات ومن دأبه إنكار الحقّ وكتمان فضائل أهل البيت عليهم السلام.

[معجزات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام]

أقول: ما ذكره في الأصل من المعجزات ستّ:

[ردّ الشمس]

الأولى: ردّ الشمس: وقد ردّت له مرّتان:

أحدهما: في حياة النبيّ ﷺ بموضع بالمدينة يقال له الفضيخ[١] بجنب بعض حدائق بني النجّار وهو اليوم مشهور بمسجد الفضيخ. وذلك أنّ النبيّ ﷺ لمّا تغشّاه الوحي وضع رأسه في حجر عليّ عليه السلام وبقي يوحى إليه إلى أن غربت الشمس وكان عليّ عليه السلام لم يصلِّ العصر، فلم يقدر على استيفاء أفعالها لمكان النبيّ ﷺ، /٢١٣ ب/ فلم يصلِّ إلّا بالإيماء. فلمّا انتبه النبيّ ﷺ قال: يا عليّ! أصلّيت العصر؟ فقال: يا رسول اللّه! لم أتمكّن من فعلها إلّا بالإيماء؛ لمكان رأسك. فقال عليه السلام: أتحبّ أن تصلّيها بتمامها في وقتها؟ فقال عليّ عليه السلام: وأنّى لي بذلك؟ فقال: يا عليّ! ادع الشمس أن ترجع كما كانت وقت العصر؛ فإنّها مأمورة بطاعتك. فناداها عليه السلام، فرجعت كما كانت وقت العصر بيضاء، فصلّى العصر بكمال أفعالها، ثمّ غربت.[٢]

والثانية: في زمان خلافته في رجوعه من حرب صفّين[٣] فمرّ بأرض بابل وقت صلاة العصر، فقيل: ألانصلّي هاهنا صلاة العصر؟ فقال: إنّ هذه أرض خسف وسخط لم يصلِّ فيها نبيّ ولاوليّ. واشتغل أصحابه بتعبير العسكر، وعبر عليه السلام أوّل الناس إلى الجانب الآخر، فصلّى العصر وحده وفات أكثر الناس الصلاة معه؛ لاشتغالهم بالعبور، فلم يفرغوا حتّى غربت الشمس واشتبكت النجوم. فكثر كلام الجيش في أمر صلاة العصر حتّى قال بعضهم: إنّ عليّاً لم يصلِّ العصر. فقال عليه السلام: أتحبّون أن تصلّوا العصر في وقتها؟ فقالوا: نعم! فقال

---

١. حج: الفضيح (وكذا ما يليه).
٢. الكافي: ٥٦١/٤؛ وسائل الشيعة: ٣٥٥/١٤؛ بحار الأنوار: ٢١٦/٩٧، ٢٢٤، ١٧٣/٤١، ١٨٢؛ روضة الواعظين: ١٢٩/١؛ القصص للراونديّ: ٢٩٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣١٦/٢
٣. والصحيح النهروان، كما في ما يلي من المصادر.

لمؤذّنه: يا جُوَيرية! أذّن للعصر. فقال جويرية في نفسه: ثكلتك أمّك يا جويرية! أتأذّن للعصر وقد اشتبكت النجوم؟ فقال علي عليه السلام: أذّن للعصر يا جويرية! فأذّن، فما فرغ من أذانه حتّى رجعت الشمس إلى موضعها في الفلك بيضاء، فقام عليه السلام، فصلّى بأصحابه صلاة العصر وحين فرغ هوت هويّ الكوكب المسرع، فهال الناس ذلك وسمعوا لها عند غروبها صريراً كصرير المنشار. وموضع رجوعها مشهور بأرض بابل بأرض بلد الحلّة بمشهد معروف بمشهد الشمس، لايمكن إنكاره.[1]

[دفع الصخرة عن فم القليب]

الثانية: دفع الصخرة عن فم القليب: وذلك لمّا خرج علي عليه السلام إلى حرب صفّين أصاب أصحابه العطش، فشكى إليه أصحابه ذلك، فلوى عليه السلام عنق بغلته وتنكّب الطريق وساروا العسكر خلفه حتّى توسّط بهم أرضاً قرقريّة[2]، فلاح لهم دير راهب. فسألوه عن الماء فقال: وأين الماء هاهنا؟ إنّما يؤتى لي به من مسيرة ثلاثة أيّام. فجاء عليه السلام إلى موضع من ذلك المكان وقال: احتفروا فهاهنا الماء. فكشفوا بالمسّاحيّ، فلاح لهم صخرة مُلَملَمَة تلمع كاللجين، فقال: اقلبوا الصخرة؛ فإنّ الماء تحتها.

فاعصوصبوا على قلعها وبذلوا الجهد في ذلك، فلم يقدروا على ذلك

---

١. من لايحضره الفقيه: ٢٠٣/١؛ وسائل الشيعة: ١٨٠/٥؛ مستدرك الوسائل: ٣٤٠/٣، ٣٤٩؛ بحار الأنوار: ٤٣٩/٣٣، ١٦٧/٤١، ١٧٤، ١٧٨، ٣١٧/٨٠، ٣٢٤؛ إرشاد القلوب: ٢٢٦/٢؛ بصائر الدرجات: ٢١٧، ٢١٩؛ تأويل الآيات: ٦٩٥؛ الخرائج: ٢٢٤؛ خصائص الأئمّة: ٥٦؛ عدّة الداعي: ٩٧؛ علل الشرائع: ٣٥٢/٢؛ الفضائل: ٦٨؛ القصص للراوندي: ٢٩٣؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣١٨/٢

٢. هامش حج: أي لانبت فيها.

واستصعب عليهم. فلمّا علم عليه السلام بعجزهم فقال: أعجزتم عن دفعها؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين! فقال: ابعدوا عنها. فلمّا تنحوا قبض عليه السلام على رأس الصخرة بأصابعه، فأقتلعها من مكانها ورمى[1] بها أذرعاً، فظهر من تحتها ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، فشربوا وارتؤوا ورووا قربهم.

وكان ذلك بعين الراهب وكان اسمه بُحيَر، فقال: احتالوا في إنزالي. فأنزلوه، فجاء /٢١٤ أ/ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: أنت نبيّ أو وصيّ نبيّ؟ فقال عليه السلام: بل أنا وصيّ خير النبيّين. فقال: مدّ يدك، فأنا أشهد أن لاإله إلّا اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه، فأسلم وحسن إسلامه. فقيل له عن ذلك فقال: بني هذا الدير على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، ومضى قبلي جماعة لم يدركوه ورزقني اللّه ذلك. وارتحل أمير المؤمنين والراهب بين يديه وقاتل بين يديه وقتِل في حرب صفّين، وفي ذلك عدّة آيات.[2]

[قلع باب خيبر]

الثالثة: قلع باب خيبر: وقد مضى الكلام عليه ووجه الإعجاز فيه ظاهر؛ فإنّه كان باباً عظيما من الصخر، وقد قال عليه السلام: «واللّه ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة، بل بقوّة ربّانيّة»[3]. وأرادوا قلبه، فلم يقدروا بقلبه إلّا سبعين رجلاً من

---

١. حج (خ ل): دحى.

٢. من لايحضره الفقيه: ٢٣٢/١؛ التهذيب: ٢٤٦/٣؛ مستدرك الوسائل: ٤٢٩/٣؛ بحار الأنوار: ٢١٠/١٤، ٢٥٧، ٤٣٧/٣٣، ٤٣٨، ٥٠/٣٨، ٢١٧/٥٢، ٢٦/٩٩ وما بعد؛ الأمالي للطوسيّ: ١٩٩؛ الخرائج: ٥٥٢/٢؛ فرج المهموم: ١٠٤؛ الفضائل: ٦٨؛ القصص للجزائريّ: ٤٠٥؛ كشف الغمّة: ٣٩٣/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٦٤/٢

٣. بحار الأنوار: ٢٦/٢١، ٣١٨/٤٠، ٤٦/٥٥، ٧٦/٧٠، ٣٢/٨٤، ١٣٨/٩٩؛ الأمالي للصدوق: ٥١٣؛ ←

أقوياء الناس بعد جهد ومشقّة. وقيل له: لقد لقيت منه ثقلاً؟ فقال: واللّه ما كان عندي إلّا كجُنّتي هذه[١]. وأخذهعليه السلام فدحا به في الأرض سبعين ذراعاً، وبالجملة فإعجازه ظاهر.

[كلام الثعبان]

الرابعة: كلام الثعبان: وذلك أنّهعليه السلام كان يوماً يخطب على منبر الجامع بالكوفة إذ أقبل ثعبان عظيم من صدر البريّة حتّى دخل المسجد. فثار الناس إليه، فأومى لهمعليه السلام أن دعوه، فافترق الناس عنه فرقتين ودخل بين الناس بسعي حتّى وصل إلى المنبر. ثمّ تطاول إلى أعلاه حتّى التقم أذنهعليه السلام، فأصغى إليه بأذنه، فنقّ[٢] نقيقاً ظاهراً سمعه الناس، فنقّ لهعليه السلام نقيقاً مثل نقيقه، ثمّ انساب وخرج من المسجد، فلم يعلم له أثر. فهال الناس ذلك وكثر منهم المقال، فقالعليه السلام: أيّها الناس! لايهوّلنّكم ذلك، هو رجل من الجنّ استشكل عليه مسألة، فجاء يسألني عنها.[٣و٤]

بشارة المصطفى: ١٩١؛ الخرائج: ٥٤٣/٢؛ روضة الواعظين: ١٢٧/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/٥، ٣١٦/٢٠؛ الطرائف: ٥١٩/٢؛ كشف اليقين: ١٤١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣٩/٢؛ نهج الحقّ: ٢٥٠

١. بحار الأنوار: ١٦/٢١، ٢٨١/٤١؛ الإرشاد: ١٢٨/١؛ كشف الغمّة: ٢١٥/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٥/٢

٢. هامش حج: أي صاح.

٣. بحار الأنوار: ١٧١/٣٩، ١٧٨، ٢٤٩؛ الإرشاد: ٣٤٨/١؛ إعلام الورى: ١٧٩؛ بشارة المصطفى: ١٦٤، ٢٠٦؛ روضة الواعظين: ١١٩/١؛ الصراط المستقيم: ٩٦/١؛ الفضائل: ٧٠

٤. وفي بعض المصادر: قال الناس: يا أمير المؤمنين! ألاتخبرنا بمقالة هذا الثعبان؟ فقال: نعم! إنّه دُرجان بن مالك رسول الجنّ، قال: أنا وصيّ الجنّ ورسولهم إليك، يقول الجنّ: لو أنّ الإنس أحبّوك كحبّنا إيّاك وأطاعوك كطاعتنا لما عذّب اللّه أحداً من الإنس بالنار (بحار

[كلام الحيتان له ونقص الفرات بضربته]

الخامسة والسادسة: كلام الحيتان له ونقص الفرات بضربته: وذلك أنّ أهل الكوفة شكوا إليه زيادة ماء الفرات وخشوا منه الغرق، فخرج عليه السلام راكباً بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وبيده قضيبه الممشوق وبين يديه ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وخواصّ أصحابه حتّى وصل إلى الفرات.

فبسط بجنبه بساطاً، فصلّى ركعتين، ثمّ ضرب وجه الماء بالقضيب، فنقص ذراعاً، فقالوا: زد يا أمير المؤمنين! فضربه مرّة ثانية فنقص ذراعاً، فقالوا: زد، فضربه ثالثة فنقص حتّى ظهرت الحيتان منه وسلّمت عليه بإمرة المؤمنين، إلّا الجرّيّ والمارماهي والزمّار. فقيل له في ذلك فقال عليه السلام: نطق منها ما حلّ وطاب وأصمّت منها ما حرم وخبث.[1]

[إعلامه بالمغيبات]

وأمّا إعلامه بالمغيبات: فكثير مثل إخباره عليه السلام عن نفسه الشريفة بالقتل وقال: «تفقدوني في العشرة الأواخر من رمضان»[2]. وكان يفطر في لياليه ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابن عبّاس، وكان لايزيد على ثلاث لقم، وقال: «ألقى الله وأنا خميص البطن»[3]. /٢١٤ ب/

الأنوار: ١٧١/٣٩؛ بشارة المصطفى: ١٦٤).

١. مستدرك الوسائل: ١٧٠/١٦؛ بحار الأنوار: ٢٣٦/٤١، ٢٦٦؛ الإرشاد: ٣٤٧/١؛ إرشاد القلوب: ٢٢٧/٢، ٢٨٢؛ إعلام الورى: ١٧٩؛ الخرائج: ٨٢٤/٢؛ روضة الواعظين: ١١٩/١؛ عوالي اللآلي: ٣٨/٤؛ كشف اليقين: ١١٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٣٠/٢؛ اليقين: ٤١٦

٢. قال عليه السلام لأهله وأولاده: «في هذا الشهر تفقدوني» (بحار الأنوار: ٢٧٧/٤٢).

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٧/١٩

وإخباره عن ولده الحسين بالقتل وعرّفهم موضع قبره.[١]

وإخباره بصلب ميثم التمّار وقال: تصلب عاشر عشرة، أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المَطهَرة[٢]، وأراه النخلة التي يصلب على جذعها.[٣]

وإخباره بولاية الحَجّاج وقتله لشيعته، إلى غير ذلك من إخباره.[٤]

[استجابة الدعوات]

وأمّا استجابة الدعوات: فقد مضى الكلام عليه. ومنه أنّه عليه السلام اتّهم رجلاً من أصحابه يقال له الغَيرار برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك فقال عليه السلام: اللّهمّ إن كان كاذباً فاسلبه عقله. فاختلّ عقله في الحال.[٥ و٦]

ومنه أنّه قال: اللّهمّ إنّ بُسر بن أرطاة باع دينه بالدنيا، اللّهمّ فاسلبه عقله ولاتبقى له من علمه ما يستوجب به رحمتك[٧]. فأصابه ذلك، وكان عاقبته سوءً،

---

١. بحار الأنوار: ١٦٧/١٤، ١٨٣، ٢٠١/٤٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٩؛ تفسير القمّي: ٢٩١/٢؛ الطرائف: ٢٠٣/١؛ العمدة: ٤٠٥؛ القصص للراونديّ: ٢٢٠؛ كامل الزيارات: ٨٧ وما بعد؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٥٣/٤؛ نهج الحقّ: ٢٤٢

٢. أي الأرض، كما في المصادر.

٣. بحار الأنوار: ٣٠٢/٣٤، ٣٤٣/٤١، ١٢٤/٤٢، ١٣٨؛ الإرشاد: ٣٢٣/١؛ روضة الواعظين: ٢٨٨/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩١/٢؛ الفضائل: ١٠٣؛ نهج الحقّ: ٢٤٢

٤. بحار الأنوار: ٣١٧/٤١، ٣٥١؛ إرشاد القلوب: ٢٢٦/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٧٢/٢؛ نهج الحقّ: ٢٤٢

٥. والصحيح ما في المصادر من أنّه عليه السلام قال: إن كنتَ كاذباً فأعمى اللّه بصرك. فما دارت عليه الجمعة حتّى عمي.

٦. بحار الأنوار: ١٩٨/٤١؛ الإرشاد: ٣٥٠/١؛ الخرائج: ٢٠٥/١؛ كشف الغمّة: ٢٨٣/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٧٩/٢

٧. بحار الأنوار: ١٠/٣٤، ٢٠٤/٤١، ٣٠٠، ١٤٧/٤٢؛ الإرشاد: ٣٢١/١؛ الخرائج: ٢٠١/١؛ شرح

نعوذ بالله من سخطه وسخط أوليائه، إلى غير ذلك.

[الاطّلاع على أحوال الكائنات]

وأمّا الاطّلاع على أحوال الكائنات: فمعلوم من أقواله وأحواله ومقاماته العليّة مع الحضرة الإلهيّة والحضرة المحمّديّة؛ فإنّه عليه السلام يقول: «سلوني عن طرق السماء»[١]، وقوله عليه السلام: «علمت علم المنايا والبلايا»[٢]، وقال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ! إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى»[٣]. وأخبر صلى الله عليه وآله أنّه في ليلة المعراج كشف له أبواب السماء، فما وضع رسول الله صلى الله عليه وآله في معراجه قدم في موضع إلّا وذلك بعين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال عليه السلام: لمّا انتهيت إلى السماء الرابعة رأيت شخصاً جالساً على الكرسيّ، فتأمّلته فإذا هو عليّ بن أبي طالب. فقلت: يا أخي جبرئيل! هذا أخي عليّ بن أبي طالب قد سبقني إلى هذا المكان. فقال جبرئيل عليه السلام: هذا ملَك على صورة عليّ بن أبي طالبٍ. إنّ الملائكة اشتاقت إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخلق الله لهم ملَكاً على صورته، فهم يزورونه من جميع السماوات ومن تحت العرش والكرسيّ شوقاً إلى عليّ بن أبي طالب[٤]. ومن يكون بهذه الصفات كيف يخفى

نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٨٠/٢

١. كشف اليقين: ٥٦؛ نهج الحقّ: ٢٤٠، ٣٤٦

٢. الكافي: ١٩٧/١؛ بحار الأنوار: ٤٦١/٢٢، ٢٩/٢٦، ١٤٦، ٣٥٠/٣٩، ١٣٠/٤٠، ١٤١، ٤٦/٥٣؛ الاختصاص: ٢٨٣؛ بصائر الدرجات: ٢٦٧، ٢٥٧؛ تفسير فرات: ١٧٨؛ الخصال: ٦٤٢/٢، ٦٤٥

٣. بحار الأنوار: ٤٧٥/١٤، ٢٢٣/١٨، ٢٧٠/٣٧، ٣٢٠/٣٨، ٢٦٤/٦٠؛ الصراط المستقيم: ٦٥/٢؛ عوالي اللآلي: ١٢٢/٤؛ نهج البلاغة: ٣٠٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٧/١٣

٤. بحار الأنوار: ٣٠٠/١٨، ٣٥٣، ٣٠٥/٢٦، ٩٧/٣٩، ٩٨، ١٠٩، ٣٠٣/٥٧؛ إرشاد القلوب: ٢٣٣/٢؛ ←

عليه شيء من أحوال العالم؟

[الارتقاء إلى العلويّات]

وأمّا الارتقاء إلى العلويّات: فمعلوم ممّا ذكرناه؛ فإنّهعليه السلام صاحب المعراج المعنويّ كما كان رسول اللّهصلى الله عليه وآله صاحب المعراج الصوريّ، ولهذا قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: «ما بلغت شيئاً ليلة المعراج ولارأيته إلّا بلغه عليّ بن أبي طالب ورآه وهو في الأرض»؛ لأنّ اللّه قد فتح لقلبه وبصره أبواب خزائن سماواته وأرضه حتّى ارتقى على جميعها وصعد بنفسه المقدّسة إلى المقام الأعلى والمحلّ الأقدس الذي كان فيه النبيّصلى الله عليه وآله ليلة المعراج الذي وصفه اللّه بكونه قاب قوسين أو أدنى[1]، حتّى أنّ الجليل ـ عزّ وجلّ ـ إنّما خاطب نبيّه بلسان عليّ حتّى قالصلى الله عليه وآله: يا ربّ! أنت خاطبتني أم عليّ؟ فقال تعالى: إنّي اطّلعت على سرائر قلبك، فلم أجد فيه أحبّ إليك من عليّ، فخاطبتك بلسانه كي يطمئنّ قلبك. فقلت: الحمد للّه كما كان لابن عمّي هذه الفضيلة.[2]

[حراستهعليه السلام أهل الإسلام الصوريّة]

وأمّا حراسته أهل الإسلام الصوريّة: فظاهر من مجاهداته ومقاتلاته وغلبته

بشارة المصطفى: ١٦٠؛ تأويل الآيات: ٥١٣؛ الخرائج: ٨١١/٢؛ الصراط المستقيم: ٢٤٤/١؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ١٣١/٢؛ كشف الغمّة: ١٣٩/١؛ كشف اليقين: ٢٣٣؛ كنز الفوائد: ١٤٢/٢؛ مئة منقبة: ٣٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣٣/٢، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤١

١. مشير إلى قوله تعالى: ﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾ (النجم/٩).

٢. بحار الأنوار: ٣٨٦/١٨، ٣١٢/٣٨؛ إرشاد القلوب: ٢٣٣/٢؛ الصراط المستقيم: ٢٠٧/١؛ الطرائف: ١٥٥/١؛ كشف الغمّة: ١٠٦/١؛ كشف اليقين: ٢٢٩

على جموع أهل الشرك وفرسان أهل الضلال بأجمعهم، حتّى أمن بقتلهم المسلمون وعزّوا وقام شأنهم وعلت /٢١٥ أ/ كلمتهم واستقام إسلامهم، ولولاه ليخطفهم الفرسان وأكلتهم ذئاب العرب. ولهذا إنّهعليه السلام يوم الأحزاب لمّا قتل عمرواً واحتزّ رأسه وجاء به إلى النبيّصلى الله عليه وآله خرّ النبيّصلى الله عليه وآله ساجداً وقال: الحمد للّه الذي أعزّ الإسلام وخذل أهل الكفر، وقال: الآن نغزهم ولايغزونا. وقام إليه أبو بكر وعمر، فقبلا رأسه[١]، وشكر له جميع المسلمين، وكانوا قبل قتله قد خمدت أنفاسهم وارتعدت فرائصهم خوفاً من بأسه وسطوته.

[حراستهعليه السلام أهل الإسلام المعنويّة]

وأمّا حراسته المعنويّة: فلأنّهعليه السلام قطب الوقت وقيام الوجود ونظامه كلّه ببقائه ووجوده. ويدلّ على ذلك أنّ أهل الأخبار رووا أنّه دخل على رسول اللّهصلى الله عليه وآله يوماً المسجد شخص وقت صلاة الصبح في غلس الفجر، وكان شخصاً مهولاً عظيم الخلقة كالنخلة السحوق له صوت جهوريّ مثل دويّ الرحى وعيناه كشعلتَي النار، فخاف أهل المسجد منه وارتاعوا لصورته وهولة خلقته. فبينا هو يحدث النبيّصلى الله عليه وآله في حوائجه وإذَن بعليّعليه السلام قد دخل المسجد، فلمّا رآه ذلك الشخص ذهل عقله وطار لبّه وتقربض منه وصار يزعق زعيقاً عالياً خوفاً منه. فقال النبيّصلى الله عليه وآله: لابأس عليك، لاتخف؛ فإنّك آمن منه، ما لك ولهذا المقبل؟ وما الذي أزعجك منه؟ حدّثنا بقصّتك معه.

فقال: إنّي كنت من النماردة الفراعنة المتمرّدين على عصر سليمان بن

---

١. بحار الأنوار: ٢٠٦/٢٠، ٢٥٨؛ الإرشاد: ١٠٤/١؛ كشف الغمّة: ٢٠٥/١

داوودعليه السلام. فخرجت ليلة أنا وأصحاب لي وكنّا في عشرين نمروداً وكنت أنا رئيسهم وخرجنا لاستراق السمع، فلمّا علونا في الهواء وقربنا من السماء إذَن بهذا الرجل قد انقضّ علينا وبيده شهاب من نار، فلمّا عارضنا تفرّقنا خوفاً منه، ثمّ إنّه عارضني وصوّب[١] إليّ، فقحمت[٢] البحر على رأسي عجلاً خوفاً منه، وانقضّ عليّ وعارضني قبل أن أصل البحر ورماني بشعلة منه، فأصابني ووقعت إلى قعر البحر، ثمّ إنّه كشف عن فخذه، فإذَن في عضلتيه كالنهر أو كالخندق العظيم.

فتبسّم النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال: إنّ اللّه تعالى قد وكّل عليّ بن أبي طالب بحراسة أهل الأرض وبحراسة أهل السماء. ثمّ إنّ عليّاًعليه السلام جاء حتّى جلس بحذاء النبيّ صلى الله عليه وآله، فصار ذلك الشخص ينظر إليه شزراً خوفاً منه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لابأس عليك، تكلّم بحاجتك. فقضى له حوائجه وانصرف، وهذا من جملة عجائب أمير المؤمنينعليه السلام.

[قيامهعليه السلام بمهامّ الرسالة]

وأمّا قيامه بمهامّ الرسالة: فظاهر ممّا ذكرناه من أحواله السابقة، ولهذا ورد في الأخبار الصحيحة أنّهعليه السلام آية نبوّة محمّدصلى الله عليه وآله[٣] وأنّهصلى الله عليه وآله قال: «هذا ناصري ومعيني والقائم بأموري»، وأنّهعليه السلام ما وقع في شدّة إلّا وقال: عليّ بن أبي طالب، فيجيبه بالتلبية فينفذه في مهمّه، فيكشف عنه همّه ويجلي غمّه. وكان دائماً بين

---

١. حج (خ ل): قرب.

٢. هامش مر: الاقتحام: الدخول في الشيء بشدّة وقوّة.

٣. روي عنهعليه السلام أنّه قال: «ألستُ آية نبوّة محمّد؟» (العدد القويّة: ١٨٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٠١/٢).

يديه /٢١٥ ب/ في جميع حوائجه وأموره ولايغيب عنه إلّا في شيء من المهمّات التي يبعثه لها، ولهذا قالعليه السلام: «كنت أتّبعه كما يتّبع الفصيل أمّه»[١]. وكلّ من عرف أحواله معه علم يقيناً أنّه القائم بمهمّاته والمتحمّل لأعباء رسالته.

[حفظهعليه السلام لقواعد الدين]

وأمّا حفظه لقواعد الدين: فهو من المعلومات الضروريّة؛ فإنّهعليه السلام هو الحافظ لأصوله وفروعه، ولهذا قالعليه السلام: لمّا بعثني رسول اللّهصلى الله عليه وآله قاضياً إلى اليمن قلت له: يا رسول اللّه! بعثتني إليهم قاضياً وأنا صبيّ لاعلم لي بالقضاء. قال: فوضعصلى الله عليه وآله يده على صدري وقال: اللّهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه. قال: فما شككت بعده في قضاء بين اثنين.[٢]

ويدلّ على حفظه لقواعد الدين ما رجع إليه فيه الصحابة من القضايا والأحكام بعد ظهور غلطهم وبيانه لهم الحقّ فيها، حتّى قال عمر في مواضع: لولا عليّ لهلك عمر[٣].

---

١. بحار الأنوار: ٤٧٥/١٤، ٣٦١/١٥، ٣٢٠/٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٧/١٣؛ الصراط المستقيم: ٦٥/٢؛ الطرائف: ٤١٣/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٨٠/٢؛ نهج البلاغة: ٣٠٠

٢. بحار الأنوار: ٤٤٥/١٠، ٤٥٠، ٣٦٠/٢١، ١٧٧/٤٠، ٢٤٤، ١٣٩/٤١؛ الإرشاد: ١٩٤/١؛ إعلام الورى: ١٣٠؛ تنزيه الأنبياء: ١٦١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١، ٣٧٥/١٨؛ الصراط المستقيم: ١٤٤/١، ١٥٥؛ العدد القويّة: ٢٤٨؛ العمدة: ٢٥٧؛ عوالي اللآلي: ٣٨/١؛ الفصول المختارة: ١٣٥، ٢١١، ٣٣٩؛ كشف الغمّة: ١١٤/١؛ كشف اليقين: ٤٥

٣. الكافي: ٤٢٣/٧؛ من لايحضره الفقيه: ٣٥/٤؛ التهذيب: ٣٠٤/٦، ٤٩/١٠؛ وسائل الشيعة: ١١/٢٨؛ مستدرك الوسائل: ١٩/٢، ١٢٣/١٥، ١٢٥، ٣٨٨/١٧، ٥٥/١٨، ٥٨، ٦٠، ٧٥، ٢٠٠، ٢٧٤، بحار الأنوار: ٢٣٠/١٠، ٥٤/١٧، ١٦٣/٢٣، ١١٠/٣٠، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٢، ١٠٤/٤٠ وما ←

وقال: لابقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن[1].

وقال يوماً على المنبر مشيراً إلى الناس: ما تقولون لو غيّر خليفتكم شيئاً من هذه الحدود أو عطّل شيئاً من هذه الأحكام؟ ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا بأجمعهم، فقام إليه عليّ عليه السلام وقال: لو فعل ذلك لضرَبته بسيفي هذا. فقال عمر: الحمد للّه الذي جعل في أمّة محمّد من يقوم أودها عند اعوجاجها. إلى غير ذلك من أحوالها الباهرة وعجائبه البيّنة الظاهرة.

[انتظام أمر الدين برأيه وتدبيره عليه السلام]

وأمّا انتظام أمر الدين برأيه وتدبيره: فذلك من الأمور الظاهرة الواضحة؛ فإنّ بتدبيره في جميع الغزوات قام الدين وظهر الإسلام، حتّى أنّ في بعض الغزوات كانوا نياماً ليلاً لحصار بعض الحصون، ففقدوا عليّاً من بينهم، فارتاعوا لذلك وخافوا خوفاً عظيماً. ففزعوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقالوا: يا رسول اللّه! إنّا فقدنا عليّاً من بيننا. فقال صلى الله عليه وآله: لابأس عليكم، إنّه في إصلاح شأنكم. فما لبث أن جاء ومعه رأس صاحب الحصن تسوّر عليه ليلاً فقتله، وكان ذلك سبباً في فتح

بعد، ١٣٩/٤١، ٣٠٨/٤٦، ١٨٤/٦٩، ٥١/٧٦، ٥٣، ٨٩، ٦٦/١٠١، ٣٨٦؛ الاختصاص: ١٠٩، ١٤٨؛ إرشاد القلوب: ٢١٣/٢؛ بناء المقالة: ١٧٢، ١٩٤، ٣٢٨؛ تأويل الآيات: ٥٦٥؛ تفسير العيّاشيّ: ٧٤/١؛ خصائص الأئمّة: ٨٣؛ دعائم الإسلام: ٨٦/١، ٤٥٣/٢؛ دلائل الإمامة: ١٠٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١، ١٤٠، ١٧٩/١٢، ٢٠٥؛ الصراط المستقيم: ١٧/٢، ١٤/٣، ١٥؛ الطرائف: ٢٥٥/١، ٥١٦/٢؛ العدد القويّة: ٢٤٨؛ الفضائل: ١١٠؛ كشف الغمّة: ١١٢/١؛ كشف اليقين: ٦١ وما بعد؛ مجموعة ورّام: ٣٩٦/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣١/٢، ٣٦١ وما بعد؛ نهج الحقّ: ٢٣٩، ٢٧٧

١. بحار الأنوار: ١٣٩/٤١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١؛ الصراط المستقيم: ١٥٥/١

الحصن وأخذ الغنائم.

ولمّا غزت الفرس العرب إلى بلادهم في أيّام خلافة عمر وأرسلوا إليه يستنهضونه استشار جماعة من الصحابة في ذلك، فكلّهم أشاروا إليه بالنهوض بنفسه وقالوا: أشخص بأهل الشام وأهل الحجاز وجميع المسلمين وألق بهم جموع الشرك. وعليّ عليه السلام مع القوم ساكت، فقال عمر: ما تقول يا أبا الحسن في ذلك؟ فقال: قد سمعت ما قالوه. فقال له: عزمت عليك لتقول ما عندك. فقال: ما أرى ما قالوه؛ فإنّك إذا أشخصت أهل الشام من شامهم سارت إليهم الروم، فأجلوهم من بلادهم، وإذا أشخصت أهل الحجاز انتفضت عليك العرب من أطرافها، فيكون ما يتركه وراءك من عيالات المسلمين وبلادهم أهمّ عليك ممّا توجّهت إليه.

فقال: فما الذي عندك؟ فقال عليه السلام: أرى أن لاتنهض بنفسك؛ فإنّك إذا نهضت بنفسك قالت الفرس: هذا رأس العرب وملكهم، فإذا قطعتموه قطعتم العرب، فيكون قد ألّبتهم على نفسك أو أشددت كلبهم عليك، ولكن أرى أن تقعد في دار الهجرة وتبعث /٢١٦ أ/ المجاهدين من المهاجرين والأنصار؛ فإنّا ما كنّا نقاتل بالكثرة ولكنّا نقاتل بالنصرة، واعلم أنّ اللّه تعالى تكفّل بإعزاز دينه وإظهار كلمته؛ فإنّك متى بعثت بعسكرك كان أوقع في قلوبهم وأعظم في صدورهم لهيبتهم من رئيس الإسلام وتكون أنت رداء لعسكرك وقلوبهم تقوّى بكونك من ورائهم. فأخذ عمر برأيه وكان بذلك الرأي ظهور العرب على الفرس حتّى استفتحوا بلادهم وأمكنهم اللّه من ديارهم وكان بتدبير عليّ عليه السلام وبرأيه.[1]

---

١. بحار الأنوار: ٣١/٤٠، ١٣٧/١٩٣، ٢٥٣؛ الإرشاد: ١/٢٠٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ←

ولهذا قال بعض الحَمقى: إنّ عليّاً شجاع ولكن لامعرفة له بتدبير الحرب، فسمع عليه السلام ذلك فقال: والله لولا الدين لكُنتُ من أدهى العرب[١]. إلى غير ذلك من آياته وعجائبه حتّى أنّه سمّي مظهر العجائب:

فناد عليّاً مظهر العجائب   تجده عوناً لك فى النوائب[٢]

[شكايته عليه السلام من قريش عند الله]

قال: وممّا جمع بين الأمرين ما ورد في بعض أقواله من خطبه رواها أهل العلم من شرّاح *نهج البلاغة* وهي: «أنّ قريشاً طلبت السعادة فشقت وطلبت النجاة فهلكت وطلبت الهدى فضلّت، ويحهم، ألم يسمعوا ويحهم ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾[٣]، فأين العدل[٤] والمنزع عن ذرّيّة الرسول الذين شيّد الله بنيانهم فوق بنيانهم وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم واختارهم عليهم؟ ألا إنّ الذرّيّة أفنان أنا شجرتها ودوحة أنا ساقها وأنا مِن أحمد بمنزلة الضوء مِن الضوء. كنّا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر، أشباحاً عاليةً لاأجساماً نامية. إنّ أمرنا صعب مستصعب لايعرف كنهه إلّا ثلاثة: ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فإذا انكشف لكم سرّ ووضح لكم أمر فاقبلوا، وإلّا فاسكتوا تسلّموا

٩٥/٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٤٥/٢؛ نهج البلاغة: ٢٠٣

١. الكافي: ٢٢/٨؛ بحار الأنوار: ١٤٩/٤١، ٢٩٠/٧٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/١؛ الصوارم المهرقة: ٤٧؛ غررالحكم: ١٢٠؛ مجموعة ورّام: ٣٩/٢

٢. منسوب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنشده يوم أحد، كما في: بحار الأنوار: ٧٣/٢٠

٣. الطور/٢١

٤. حج (خ ل): المعدل.

وردّوا علمه إلى اللّه؛ فإنّكم في أوسع ممّا بين السماء والأرض».[١]

[إعجاب جبرئيل من حملات عليّ عليه السلام يوم خيبر]

وقد ورد عن الثقات أنّ عليّاً عليه السلام لمّا شطر مرحباً في يوم خيبر شطرين جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله باسماً معجباً. فسأله النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: أمّا ابتسامي فهذه الملائكة قد عجبوا من حملات عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى نادوا باسمه: لافتى إلّا عليّ، لاسيف إلّا ذو الفقار. وأمّا إعجابي فإنّي لمّا اُمِرت أن أخرب مدائن لوط السبعة رفعتها بأمر اللّه وقدرته من الأرض السابعة السفلى إلى السماء السابعة العليا على ريشه واحدة من جناحي حتّى سمع من في السماء صياح ديكهم وبكاء أطفالهم ولم أثقل بها إلى الصبح، ثمّ دمّرتها تدميراً. واليوم لمّا كبّر عليّ عليه السلام تكبيرته الهاشميّة وضرب ضربته العلويّة المؤيّدة من اللّه بالقوى الإلهيّة وشطر مرحباً وجواده شطرين اُمِرت أن أقبض فاضل سيفه حتّى لايشقّ الأرض ويشقّ الحامل لها شطرين فتميد بأهلها. وكان فاضل سيف عليّ عليه السلام على يدي أثقل من مدائن لوط السبعة، هذا وإسرافيل وميكائيل ٢١٦/ ب/ قد قبضا على عضده في الهواء.[٢]

وما هو بعجب بالنسبة إلى كماله ومراتب أحواله؛ لأنّ مدائن لوط قطعة من الأرض، وضربته صادرة عن تأييد اللّه وقدرته، وأين قدرة اللّه التي من خشيتها ترعد السماء وسكّانها إلى قطعة من الأرض وجدرانها؟ والإمام أمر اللّه وعظمته، وأين ثقل الأرض إلى عظمة ربّ السماء والأرض؟ ألاتفهم قوله تعالى: ﴿إنّا

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٥/١٣

٢. بحار الأنوار: ٤٠/٢١

عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإنسانُ﴾[١]؟ والأمانة ليست الصلاة ولاالزكاة، وإنّما هي ولاية اللّه في أرضه وعباده وخلافة اللّه في بلاده؛ لأنّ القائم بها قائم مقام اللّه، والأمانة صفة الأمين. وإذا كانت السماوات والأرض قد عجزت عن حمل الصفة أن تقوم بها لعظمتها في ملكوت اللّه فكيف يطيق جبرئيل وحده حمل الأمين الموصوف الذي ظهرت فيه وبه الآثار الإلهيّة والقوى الربّانيّة؟ وإلى هذا المعنى أشار في قوله عليه السلام: «ما قلعتُ باب خيبر بقوّة جسمانيّة وقوّة غذائيّة، بل بقوّة ربّانيّة وآثار إلهيّة»[٢].

وإذا كان شديد القوى[٣] لايقوى على حمل فاضل سيف عليّ فكيف يطيق الناس على حمل سرّه الذي تأسّف ـ صلوات اللّه عليه ـ عليه فقال: «آه آه! لو أجد له حَمَلة»[٤]؟ فلاجرم إذا لمعت بارقة من بوارق سرّه من سمائه يكاد سناء برقه يذهب بالأبصار ولاتجد عند أكثر الناس لهذا إلّا الردّ والإنكار، وما علمنا من سرّ عظمته إلّا نقطة هي الباب الدالّ على الجناب وليس بينها وبين اللّه من

---

١. الأحزاب/٧٢

٢. بحار الأنوار: ٢٦/٢١، ٣١٨/٤٠، ٤٦/٥٥، ٧٦/٧٠، ٣٢/٨٤، ١٣٨/٩٩؛ الأمالي للصدوق: ٥١٣؛ بشارة المصطفى: ١٩١؛ الخرائج: ٥٤٣/٢؛ روضة الواعظين: ١٢٧/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/٥، ٣١٦/٢٠؛ الطرائف: ٥١٩/٢؛ كشف اليقين: ١٤١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣٩/٢؛ نهج الحقّ: ٢٥٠

٣. والمراد من شديد القوى هو جبرئيل، كما أشار إليه في: النجم/٥

٤. بحار الأنوار: ٤٤/٢٣، ١٥٣/٤٠، ٢٢٤/٦٥؛ إرشاد القلوب: ٢١٢/٢؛ الأمالي للطوسيّ: ٢٠؛ الأمالي للمفيد: ٢٤٧؛ الخصال: ١٨٦/١؛ غرر الحكم: ١١٨؛ كمال الدين: ٢٨٩/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٨/٢؛ نهج البلاغة: ٤٩٥

حجاب، فهي السرّ والحجاب، فافهموا يا أولي الألباب!

[تحقيق معنى قول عليّ عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء»]

أقول: في هذا الكلام إشارة إلى قول عليّ عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء»[١]، فلابدّ من بيان معناه. ومعنى قول الكُمَّل: «بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد عن المعبود»[٢]، وذلك إشارة إلى تنزّل الحقّ وظهوره بصورة الخلق، كتنزّل الألف وظهوره بصورة الحروف؛ لأنّ تعيّن الحقّ المطلق الذي هو المعبود بصورة الخلق المقيّد الذي هو العابد ليس إلّا بسبب النقطة التعيّنيّة الوجوديّة الإضافيّة المسمّاة بالإمكان والحدث التي تحت الوجود البائن الأولى الإمكانيّ المسمّى بالعقل الأوّل تارة وبالروح الأعظم أخرى المتميّز بها العابد الذي هو العبد من المعبود الذي هو الربّ.

وكذلك الحروف؛ لأنّ تعيّن الألف المجرّد الذي هو بمثابة الذات بصورة الباء المقيّد ليس إلّا بسبب النقطة التعيّنيّة البائيّة تحت الباء المتميّز بها الباء عن الألف؛ لأنّ الألف إذا نزل من حضرة إطلاقه إلى حضرة تقيّده في صورة البائيّة التي هي أوّل مراتبه في عالم الكثرة لم يكن تميّزه منه إلّا بالنقطة البائيّة المتميّز بها عن غيره من الحروف.

وكذلك الحقّ تعالى فإنّه إذا نزل من حضرة ذاته ومقام إطلاقه وصورة أحديّته في صورة تقيّده وتعيّنه المعبّر عنه بصور الإمكان في حضرة واحديّته لايكون تميّز تلك الصورة المقيّدة عنه إلّا بالنقطة القيديّة الإمكانيّة الواقعة تحت تعيّنه

---

١. المقدّمات من نصّ النصوص: ٣١٠؛ جامع الأسرار: ٤١١، ٥٦٣؛ نقد النقود: ٦٩٥، ٧٠٠

٢. الفتوحات المكّيّة: ١٠٢/١

المتميّزة بها عن غيره من الموجودات. وأوّل تلك الصورة المقيّدة تارة يسمّى بالعقل وتارة بالروح /٢١٧ أ/ وتارة بالنور إلى آخر الموجودات، كما يسمّى أوّل الصورة المقيّدة الحروفيّة تارة بالباء وتارة بالجيم وتارة بالدال إلى آخر الحروف.

ولعظمة الصورة المقيّدة الأولى التي بإزاء الباء من الحروف ورد عن النبيّ عليه السلام: «ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرحمن الرحيم»[١]، وبسبب أنّ تقييدها وتمييزها كان بالنقطة البائيّة التميّزيّة ـ أعني الإمكانيّة الحدوثيّة ـ ورد عن عليّ عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء»[٢]، وورد عن الكُمَّل: «بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود»[٣]. فلاسرّ أعظم من الباء والنقطة بعد الألف، أعني سرّ العقل الأوّل وحقيقة الإنسان المعبّر عنهما بالباء والنقطة بعد الذات الأحديّة المعبّر عنها بالألف.

وبوجه آخر: المراد بالنقطة النقطة الإمكانيّة الإضافيّة المتميّز به بين المطلق والمقيّد والخاصّ والعامّ والعبد والربّ وكذلك في الحروف بين الألف والباء ومظاهر الحروف إمّا في صورة الحروف، فالتميز فيها وهو أنّ الباء لايتميّز عن الألف إلّا بالنقطة التي تحته المتميّزة بها عنه. وكذلك في جميع الحروف؛ فإنّ كلّ واحد منها لايتميّز عن الآخر إلّا بالصورة التعيّنيّة ـ نقطة كانت أو غيرها ـ ولايكون إلّا بالنقطة؛ لأنّها إمّا أن يكون من فوق الحروف أو من تحتها، وإن كان في الاعتبار النصف منها منقوط والنصف غير منقوط، والمراد التعيّن فقط وذلك

---

١. المقدّمات من نصّ النصوص: ٧٢، ١٥١، ٣١٠

٢. المقدّمات من نصّ النصوص: ٣١٠؛ جامع الأسرار: ٤١١، ٥٦٣؛ نقد النقود: ٦٩٥، ٧٠٠

٣. الفتوحات المكيّة: ١٠٢/١

التعيّن إن شئت سمّيته نقطة وإن شئت سمّيته تعيّناً، فالكلّ واحد.

وإمّا في صورة الموجودات، فالتميّز فيها هو أنّ الموجود الأوّل الذي هو بمثابة الباء في الترتيب الوجوديّ لايتميّز عن الموجد الأوّل الحقّ إلّا بالنقطة الإمكانيّة[1] المتميّز بها عن الحقّ المطلق المعبّر عنهما بالعابد والمعبود والربّ والمربوب؛ لأنّ الحقّ الذي هو المطلق أو الذات الذي هو المجرّد إذا تقيّد بالصورة الإمكانيّة الخلقيّة العبديّة وظهر بصورهم في لباس الكثرة بحكم التنزّل الأسمائيّ والفعليّ ليس تقييده إلّا بالنقطة الإمكانيّة الإضافيّة. فالنقطة الإمكانيّة يكون سبب التميّز بين العبد والربّ والعابد والمعبود، كما أنّ النقطة الإضافيّة هي النسبة بين المطلق والمقيّد، وكلاهما في التحقيق واحد[2]؛ لأنّ المطلق مقيّد مع قيد الإضافة وبالعكس. ومن هذا قلنا: النقطة الإضافيّة هي النسبة بين المطلق والمقيّد والعبد والربّ؛ لأنّ مع اعتبار إسقاط هذه النقطة لم يبق هناك تميّز بين المطلق والمقيّد ولا بين العبد والربّ؛ لأنّ الحقيقة واحدة وهي الوجود من حيث هو وجود. فالفارق ليس إلّا التميّز بسبب النقطة الإمكانيّة المشار إليها في قولهم: «التوحيد إسقاط الإضافات»[3]، ونقطة الإمكان حاصلة لكلّ ممكن بسبب الإضافة

---

١. هامش حج: وهذا هو المقام المعنويّ الذي يتخلّق العبد فيه بأخلاق اللّه، وقال: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» [بحار الأنوار: ٢١٠/١٦، ٣٧٢/٦٧، ٣٧٣/٦٨، ٣٨٢؛ مستدرك الوسائل: ١٨٧/١١؛ مكارم الأخلاق: ٨]، وقد يعبّر عنه بقرب النوافل وقيل بقرب الفرائض. هذا إنّما هو بالنظر إلى حال السالك، وأمّا الأمر في نفسه فـ**﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ﴾** [القصص/٨٨]، [هو] الآن كما كان وستكون [إشارة إلى ما روي عن موسى بن جعفرعليه السلام أنه قال: «هو الآن كما كان» (بحار الأنوار: ٣٢٧/٣، ٢٨٤/٥٤؛ التوحيد: ١٧٨)]. «نوريقدس سره».

٢. هامش حج: فيه محلّ تأمّل.

٣. هامش حج: لايتصوّر إسقاط تلك الإضافة عن نظر العارف إلّا بسيره الذي يعبّر عنه ←

إلى الواجب أو بالعكس، وإليه الإشارة: /٢١٧ ب/

وفـي كلّ شـيء له آيــة   تدلّ علــى أنّـه واحــد[١]

وتلك الآية هي الإمكان والنقطة الإمكانيّة، فلانقطة إلّا الإمكـان الفاصـل بـين الواجب والممكن والمطلق والمقيّد بسبب الإضافة بين المضاف والمضاف إليـه كنسبة كلّ قوّة وعضو لك إليك؛ فإنّه كذلك بعينه. ومن هذا يثبت التوحيد بإسقاط تلك الإضافة؛ لأنّ التوحيد صيرورة شيئين شيئاً واحداً، وهاهنا قد ثبت وجـودان: وجود الواجب ووجود الممكن بسبب الإضافة، فعند إسقاطها لايكون الوجود إلّا واحداً وهو وجود الحقّ تعالى جلّ ذكره، ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هالِـكٌ إلّا وجْهَـهُ**﴾[٢]، أي كلّ شيء هالك في نفس الأمر إلّا ذاته الذي هو وجهه ووجـوده؛ فإنّـه بـاق أزلاً وأبداً، كما قيل:

الباقــى بـاق فــى الأزل   والفــانى فــان لم يزل[٣]

لأنّ عند إسقاط تلك الإضافة الكلّ هالك زائل مضمحلّ لايبقى، وإليه الإشـارة بـ ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ * وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكْـرامِ**﴾[٤] و﴿**فَأيْنَمـا**

بالمجاهدة الكبرى، فيصير بحيث يسقط عن نظره تعيّنه الذي هو وجوده بما هـو وجـوده، ويعبّر عنه برؤية نفسه وعن هذا الفناء يبقى ببقائه تعالى:

تعيّن هـا گـر از هسـتي جـدا شـد   نه حق بنده، نه بنده با خـدا شـد
چو ممـكن گرد إمـكان برنشـاند   به جـز واجب دگر چيزي نمـاند

١. منسوب إلى أبي العتاهية، كما في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/٢٣٨

٢. القصص/٨٨

٣. منقول في: المقدّمات من نصّ النصوص: ٤٣٤؛ جامع الأسرار: ٢٠٩؛ نقد النقود: ٦٦٨؛ شرح فصوص الحكم للقيصريّ: ٦٥٨؛ شرح فصوص الحكم للخوارزميّ: ١/٣٠٦

٤. الرحمن/٢٦ـ٢٧

﴿تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾[1]؛ لأنّ تقديره: أينما توجّهوا فثمّ ذات اللّه وجِهة وجوده؛ لأنّه المحيط والمحيط هذا شأنه، واللّه بكلّ شيء محيط[2].

والغرض هاهنا أن تعرف أنّ المراد بالباء الموجود الأوّل المتميّز عن الواجب بالنقطة الإمكانيّة التي هي تعيّنه وتحقّقه عن موجده ومُنشئه، كما أنّ تمييز الباء عن الألف بواسطة النقطة الواقعة تحته الموجبة لتحقّقه وتعيّنه من بين الحروف، والتميّز والتعيّن عند التحقيق شيء واحد وهو المسمّى بالنقطة.

[كلام ابن الفارض في النقطة والباء]

وبوجه آخر: إنّه قد أشار إلى هذه النقطة والباء الشيخ ابن الفارض في *تائيّته* في قوله:

وجئت بوجه أبيض، غير مسقط لجاهك في داريك خاطب صفوتي

فلو كنت بى من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلة[3]

ومعنى البيت الأوّل ـ على ما قاله الشرّاح ـ أنّه يقول له محبوبه: أي وجئتني حال كونك غير مسقط لجاهك في دنياك وعقباك وحال خطبتك عروس حبّي وحاملة وصلي بما ظننت صداقها وتوهّمت عناقها من بياض وجهك في الدنيا والعقبى؛ لاستغنائك بزخارف العلوم والأحوال والأخلاق والأعمال، وليس الأمر كما زعمت وتوهّمت؛ لأنّك لاتصل إلى جناب عزّتي إلّا بتذلّلك وخمولك وإسقاط قبولك عند الخلق وعند نفسك، والدليل عليه البيت اللاحق به وهو قوله:

---

١. البقرة/١١٥

٢. مقتبس من: فصّلت/٥٤

٣. ديوان ابن الفارض: ٣٣

فلــم تهونـــى ما لم تكــن فىَّ فانيــاً　　　ولم تفن ما لم تجتلـى فيك صورتى[١]

وهو إشارة إلى فنائه في محبوبه بإسقاط وجوده عن درجـة الاعتبـار مطلقـاً، وبيانه أن نقول: لمّا كان التحقيق بحقيقة حبّي مشروطاً بشرط زوال ما به الامتيـاز والمباينة بيننا ـ فإنّ حقيقة الحبّ ومقتضاه أن يوصل المحبّ إلى المحبوب مـن غير حكم المباينة والمغايرة بينهما؛ فإنّ المحبّة والمباينة لاتجتمعان ـ فمهما كان أثر المباينة والامتياز موجوداً لاتكون حقيقـة الحـبّ ومقتضـاه ظـاهراً، فلاتظهـر حقيقة الحبّ أصلاً؛ فإن أردت حبّي وطلبت وصلي فعليـك بفنـاء وجـودك مـع توابعه والاستهلاك لأخلاقك وأعمالك بأسرها؛ لقوله:

بحيث تـرى أن لاتــرى ما عددته　　　وأنّ الذي أعـــددته غيـر عــدّة[٢]

ومعنى البيت الثاني وهو قوله: /٢١٨ أ/

فلو كنت بى من نقطة الباء خفضة　　　رفعـــت إلى ما لم تنــله بحيــلة[٣]

أي: لو كنت معي ذليلاً متواضعاً منخفضاً كخفضة النقطة تحت الباء صـرت مرفوعاً إلى رفيع جنابي ومنيع مآبي ونلت من الإرب ما لم تنله بجهـد وحيلـة وسعي واجتهاد. وذلك لأنّ المكاشف بحقيقة الغيب إذا انكشف له قناع الريـب لايشاهد ما توهّمه من الوجود والصفات والأفعال بأجمعها إلّا ظـلالاً متلاشـية في أشعّة أنوار شمس الحقيقة، فكيف له رؤية بقاء وجود واعتبار عدّة صفاتيّة؟ وكلّ ذلك إشارة إلى فناء العبد في اللّه ورفـع النقطـة التميّزيّـة الإمكانيّـة عـن

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

الوسط، كقولهم:

بيني وبينك إنّيَ ينازعني ... فارفع بفضلك إنّيَ من البين[١]

وتقريره بوجه آخر أنّه يقول: لو كنت معي الآن كما كنت قبل دخولك تحت تصرّف المكان والزمان وما احتجبت بوجودك البائن ونقطتك التميّزيّة المتميّزة بها ذاتك عن ذاتي ووجودك عن وجودي لحصل لك الوصول إليّ وإلى جنابي، ووصلت إلى مقام لايمكن الوصول إليه بجهد وحيلة وسعي واجتهاد وهو مقام القرب والوصول بمحض العناية وعين اللطف والشفقة، ويعبّر عنه بمقام المحبوبيّة دون المحبّيّة، ومرتبة الفضل والعطاء دون مرتبة الثواب والجزاء، ومعلوم من حال الأنبياء والأولياء عليهم السلام؛ لأنّ حالهم ومقامهم لم يكن كسبيّاً ولااجتهاديّاً.

[تحقيق آخر في الفقر والمقامات الحاصلة عنها]

وورد في اصطلاح العارف أنّ الفقير هو الذي يكون مع اللّه الآن كما كان في الأزل، والمراد العود إلى ما كان عليه في الأزل، ولهذا قيل: الفقير لايحتاج إلى شيء؛ لأنّه فني عن وجوده والاحتياج من لوازم الوجود. وقالوا أبلغ من ذلك وهو قولهم: إذا تمّ الفقر فهو اللّه. وقالوا: الفقير لايحتاج إلى شيء ولا إلى اللّه؛ لأنّ الاحتياج ـ كما عرفت ـ من لوازم الوجود وهو قد ارتفع، فلم يبق له احتياج أصلاً؛ لأنّه صار غنيّاً والغنيّ لايكون فقيراً، ويعرف هذا من قولهم: إذا جاوز الشيء حدّه انعكس ضدّه.

---

١. منسوب إلى الحلّاج كما في: شرح فصوص الحكم للخوارزميّ: ٩٤، ١٥٣؛ جامع الأسرار: ٣٦٤

ولمثل هذا الفقر الموجب للغناء الكلّيّ والبقاء بالوجود الإلهيّ افتخر نبيّنا محمّدﷺ وقال: «الفقر فخري وبه افتخر على سائر الأنبياء والرسل»[١]، لا بالفقر الصوريّ الذي هو عدم الأسباب الصوريّة من المآكل والمشارب؛ لأنّه ليس بشيء يفتخر به، خصوصاً هذا النبيّ الكامل المكمّل، وفي المدينة ألف فقير أو أكثر أفقر منه بالفقر الصوريّ.

وقوله: «الفقر سواد الوجه في الدارين»[٢] إشارة إلى أنّ وجه الشيء ذاته وحقيقته، وسواده عبارة عن فنائه في الدارين الدنيا والآخرة والظاهر والباطن؛ لأنّ كلّ فناء وعدم يفرض فهو ظلمة وسواد، وكلّ بقاء ووجود نور وضياء؛ لقولهعليه السلام: «خلَق اللّه الخلق في ظلمة، ثمّ رشّ عليهم من نوره»[٣]. فالظلمة إشارة إلى العدم، والنور إشارة إلى الوجود، فسواد الوجه عبارة عن فناء العبد في اللّه بحيث لايكون له وجود وهو معنى الفناء في التوحيد، والبحث في الفقر كثير في كتب القوم.

فكلّ من يفنى عن وجوده في العالمين ويرجع إلى عدمه الأصليّ بطريق القهقرى /٢١٨ ب/ والترتيب المعلوم دفعة أو تدريجاً لاشكّ أنّه يصل إلى مقام البقاء بعد الفناء المعبّر عنه بالوصول والشهود الذي لايحصل لأحد بجدّ واجتهاد وسعي وحيلة؛ لأنّ من فني وجوده بقي بوجود الحقّ وصار حيّاً باقياً في الدارين:

اقتلونى يا ثقاتى　　　إنّ فى قتلى حياتى

---

١. مستدرك الوسائل: ١٧٣/١١؛ بحار الأنوار: ٣٣/٦٩؛ عوالي اللآلي: ٣٩/١

٢. بحار الأنوار: ٣٠/٦٩؛ عوالي اللآلي: ٤٠/١

٣. منسوب إلى النبيّﷺ، كما في: المقدّمات من نصّ النصوص: ٣٨٢

وحيـــاتى فـــى ممـــاتى ومممـــاتى فـــى حيـــاتى[١]

وقوله ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا»[٢] إشـارة إلـى المـوت المعبّـر عنـه بالفنـاء لاالموت الصوريّ، وهذا كلّه بالنسبة إلى الرجوع ومقام المعاد وفناء العبد في اللّه بعد بقائه وهلاك المحبّ في المحبوب في العود. وأمّا بالنسبة إلى المبدأ وظهـور الحقّ بصورة العبد بوجود المضاف المتعيّن الممكن المعبّـر عنـه بالبـاء والنقطـة فذلك أوّل البحث.

[كيفيّة الاطّلاع على الموجود الأوّل]

وكلّ من أراد الاطّلاع على الآفاقيّ لابدّ له من الاطّلاع علـى الموجـود الأوّل وحقيقته التي هي في صدد الباء ونقطته، ومن هذا قـال علـيّ عليه السلام: «العلـم نقطـة كثّرها الجهّال»[٣ و٤].

وكيفيّة الاطّلاع من وجهين: إمّا أن تكون من الوحدة إلى الكثرة ومـن المبـدأ إلى المنتهى الذي هو طريق النزول والظهـور، وإمّـا أن تكـون مـن الكثـرة إلـى الوحدة ومن المنتهى إلى المبدأ الذي هو طريق الصعود والبطون.

فإن كان الأوّل فهو أعظم، فيجتهد في الاطّلاع على النقطة أوّلاً، ثـمّ علـى مـا صدر منها من النفس والهيـولى والطبيعـة والجسـم الكلّـيّ والأفـلاك والعناصـر والمواليد.

---

١. منقول عن الحـلاّج كما في: جامع الأسرار: ٢٠٦

٢. بحار الأنوار: ٣١٧/٦٦، ٥٧/٦٩

٣. مر: الجاهلون.

٤. عوالي اللآلي: ١٢٩/٤

وإن كان الثاني ـ وهو أسهل وأشهر ـ فيجتهد في الاطّلاع على هذه الموجودات بعكس ذلك، وذلك لأنّ كلّ من اطّلع على النقطة الوجوديّة والذي تحتها كمن اطّلع على الوجود كلّه وعلى ما في ضمنه من الأسرار والحقائق وعلى الكتب السماويّة وما في ضمنها من الأسرار والحقائق. ولاطّلاع نبيّناﷺ على النقطة الوجوديّة ليلة المعراج قال: «علمت علوم الأوّلين والآخرين»[١]، وقال: «أرنا الأشياء على ما هي عليها»، ولاطّلاع عليّعليه السلام عليها[٢] قال: «أنا النقطة تحت الباء»[٣]، وقال: «سلوني عمّا تحت العرش»[٤].

وهذه النقطة هي الموسومة عند القوم بعبّادان في قولهم: ليس وراء عبّادان قرية، وهي التي عليها مدار الوجود كالنقطة المركزيّة التي إليها تنتهي خطوط الدائرة المحيطة بها. وذلك لأنّ الوجود بالاتّفاق دوريّ؛ لتقابل النقطتين المتقابلتين اللتين هما نقطة المبدئيّة ونقطة المنتهائيّة، كقوله: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾[٥]، والأوّل والآخر والظاهر والباطن أسماؤه تعالى بهذين الاعتبارين، والأزل والأبد إشارة إليهما و﴿**قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى**﴾[٦] كذلك؛ لأنّ القوس إشارة إلى قطع الدائرة الوجوديّة بالخطّ الوهميّ بينهما الفاصل بين المطلق والمقيّد والإمكان والوجوب في صورة الدائرة. والخطّ الوهميّ في اصطلاحهم هو مقام القرب

---

١. عوالي اللآلي: ٥٢/١

٢. هامش حج: هذا من باب اطّلاع الذات بذاته على ذاته.

٣. المقدّمات من نصّ النصوص: ٣١٠؛ جامع الأسرار: ٤١١، ٥٦٣؛ نقد النقود: ٦٩٥، ٧٠٠

٤. بحار الأنوار: ١٣٤/٤٦؛ الفضائل: ١٣٧

٥. الأعراف/٢٩

٦. النجم/٩

الأسمائيّ باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهيّ المسمّى بدائرة الوجود كالإبداء والإعادة /٢١٩ أ/ والنزول والعروج والفاعليّة والقابليّة وهو الاتّحاد بالحقّ مع بقاء التميّز والاثنينيّة المعبّر عنه بالاتّصال. ولاأعلى من هذا المقام إلّا مقام «أو أدنى» وهو مقام أحديّة عين الجمع الذاتيّة المعبّر عنها بقوله: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾؛ لارتفاع التميّز والاثنينيّة الاعتباريّة هناك بالفناء المحض والطمس للرسوم كلّها.

[القائل «أنا النقطة تحت الباء» هو عليّ عليه السلام دون غيره]

واعلم أنّ القائل «أنا النقطة تحت الباء»[1] هو عليّ عليه السلام دون غيره من الكمّل[2]، نقله عنه أكابر الصحابة كسلمان وأبي ذرّ وكميل بن زياد وغيرهم E وكذلك أولاده عليهم السلام رووا عنه ذلك في الخطبة الطويلة الافتخاريّة التي قال فيها ما أعظم من هذا حتّى قال فيها: «أنا وجه اللّه، أنا جنب اللّه، أنا يد اللّه[3]، أنا القرآن الناطق، أنا البرهان الصادق، وأنا اللوح المحفوظ، أنا القلم الأعلى، أنا الم ذلك الكتاب، أنا كهيعص، أنا طه، أنا حاء الحواميم، أنا طاء الطواسين، أنا الممدوح في هل أتى، أنا النقطة تحت الباء»[4] إلى آخرها.

والعقل الصحيح يحكم بصحّة هذا؛ فإنّ كلّ عاقل يعرف بعقله أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام سيّد الموحّدين وقطب العارفين ورئيسهم ومقدّمهم، والشبليّ والجنيد ومعروف الكرخيّ والسريّ السقطيّ وغيرهم من المشايخ مستغرقين في

---

١. المقدّمات من نصّ النصوص: ٣١٠؛ جامع الأسرار: ٤١١، ٥٦٣؛ نقد النقود: ٦٩٥، ٧٠٠

٢. كما نسب إلى الشبليّ في: الفتوحات المكّيّة: ٧٤/١

٣. حج: + أنا عين اللّه.

٤. المقدّمات من نصّ النصوص: ٢٠٣؛ جامع الأسرار: ٣٨٣

بحار معرفته وشهوده ومغرقين في تيّار علومه وحكمه، بل كلّ سالك فهو منسوب إليه وإلى تلاميذه وكلّ من لانسبة له إلى خرقته فهو ليس بداخل في هذه الطائفة؛ لأنّ نسبة خرقة المشايخ بأجمعهم إمّا إلى كميل بن زياد النخعيّ أو إلى الحسن البصريّ، أو إلى ولده جعفر الصادقعليه السلام، وكلّ من قال بهذا أنّه ينسب إلى غير عليّعليه السلام فقد نسب إلى المشايخ الشطح والدعوى الكاذبة وليس ذلك من صفات الكامل، وقد منع المشايخ كلّهم من ذلك، كما أشار إليه ابن الفارض في قصيدته في قوله:

وغرّك حتّى قلت ما قلت، لابساً ... به شين مين لبس نفس تمنّت
ومن أنفس الأوطار أمسيت طامعاً ... بنفس تعدّت طورها إذ تعدّت[1]
فكيف بحبّي وهو أحسن حلّة ... تفوز بدعوى وهي أقبح خلّة
وأين السهى من أكمه عن مراده ... سها عمّها، لكن أمانيك غرّت
فقمت مقام حطّ قدرك دونه ... على قدم عن حظّها ما تخطّت
ورمت مراماً دونه كم تطاولت ... بأعناقها قوم إليه فجذّت
أتيت بيوتاً لم تنل من ظهورها ... وأبوابها عن قرع مثلك سدّت[2]

والأبيات إشارة إلى ذمّ الشطح والدعوى الكاذبة، وعليّعليه السلام هو الأنسب والأليق أن يكون منه هذا الكلام دون غيره. وهذه النقطة قد يعبّر عنها بنقطة النبوّة ونقطة الولاية اللتين هما مخصوصتان من حيث الإطلاق بالنبيّ وعليّعليهما السلام؛ لأنّ النبوّة المطلقة والولاية المطلقة مخصوصتان بهما؛ لقول النبيّصلى الله عليه وآله: «كنت نبيّاً

---

١. حج (خ ل): فتعدّت.
٢. ديوان ابن الفارض: ٣٢

وآدم بين الماء والطين»[١] وقول عليّ عليه السلام: «كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين»[٢]، فهما موقوفان عليهما كما ثبت ذلك لهما عقلاً ونقلاً وكشفاً وشهوداً، وباللّه العصمة والتوفيق.

[سلطنة عليّ عليه السلام المطلقة على عالم الإمكان]

قال: روي عن المقداد بن الأسود أنّ عليّاً عليه السلام /٢١٩ ب/ يوم الأحزاب قد كان واقفاً على شفير الخندق وقد قتل عمرواً وتقطّعت بقتله الأحزاب وافترقوا سبعة عشر فرقة. وإنّي لأرى كلّ فرقة في أعقابها عليّاً يحصدهم بسيفه، وهو عليه السلام في موضعه لم يتبع أحداً منهم؛ لأنّه عليه السلام كان من كريم أخلاقه لايتبع منهزماً.

وروي جابر الأنصاريّ قال: شهدت البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام، والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً. فما رأيت منهم منهزماً إلّا وهو يقول: هزمني عليّ، ولامجروحاً إلّا يقول: جرحني عليّ، ولا من يجود[٣] بنفسه إلّا هو يقول: قتلني عليّ، ولاكنت في الميمنة إلّا وسمعت صوت عليّ، ولا في الميسرة إلّا وسمعت صوته. ولقد مررت بطلحة وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة، فقلت له: من رماك بهذه النبلة؟ فقال: عليّ بن أبي طالب. فقلت: يا حزب بلقيس ويا جند إبليس! إنّ عليّاً لم يرم بالنبل وما بيده إلّا سيفه. فقال: يا جابر! أما تنظر إليه كيف يصعد في الهواء تارة وينزل في الأرض أخرى ويأتي من قبَل المشرق مرّة ومن قبَل

---

١. بحار الأنوار: ٤٠٢/١٦، ٢٧٨/١٨، ٢٧/٦٥، ١٥٤/٩٨؛ الأنوار: ٢؛ عوالي اللآلي: ١٢١/٤؛ مفتاح الفلاح: ٤١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢١٤/١

٢. عوالي اللآلي: ١٢٤/٤

٣. هامش مر: سمح بها عند الموت، فكأنّه يدفعها كما يدفع الإنسان ماله (مجمع البحرين).

المغرب أخرى وجعل المشارق والمغارب بين يديه شيئاً واحداً؟ فلايمرّ بفارس إلّا طعنه ولايلقى أحداً إلّا قتله أو ضربه أو كبّه بوجهه أو قال: مُت يا عدوّ اللّه! فيموت، فلايفلت منه أحد. فتعجّبتُ ممّا قال.

و لاعجب من أسرار أمير المؤمنين عليه السلام وغرائب فضائله وباهرات معجزاته و[كأيّن من][1] بغيّ أو معاند إذا سمع هذه الأسرار أنكرها وكاد أن يتميّز من الغيظ[2] عند سماعها؛ لظلمة في قلبه وبهمة في لبّه، فلايقدر على مطالعة هذه الأنوار، فيصعب عليه سماع هذه الأسرار ولايتفطّن لمعاني هذه الأخبار.

[المقدّمة الثالثة لإثبات النصّ الفعليّ]

وأمّا المقدّمة الثالثة[3]: فظاهرة لمن عرف أسرار الربوبيّة وأنّه لايحملها إلّا أهلها وأنّ البعيد عن النار لايحترق بها، فلايظهر فيه آثارها، وأنّ الحديدة المحماة بالنار يفعل أفعالاً مناسبة لأفعالها؛ لأجل مجاورتها. فالأنفس المقدّسة الواصلة إلى الحضرة الإلهيّة بمرتبة الولاية الموجبة للقرب المستلزم للتخلّق بصفات الحقّ وظهور آثار الإلهيّة بمرتبة الولاية لايبعد منه وقوع هذه الأفعال وتحمّل هذه الأسرار؛ فإنّه الباب الذي به المدخل إليه وبه تتمّ المعرفة له والالتجاء بذلك إلى ظلّ العبوديّة والقيام بالخدمة؛ لأنّه مظهر الكلّ وموضع القدوة، فكيف يصحّ أن يكون بعيداً منه أو كاذباً عليه أو مدّعياً ما ليس له؟ هيهات! ذلك غير متصوّر في نظر العقول، بل من المحالات العقليّة بالبراهين القطعيّة، فتكون الولاية ثابتة له،

---

١. تش، مر، حج: كأنّي.

٢. مقتبس من: الملك/٨

٣. وهي أنّ كلّ من ادّعى الإمامة وظهر على يده المعجزة كان صادقاً في دعواه.

لايدّعيها معه إلّا شقيّ أخذ الشيطان بزمامه، كما ورد في الأحاديث الصحيحة عنه صلى الله عليه وآله: «من نازع عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر»[١]، وفي موضع آخر: «من نازع عليّاً الخلافة بعدي فقد أنكر نبوّتي /٢٢٠ أ/ ونبوّة الأنبياء من قبلي»، وفي حديث آخر: «يا عليّ! أنت والأطهار من ذرّيّتك من أنكر واحداً منكم فقد أنكرني»[٢]، إلى غير ذلك من الأحاديث والفضائل والمعجزات لو أردنا إيراد بعض البعض منها لطال علينا الأمر واتّسع، وفي ما ذكرناه كفاية لطالب الهداية.

[الولاية شرط لتمام معرفته تعالى وعبوديّته]

أقول: معنى قوله: «لأنّه الباب الذي به المدخل إليه وبه تتمّ المعرفة له» أنّه قد سبق في ما تلوناه عليك في المباحث السالفة أنّ العناية الإلهيّة[٣] تقتضي وجود الأشخاص الكاملة الذين هم مظاهر آثاره بالفعل ومحلّ تجلّياته ومطالع أسمائه وكانوا بذلك الأبواب والطرق الموصلة إليه؛ لمعرفتهم والاطّلاع منهم على الأسرار التي جعلها اللّه تعالى فيهم. فبهم تكمل معرفة العارف ويلتجئ إلى التحقّق بالعبوديّة؛ لما يعرفه من حقيقة عبوديّتهم مع هذه الأسرار والآثار الظاهرة فيهم وبهم.

فجميع العبوديّات المنحطّة في المرتبة عن تلك العبوديّة ظلّ لها ومستفاد

---

١. مستدرك الوسائل: ١٨/١٨٦؛ بحار الأنوار: ٣٢/٣٢٠، ٣٨/١٣٥؛ عوالي اللآلي: ٤/٨٥؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣/٢١٦

٢. بحار الأنوار: ٨/٣٦٦، ٢٧/٦٢، ٣٦/٢٤٦، ٢٥١؛ الاحتجاج: ١/٦٩؛ الصراط المستقيم: ٢/١٢٧، ١٤٥؛ عوالي اللآلي: ٤/٨٥؛ كمال الدين: ١/٢٦١، ٢/٤١٣

٣. حج (خ ل): الأزليّة.

منها؛ لقيام تلك العبوديّة بحقائق الخدمة للمعبود التي لايصل إليها سائر الخدّام إلّا بسلوك تلك الآثار والتخلّق بتلك الأخلاق، فصار أولئك الكُمّل بسبب ذلك مظهراً لكلّ العباد؛ لقيام الكلّ بهم. فبهم يصلون ومنهم يعرفون، فصاروا أهل القدوة في الكلّ، فبهم يقتدي الكلّ في الكلّ.

ويحتمل الكلام وجهاً آخر وهو أن يعود الضمير في «أنّه» إلى وقوع الأفعال وظهور الآثار الإلهيّة وتحمّل أسرار الولاية، فيكون ذلك هو الباب الذي منه يدخل الداخل إلى معرفة هذا الوليّ وبه يتحقّق تمام المعرفة له ويلتجئ الكلّ بتلك المعرفة إلى أن يكون عبداً له قائماً بخدمته؛ لأنّ عبوديّته له وقيامه بخدمته ظلّ لعبوديّته للحقّ وخدمته له؛ لأنّ عبد العبد عبد وخادم الخادم خادم، ولهذا أمر اللّه الكلّ بطاعتهم لهم وأوجب على الكلّ القيام بخدمتهم؛ لأنّ ذلك في الحقيقة طاعة له تعالى وخدمة لأمره وتقرّباً إلى رضاه.

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾[١]. وعلّل ذلك بأنّ الوليّ الواجب الطاعة والخدمة من الكلّ مظهر الكلّ؛ لأنّ بعبوديّته تحقّقت العبوديّة للكلّ؛ فإنّ من عرفه حقّ المعرفة عرف أنّه لافرق بينه وبين المبدأ الأوّل إلّا بالنقطة الإمكانيّة التي تميّز بها العابد عن المعبود والربّ عن المربوب، ولهذا قال عليّ عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء»[٢]. فبه عليه السلام حصل التميّز والفرق، فصار بذلك مظهر الكلّ؛ لأنّ بعبوديّته المميّزة حصلت جميع العبوديّات وتميّزت، فوجب أن يكون بذلك موضع القدوة للكلّ في الكلّ، وهذا الوجه

---

١. آل عمران/٣١

٢. المقدّمات من نصّ النصوص: ٣١٠؛ جامع الأسرار: ٤١١، ٥٦٣؛ نقد النقود: ٦٩٥، ٧٠٠

أقرب إلى موضوع البحث؛ لأنّه بصدد إثبات الولاية بصدور الأفعال الخارقة للعادة من الوليّ بعد ادّعائه لها.

❊ ❊

[عدم صلاحيّة غير عليّ عليه السلام للولاية]

قوله: وغيره لايصلح للإمامة؛ لتقدّم كفره وللقوادح[1] المعدودة فيه، فيكون ظالماً، فلايصلح للإمامة؛ لقوله تعالى: ﴿لايَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ﴾[2]، /٢٢٠ ب/ فيكون هو الإمام؛ لعدم الواسطة.

قال: لمّا كان من عادة أهل العلم الاستدلال على إثبات الشيء بإبطال نقيضه وكانت أقوال الأمّة بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله منحصرة في قولين: قول بأنّ الولاية لعليّ بالنصّ، وقول بأنّها لأبي بكر بالاختيار، ولاثالث يومئذٍ لهما، كان إبطال القول الثاني مستلزماً لصحّة القول الأوّل، فلهذا شرع في الاستدلال على مطلوبه من هذا الطريق وهو مركّب من مقدّمتين:

إحداهما: أنّ غير عليّ لايصلح للولاية ولا تصلح الولاية له.

والثانية: إذا بطلت صلاحيّة غيره تعيّن هو عليه السلام لها، وهذه المقدّمة غنيّة عن البيان غير محتاجة إلى الشرح.

[وجهان في بيان عدم صلاحيّة غيره عليه السلام للولاية]

أمّا الأولى: فقد ذكر في الأصل لبيانها وجهان:

---

١. حج: القوادح.

٢. البقرة/١٢٤

[الوجه الأوّل: تقدُّم كفر غيرهعليه السلام على الإسلام]

الأوّل: تقدُّم كفر غيره على الإسلام؛ إذ من المعلومات الضروريّة أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وجميع الصحابه إنّما أسلموا عقيب كفر؛ لأنّهم كانوا قبل ظهور النبيّصلى الله عليه وآله على سنن الجاهليّة في عبادة الأوثان وتعظيم الأزلام وانتهاك الحرمات واستعمال المقبحات وإنّما أسلموا بعد أن فات أكثر أعمارهم في الكفر والمعاصي وما هو مبعد عن اللّه، ولاينكر ذلك أحد من أهل الإسلام من أوليائهم وأعدائهم. وعليّعليه السلام لم يكن كذلك؛ فإنّه لم يكن من أتباع الجاهليّة ولاسجد لأصنامهم ولاأجال قِداحهم ولااستقسم بأزلامهم، بل كان موحّداً للّه عارفاً به على الدين القويم والصراط المستقيم، طريقة آبائه وأجداده إلى أبيهم إبراهيمعليه السلام.

فلمّا أظهر النبيّصلى الله عليه وآله بالدعوة الإسلاميّة كان من أوّل أتباعه وأنصاره والقائم بأوامره ونواهيه، وكيف لا؟ وهو بعض من كلّه ونور من شمسه ولحمه ودمه، بل نفسه كما ورد في الأحاديث الصحيحة. وبالضرورة مَن تقدَّم كفره كان مبايناً للكمال متّصفاً بالنقص بعيداً عن اللّه مخالفاً لأمره، بل من أعدائه والمطرودين عن جواره، فلايماثل ولايشابه من شبّ في طاعة اللّه، بل من كان مع نبيّ اللّه في الأصلاب الطاهرة والأرحام الزكيّة[1]، بل في العوالم النوريّة والأجسام الشبحيّة متّصلاً به ومتّحداً معه، لم يفارقه في حالة من الحالات ولا في مقام من

---

١. الكافي: ٤٤١/١؛ بحار الأنوار: ٢٤/١٥، ٣٤٠/٢٤، ٩٩/٣٥، ١٥٦، ١٩٦/٥٤، ٣٠٠/٧٤؛ إيمان أبي طالب للفخّار: ٥٦؛ جامع الأخبار: ١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٣/٧، ٦٧/١٤؛ الصراط المستقيم: ٣٤١/١؛ الفضائل: ٥٤؛ كنز الفوائد: ١٦٤/١

المقامات. ومن كانت هذه حاله وجب أن يكون موصوفاً بالكمال الأعلى والمقام الأعظم الأسنى كحال قرينه وقسيمه وشقيقه وأخيه وشكله بل نفسه، بل موصوفاً بجميع صفاته، فيكون له الكمال المطلق والحال العليا، فيكون صاحب القرب من الحقّ تعالى كحال أخيه من غير فرق، بخلاف غيره؛ فإنّه بعيد عن هذه الكمالات والتحلّي بهذه الصفات، فكيف يكون من أهل الولاية أو يصحّ أن يكون موصوفاً بها من كانت حاله مباينة لحال المولى، بعيداً من طاعته، متمرّداً عن مظاهر آثاره، غير قابل لفيض كمالاته بسبب المباينة الخلقيّة والمعاندة الحاليّة؟ /٢٢١ أ/

وأيضاً فإنّ سبق الكفر مستلزم للنقص بالنسبة إلى من ليس كذلك، فيكون موصوفاً بكونه ظالماً؛ لقوله تعالى: ﴿**وَالْكافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾[1]. ولأنّ الظلم لغةً النقص، قال تعالى: ﴿**آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً**﴾[2] أي لم ينقص، والظالم بعيد عن مراتب الاعتدال المستلزمة للكمال المستلزم للولاية، فلايكون المسبوق إسلامه بالكفر بصالح للولاية بسبب استيلاء النقص عليه وخروجه عن دائرة الاعتدال والولاية العامّة بالانحراف عن الصراط المستقيم مأوى الضالّين، فيكون بعيداً عن اللّه، فكيف يكون البعيد عنه وليّاً له؟ هذا خلف.

[الوجه الثاني: القوادح المعدودة في غيره عليه السلام]

الثاني: أنّ ذلك الغير المدّعى له الولاية بسبب استيلاء النقص وخروجه عن دائرة الاعتدال قد عدّ أهل السير والتواريخ وقوع كثير من القوادح التي يوجب عدم صلاحيّته للولاية باعتبار أهل الظاهر، ومن يقول بصحّة الاختيار فكيف مع

---

١. البقرة/٢٥٤

٢. الكهف/٣٣

بطلان ذلك؟ والقوادح المعدودة فيه وفي من تخلّف عن نصبه وأمره كثيرة مذكورة بين أهل العلم ودوّنوها في كتبهم ودوّنوها أهل النقل وأقرّ بها ذوي الفضل.

[ملاحظات حول أبي بكر بن أبي قحافة]

أمّا الأوّل: فقدحوا فيه بتأميره على الناس وعلى وجوه بني هاشم وقرابة الرسول ووجوه المهاجرين والأنصار بغير رضاً منهم ولااختيار من جميعهم؛ فإنّ أكثرهم يوم السقيفة كانوا غياباً لم يحضروا مبايعة عمر وأبو عبيدة له والطلقاء، مع أنّه لم يدّع أنّ ذلك له من اللّه ولا من رسوله، ثمّ لم يكفه حتّى ألزم جماعة المسلمين بالمبايعة له من شاء منهم ومن لم يشأ، حتّى كسرت في ذلك السيوف وشهرت على رؤوس الأشهاد ودفع في الصدور وسحبت فيها الرجال وكثر فيها الضوضاء وعلت الأصوات وتطاولت منها الشكايات ووقع من أجلها هتك الحرمات، حتّى قال فيها عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى اللّه المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[١].

ثمّ ما قنع حتّى سمّى نفسه خليفة رسول اللّه، ومن المعلوم عند الكلّ أنّ رسول اللّه ﷺ لم يستخلفه في شيء من أموره البتّة، ودعواهم أنّه استخلفه في الصلاة في مرض موته لم تثبت، بل كانت دعوىً كاذبة عند ذوي التحقيق رواها أهل الافتراء، وما ذاك بأعظم ممّا افتروه من أنّ النبي ﷺ خرج فصلّى خلفه،

---

١. بحار الأنوار: ٤٤٣/٣٠، ٤٩/٣٢، ٢٥٣/٤٩، ١٢٤/٩٠؛ الاحتجاج: ٢٥٥/١؛ بناء المقالة: ٣٨٢؛ دعائم الإسلام: ٨٤/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١/٩، ٢٤٤/١٣، ٢١/٢٠؛ الصراط المستقيم: ٣٠١/٢؛ الصوارم المهرقة: ١٣٦؛ نهج الحقّ: ٢٦٤

وذلك هو الضلال المبين والخسران العظيم.

وممّا قدحوا به فيه قتل مالك بن نويرة وأصحابه بأمره واستباح أموالهم بغير حقّ وكانوا من أهل الإسلام الصحيح، وسمّاهم أهل الردّة وما كانوا كذلك، بل كان ذلك افتراء عليهم عناداً للحقّ، ولهذا أنّ عمر أنكر ذلك ولم يرضه، فلمّا ولي ردّ على ورثة مالك جميع ما كان وجده من غنيمتهم وسبيهم.

ومن قوادحه منعه إرث فاطمة ونحلتها بحجّة واهية وطالبها بالبيّنة[١] على ما في يدها /٢٢١ ب/ وذلك خلاف حكم اللّه.

وتكلّم في الصلاة متعمّداً ناهياً لخالد عمّا واطاه عليه من قتل عليّ في صلاة الصبح لمّا داخله الجزع والندم على ما فرّط منه عند خالد لمّا جعل العلامة بينهم عند التسليم، فتكلّم قبله وقال: لايفعلنّ خالد ما أمرتُه، ثمّ سلّم. ذلك من أعظم الوقائع.

وقال: ليتني كنت سألتُ رسول اللّهﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حقّ أم لا[٢]، فشكّ في صحّة خلافته، ولهذا قال عليّعليه السلام: «احتججتم على الأنصار بالقرابة من رسول اللّهﷺ، فأعطوكم المقادة وسلّموا لكم الإمارة، فنحن نحتجّ عليكم بما احتججتم به على الأنصار، فإن كانت الخلافة بالقرابة فنحن أولى بها منكم بما لنا من رسول اللّهﷺ من القرابة الخصيصة، وإن كانت لا بها فالأنصار على دعواهم»[٣].

---

١. مر: البيّنة.

٢. بحار الأنوار: ٣٨٠/٢٨، ١٢٢/٣٠، ١٣٤، ١٣٧، ١٤١؛ الخصال: ١٧١/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٥/٢، ٢٦٢/١٢، ١٦٤/١٧، ١٦٦؛ الصراط المستقيم: ٣٠٠/٢؛ نهج الحقّ: ٢٦٥

٣. بحار الأنوار: ١٨٥/٢٨؛ الاحتجاج: ٧٣/١

وأخذ الأجرة على ولاية المسلمين، فأبدع لنفسه في بيت مال المسلمين كلّ يوم ثلاثة دراهم أجرة له على القيام بأمور الأمّة.

وتأخّر عن جيش أسامة وقد أمره رسول اللّه صلى الله عليه وآله بالخروج معه وحثّ على خروجهم، فتأخّروا عنه خلافاً لأمره.

ونصّ على عمر بالخلافة بعده مع اعترافه بأنّ الخلافة لايكون إلّا بالاختيار، فترك الاختيار وأخرج المسلمين منه بزعمه واضطرّهم إلى الرضا بخلافة عمر خلافاً على رسول اللّه صلى الله عليه وآله في زعمه.

وأمر أن يدفن في بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله مع عدم الإذن له في ذلك بإجماع الكلّ مع اعتقاده أنّ البيت فيء للمسلمين، فكيف ساغ الدفن بغير إذنهم؟

وسئل عن الكَلالة والأبّ، فما عرفهما، فدلّ على جهله بالأحكام.

وسئل عن اللّه، فقال: على العرش، حتّى عاب عليه السائل واستهزأ بالإسلام لمّا عرف أنّ رئيس الإسلام بهذه الجهالة، لولا عليّ عليه السلام نبّهه على الحقّ غيرةً على الإسلام.

وماتت فاطمة ـ صلوات اللّه عليها ـ مع كونها ساخطة عليه، وأوصت أن لايصلّي عليها، مع قوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة! إنّ اللّه تعالى يرضى لرضاك ويغضب لغضبك»[2]، إلى غير ذلك من القوادح.

---

١. بحار الأنوار: ٦٢/٢٧، ٣٤٧/٣٠، ٣٥٣؛ إرشاد القلوب: ٢٣١/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧٣/١٦؛ الصراط المستقيم: ١١٨/٢، ١٢/٣؛ الصوارم المهرقة: ١٤٧؛ عوالي اللآلي: ٩٣/٤

٢. بحار الأنوار: ٣٤٧/٣٠، ٤٨/٤٢؛ عوالي اللآلي: ٩٣/٤؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٥٩/٣

[تأميره على وجوه بني هاشم وقرابة الرسول]

أقول: أمّا قدحهم فيه بتأميره على وجوه بني هاشم وقرابة الرسول مع اعترافه واعتراف جميع أهل الإسلام وغيرهم بأنّه لايحاذيهم في شرف ولايقاربهم في سُؤدُد وأنّه ليس من بيت الإمارة ولا من آل لهم حسب قديم أو حديث، فذلك مشهور بين الكلّ معلوم بين الأمّة لاينكره أحد منهم.

وممّا يؤكّده ما روي في السير المنقول عن أهلها أنّ أبا بكر لمّا تولّى الخلافة فسمع أبوه الضوضاء في البيت وكان في ناحية منه، فسأل عنها، فقيل له: إنّ ابنك تولّى الخلافة وصار أميراً على المسلمين بعد رسول اللّهﷺ. فقال: سبحانك /٢٢٢ أ/ يا اللّه! تؤتي الملك من تشاء[١]. ثمّ قال: وكيف رضيت بنو هاشم أن يلي عليها أبو بكر؟ فقيل: قدّمه المسلمون لموضع سنّه، فليس في الجماعة أسنّ منه. فقال: بلى! أنا أسنّ منه.[٢]

وفي رواية أخرى: أنّ أبا سفيان صخر بن حرب لمّا بلغه بيعة أبي بكر أنكر ذلك إنكاراً شديداً وجاء حتّى دخل المسجد وفيه يومئذٍ عليّ والعبّاس وجماعة بني هاشم وغيرهم، وقال: أرَضيتم يا بني هاشم أن يلي عليكم [أبو فصيل الرذل بن الرذل][٣]؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلّان (يعني عليّاً والعبّاس)؟ هلمّوا حتّى أبايع لكم. واللّه لئن شئتم لأملأنّها خيلاً ورجلاً ولأعيدنّها جذعة. فأجابه

---

١. مقتبس من: آل عمران/٢٦

٢. بحار الأنوار: ٣٢٩/٢٨، ٩٤/٢٩، ٩٥؛ الاحتجاج: ٨٧/١؛ الأمالي للمفيد: ٩٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٥/١، ٢٢٢

٣. تش، مَر، حج: أبو فضيل البزدل بن البزدل.

عليّ عليه السلام: اسكت يا أبا سفيان! والله ما قلت ذلك غضباً لله ولرسوله، وما زلت تكيد الإسلام وأهله، «جفّ القلم بما هو كائن»[١] ولله أمر هو بالغه[٢]. فخرج أبو سفيان وهو يقول:

ولايقيم على ضَيم يراد به إلّا الأذلّان عير الحيّ والوتَد
هذا على الخسف مربوط برُمَّته وذا يُشَجّ فلايأوي له أحد[٣]

إلى غير ذلك من الحكايات الواردة في هذا الباب، حتّى قال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاريّ في ذلك:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي الحسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم وأعلم الناس بالمفروض والسنن؟
ما ذا الذي صدّكم عنه فنعرفه؟ ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن[٤]

وذلك وأمثاله دليل على أنّ المبايع له لم يكن أهلاً للمبايعة ولا من أهل الاستحقاق للخلافة ولم يكن عندهم من ذوي الأقدار ولا من أهل المراتب

---

١. مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله في: شرح أصول الكافي للمازندرانيّ: ١٥/٨
٢. مقتبس من: الطلاق/٣
٣. منسوب إلى المتلمّس كما في: بحار الأنوار: ٣٢٨/٢٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢١/١؛ الغدير: ٣٥٧/٣؛ بحوث في الملل والنحل: ١٨/٥؛ الفصول المهمّة: ٩١
٤. اختلفت المصادر في انتسابها إلى خزيمة بن ثابت أو عتبة بن أبي لهب أو الفضل بن عبّاس بن عقبة بن أبي لهب أو الفضل بن عبّاس، فراجع: بحار الأنوار: ٣٥٢/٢٨؛ إعلام الورى: ١٨٤؛ الجمل: ١١٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١/٦، ٢٣٢/١٣؛ الصراط المستقيم: ٢٣٧/٢؛ الفصول المختارة: ٢٦٨؛ كشف الغمّة: ٦٧/١؛ كنز الفوائد: ٢٦٧/١؛ إحقاق الحقّ: ٥٢٨/٧؛ بحوث في الملل والنحل: ١٨٦/٦؛ تلخيص الشافي: ٤٦/٣؛ عبقات الأنوار: ٦٩٦/١٤؛ نوادر الأخبار: ١٧٨

والرياسات؛ لأنّه كان من أراذل قبائل قريش في الجاهليّة والإسلام. ولهذا قال له الفتى الشيبانيّ وقد سأله: من أيّ قريش أنت؟ أمن كذا وكذا؟ وهو يقول: لا. ثمّ إنّه سكت عنه، فقال له: أما أنّه لو وقف لأعلمتكم أنّه من ألأمها نسباً وأدناها حسباً. وإذا كان الحال كذلك كيف صحّ لذوي الاختيار وأهل المعرفة والبصيرة أن يعقدوا الخلافة التي هو ثاني النبوّة والقائمة مقامها لمن هو أدنى القوم نسباً وحسباً وأرذلهم عشيرة؟ مع أنّ اللّه لم يختر لرسالته إلّا أكرمها نسباً وأشرفها حسباً وأكملها عشيرةً وأفضلها قوماً من جرثومة الشرف وبحبوحة النسب الصراح. فالواجب عليهم أن يفعلوا في اختيارهم كما فعله اللّه تعالى في اختياره لهم؛ ليكون اختيارهم واقعاً على الاقتداء بالسنّة الإلهيّة التي لاتبديل فيها، بل ولاتحويل فيها، ﴿**سُنَّةَ اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً**﴾[1]. فلمّا لم يفعلوا ذلك علمنا أنّ الاختيار ما كان واقعاً على مواقعه ولاحاصلاً عن أهله، بل إنّما كان ثَمّ مجرّد الغلبة والقهر وسوء الاختيار ولم يكن برضا أهل الاختيار وذلك ظاهر بيّن لمن ترك التقليد.

[غيبة أكابر الأصحاب وجماعة بني هاشم يوم السقيفة]

وأمّا قدحهم فيه بأنّ بيعته لم يحضرها جماعة المهاجرين والأنصار ولاذوي الأقدار منهم ولاجماعة /٢٢٢ ب/ بني هاشم وإنّما كانت بجماعة من الفاغة وأهل النفاق والطلقاء، وهم الطائفة الذين كانوا يؤذون النبيّ ﷺ بألسنتهم قبل الفتح، فأخذوا أسارى يوم الفتح وجيء بهم إليه، فلمّا عرضهم على القتل أظهروا

---

١. الفتح/٢٣

الإسلام هرباً من القتل، فأطلقهم النبيّ‌ﷺ مع علمه بنفاقهم وسمّاهم الطلقاء، فكان أهل البيعة يومئذٍ أولئك الجماعة.

وأمّا أكابر الأصحاب وجماعة بني هاشم فلم يحضروا يوم السقيفة وذلك معلوم بين أهل الإسلام لاينكره أحد، فإنّ عليّاًعليه‌السلام وجماعة التابعين له من أنسابه وأصحابه كانوا مشتغلين بمصيبة النبيّ‌ﷺ وتجهيزه، وقد أخبر بذلك عليّ‌عليه‌السلام في كثير من خطبه وكلامه، حتّى أنّ سعد بن عبادة سيّد الخزرج كان حاضراً معهم السقيفة ولم يرض بمبايعتهم ولم يبايعهم وأنكر ما فعلوه غاية الإنكار حتّى قال عمر في ذلك اليوم: اقتلوا سعداً، قتل اللّه سعداً، وفي رواية: أوطئوا سعداً. فقال ولده قيس بن سعد: واللّه لئن وصلت إليه واصلة لأضربنّ فيكم بسيفي هذا. وقام معه بنو الخزرج بأجمعهم، فقال سعد: احملوني عن موضع الفتنة. فحملوه، وكان يومئذ عليلاً، فأدخل داره ولم يبايعهم، وامتنع أكثر الخزرج عن بيعتهم؛ لامتناع سيّدهم[1]. وكلّ ذلك دليل على أنّ الاختيار الذي جعلوه وسيلة إلى ثبوت الخلافة لم يكن حاصلاً على وجهه المعتبر وإنّما كان مجرّد الغلبة والمكر والخديعة، وذلك بيّن لمن عرف السير وتدبّر كيفيّة الواقعة.

[إلزامه جماعة المسلمين بالمبايعة على وجه الإكراه والغصب]

وأمّا قدحهم فيه بإلزامه جماعة المسلمين بالمبايعة على وجه الإكراه والغصب فذلك أيضاً معلوم بين أهل السير أنّه لمّا صفق عمر وأبو عبيدة يديهما

---

١. بحار الأنوار: ١٨١/٢٨؛ الاحتجاج: ٧٢/١؛ الجمل: ١١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٣/١، ٢١/٢؛ الصراط المستقيم: ٢٣٩/٣؛ متشابه القرآن: ٦٦/٢

على يد أبي بكر بالبيعة وسلّما عليه بالخلافة وبايعهم جماعة المنافقين والطلقاء ممّن حضر السقيفة ألزموا سائر المسلمين ومن لم يحضرها بتلك المبايعة وطالبوه بالمبايعة ولم يرضوا لأحد منهم في تركها طوعاً كان أو كرهاً.

ويدلّ على ذلك ما رواه ابن أبي الحديد في *شرح نهج البلاغة*[١] عن البراء بن عازب قال: لم أزل محبّاً لأهل البيت عليهم السلام، فلمّا مات النبيّ صلى الله عليه وآله أخذني ما يأخذ الوالهة من الحزن، فخرجت من منزلي لأنظر ما يكون من الناس. فإذَن أنا بأبي بكر وعمر وأبو عبيدة سائرين ومعهم جماعة من الطلقاء والمنافقين، وعمر شاهر سيفه، وكلّ من مرّوا به من المسلمين قالوا له: بايِع أبا بكر، فقد بايعه الناس، فبايَع له شاء ذلك أو لم يشأ. فأنكر ذلك عقلي وجئت اشتدّ ملأ فروجي[٢] حتّى أتيت عليّاً عليه السلام، فأخبرته بخبر القوم، وكان يسوّي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاته، فوضع المسحاة من يده على الأرض، ثمّ تلا: /٢٢٣ أ/ **﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لايُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾**[٣]. وكان العبّاس حاضراً فقال حين سمع مقالتي: تربت أيديكم بني هاشم إلى آخر الدهر.[٤و٥]

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٨/١

٢. فروج: جمع فرج، وهو ما بين رجلين. يقال للفرس ملأ فروجه وفرجه إذا عدا وأسرع، وبه سمّي فرج الرجل والمرأة؛ لأنّهما بين الرجلين (بحار الأنوار: ٥٢٥/٣٢).

٣. العنكبوت/٣ـ١

٤. بحار الأنوار: ٢٨٤/٢٨؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٧١

٥. روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وصنع الناس ما صنعوا وخاصم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح الأنصارَ، فخصموهم بحجّة عليّ عليه السلام، قالوا: ←

ولهذا أنّ كلّ من أنكرها أو لم يرض بمبايعتهم أوقعوا به الأذى وفعلوا معه ما

يا معشر الأنصار! قريش أحقّ بالأمر منكم؛ لأنّ رسول اللهﷺ من قريش والمهاجرين منهم. إنّ الله تعالى بدأ بهم في كتابه وفضّلهم، وقد قال رسول اللهﷺ: «الأئمّة من قريش». قال سلمان رضي الله عنه: فأتيت عليّاًعليه السلام وهو يغسّل رسول اللهﷺ، فأخبرته بما صنع الناس وقلت: إنّ أبا بكر الساعة على منبر رسول اللهﷺ، والله ما يرضى أن يبايعوه بيد واحدة، إنّهم ليبايعونه بيديه جميعاً، بيمينه وشماله.

فقال لي: يا سلمان! هل تدري من أوّل من بايعه على منبر رسول اللهﷺ؟ قلت: لا أدري إلّا أنّي رأيت في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار وكان أوّل من بايعه بشير بن سعد وأبو عبيدة بن الجرّاح، ثمّ عمر، ثمّ سالم. قال: لست أسألك عن هذا، ولكن تدري أوّل من بايعه حين صعد على منبر رسول اللهﷺ؟ قلت: لا، ولكنّي رأيت شيخاً كبيراً متوكّئاً على عصاه، بين عينيه سجّادة شديد التشمير، صعد إليه أوّل من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد للّه الذي لم يُمتني من الدنيا حتّى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك. فبسط يده، فبايعه، ثمّ نزل، فخرج من المسجد.

فقال عليّعليه السلام: هل تدري من هو؟ قلت: لا، ولقد ساءتني مقالته، كأنّه شامت بموت النبيّﷺ. فقال ذاك إبليس ـ لعنه الله ـ أخبرني رسول اللهﷺ أنّ إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول اللهﷺ إيّاي للناس بغدير خمّ بأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ فأخبرهم أنّي أولى بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب، فأقبل إلى إبليس أبالسته ومردة أصحابه، فقالوا: إنّ هذه أمّة مرحومة ومعصومة، وما لك ولا لنا عليهم سبيل، قد أعلموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيّهم. فانطلق إبليس ـ لعنه الله ـ كئيباً حزيناً. وأخبرني رسول اللهﷺ أنّه لو قبض إنّ الناس يبايعون أبا بكر في ظلّة بني ساعدة بعد ما يختصمون، ثمّ يأتون المسجد، فيكون أوّل من يبايعه على منبري إبليس ـ لعنه الله ـ في صورة رجل شيخ مشمّر يقول كذا وكذا، ثمّ يخرج، فيجمع شياطينه وأبالسته، فينخر ويكسع ويقول: كلّا! زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل، فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتّى تركوا أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ وطاعته وما أمرهم به رسول اللهﷺ؟ (الكافي ٣٤٣/٨؛ بحار الأنوار: ٢٦١/٢٨؛ الاحتجاج: ٨٠/١؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٧٧).

يردّه عن ذلك من ضرب أو شتم أو غيرهما. فمن ذلك أنّ الزبير لمّا أنكر ذلك ولم يرض به حصلت بينه وبين القوم مدافعات ومكالمات وقال وقيل حتّى أنّه لقوّة غضبه عليهم وشدّة إنكاره ببيعتهم التجأ إلى سيفه، فشهره عن غمده وقال: واللّه لأجاهدنّكم اليوم بهذا السيف ما ثبت قائمه في يدي. فوثب إليه عمر مع جماعة من أصحابه، فأخذوا، فانتزعوا السيف من يده قهراً وأخذه عمر وضرب به على الأرض حتّى كسره، وبلغ الخبر عليّاًعليه السلام فأمر الزبير بترك منازعة القوم، فسكت[١]. وإلى هذا أشار بقوله: «وكسرت في ذلك السيوف».

وأمّا قوله: «وشهرت على رؤوس الأشهاد» فمعلوم ممّا تقدّم من قصّة يوم الشهادة ومجيئهم ثاني جمعة إلى مسجد النبيّصلى الله عليه وآله بثلاثمئة سيف مشهور[٢]، وما ذكرناه في حديث البراء بن عازب في قوله: «وعمر شاهر سيفه».

ومن ذلك أنّ المقداد بن الأسود الكنديّ لمّا أنكر البيعة المذكورة ولم يرض بها وتكلّم مع القوم بما قاله رسول اللّهصلى الله عليه وآله في حقّ عليّعليه السلام وما أكره عليهم من النصّ عليه بحضرة جماعة الأصحاب، قام إليه عمر مع أصحابه، فزبره ونهاه عن الكلام، فلمّا رآه لم ينته دفع في صدره حتّى وقع إلى الأرض على قفاه.[٣]

ومن ذلك ما وقع لعمّار بن ياسر؛ فإنّهم لمّا أخذوه للبيعة امتنع عليهم غاية الامتناع وقال: إنّ البيعة لعليّعليه السلام في رقابنا ورقابكم يوم الغدير بعهد من اللّه ورسوله. فقيل له: لابدّ أن تبايع طائعاً أو مكرهاً، فامتنع، فوجئ عنقه حتّى صار

---

١. بحار الأنوار: ٢٦٨/٢٨، ٢٧٦، ٢٩١/٣٠؛ الاحتجاج: ٨٤/١؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٩٣، ٨٧١

٢. بحار الأنوار: ٢٠١/٢٨؛ الاحتجاج: ٧٩/١؛ الصوارم المهرقة: ٥٩

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٣/١؛ الصوارم المهرقة: ٥٧، ٦٣

فيه سلعة، فعل ذلك به عمر.

ومن ذلك أنّ دحية الكلبيّ كان كثيراً ما يسفر إلى أرض الشام، فلم يحضر موت النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا قدم من سفره وبلغه الخبر قال: مَن الخليفة بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ فقيل له: قعد في الخلافة ابن أبي قحافة. فقال متعجّباً: وكيف ذلك؟ وما فعل عليّ عليه السلام؟ وهو صاحبها يوم الغدير وغيره بنصّ الرسول. فقيل: ها هو حاضر في بيته ولم يصل إلى ذلك ولم يتمكّن منه. فجاء حتّى دخل المسجد وأبو بكر جالس وإلى جنبه عمر والمسلمون حافّون بهما، فقال دحية: ما الذي أوصلك يا أبا بكر هذا المقام؟ وليس هو لك، وإنّما هو مقام لغيرك، وكيف جلست هذا المجلس وصاحبه حاضر؟ ألست سمعت كما سمعنا وشهدت كما شهدنا؟ أما كنت حاضراً يوم الغدير؟ وقد نصّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله /٢٢٣ ب/ على ابن عمّه بالخلافة والإمامة وحذّر من مخالفته وأمرنا وعامّة المسلمين بطاعته. ما لك وهذا المقام؟ وكيف وصلت إليه؟ ولست من أهله. فقال له عمر: يا أبا عمارة! إنّك غبت وحضرنا ولم تشهد كما شهدنا، وإنّ الأمر يحدث بعده الأمر. فقال دحية: لا، واللّه لم يحدث بعد ذلك الأمر أمر وإنّما فعلتم ما فعلتم خلافاً على اللّه ورسوله، ألا إنّي أشهدكم أنّ سكنى المدينة عليّ حرام. ثمّ إنّ دحية ارتحل بأهله إلى الشام، فلم يزل بها حتّى مات[1]. وإلى هذه الأحوال ومثالها أشار بقوله: «ودفع في الصدور وسحب فيها الرجال وكثر فيها الضوضاء» إلى آخر الكلام.

ولهذا أنّ عليّاً عليه السلام وقع منه لأجل ما وقع من هذه البيعة شكايات كثيرة

---

١. والحقّ أنّ الكلام من بريدة بن الحصيب الأسلميّ، كما في: بحار الأنوار: ٩٢/٢٨، ٣٠٠؛ إرشاد القلوب: ٣٢٥/٢؛ كتاب سليم بن قيس: ٨٦٥

مذكورة في كثير من كلامه وخطبه، بل وشكا منها جماعة أهل البيت وأوليائهم. وإلى الآن هذه الشكاية لم ينتقص وغصص مرارتها في حلوق شيعة آل الرسول إلى وقتنا هذا، وجميع ما يلقونه من الأذى من مخالفيهم كلّه مسبّب عنها، فوقع منها هتك حرمات أهل البيت عليهم السلام، فخرّ عليّ عليه السلام ملبّباً للمبايعة[1] وتوعّد جماعة بني هاشم بالشرّ وأحرق بيت فاطمة ودخل إليه بغير إذنها، بل هجموا عليه كما يهجم على بيوت أهل الكفر ولم تراع حرمة آل الرسول، وضربت ابنة الرسول العزيزة عليه المكرمة لديه بالسوط حتّى أثر السوط في جسمها الشريف وضغطت بالباب حتّى أجهظت جنيناً في بطنها كان سمّاه رسول اللّه صلى الله عليه وآله محسناً. وكلّ ذلك وقع لأجل تلك البيعة، حتّى كان بسببها سمّ الحسن وقتل الحسين.

ويدلّ على ذلك ما روي أهل السيرة في نقلهم الصحيح أنّه لمّا جاء خبر نفي الحسين عليه السلام إلى المدينة ـ وكان فيها يومئذٍ عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب ـ عظم ذلك عليه وجلّ ذلك لديه وأنكر على يزيد غاية الإنكار، فكتب إليه يقول: لقد حدث في الإسلام حدث كبير وجلّت فيه المصائب ولايوم كيوم الحسين عليه السلام. فكتب إليه يزيد بقوله: أمّا بعد، يا أحمق! إنّا جئنا إلى فُرُش ممهّدة ووسائد منتضدة فقاتلنا عليها، فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا وإن يكن الحقّ لغيرنا فأوّل من آثر واستأثر بالحقّ على أهله أبوك، والسلام. فلمّا ورد عليه كتاب يزيد

---

١. بحار الأنوار: ٢٢٠/٢٨، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٦١، ٢٨٢، ٣٠٠، ٣٩٣، ٣٧٦/٣٠، ٢٢٦/٩١؛ الاحتجاج: ٨٣/١؛ الاختصاص: ١٠، ١٨٥، ٢٧٤؛ تفسير العيّاشيّ: ٦٦/٢؛ الجمل: ١١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٥/٦؛ كتاب سليم بن قيس: ٨٦٥؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤٨/٢

سكت وأظهر عذر يزيد[١]، إلى غير ذلك من الأحوال الواقعة بسبب تلك البيعة.

[خطبة طويلة في شكاية عليّ عليه السلام من قريش والتيميّ والعدويّ عند الله]

وقد روي عن عليّ عليه السلام في هذا المعنى خطبة حاوية لجميع ما ذكرناه من هذه الأحوال رواها جماعة من أهل العلم لامزيد عليها في هذا المعنى، وهي ما أخبرني به إجازة جملة من مشايخي مرفوعاً إلى أبي الحسين محمّد /٢٢٤ أ/ عن والده المولى السعيد ظهير الدين وقطب الإسلام أبي الفضل محمّد عن والده المولى السعيد قطب الدين سعيد بن هبة الله الراونديّ عن أبي جعفر محمّد بن الحسن الحلبيّ عن الشيخ أبي جعفر الطوسيّ عن الشيخ المفيد عن الشيخ عبد الله الصفوانيّ رحمه الله قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن حاتم قال: أخبرنا عليّ بن الحسين عن أحمد بن أبي عبد الله عن إسماعيل بن مهران عن عبد الله بن أبي الحارث عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا استولت قريش على الخلافة وافتخرت على عليّ عليه السلام ونسَبَته إلى الرغبة والحرص على الخلافة قام عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: ما لنا ولقريش؟ وما ينكر منّا قريش؟ غير أنّا أهل بيت شيّد الله فوق بنيانهم بنياننا وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا واختارنا الله عليهم، فنقموا على الله أن اختارنا وسخطوا ما رضي الله وأحبّوا ما كره الله.

فلمّا اختارنا الله ـ عزّ وجلّ ـ عليهم شاركناهم في حريمنا وعرّفناهم الكتاب والسنّة وعلّمناهم الفرض والدين وحفّظناهم الصحف والزبر وورّثناهم الدين

---

١. بحار الأنوار: ٣٢٨/٤٥؛ الطرائف: ٢٤٧/١؛ نهج الحقّ: ٣٥٦

والإسلام، فوثبوا علينا وجحدوا فضلنا ومنعونا حقّنا وألتَونا أسباب أعمالنا وأعلامنا. اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش! (قاله ثلاثاً)، فخذلي بحقّي منها ولاتدع مظلمتي لديها وادحض حجّتهم وطالبهم يا ربّ بحقّي؛ فإنّك الحكَم العدل؛ فإنّ قريشاً صغّرت عظيم قدري واستحلّت المحارم منّي واستخفّت بعرضي وعشيرتي وقهرتني على تراث أخي وابن عمّي وأغروا بي أعدائي ووتروا بيني وبين العرب والعجم وسلبوني ما مهّدت لنفسي بجهدي وكدّي ومنعوني ما خلّفه أخي وحبيبي وشفيقي وقالوا: إنّك لحريص متّهم.

ويلهم! أليس بنا اهتدوا من تيه الكفر وعمى الضلالة وغيّ الظلمة؟ ويلهم! أليس بنا أنقذهم اللّه من الفتنة الصمّاء[1] والمحنة العمياء؟ ويلهم! ألم أخلصهم من نيران الطغاة وكثرة العتاة وسيوف البغاة ووطأة الأسُود ومقارعة الطماطمة ومماحكة القماقمة الذين كانوا عجم العرب وغنم الحروب وقطب الأقدام وجبال القتال وسهام الخطاب[2] وسيول السيوف؟ ويلهم! أليس بي تسنّموا الشرف وبي نالوا الحقّ والنصف وبي تبحّرت بحار السحاب وجبال الأوتاد؟ ويلهم! ألست آية نبوّة محمّدﷺ ودلالة رسالته وعلامة رضاه وسخطه؟ ويلهم! أليس بي كان يقطع الدروع الدلاص وتصطلم الرجال الحِراص وبي كان يفري جماجم البُهم وهام البلاد إذا فزع تَيم إلى الفرار وعديّ إلى الانتكاص؟

أما إنّي لو أسلمت قريشاً للمنايا والحتوف وتركتها تحصدها سيوف الغوانم ووطيّة الأعاجم وكرّات الأعادي وحملات الأعالي لطحنتهم سنابك الصافنات

---

١. حج: الظلماء.

٢. حج: الخطوب.

وحوافر الصاهلات /٢٢٤ ب/ في مواقف الأزل والهزل في ظلال الأعنّة وبريق الأسنّة بنجيب النجائب وزجرة الكتائب أهل البصائر وصناديد العشائر، لما بقوا لهضمي ولاعاشوا لظلمي ولما قالوا: إنّك لحريص ومتّهم. اليوم نتواقف يا قريش على حدود الحقّ والباطل، اللّهمّ فاحكم بيني وبين قريش بالحقّ؛ فإنّي مهّدت مهاد نبوّة محمّدﷺ ورفعت أعلام دينك وعلّيت منار رسولك، فوثبوا عليّ وغالبوني ونالوني ووتروني وتناولوني.

فقام إليه أبو حازم الأنصاريّ فقال: يا أمير المؤمنين! أفلان وفلان ظلماك؟ [أ] حقّك أخذا [و] على باطل مضيا؟ أم على صواب أقاما؟ أم ميراثك غصبا؟ أفهمنا لنعلم باطلهما من حقّك. أبزّاك الأمر بزّاً؟ أم أغازاك فيه غزّاً؟ أم غصبا إمامتك غصباً؟ أم سبقاك إليها عجالاً، فجرت الفتنة ولم تستطع فيها استقلالاً؟ فإنّ المهاجرين والأنصار يظنّهما زعماً أنّهما كانا على الحقّ وعلى المحجّة[١] الواضحة مضيا وأنّك عقدت لهما على نفسك خشية فتنة الإسلام.

فقال عليه السلام: يا أخا الأنصار! لابحقّ أخذا ولا على إصابة أقاما ولا على دين مضيا ولافتنة خشيا. اليوم نتواقف ـ رحمك اللّه ـ على حدود الحقّ والباطل. أتعلم وإخوانك أنّ بني يعقوب على حقّ ومحجّة وإصابه وأثرة كانوا حين باعوا أخاهم وعقوا أباهم وخالفوا خالقهم وظلموا أنفسهم؟

فقالوا بأجمعهم: لا، يا أمير المؤمنين!

ثمّ قال: يا أخا الأنصار! أتعلم وإخوانك هؤلاء أنّ ابن آدم الذي قتل أخاه كان على حقّ ومحجّة وإصابة من رضا اللّه تعالى؟

---

١. حج: الحجّة.

فقالوا: لا، يا أمير المؤمنين!

قال: يا إخواني! أوَليس كلٌّ فعَل بصاحبه ما فعَل لحسده إيّاه وعداوته وعصيانه وبغضاً له؟

فقالوا: نعم، يا أمير المؤمنين!

قال: فكذلك فعل بي حسداً، ثمّ إنّه لم يتب على ابن آدم ووُلد يعقوب إلّا بعد الاستغفار والتوبة والإقلاع والإنابة والإقرار، ولو أنّ قريشاً تابت واعتذرت من فعلها لاستغفرتُ اللّه لها.

ثمّ قال: اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان وأفصح لكم الخرساء ذات البرهان. ألا إنّي فتحت الإسلام ونصرته وعزّزت الدين والرسول وثبّتت أركان الإسلام بقوّة اللّه وأعليت مناره وبيّنت أعلامه وأعلنت أسراره وأظهرت آثاره وبنيت وصفّيت الدولة ووطّئته للماشي والراكب، ثمّ قُدتُها صافية على أنّي مستأثر، فسبقني إليها التيميّ والعدويّ كسباق الفرس احتيالاً واغتيالاً وخدعةً وغلبةً، فاختدعا المسلمين واغتليا الواردين وتأتّى لهم ما لاينازعهم فيه زمان ولايناطحهم حمام، وأنا متشاغل بدفن النبيّ صلى الله عليه وآله وتجهيزه وتكفينه وما حضرا شيئاً منه. ثمّ سبقا إلى سقيفة بني ساعدة سباق الفرس احتيالاً واغتيالاً وخدعةً وغيلةً /٢٢٥ أ/ وحيلةً، لاتفقّداً للرعيّة ولااهتماماً لمصلحة. فهلّا سبقا إلى مواطن النزال وكشف الكرب عن وجه الرسول صلى الله عليه وآله ما زلت أنظر بهم وقد سمعا الحقّ؟ وكيف يراعي النبأة من أصمّته الصيحة؟ ما زلت أنظر بكم يا قريش عواقب الغدر في عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، أعلامه فيكم ظاهرة وأماراته فيكم بيّنة ورأيت مغابن المكر فيكم جليّة، وما زلت أتوسّمكم بحيلة المغترّين وأبصركم بعين الحاسرين. سترني عليكم جلباب الرفعة وبصّرني فيكم صدق النيّة. أقمت لكم على سنن

الحقّ في جواد المضلّة حين تنتكمون ذنوبكم وتـدعون بالويـل والثبـور دلـيكم ويتحيّرون وما تذهبون وتستغيثون ولاتغاثون.

إنّه شارطني رسول اللّه ﷺ في كلّ مـوطن مـن مـواطن الحـرب وصـافحني وصافقني لأن أحارب للّه تعالى ولرسوله وأحامي للّـه وأنصـر رسـوله بجهـدي وطاقتي وكدّي وقدحي ورحمـي حـريم الإسـلام وأرفـع أطنـاب الـدين وأعـزّ الإسلام وأهله، على أنّي مـا فتحـت وتليـت عليـه دعـوة الرسـول وقـرأت فيـه المصاحف وعبِد فيه الرحمن وفهِم فيه القرآن، فلي إمامته وعقده وحلّه وإصداره وإيراده.

ولفاطمة عليها السلام فدك وما خلّف رسول اللّه ﷺ بحقّ ميراثها، فسبقني إليه التيمـيّ والعدويّ سباق فرسين في الميدان يوم الرهان. وما شككت في الحقّ منذ رأيتـه، هلك قوم تخلّفوا عنّي. إنّه لم يوجس موسى في نفسه خيفة ارتياباً أو شكّاً في ما أتاه من عند اللّه ـ عزّ وجلّ ـ ولم أشكّ في ما أراني من حقّ اللّه ولاارتبـت فـي حقّي وإمامتي وخلافة ابن عمّي ووصيّة الرسول لي، وإنّما أشفق أخي موسى عليه السلام من غلبة الجهّال ودول الضلال علـى الحـقّ. ولمّـا أنـزل اللّـه تعـالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾[١] دعا فاطمة عليها السلام، فأنلحها فدك وأقامني عَلَماً وإماماً وعقد لي وعهد إليّ، فأنزل اللّه تعالى: ﴿**أطيعُوا اللّهَ وَأطيعُوا الرَّسُولَ وَأولِـي الأمْـرِ مِـنْكُمْ**﴾[٢].

فقاتلت ـ يا إخواني ـ حقّ القتال وصبرت حقّ الصبر وضربت حقّ الضرب على دين أتى به ابن عمّي وصِنوي وعلى أنّي أنصر ابن عمّي وحقّي ودينـي. وإنّمـا

---

١. الإسراء/٢٦

٢. النساء/٥٩

قمت هذه المقامات واحتملت الشدائد وتعرّضت للحتوف على أن تصيبي من الأجر مدّخر ومن الأثرة موفّر وأن أكون صاحب محمّدﷺ ووصيّه وخليفته وإمام أمّته من بعده وصاحب رايته في الدنيا والآخرة.

اليوم أكشف السريرة عن حقّي وأجلو الصداء عن ظلامتي حتّى يظهر لأهل اللبّ والمعرفة أنّي كنت مذلّلاً مضطهداً مظلوماً مغشوماً مغصوباً[1] مقهوراً محقوراً وأنّهم ابتزّوا حقّي واستأثروا وابتزاني. اليوم نتواقف على حدود الحقّ والباطل إذا تخاطرت أنباؤه وطار عنه غطاؤه، من وثق بماء لم يظمأ، من استودع خافياً فقد غشّ نفسه، ومن استرعى ذئباً فقد ظلم، ومن والى غشوماً فقد اضطهد. /٢٢٥ ب/ هذا موقف صدق ومقام أنطق فيه بحقّ وأكشف النعمة والستر عن ظلامتي.

يا معشر المهاجرين والأنصار! أين كانت سبقة تيم وعديّ إلى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة يوم الأبواء؟ إذ تكاثفت الصفوف وتكاثرت الحتوف وتقارعت السيوف. أم هلّا خشيا فتنة على الإسلام يوم ابن عبد ودّ؟ وقد نفخ بسيفه وشمخ بأنفه وطمح بطرفه. ولمَ لم يشفقا على الدين وأهله يوم بواط؟ إذ اسودّ لون الأفق واعوجّ عظم العنق وانحلّ سبل العرق. ولمَ لم يشفقا يوم رضوى؟ إذ السهام تطير والمنايا تسير والأسد تزأر. وهلّا بادرت يوم العشيرة من ينبع؟ إذ الأسنان تصطكّ والرياح تشتبك والدروع تهتكّ. وهلّا كانت مبادرتهم يوم بدر؟ إذ الأرواح في الصعداء ترتقي والجياد بالصناديد تزدهي والأرض من دماء الأبطال ترتوي. ولمَ لم يشفقا على الإسلام يوم الخندق؟ وقد قمتُ دونهم كالليث المتمهلج أو كالفجر المتهرّج أو كالشمس المتزبرج.

---

١. مر: مغضوباً.

ولمَ لم تبرز تيم وعديّ ولم أرَ تيماً وعدياً يوم قريظة؟ والأقران تجتلد والفرائص ترتعد. ويوم بني هذيل؟ وإذ ولّيتم فراراً وأدخلتم السماء بكم تمور ونيران حربكم تفور والمنية على قطبها تدور. أما بذي قوى؟ وقد تكدكت الفجاج وثار العجاج رأيتك مولّياً مدبراً. ويوم بني المصطلق أين كنتم يا تيم وعديّ؟ إذ ارتعش الهمام وارتعد القمقام وتزلزلت الأقدام. ويوم خزاعة؟ يوم وعظت الواعظة وتوقظت الواقظة، فرجعت تيم وعديّ بغيظ الغايظة صموتاً سكوتاً. ويوم الحديبيّة؟ إذ ساءت الظنون وانقصمت المتون ونطقت المنون. ويوم حنين ويوم خيبر؟ إذ تصدرع غطريف في قوله: «فاشتط وفاخر بآياته فاخبط». ويوم مرحب؟ حين يكفر بالدرع وعليّ بالصمصام ودعا بالبراز ولات حينَ مَناص[1]؟

وأين أنتم يا تيم وعديّ يوم الفتح؟ وأنا على الكَفَرة أبذخ وللكبش[2] أشدخ وكأنّي بين البحار برزخ. أم ليلة العقبة؟ وقد قعدتم للرسول كلّ مقعد، فردّكم اللّه بغيظكم لن تنالوا خيراً. وأين كنتم يا تيم وعديّ يوم عذرة؟ وقد عاينتم انفلاق الرأس وتحصيل البأس[3] وانصلات الناس. وهلّا بادرتم يا تيم وعديّ يوم تبوك؟ إذ عاين الناس فتقاً من ضرب الجماجم ودحى بهم في هول[4] الصفائح وهشم الهام بالنطاح. ولم أرَ تيماً وعدياً بادرت يوم مؤتة؟ وقد أظلمت منكم الأبصار وضاقت بكم الأقطار وخدمتكم موج النيران. وإنّما جسرت تيم وعديّ يوم

---

١. مقتبس من: ص/٣

٢. حج: على الكبش.

٣. حج: اليأس.

٤. حج: حول.

الطائف، وإذ الواحد منكم كحجر جامد وكنجم ساجد أو كمثال هامد.

فأسألك يا تيم ويا عديّ! مبادرتك على سقيفة بني ساعدة بأيّ فضيلة وبأيّ قوّة وبأيّ طاعة؟ ألم تعلما أنّي أحقّ بها ممّن وجدتم يوم بواط واقفاً متلدّداً وحيراناً متلبّداً؟ وأنا كالليث الهصور الثاقف وكالغيم المنتجع القاذف والبرق المتمعمع /٢٢٦ أ/ الخاطف. ما هذه الدهماء والدهياء التي وردت عليّ من قريش؟ أنا صاحب هذه المشاهد وأبو هذه المواقف وابن هذه الأفعال الحميدة.

يا معشر المهاجرين والأنصار! إنّي على بصيرة من أمري وعلى ثقة من ديني. وأين كنتم يا تيم وعديّ يوم زبران الأسد؟ اليوم نطقت الخرساء بالبيان وفهمت العجماء ذات الفصاحة والبرهان. هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم[١]، قد توافينا على حدود الحقّ والباطل وأخرجتكم من الشبهة إلى الحقّ ومن الشكّ إلى اليقين، فتبرّؤوا ـ رحمكم اللّه ـ ممّن نكث البيعتين وغلبه [الهوى][٢] فضلّ. أبعدوا ـ رحمكم اللّه ـ من انهزم الهزيمتين؛ إذ يقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاتُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ**﴾[٣]، وقال: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرينَ**﴾[٤].

---

١. مقتبس من: المائدة/١١٩

٢. تش، مر، حج: الهواء.

٣. الأنفال/١٦ـ١٥

٤. التوبة/٢٥

اغضبوا أنفسهم على بني إسرائيل؛ لأنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ اختارهم عليهم وجعل تعالى الاختيار إليه إذ يقول: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمينَ﴾[1]، ولو كان الاختيار على الناس لكان يختار كلّ واحد منهم نفسه، ولو كان الاختيار إلى إبراهيم فجعلها في الظالمين، حتّى منعه اللّه تعالى ذلك واستثنى فقال: ﴿لايَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ﴾[2]. فكلّ مَن عبد صنماً أو وثناً أو جبتاً أو طاغوتاً أو يغوث أو يعوق أو نسراً[3] أو شمساً أو قمراً أو ناراً أو حجراً أو شجراً وقد انهزم من جهاد في سبيل اللّه أو كذّب أو بخر أو همز أو غمز أو ظلم فلاإمامة له. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلاتَكُنْ في مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَني إسْرائيلَ * وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمْرِنا لَمّا صَبَرُوا﴾[4]، فاللّه تعالى جعلهم أئمّة؟ أم جعلوا أنفسهم؟ أم الناس جعلوهم أئمّة؟ إنّ الإمامة من عند اللّه وإنّما أعطى اللّه تعالى هذه الإمامة على شريطة لمّا صبروا وكانوا بآيات اللّه موقنين[5]. فليس أحد من قريش ومن غيرهما صبَر على الحروب والشدائد كما صبرتُ ولاأيقن منهم بآيات اللّه كما أيقنتُ.

ثمّ قال: أخبروني عن موسى وهارون، أبعضهم أولياء بعض؟

قالوا: نعم، يا أمير المؤمنين!

فقال: للرسالة أم للرحم؟

---

١. الدخان/٣٢

٢. البقرة/١٢٤

٣. مقتبس من: نوح عليه السلام/٢٣

٤. السجدة/٢٤ـ٢٣

٥. مقتبس من: السجدة/٢٤

فقالوا: للرحم، ثمّ للإمامة[1].

فقال: نعم! وأنا أولى بمحمّدﷺ للرحم، ثمّ للإمامة. ثمّ قال: وإن تقدّم موسى هارونَ بالموت فهارون أولى بما خلّف موسى أم غيره؟

قالوا: هارون.

فقال: للرحم أم للرسالة؟

قالوا: للرحم ثمّ للرسالة.

قال: فمحمّدﷺ للرحم ثمّ للإمامة، ما يقوم مقامي ومقامه إلّا أنا، ومحمّدﷺ وما خلّف فلي أم للتيميّ والعدويّ؟

قالوا: بل أنت أحقّ وأولى.

قال: فأين يُتاه بكم عنّي وأين يسلك بكم الهوان؟ ثمّ قال: فهل تعرفون صفة أئمّة الهُدى؟

قالوا: لا.

قال: صفة بني إسرائيل إذ يقول اللّه تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ**﴾[2]. فهل تعرفون من صبر مع محمّدﷺ وأيقن بالآيات والسور التي أنزلها اللّه تعالى؟ /٢٢٦ ب/

فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين!

ثمّ قال: والذي نصب الكعبة وبرأ النسمة لأنا هو، وقد ضلّ من تخلّف عن إمامتي وهلك من تاه عنّي، والسلام.

---

١. حج: للرسالة.

٢. السجدة/٢٤

ثمّ قام أبو حازم وأنشأ يقول:

أبــت هذه الأنصــار حتّى تبيّـنت   مذاهب لم تضلّل عليه المذاهـب[١]

قال الراوي: وهذه الخطبة كثرت فوائدها وعمّت عوائدها زائداً على الإنكـار عليهم في تلبّثهم بالإمامة وإظهار الظلامة والشكاية منهم، دالّة على جميع صفات الإمام من الفضل والعلـم والعصـمة والنصـبة وبطـلان الاختيـار والبرهـان علـى استقرار الإمامة عليـه وعلـى أولاده، وتسـمّى بخطبـة الكشـف، وهـذه الظلامـة والشكوى قطرة من البحار، أعرضنا عن ذكر الباقي خوفاً من الإطالة والملالة.

وأنا أقول: قد دلّت هذه الخطبة الشريفة على كلّ ما نحن بصدده مـن إثبـات المطاعن وإثبات الدعوى وحصول الشـكاية ووجـوب الإمامـة بـالنصّ وإثبـات عصمة الإمام وبطلان ثبوتها باختيار وبيان ظلم الجماعة ووجـوب البـراءة مـنهم وأنّه صاحب الجهاد والمقامات الموجبة له القربى من الرسول. وبالجملـة ففيهـا كفاية في إثبات جميع مطالب الإمامة على قوانين الإماميّة، وكلّ ذلك دليـل علـى بطلان تلك البيعة وثبوت القدح فيها وإنّها لم تكن واقعة علـى القـوانين العقليّـة ولاالضوابط الشرعيّة.

[كلام عمر قادح في هذه البيعة]

ويدلّ على ذلك ـ زيادة على ما ذكرناه ـ القول المشهور عن عمر وهو قولـه: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى اللّه المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلهـا فـاقتلوه[٢].

---

١. بحار الأنوار: ٥٨٨/٢٩؛ الصراط المستقيم: ٤٢/٣؛ العـدد القويّـة: ١٨٩؛ المناقـب لابـن شـهر آشوب: ٢٠١/٢

٢. بحار الأنوار: ٤٤٣/٣٠، ٤٩/٣٢، ٢٥٣/٤٩، ١٢٤/٩٠؛ الاحتجـاج: ٢٥٥/١؛ بنـاء المقالـة: ٣٨٢؛ ←

وهذا الكلام قادح في البيعة من وجوه ثلاثة:

الأوّل: اعتراف عمر الذي هو عاقدها والساعي في حصولها والمجتهد في تصحيحها بأنّها فلتة، ومعناه أنّها وقعت بغتةً من غير تروٍّ ولافكر ولااستطلاع جميع آراء أهل الحلّ والعقد ولامواترة جميع الأصحاب واتّفاقهم ورضاهم، وذلك دليل على مخالفتها للقواعد الشرعيّة والقوانين العقليّة التي يجب مراعاتها في تلك المبايعة وهو دليل على عدم صحّتها.

الثاني: وصفه إيّاها بكونها شرّاً وقاه اللّه المسلمين، بقوله: «وقى اللّه المسلمين شرّها». وما هو شرّ فهو بالضرورة ليس بخير، فلاتكون مشتملة إلّا على الشرّ، إلّا أنّ ذلك لم يتعدّ ضرره إلى أحد من المسلمين على زعمه. ولكن الأمر ليس كذلك، بل ذلك الشرّ حصل بسببه على المسلمين ضرر كثير خصوصاً على آل بيت الرسول، كما وقع لهم من الهضم وأخذ الحقوق، وكذلك لجميع بني هاشم وأكثر الصحابة وفضلائهم وصل إليهم بسببها ضرر كثير، ومن تتبّع السير والأحوال التي جرت بين الصحابة عرف ذلك وتحقّقه.

الثالث: أنّه أمر بقتل من عاد إلى فعل مثلها، وذلك دليل على أنّ مثلها بلغ في القبح إلى حدّ يستحقّ فاعله القتل، وحكم المثلين واحد؛ لوجوب اتّحادهما في الحقيقة واللوازم، وهذا القبح لازم ذاتيّ لمثلها ـ على ما صرّح به ـ فيجب أن يكون لازماً ذاتيّاً لها؛ لوجوب مساواة /٢٢٧ أ/ الأمثال في اللوازم الذاتيّة، فيجب أن تكون مشتملة على ذلك القبح. فإذا استحقّ فاعل مثلها القتل لأجل ذلك القبح

دعائم الإسلام: ٨٤/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١/٩، ٢٤٤/١٣، ٢١/٢٠؛ الصراط المستقيم: ٣٠١/٢؛ الصوارم المهرقة: ١٣٦؛ نهج الحقّ: ٢٦٤

استحقّ فاعله القتل أيضاً بتلك العلّة، وذلك ظاهر لمن عرف حقيقة التماثل ووجوب اشتراك الأمثال في اللوازم الذاتيّة، وذلك دليل على مخالفتها لقوانين العقل والشرع.

[تسمية نفسه خليفة رسول اللّه]

وأمّا قدحهم فيه بتسمية نفسه خليفة رسول اللّه فأمر ظاهر[١]؛ فإنّ الكلّ رووا أنّه سمّى نفسه خليفة رسول اللّهﷺ وكان جميع أتباعه يسمّونه بذلك، بل وألزم جميع المسلمين تسميته بذلك الاسم، مع اعترافه واعتراف الكلّ أنّ رسول اللّهﷺ لم يستخلفه ولم ينصّ عليه ولم يدّع هو ذلك ولاادّعاه له أحد من أتباعه؛ فإنّه لو كان مستحقّاً من الرسول لذَكر ذلك واحتجّ به يوم السقيفة على الأنصار ولكان توقيفهم الأمر على المبايعة والصفقة التي احتيج فيها إلى القيل والقال وإشهار السيوف والاختلاف في غاية السفاهة؛ لأنّه التجاء إلى الأصعب والتوصّل إلى المطلوب من أعسر جهاته مع القدرة على الأسهل الأقوى، وذلك لايختاره عاقل. فلو كان خليفة للرسول لادّعى ذلك وافتخر به؛ إذ لاعطر بعد عروس، بل قد قال أهل النقل والسير: إنّ رسول اللّهﷺ لم يستخلفه في شيء من أحواله إلّا في قصّة قراءة سورة براءة، ثمّ أمر بردّه وأخذ السورة منه بوحي من اللّه وأمر أن لايبلغها إلّا عليّعليه السلام، وقد مضت الإشارة إلى ذلك.

فإن قيل: إنّه قد استخلفه في الصلاة بالناس أيّام مرضه كما رواه أهل السنّة؛

---

١. ذكر أنّه تارة سمىّ نفسه خليفة اللّه وتارة خليفة رسول اللّه. راجع: بحار الأنوار: ٩٥/٢٩؛ الاحتجاج: ٨٧/١؛ إرشاد القلوب: ٢٦٦/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢١/١٧؛ الطرائف: ٤٠٤/٢؛ الفضائل: ١١٦؛ نهج الحقّ: ٢٦٢

قلنا: ذلك النقل كذب وزور، بل الذي اتّفق عليه أهل النقل الصحيح ورووه أهل البيت عليهم السلام أنّ بلالاً أذّن للصلاة يوماً، فلم يخرج أحد إليها؛ لاشتغالهم بمرض النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّه كان قبل ذلك اليوم إذا حضر وقت الصلاة إن كان النبيّ صلى الله عليه وآله خفيفاً خرج وصلّى بالناس وإن كان ثقيلاً أمر عليّاً عليه السلام يخرج فيصلّي بالناس. ففي ذلك اليوم كان النبيّ صلى الله عليه وآله ثقيلاً في المرض، بل كان مغموراً بالوجع، فلم يتيسّر لعليّ عليه السلام الخروج إلى الجماعة؛ لاشتغاله بالنبيّ صلى الله عليه وآله. فلمّا جاء بلال للإعلام بالصلاة قال عليّ عليه السلام: إنّي مشغول برسول اللّه صلى الله عليه وآله، فلاأقدر على مفارقته، فليصلّ بالناس بعضهم. فقالت عائشة لبلال: مُر أبا بكر فليصلّ بالناس. فظنّ بلال أنّ ذلك عن أمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله ولم يقع في وهمه أنّ زوجة النبيّ تكذب عليه. فقال بلال للناس: صلّوا خلف أبي بكر. فلمّا كبّر أبو بكر أفاق رسول اللّه صلى الله عليه وآله من غمرته وسمع التكبير فقال: من يصلّي بالناس يا عليّ؟ فقال: إنّ عائشة أمرت بلالاً أن يُعلِم /٢٢٧ ب/ أبا بكر أنّه يصلّي بالناس. فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله إليها شزراً، ثمّ قال: أما إنّكنّ كصُوَيحِبات يوسف، ثمّ قال: اخرجوني إلى المسجد، اخرجوني فقد حدث في الإسلام فتنة ليست بهنيئة. ثمّ قام عليه السلام يتهادى بين عليّ والفضل بن عبّاس حتّى دخل المسجد وهو على تلك الحال، فلمّا رآه المسلمون عظم لديهم ذلك وعرفوا أنّه صلى الله عليه وآله لم يرض بما فعله أبو بكر، ثمّ تقدّم على المحراب، فنحّي أبا بكر عنه وصلّ بالناس وأبو بكر يسمعهم التكبير. فلمّا فرغ من الصلاة جلس للناس ساعة، ثمّ قال: أيّها الناس! ما بال جماعة من أصحابي يخالفون أمري؟[1]

وهذه الرواية هي التي اتّفق عليها أكثر المحدّثين وهي التي يوافق عليها

---

١. بحار الأنوار: ١٥٩/٢٨، ٤٣٣/٣٠؛ الإفصاح: ٢٠٧؛ القصص للراوندي: ٣٥٨

الأصول المقرّرة؛ لأنّ تقديم أبي بكر لو كان بأمر رسول اللّهﷺ لكان خروجه في تلك الحالة في غاية ما يكون من السفه والعبث. مع أنّا نقول: لو سلّمنا أنّ ذلك كان بأمره فخروجه بعده وتنحيته له نصّ دالّ على نسخه وإبطال حكمه. ولعلّه فعل ذلك إظهاراً لنقصه بين الناس وأنّه لايصلح لشيء من أمور الدين، فإن لم يصلح أن يكون إماماً للصلاة فبالأولى إنّه لايصلح للولاية العامّة، خصوصاً وإمامة الصلاة لاتشترط فيها العدالة على مذهبهم، فكيف بغيرها مع اشتراطها بالعدالة عندهم؟ فدلالة هذا التقديم على تقدير وقوعه على عدم جواز خلافته أظهر من دلالته على ثبوتها.

وأمّا قولهم: إنّه بنى على صلاة أبي بكر؛ لأنّه كان قد ركع قبله ركعة وأدركه في الثانية؛ **فنقول**: لم يثبت عند ذوي النقل[١] أبعد منه ما قاله بعض أهل العناد من أنّه صلّى خلف أبي بكر[٢]، والقول بذلك يخالف جميع القواعد الإسلاميّة، فالقول به على حدّ الكفر، أعاذنا اللّه من اعتقاد أمثال ذلك.

[قتل مالك بن نويرة وبني حنيفة]

وأمّا قدحهم عليه بقتل مالك بن نويرة وقتل القوم الذين يقال لهم بنو حنيفة، فذلك أمر أظهر من الشمس معلوم بالتواتر، وقصّته على ما رويته من مشايخي بالإسناد الصحيح أنّه لمّا قعد أبو بكر في الخلافة قدم مالك بن نويرة إلى المدينة من الصحراء وكان يسكن البادية وهو يومئذٍ سيّد قومه بني حنيفة لمّا سمع

---

١. حج (خ ل): والعقل.

٢. بحار الأنوار: ١٤٢/٢٨، ١٥٥، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠؛ ١٣١/٢٩، ٤١٧/٣٠؛ الاحتجاج: ٩٣/١؛ الإفصاح: ٢٠٤؛ الصوارم المهرقة: ٦٠

بموت النبيّ‌ﷺ ليعرف أمر الناس. فلمّا وصل المدينة وعلم بخلافة أبي بكر وتقدّمه على عليّ‌عليه السلام أنكر ذلك وجاء حتّى دخل المسجد، فرأى أبا بكر يخطب على منبر رسول الله‌ﷺ وكان يوم جمعة، فقال: يا أبا بكر! اربع على ظلعك وألزم قعر بيتك واستغفر لذنبك وردّ الحقّ إلى أهله، أما تستحيي أن تقوم في مقام أقام الله ورسوله فيه غيرك؟ ما ترك يوم الغدير لأحد حجّة ولامعذرة. أنَسيتَ تسليمك على عليّ‌عليه السلام بإمرة المؤمنين في حياة رسول الله‌ﷺ؟ يا آل المهاجرين ويا آل الأنصار! والله /٢٢٨ أ/ لئن لم يردّ الحقّ إلى أهله ليتفاقمنّ عليك الأمر. فقال له أبو بكر: اسكت يا مالك! فلست من أهل السابقة ولاممّن له أثر في الإسلام. فقال له مالك: وما أنت وذاك، ولم يزل آل تيم أذناباً تابعين في الجاهليّة والإسلام. فقال أبو بكر لمن حضره: اكفوني هذا الأعرابيّ البوّال على عقبيه. فقام إليه جماعة من أتباعه، فأنكروه حتّى أخرجوه من المسجد، فخرج مالك وهو يتهدّد القوم.

فلمّا فرغ أبو بكر من صلاته ودخل إلى منزله أرسل إلى خالد بن الوليد وكان بينه وبين مالك إحنة[1] في الجاهليّة، فقال له: خُذ من شئت من الرجال وسِر إلى ابن نويرة واقتله واسب قومه؛ فإنّي أخاف أن يفتق علينا منه فتقاً لايرتفق. فخرج خالد في أثره في مئة فارس، فلمّا قدم على بني زبيد ركبت عليه بالخيل والهجن، فقال خالد: ما لكم يا بني زبيد؟ أكفرٌ بعد إسلام؟ فقالوا: لا، ولكن ماذا جئت فيه؟ قال: أرسِلنا إلى أمر لاتعلّق له بكم وإنّما نحن هذه الليلة أضياف. فقالوا: على الرحب والسعة انزلوا. فنزل خالد وأصحابه وبسطوا إليهم بساط

---

١. الإحنة: الحقد في الصدر (لسان العرب).

الضيافة وأضافهم مالك وقومه تلك الليلة. فلمّا كان عند انتصاف الليل قام خالد وأخذ سيفه ودخل على مالك وهو نائم على فراشه عند أهله، فقتله غدراً، ثمّ صاح في الحيّ، فركب أصحابه، فقتلوهم وسبوا حريمهم وغنموا أموالهم. ودخل خالد في تلك الليلة على امرأة مالك، فبات بها عروساً، وجاء إلى أبي بكر بالأسارى والغنائم.[١]

وروي الشيخ سعيد بن هبة اللّه الراونديّ في كتابه أنّه لمّا قعد أبو بكر بالأمر بعث خالد بن الوليد إلى بني حنيفة ليأخذ زكوات[٢] أموالهم، فقالوا لخالد: إنّ رسول اللّه ﷺ كان يبعث كلّ سنة رجلاً يأخذ صدقاتنا من الأغنياء ويفرّقها في فقرائنا، فافعل أنت كذلك. فانصرف خالد إلى المدينة وقال لأبي بكر: إنّهم منعونا[٣] الزكاة. فبعث معه عسكراً، فأتى بني حنيفة وقتل رئيسهم وأخذ زوجته ووطئها في الحال وسبى نسوانهم ورجع بهنّ إلى المدينة. وكان ذلك الرئيس صديقاً لعمر، فقال عمر لأبي بكر: اقتل خالداً به بعد أن تجلده الحدّ بما فعل بامرأته. فقال أبو بكر: إنّ خالداً ناصرنا، تغافَل.[٤]

وفي رواية غيره أنّ عمر دخل المسجد، فرأى خالداً وقد لبس ثياباً قد صديت من الحديد وقد غرز في عمامته ثلاثة أسهم أعلم نفسه بها وهو يختال في المسجد فرحاً بقتله مالك وسبي قومه. فقال له عمر: أرياءً يا عدوّ اللّه

---

١. بحار الأنوار: ٥٥/٢٩، ٣٤٣/٣٠، ٣٥٠، ٤٧١، ٤٨٥؛ إرشاد القلوب: ٣٨٦/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٩/١، ٢٠٢/١٧ وما بعد؛ الصوارم المهرقة: ٨٣، ١٣٦؛ الفضائل: ٧٦

٢. مر: زكاة.

٣. حج (خ ل): منعوني.

٤. الخرائج: ٥٦٣/٢؛ بحار الأنوار: ٣٠٢/٤١

واختيالاً في مسجد رسول اللّهﷺ؟ عدوت على رجل من المسلمين، فقتلته غدراً ونكحت امرأته حراماً، ثمّ جئت تختال مرحاً[1] بين المسلمين؟ ثمّ إنّه انتزع الأسهم من عمامته فكسرها، ثمّ أخرجه من المسجد وقال: واللّه لئن أمكنني الدهر منك يوماً لأقيدنّك بمالك. فخرج خالد من المسجد باكياً حتّى دخل على أبي بكر، فأعلمه بما فعل به عمر، فأرسل إليه، فلمّا حضر قال له أبو بكر: ارفع لسانك يا عمر عن خالد؛ فإنّه سيف من أسيافنا وإنّما فعَل الذي فعَل بأمري. فسكت عنه /٢٢٨ ب/ عمر لأجل أبي بكر، ثمّ قال: إنّه ليجب أن تقيّده بمالك؛ فإنّه قتله وهو غير مستحقّ للقتل، واللّه لئن تمكّنت منه لأقيدنّه به[2]. ولمّا ولي عمر الخلافة طلب خالداً ليقتله بمالك، فهرب عنه إلى الشام وبقي بها حتّى مات.[3]

قال الراونديّ: وأدخلت السبايا إلى المسجد وفيهنّ خولة، فجاءت إلى قبر رسول اللّهﷺ والتجأت به وبكت وقالت: يا رسول اللّه! نشكوا إليك أفعال هؤلاء القوم، سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون. ثمّ قالت: أيّها الناس! لم سبيتمونا ونحن نشهد أن لاإله إلّا اللّه وأنّ محمّدا رسول اللّه؟ فقال أبو بكر: منعتم الزكاة. فقالت: ليس الأمر على ما زعمت، وهب الرجال منعوكم الزكاة، فما بال النساء المسلمات تسبين؟ واختار كلّ رجل من السبايا، وجاء طلحة والزبير وأرادا أن يأخذا خولة[4] من السبي، قالت: لايكون هذا أبداً ولايملكني إلّا من أخبرني

---

١. حج (خ ل): فرحاً.

٢. بحار الأنوار: ٤٨٥/٣٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٩/١

٣. الصوارم المهرقة: ٨٦ ـ ١٣٩

٤. مر، حج: يأخذاها.

بالكلام الذي قلته ساعة ولدتُ. فقال أبو بكر: هي قد فرغت من القوم، فتكلّمت بما لاتحصيل له. فقالت: واللّه إنّي لصادقة.

وجاء عليّ عليه السلام فوقف ينظر إليهم وإليها ثمّ ناداها: يا خولة! لمّا كانت أمّك حامل بك وضربها الطلق نادت: اللّهمّ سلّمني من هذا المولود. فلمّا وضعتك ناديت من تحتها: لاإله إلّا اللّه، محمّد رسول اللّه، يا أمّاه! سيملكني سيّد يكون لي منه ولد، فكتب أمّك ذلك الكلام في لوح نحاس، فدفنته في الموضع الذي سقطت فيه، ووصت إليك أمّك بذلك الكلام، وفي وقت سبيك أخذت اللوح وشددته على عضدك الأيمن، هاتي اللوح، أنا ذلك السيّد وأنا أبو ذلك الغلام الميمون واسمه محمّد.

قال الراونديّ: فاستقبلت القبلة وقالت: أنت المنّان المتفضّل، أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ. ثمّ أخرجت اللوح، فأخذه أبو بكر وقرأه عثمان، فما زاد على كلام عليّ عليه السلام حرفاً ولانقص. فقال أبو بكر: خذها يا عليّ! فأخذها منهم وبعثها إلى بيت أسماء بنت عُمَيس، فلمّا جاء أخوها أمهرها عليّ عليه السلام وتزوّج بها.[1]

وجاءت هذه الرواية بطريق آخر روي مرفوعاً إلى دعبل الخزاعيّ الشاعر قال: حدّثني الرضا عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهما السلام قال: دخل على الباقر عليه السلام جماعة من الشيعة وفيهم جابر بن يزيد الجعفيّ، فقالوا: هل رضي أبوك عليّ عليه السلام بإمامة الأوّل والثاني؟ فقال: اللّهمّ لا[2]. قالوا: فلمَ نكح من سبيهم خولة الحنفيّة؟ فقال: اسألوا

---

١. الخرائج: ٥٦٣/٢؛ بحار الأنوار: ٣٠٢/٤١

٢. حج: فقال لهم: لا.

جابر الأنصاريّ. فأرسل إليه، فلمّا حضر سألوه عن ذلك، فقال: نعم! حضرت السبي وقد أدخلت الحنفيّة في من أدخلن، فلمّا نظرت إلى جميع الناس عدلت إلى تربة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فأعلنت بالبكاء، ثمّ قالت: السلام عليك يا رسول اللّه! هؤلاء أمّتك سبينا سبي النوب والديلم، وما كان لنا إليهم من ذنب إلّا الميل إلى أهل بيتك، ثمّ قصّ به القصّة كما مضى.

ثمّ قال: فلمّا قال أبو بكر: خذها يا أبا الحسن، /٢٢٩ أ/ قال سلمان: واللّه ما لأحد هاهنا منّة على أمير المؤمنين، بل المنّة للّه ولرسوله وله، واللّه ما أخذها إلّا بالمعجزة الباهرة وعلمه الظاهر وفضله الذي يعجز عنه كلّ ذي فضل. وقال مقداد: ما بال أقوام قد وضح لهم طريق الهداية فتركوه وأخذوا طريق العمى؟ وقال أبو ذرّ: وا عجباه لمن يعاين الحقّ وهو لايتبعه! أيّها الناس! إنّه قد تبيّن فضل أهل الفضل. ثمّ قال: أتمنّ على أهل الحقّ بحقّهم وهم بما في يديك أحقّ وأولى؟ وقال عمّار: أنشدكم اللّه، أما سلّمنا على عليّ بإمرة المؤمنين في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ فوثب عمر وزجره عن الكلام وقام أبو بكر. ثمّ بعث عليّ عليه السلام خولة إلى دار أسماء بنت عُمَيس وقال: خُذي هذه الجارية وأكرمي مثواها. فلم تزل خولة عند أسماء إلى أن قدم أخوها، فتزوّجها عليّ عليه السلام وساق إليها، وما نكحها أمير المؤمنين عليه السلام إلّا بعقد النكاح، وذلك دليل على فساد فعل القوم وأنّ الذي فعلوه ببني حنيفة كان مخالفاً للشريعة وقواعد الإسلام.[1]

ولأجل ذلك لم يرضه عمر وأنكر على أبي بكر فعله ذلك وقال: كيف تحلّ قتل القوم وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لاإله إلّا

---

١. بحار الأنوار: ٤٨٩/٣٠، ٨٤/٤٣؛ الخرائج: ٥٨٩/٢

الله، وإنّي رسول الله، فإذا قالوها حقنوا منّي دماءهم وأموالهم»[١]. فكيف صحّ قتل القوم وسبيهم وهم من أهل الإسلام؟ فقال أبو بكر: أما تقرأ آخر الحديث: إلّا بحقّها؟ وإنّ من حقّها الزكاة، والله لو منعوا منّي عقالاً لقاتلتهم عليه. فسكت عمر.

وأنت تعرف بما تقدّم من الروايات أنّ السبب ليس ما قاله أبو بكر وأنّ القوم ما منعوا الزكاة ولا كان قتلهم لأجل منعها، وإنّما السبب فيه علم أبي بكر بميل القوم إلى عليّ عليه السلام وانحرافهم عن اعتقاد خلافته وصحّة بيعته، فأراد بقتلهم إضعاف جانب عليّ عليه السلام حتّى لايبقى له ناصر يقوم معه، وكلام مالك لهم في المسجد دليل على ذلك. فقتلهم ظلماً وعدواناً وتعطيلاً للحدود الشرعيّة وجرأة على الله ورسوله وكان ذلك من جملة الحوادث القبيحة الحاصلة عن تلك المبايعة يوم السقيفة. وبقي عمر على إنكار ذلك لم يرجع عنه حتّى مات أبو بكر، فلمّا ولي الخلافة طلب خالداً؛ ليقتصّ منه لورثة مالك، فانهزم إلى الشام[٢]، وردّ عمر على ورثة مالك وبني حنيفة جميع ما وجده من سبيهم وغنيمتهم وانتزعه من أيدي الناس، وإنّما فعل ذلك لعلمه بأنّ الذي وقع وجرى عليهم لم يكن على القواعد الإسلاميّة.

فإن قلت: إنّ فعل عمر لايكون حجّة على أبي بكر؛ لجواز اختلافهما في الاجتهاديّات والاختلاف فيها ليس بقادح؛ **قلت**: إنّ هذه المسألة ليست من المسائل الاجتهاديّة حتّى يصحّ فيها الاجتهاد، بل هي من المسائل المعلومة

---

١. مستدرك الوسائل: ٢٠٦/١٨، ٢٠٨، ٢٠٩؛ بحار الأنوار: ١١٣/٣٧، ٢٤٢/٦٥؛ تفسير القمّي: ١٧١/١؛ عوالي اللآلي: ١٥٣/١، ٢٣٨، ٢٢٤/٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٤/٢؛ نهج الحقّ: ٣٩٩

٢. الصوارم المهرقة: ٨٦، ١٣٩

بالنصّ؛ إذ تحريم قتل المسلم معلوم من الدين بالضرورة ويدلّ عليه الحديث المتقدّم. ولهذا إنّ عمراً احتجّ به على أبي بكر. وجواب أبي بكر له بمنع الزكاة لم يكن متحقّقاً؛ لأنّه لو كان ثابتاً وجب الخطأ على عمر وتركه ما هو معلوم بالنصّ. وإذا لم يتحقّق المنع فيها ثبت /٢٢٩ ب/ الخطأ على أبي بكر؛ لتركه المعلوم بالنصّ، فلااجتهاد هنا لواحد منهما، لكن ردُّ عمر لما وجدت من سبيهم وغنيمتهم دليل على عدم تحقّق المنع منهم، فيقع القدح في أبي بكر موقعه، فقد قتل من لايستحقّ القتل، وهو ظاهر.

[منع إرث فاطمة عليها السلام]

وأمّا قدحهم عليه بمنع إرث فاطمة فمعلوم بين الكلّ أنّ أبا بكر لمّا استتم له أمر الخلافة أرسل إلى فدك وأخرج وكيل فاطمة عليها السلام منه، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد نحلها إيّاه وصرفها فيه في حياته، ويوم مات أبوها هو في يدها وتحت تصرّفها، ثمّ منعها إرث النبيّ صلى الله عليه وآله وجعل جميع ما تركه فيئاً للمسلمين، ونازعه عليّ عليه السلام في ذلك وفاطمة عليها السلام، فلم يرجع عنه.

فأمّا النحلة فطلب منها البيّنة عليها، فقال عليّ عليه السلام: حكمت فينا بخلاف ما حكم اللّه ورسوله لجميع المسلمين؛ فإنّك طلبت البيّنة من فاطمة على شيء هو في يدها[1]. وذلك خلاف قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «البيّنة على المدّعي، واليمين على

---

١. مستدرك الوسائل: ٣٩٨/١٧؛ بحار الأنوار: ٣٠٢/٢٨، ١٢٤/٢٩، ١٢٧، ١٩٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٣٠٥/٣٠، ١٩٧/٤٣؛ الاحتجاج: ٩٠/١؛ تفسير القمّيّ: ١٥٥/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦١/١٦، ٢٦٨؛ الصوارم المهرقة: ١٥٠، ٢٤٣؛ الطرائف: ٢٥٥/١؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٧٨، ٨٦٨؛ كشف الغمّة: ٤٩٥/١

من أنكر»[١].

وأمّا الميراث فاحتجّ عليه بخبر رواه وحده ولم يروه معه غيره إلّا مالك بن [أوس بن الحدثان][٢] وكان من الأعراب الذين لم يصحبوا النبيّ صلى الله عليه وآله ولاعاشره، وهو قوله إنّه عليه السلام قال: «نحن معاشر الأنبياء لانورّث، ما تركناه صدقة»[٣ و٤]. ومعلوم أنّ هذا الحديث كذب وزور؛ لمخالفته لنصّ الكتاب في قوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُودَ**﴾[٥]، وقوله: ﴿**فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾[٦]. ولايرد أنّ المراد بالإرث هو النبوّة؛ لأنّ ذلك تخصيص والأصل عدمه؛ لأنّه قال في يحيى: ﴿**إنّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائي**﴾[٧]، وتلك

---

١. مستدرك الوسائل: ٣٦٨/١٧، ٣٩٧؛ الصوارم المهرقة: ١٥٠، ٢٤٣؛ عوالي اللآلي: ٢٤٤/١، ٤٥٣، ٢٥٨/٢، ٣٤٥، ٥٢٣/٣؛ فقه القرآن: ١٠/٢؛ الوسيلة: ٢١٨، ٢٢٣

٢. تش، مر، حج: الحدبان؛ والصحيح ما أثبتناه كما في: مستدرك الوسائل: ٩١/١١؛ بحار الأنوار: ٣٦٨/٢٩، ٣٧١، ٢٥/٣٢، ١١٧/٤١؛ الأمالي للطوسيّ: ٧٢٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣١/١٢، ٢٢١/١٦ وما بعد؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٩٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٧١/٢

٣. بحار الأنوار: ١٠٤/٢٨، ٣٥٣، ١٣٤/٢٩، ٣٥٨، ٣٧٧، ٦٢٩؛ إرشاد القلوب: ٣٣٤/٢؛ تفسير القمّيّ: ١٥٥/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٧/١٦، ٢٦٥؛ الصراط المستقيم: ١٨٨/٣؛ الصوارم المهرقة: ١٢٩، ١٤٠؛ فقه القرآن: ٢٤٧/١؛ المسائل الصاغانيّة: ٩٩؛ نهج الحقّ: ٢٦٨، ٥١٨

٤. للشيخ المفيد رسالة مستقلّة في هذا الباب المسمّى بـ *رسالة حول حديث «نحن معاشر الأنبياء لانورّث»*، فليراجع.

٥. النمل/١٦

٦. مريم/٦ـ٥

٧. مريم/٥

الموالي هم الذين يرثون المال بالضرورة؛ لأنّهم لايرثون النبوّة بالإجماع.

وأيضاً فإنّ شفقة النبيّ صلى الله عليه وآله العامّة للخلق لايقصر عن أقرب الناس إليه، حتّى لايُعلِم ابنته أنّها لاميراث لها حتّى يتركها في القيل والقال والمنازعات والمخاصمات، ويُعلِم بذلك أبا بكر دونها ودون زوجها وولدها.

وأيضاً فمن المعلوم بين الكلّ أنّ فاطمة من أهل البيت المشهود لهم بالطهارة، فتكذيبها في ادّعاء فدك ردّ على اللّه وعلى رسوله، وكيف صحّ أن يكذّب دعوى فاطمة بنحلة فدك وصدّق الأزواج في ادّعائهنّ الحجرة؟ وما ذاك إلّا من عناده لآل الرسول وبغضه لهم وذلك من القوادح الظاهرة المخالفة لأصول الإسلام، مع أنّها أقامت البيّنة على النحلة، فشهد لها بها عليّ والحسن والحسين وأمّ أيمن زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، فردّ شهادتهم أجمع[1]، وذلك مخالف للكتاب والسنّة والإجماع.

[مواطاته لخالد بن الوليد على قتل عليّ عليه السلام]

وأمّا قدحهم عليه بمواطاته لخالد بن الوليد على قتل عليّ عليه السلام عند صلاة الصبح فهو من المشاهير رواه أهل السير من الفريقين أنّ عليّاً عليه السلام لمّا طالت المنازعة بينه وبين أبي بكر في المبايعة وامتنع عليّ عليه السلام من المبايعة له جلس هو وعمر وجماعة من أصحابهما يديرون الفكر في أمره وماذا يكيدونه به. فقال لهم خالد بن الوليد: إن شئتم /٢٣٠ أ/ قتلته. فقال أبو بكر: أوَتفعل ذلك يا خالد؟ قال:

---

١. مستدرك الوسائل: ٢٩٧/١٧؛ بحار الأنوار: ١٠٧/١٦، ٣٧٨/١٧؛ الاحتجاج: ٩٠/١؛ الاختصاص: ١٨٣؛ تفسير القمّيّ: ١٥٥/٢؛ الخرائج: ١١٢/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٤/١٦ وما بعد، ٢٦٨، ٢٧٤؛ الصوارم المهرقة: ١٤٨، ٢٤٣؛ الطرائف: ٢٤٧/١، ٢٥٠؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٧٥، ٨٦٨؛ كشف الغمّة: ٤٩٥/١؛ المقنعة: ٢٨٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٦٨/١

نعم! فقال له: افعل ذلك إذا كان غداً وقت صلاة الصبح صلّ إلى جانبه وسيفك تحت ثيابك، فإذا جلس للتشهّد فاقتله، والعلامة بيني وبينك عند التسليم بعد التشهّد قبله[١]. فقال خالد: أفعل ذلك غداً.

فأتى خالد وقام إلى جانب عليّ عليه السلام وسيفه معه، وكان الرجل يتفكّر في صلاته في عاقبة ذلك، فخطر بباله أنّ عليّاً إن قتله خالد ثارت الفتنة وأنّ بني هاشم يقتلوه. فلمّا فرغ من التشهّد التفت إلى خالد قبل أن يسلّم وقال: لايفعلنّ خالد ما أمرته به، ثمّ قال: السلام عليكم. فقال عليّ عليه السلام لخالد: أوَ كنت فاعلاً؟ قال: نعم! لولا أنّه نهاني. فمدّ عليه السلام يده إلى عنقه بإصبعين وعصره بهما حتّى كادت عيناه تسقطان، وجعل خالد يضرب بيديه ورجليه حتّى أحدث في ثيابه ولم يقدر أحد أن يخلصه منه، وكان كلّما قرب منهم أحد رمقه بعينه، فيؤتي خيفة منه. فقال أبو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة. وكان عليه السلام قد غضب وقام عرق الغضب بين عينيه، فتحاماه الصحابة به، فلم يقدر أحد على القرب منه، فالتجؤوا إلى ابن عبّاس، فشفع إليه في خالد، فأطلقه لأجله بعد أن كاد أن يتلف في نفسه، وقد افتضح بين القوم، وكان خالد بعد ذلك يرصد الفرصة والغرّة من عليّ لعلّه يقتله.[٢]

وكان بعث أبو بكر معه عسكراً إلى موضع، فلمّا فصلوا من المدينة وكان خالد شاكّاً في السلاح والعدّة وحوله شجعان العرب وقد أمِروا أن يفعلوا كلّ ما

---

١. حج: قتله.

٢. بحار الأنوار: ٣٠٥/٢٨، ١٣٦/٢٩، ٣٥٢/٣٠؛ الاحتجاج: ٨٩/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٢/١٧؛ كتاب سليم بن قيس: ٨٧١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٨٩/٢

يأمرهم به خالد، فقال في نفسه: الآن وقت ذلك. فبينا هو خارج إذ رأى عليّاًعليه السلام يجيء من ضَيعة له منفرداً بلاسلاح، فلمّا أدنى من عليّعليه السلام وكان في يد خالد عمود حديد، فرفعه ليضرب به على رأس عليّعليه السلام، فانتزعه عليّ من يده وجعله في عنقه كالقلادة وعسكره ينظرون إليه، لم يتجاسر أحد منهم أن نبس[١] بكلمة.

فرجع إلى أبي بكر خائباً باكياً، وكان كلّما مرّ على ملأ من المسلمين قالوا له: نِعم القلادة قلادتك يا خالد! من فعل بك هذا؟ فيقول: فعله بي ابن أبي طالب. فلمّا رآه أبو بكر في تلك الحالة ذهل عقله وطار لبّه وقال: ما هذا؟ ومن فعله بك؟ فحكى له القصّة، فقال له أبو بكر: ألم أنهك عن التعرّض بابن أبي طالب وأعلمتك أنّه ليس لأحد به طاقة؟ ثمّ إنّ القوم احتالوا في كسره أو فكّه، فلم يتهيّأ لهم ذلك ولم يجدوا إليه السبيل، فاستحضروا جماعة من الحدّادين فقالوا: هذا لايمكن إلّا بتليين النار وذلك يؤدّي إلى هلاكه. ثمّ إنّهم تحيّروا في ذلك، فقال بعضهم: إنّ عليّاًعليه السلام هو الذي يخلصه كما أنّه هو الذي جعله، وقد ألان اللّه له الحديد كما ألانه لداوود. فتشفّع أبو بكر إلى عليّعليه السلام وتضرّع عنده، فأخذ العمود بيده وصار يرميه فتلاً فتلاً وكان هو بين أصابعه كالشمع /٢٣٠ ب/ حتّى فكّه بعضه من بعض.[٢]

واعلم أنّ هذه الواقعة من أعظم الوقائع وأشنعها وأقبحها؛ فإنّ مواطاة القوم لخالد على قتل عليّ دليل على استحلالهم لقتله وذلك دليل على ردائتهم وهو من أعظم القوادح التي لايمكن ردّها ولاالاعتذار عنها. وهذا الخبر مرويّ عند

---

١. حج (خ ل): تنفّس.
٢. بحار الأنوار: ١٥٩/٢٩، ١٦٨؛ إرشاد القلوب: ٣٨١/٢؛ الخرائج: ٧٥٧/٢

الكلّ حتّى أنّ بعض الشافعيّة استدلّ بهذه الواقعة على جواز الكلام قبل التسليم في الصلاة؛ لضرورة اعتماد على فعل أبي بكر عند نهيه لخالد عمّا واطاه عليه، ولهذا إنّ خالداً لم ينكر ذلك، بل أقرّ به وقال: لو لم ينهني لفعلته. والخصم إذا سلّم هذه الواقعة لم يمكنه الاعتذار لأبي بكر عنها.

[شكّه في استحقاقه للخلافة]

وأمّا قدحهم عليه بشكّه في استحقاقه للخلافة فمعلوم من قوله المنقول بين الرواة في مرض موته؛ فإنّهم رووا عنه أنّه قال: ليتني كنت سألت رسول اللّه ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حقّ أم لا[1]. وهذا مرويّ من طريق الجمهور؛ فإنّهم رووه في جملة فضائله من حيث إنّه من شدّة تورّعه حدث له هذه الشكّ عند الموت. وإذا كان هذا الشكّ واقعاً منه وجب أن يكون خلافته غير مجزوم بصحّتها عنده، فكيف بها عند غيره؟ وإذا تزلزل في اعتقاده في نفسه وجوّز أنّه ظلم الأنصار حقّهم لزم أن يكون خلافته باطلة، فكيف حال المستخلف عليهم؟ فإنّهم حينئذٍ بالشكّ أولى وأحرى. وللّه درّ القائل حيث يقول:

كم بين من شكّ فى خلافته ... وبين من قيل إنّه اللّه[2]

---

١. بحار الأنوار: ٣٨٠/٢٨، ١٢٢/٣٠، ١٣٤، ١٣٧، ١٤١؛ الخصال: ١٧١/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٥/٢، ٢٦٢/١٢، ١٦٤/١٧، ١٦٦؛ الصراط المستقيم: ٣٠٠/٢؛ نهج الحقّ: ٢٦٥

٢. منسوب إلى الشيخ نجم الدين القرافيّ الطوفيّ الحنبليّ كما في: الدرر الكامنة: ٣٩٦/٢؛ دراسات في منهاج السنّة: ١٩٠؛ إرشاد القلوب: ٢٣٠/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٥؛ الصراط المستقيم: ٦٢/٢؛ الطرائف: ٣٢/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٠٣/٢

[أخذ الأجرة على الخلافة من بيت المال]

وأمّا قدحهم عليه بأخذ الأجرة على الخلافة من بيت المال فذلك مرويّ عند الكلّ؛ فإنّهم رووا أنّه أبدع لنفسه في بيت مال المسلمين كلّ يوم ثلاثة دراهم أجرة له على القيام بأمرِ الخلافة[١]، وهذا أيضاً من المعلوم بالضرورة أنّه مخالف لأصول الإسلام.

فإن قلت: إنّ ذلك ليس بقادح فيه؛ لأنّه لمّا اشتغل بولاية المسلمين عن التكسّب جاز له أخذ الأجرة من مال المسلمين في مقابل عمله؛ **قلت**: قيامه في الخلافة إمّا أن يكون واجباً عليه بالتعيّن، بحيث لم يكن هناك من يقوم به غيره أم لا. وعلى الأوّل لايجوز له أخذ الأجرة قطعاً؛ لأنّه حينئذٍ يؤدّي فرضاً ومؤدّي الفرض لايجوز أن يأخذ الأجرة عليه إجماعاً. وعلى الثاني لم تكن هناك ثمّ مصلحة في أخذ هذه الأجرة؛ لجواز وجود من يقوم مقامه من المتبرّعين، مع أنّه لابدّ فيه من رضا كلّ المسلمين وهو متعسّر، بل متعذّر.

[تأخّره عن جيش أسامة]

وأمّا قدحهم عليه بتأخّره عن جيش أسامة فهو أيضاً ممّا اتّفق أهل السير على نقله؛ فإنّه لمّا جاء الخبر بقتل زيد بن حارثة بأرض مؤتة وكان أميراً على الجيش الذي أنفذه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أرض الروم، أمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله على جماعة من المسلمين ولده أسامة بن زيد وأمَره بالتوجّه إلى الوجه /٢٣١ أ/ الذي قتِل فيه أبوه. وكان في الجماعة التي أمر عليها أسامة بن زيدٍ أبو بكر وعمر وعثمان

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٤/١٧

وأكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار وكان ذلك في مرض موته وأمرهم بالخروج ولم يرخص لهم في المقام ساعة واحدة. فخرج أسامة باللواء، فعسكر على ميلين من المدينة، فتقاعد أكثر الناس عن الخروج معه، فشكى ذلك أسامة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله. فأمر أبا طلحة الأنصاريّ أن يشخص الناس من دورهم ومنازلهم حتّى يلحقوا بعسكرهم، فأشخصهم أبو طلحة بأجمعهم، ثمّ أمر أسامة بالرحيل، فرحل أسامة وأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بمسيرهم، فقال عليه السلام: كلّا! إنّ القوم غير سائرين.

ثمّ إنّه صلى الله عليه وآله ثقل حاله، فأنفذت عائشة إلى أبيها وصاحبه بأنّ النبيّ قد ثقل حاله وقد آيسنا منه، فلاتبرحا حتّى أبعث عليكم بما يكون من أمره. فلمّا وصلهما الخبر قبلا على أسامة، فقالا له: أين تذهب عن المدينة؟ ورسول اللّه قد ثقل حاله واشتدّ مرضه وآيس أهله منه، ونحن أحوج الناس إلى الحضور بالمدينة. فقال لهما: لاأقدح على الرجوع وقد أمرت بالمسير. فقالا: إن كنت لاترجع فأقم في هذا المنزل حتّى نعرف ما يؤول إليه الأمر. فأقام أسامة يومه ذلك بليلته، فلمّا كان الليل جاءهم الرسول من عند عائشة بأمرهم بدخول المدينة.

فدخلا المدينة بعد نصف الليل، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله مغموراً بالمرض، فلمّا أفاق قال: لقد طرق المدينة هذه الليلة شرّ عظيم. فسئل عن ذلك، فقال: إنّ طائفة ممّن كان في بعث أسامة رجعوا من معسكرهم إلى المدينة مخالفين لأمري ابتغاء الفتنة، ألا إنّهم قد اركسوا فيها. فلمّا كان الصبح أقبل أبو بكر وعمر حتّى دخلا على النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا أبصر بهما قال لهما: ألم آمركما أن تكونا في بعث أسامة؟ فلم تأخّرتما عنه؟ فقالا: إنّا كنّا قد خرجنا معه، ثمّ رجعنا. فقال: فلم رجعتما وقد أمرتكما بالكون معه؟ أخالفتموني وعصيتما أمري؟ فقال أبو بكر: رجعت لأجدّد لك عهداً، وقال عمر: ما كنت لأسأل عنك الركبان. فأعرض عنهما

متأسّفاً على رجوعهما قائلاً: نفّذوا جيش أسامة، لعن اللّه من تخلّف جيش أسامة، حتّى قالها ثلاثاً[1]. وهذه الواقعة دالّة على القدح فيهما من وجهين:

الأوّل: تأمير أسامة بن زيد عليهما وموت رسول اللّه صلى الله عليه وآله مع بقاء إمارة أسامة عليهما وهو حكم لم ينسخه صلى الله عليه وآله بموته قبله ولانسخ بعده، فإمارة أسامة ثابتة عليهما، لاتصحّ خلافتهما.

الثاني: مخالفتهما للرسول صلى الله عليه وآله وردّهما لأمره مع تكريره وتأكيده وتعيينهما منه للخروج وإنكاره عليهما لمّا رجعا، /٢٣١ ب/ وكلّ ذلك قادح في عدالتهما وموجب لثبوت فسقهما وذلك ينافي الخلافة بالإجماع.

[نصّه بالخلافة على عمر بعده]

وأمّا قدحهم عليه في نصّه بالخلافة على عمر بعده؛ فإنّ ذلك مخالف لما عزوه إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله من تركه النصّ ـ على زعمهم ـ فكيف صحّ لهم أن يفعل خلاف ما فعله رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ وكيف صحّ له أن يخرج المسلمين من الاختيار الثابت لهم بزعمه وينفرد به دونهم وينصّ على شخص معيّن بغير رضاً منهم، مع أنّه لم ينل الإمرة عليهم إلّا برضاهم ومشاورتهم ـ كما زعم ـ؟ ولهذا إنّ طلحة بن عبيد اللّه لمّا سمع أنّه ولي عمر بن الخطّاب دخل عليه فقال: كيف ولّيت علينا فظّاً غليظ القلب[2] وأخرجتنا من الاختيار بعد أن كان الأمر شورى بيننا؟ وإنّا لن نرضى بخلافة عمر، واللّه ما تلك عن أمّة محمّد صلى الله عليه وآله غداً. فقال:

---

١. بحار الأنوار: ٤٣٠/٣٠؛ دعائم الإسلام: ٤٠/١؛ الصراط المستقيم: ٢٩٦/٢؛ الطرائف: ٤٩٩/٢؛ نهج الحقّ: ٢٦٣

٢. مقتبس من: آل عمران/١٥٩

أبِاللّه تخوّفوني؟ واللّه لئن سألني اللّه عن ذلك لأقولنّ لقد ولّيت عليهم خير أهلك. اسكت يا طلحة؛ فإنّه خير الناس لك ولقومك. فسكت طلحة.[١]

ودخل عليه سعد[٢] فقال: إنّ الناس لايرضون منك بخلافة عمر؛ فإنّه غليظ على المسلمين وأنت بينهم، فكيف إذا صار خليفة عليهم؟ فقال: إنّه إنّما يفعل ذلك لما يجدني عليه من اللين، ولو فقدتموني لوجدتموه وقد رجع عن كثير من ذلك. فقال: إنّك لمسؤول عن ذلك. فقال: إن سألني اللّه عنه قلت: ولّيت عليهم خير الناس. فقال: أوَعمر خير الناس يا أبا بكر؟ فقال: أي واللّه وأنت شرّهم. فخرج عنه مغضباً.[٣]

وبالجملة فقد ألجأ الصحابة إلى الرضا بولاية عمر وأخرجهم من الاختيار، وحينئذٍ نقول:

إن كان الخلافة بالاختيار فلاوجه لإخراجها عنه وإثباتها بالنصّ؛ لأنّه خروج عن القاعدة الواجب ثبوتها للخلافة.

وإن كانت بالنصّ لزم إخلال الرسول بالواجب؛ لإخلاله بالنصّ في زعمهم.

وإن كانت بكلّ واحد منهما فإمّا أن يكون أحدهما أولى من الآخر أو هما متساويان. فإن كان الأوّل، فإن كان الاختيار أولى لزم منه ترك أبي بكر لما هو الأولى وذلك قادح في عدالته؛ لأنّه حينئذٍ عدل عمّا هو الأصلح للأمّة والأولى به أن يفعله لها لغير ضرورة ولافائدة عاجلة ولاآجلة له ولا لأحد من المسلمين،

---

١. بحار الأنوار: ١٥٧/٢٨، ٣٥٥/٣٠، ٥٢٠؛ الجمل: ١٢٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٣/١، ١٦٥

٢. حج: أبو عبيدة.

٣. هذا وما قبله واحد في المصادر وافترق المصنّف بينهما، فتفطّن.

وذلك خروج عن العدالة المشترطة في الخليفة؛ لوجوب مراعاته للأصلح لهم؛ لأنّه منصوب لإصلاحهم، فإيثاره مصلحة شخص واحد على ما هو مصلحة للكلّ خروج عن مقتضى الخلافة وموجب للتهمة المسقطة لصحّة الاعتقاد فيه.

وإن كان النصّ أولى وأصلح وقد تركه النبيّ المبعوث رحمة للعالمين[1] الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم[2] لزم القدح فيه وذلك يوجب الكفر.

وإن كان الثاني وترجيح أحدهما على الآخر بالوقوع دون الآخر ترجيح بلامرجّح وهو محال بضرورة العقل، فكيف صحّ من الرسول /٢٣٢ أ/ ترجيح جانب الاختيار ومن أبي بكر ترجيح جانب النصّ بغير مرجّح يختصّ به أحدهما؟ فرض ذلك غير معقول في بداهة العقل، فيكون ذلك النصّ واقعاً على وجه التهمة والظنّة، لا على وجه المصلحة والحكمة، وذلك غاية القدح.[3]

[دفنه في بيت رسول اللّهﷺ]

وأمّا قدحهم عليه بدفنه في بيت رسول اللّهﷺ بأمره ووصيّته ورضاه فذلك من المعلومات الضروريّة أنّه دفن في البيت الذي دفن فيه النبيّﷺ بوصيّته منه بذلك. ووجه القدح فيه أنّه من المعلوم عند الكلّ أنّ دفنه في ذلك البيت لم يكن بأمر من رسول اللّهﷺ، وإذا لم يكن بإذنه فإمّا أن يكون على حكم مال النبيّﷺ أو لا. وعلى الأوّل تتوقّف أيضاً صحّة الدفن على إذنه؛ لعموم

---

١. مقتبس من: الأنبياء/١٠٧

٢. مقتبس من: التوبة/١٢٨

٣. هامش حج: يمكن أن يقال: إنّه يكون بكلّ واحد منهما، وكلّ واحد في وقته أولى من غيره، فللمجتهد أن يفعل ما أدّى الاجتهاد إليه.

﴿لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[١]؛ لأنَ حرمته ميّتاً كحرمته حيّاً باتّفاق أهل الإسلام. وإن كان قد انتقل عنه فإمّا إلى الوارث، ومعلوم حينئذٍ أنّه لايصحّ الدفن إلّا بإذنه؛ لعموم «لايحلّ مال امرئٍ مسلم إلّا عن طيب من نفسه»[٢]. ومن المعلومات الضروريّة أنّ الوارث لم يأذن. وإمّا إلى المسلمين، فبالضرورة تتوقّف أيضاً صحّة الدفن على إذنهم وهو لم يحصل قطعاً.

[بيت النبيّ ﷺ لايكون إرثاً لعائشة]

فإن قلت: جاز أن يكون البيت لعائشة؛ **قلنا**: ذلك غير معلوم لأحد، بل المعلوم أنّ البيت الذي دفن فيه النبيّ ﷺ وسائر بيوت أزواجه لم يكن لأحد من الزوجات فيها ملك، لاعائشة ولاغيرها، بل كان مِلكاً للنبيّ ﷺ وإضافتها إلى الأزواج إضافة ملابسه من إسكانهنّ فيها، لاإضافة مِلك.

فإن قلت: إنّه دفِن في سهم عائشة وحصّتها من الميراث؛ **قلنا**: ذلك باطل من وجهين:

الأوّل: أنّ أبا بكر نفى ميراث النبيّ وقال: إنّ الأنبياء لاتورّث، فلاإرث لعائشة بحكم أبيها وزعمه.

الثاني: أنّ السهم الذي ترثه عائشة لايسع الدفن فيه؛ لأنّ حصّتها التسع من الثمن؛ لأنّ النبيّ ﷺ مات عن تسع زوجات وهنّ إنّما يرثن الثمن؛ لمحلّ

---

١. الأحزاب/٥٣

٢. وسائل الشيعة: ٥٧٢/١٤؛ عوالي اللآلي: ٢٢٢/١، ١١٣/٢، ٢٤٠، ٤٧٣/٣؛ فقه القرآن: ٣٣/٢، ٧٤؛ متشابه القرآن: ٢٣٠/٢؛ المسائل الصاغانيّة: ١٤٠؛ نهج الحقّ: ٤٣٥، ٤٩٣، ٥٠٥، ٥١١، ٥٥٥

فاطمةعليها السلام، وذلك لو قسّم لايجيء قدر ذراع.

و أيضاً فإنّ السهم مشاع لم يقسّم، فلايصحّ التصرّف إلّا بإذن جميع الورثة، ومعلوم أنّه لم يحصل. ولهذا قال ابن عبّاس ـ وقد رأى عائشة يوم موت الحسنعليه السلام وهي راكبة على بغلة وهي تقول: أيدفن الحسن مع النبيّ، وعثمان بالبقيع؟[1] ـ وا سوأتاه! يوماً على بغل ويوماً على جمل:

تجمّلت تبغّلت وإن عشت تفيّلت   لكِ التسع من الثمن وبالكلّ تفرّدت[2] و[3]

[جهله بالأحكام العقليّة والشرعيّة]

وأمّا قدحهم عليه بأنّه لم يكن عالماً بشيء من الأحكام العقليّة ولاالشرعيّة فمعلوم بين أهل السيرة أنّه سئل عن مسائل لم يحسن الجواب عنها، فدلّ على جهله وقلّة علمه وعدم معرفته بكلّ ما يحتاج إليه الخلق، فكيف صحّ أن يكون /٢٣٢ ب/ خليفة للناس وإماماً يقتدى به، مع أنّه غير عالم بما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم؟ مع أنّه من المعلوم بالضرورة أنّ الفرض الأهمّ من الخلافة تعليم الأحكام النافعة في المعاش والمعاد، فإذا لم يكن الخليفة عارفاً بها لم

---

١. نقل هذا الكلام عن مروان بن الحكم، وهو الحاكم على المدينة ذاك اليوم، كما في المصادر.

٢. حج (خ ل): تصرّفت.

٣. نقل هذا البيت عن ابن عبّاس في: الصوارم المهرقة: ١٥٩؛ التوضيح الأنور: ١٩١، ٣٥٥؛ ثمّ اهتديت: ١٦٦؛ حديقة الشيعة: ٤٥٥/١، ٦٦٠/٢؛ شرح أصول الكافي للمازندرانيّ: ١٥٣/٦؛ نهج الحقّ: ٣٦٧؛ وعن ابن الحجّاج البغداديّ في: بحار الأنوار: ١٥٤/٤٤؛ وعن محمّد بن أبي بكر في: الاحتجاج: ٣٧٨/٢؛ وعن الصقر البغداديّ في: المناقب لابن شهر آشوب: ٤٤/٤

تحصل الفائدة المطلوبة من خلافته، فيكون نصبه عبثاً خالياً عن الفائدة، هذا خلف.

فمن جملة ما سئل عنه الأوّل أنّه سئل عن معنى الكَلالة المذكورة في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً﴾[1]، وكذلك سئل عن معنى الأبّ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَفاكِهَةً وَأَبّاً﴾[2]، فلم يدر ما هما ولم يهتد إلى الجواب عنهما، حتّى قال: أيّ سماء تظلّني أم أيّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب اللّه برأيي؟ فبلغ كلامه عليّاًعليه السلام، فقال: ما أغناه عن الرأي في ذلك، أما علِم أنّ الكلالة هم الإخوة، سواء كانوا لأمّ أو لأب أو لأمّ وأب، وما علم أنّ الأبّ هو المرعى؛ لأنّه تعالى قال بعده: ﴿مَتاعاً لَكُمْ وَلأَنْعامِكُمْ﴾.[3و4]

وكذلك ورد في الأحاديث الصحيحة أنّ يهوديّاً دخل المدينة، فسأل عن النبيّصلى الله عليه وآله، فقيل له: إنّه قد مات، فسأل عن خليفته، فقيل: أبو بكر، فأهدي إليه، فسأله عن اللّه تعالى وأين هو؟ فقال أبو بكر: هو على فوق العرش. فقال اليهوديّ: خلت الأرض منه حينئذٍ واختصّ ببعض الأمكنة. فقال أبو بكر: اعزب عنّي، هذه مسائل الزنادقة. فخرج اليهوديّ وهو يستهزئ بالإسلام وأهله لمّا كان خليفته بهذه الجهالة. فلقيه سلمان الفارسيّ، فأرشده إلى عليّعليه السلام، فقال له: يا أخا اليهود! قد علمت ما سألت عنه وما أجبت به، وإنّا لم نقل كذلك، بل نقول: إنّ اللّه أيّن الأين فلاأين له وكيّف الكيف فلاكيف له، جلّ [عن] أن يحويه مكان أو

---

١. النساء/١٢

٢. عبس/٣١

٣. عبس/٣٢

٤. بحار الأنوار: ٣٤٧/٤٠؛ الإرشاد: ٢٠٠/١؛ كشف اليقين: ٦٩

يخلو منه مكان (إلى آخر الكلام)، فأسلم اليهوديّ.[١]

وكذلك سئل عن حمار دخل على بقرة، فنطحته فمات، فما يجب على ربّ البقرة؟ فقال: بهيمة قتلت بهيمة، لاأرى في هذا شيئاً. فجاء عليّ عليه السلام، فأعيد عليه السؤال، فقال: إن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته فهو هدر، وإن كانت دخلت عليه في منامه فقتلته فهو في ضمان صاحب البقرة. فرجعوا إلى قوله وصوّبه النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّ هذه الفتوى كانت في أيّام حياة النبيّ صلى الله عليه وآله.[٢]

إلى غير ذلك من المواضع التي عجز عن الفُتيا ورجع في أحكامها إلى عليّ عليه السلام، لو أشرنا إلى جملتها لطال الكتاب وفي ما أشرنا إليه كفاية لطالب الهداية.

[سخط فاطمة عليها السلام عليه]

وأمّا قدحهم عليه بأنّ فاطمة عليها السلام ماتت وهي ساخطة عليه فأمر ظاهر؛ فإنّه لمّا منعها فدك والميراث وجاءت إليه وكلّمته فيهما واحتجّت عليه ولم ينجع فيه ذلك ولم يرجع عن غضبها وظلمها حلفت أنّها لاتكلّمه حتّى تموت[٣]، ولمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لايصلّي عليها أبو بكر ولاأحد من /٢٣٣أ/ أتباعه وأصحابه، ولهذا دفنها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يحضرها هو ولاأحد من متابعيه.[٤]

---

١. بحار الأنوار: ٣٠٩/٣، ٢٤٨/٤٠؛ الاحتجاج: ٢٠٩/١؛ الإرشاد: ٢٠١/١؛ كشف اليقين: ٧٠

٢. الكافي: ٣٥٢/٧؛ التهذيب: ٢٢٩/١٠؛ وسائل الشيعة: ٢٥٦/٢٩؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٤٠، ٤٠٠/١٠١؛ الإرشاد: ١٩٧/١؛ خصائص الأئمة: ٨١؛ عوالي اللآلي: ٦٢٦/٣؛ الفضائل: ١٦٧؛ كشف اليقين: ٦٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٥٤/٢

٣. بحار الأنوار: ١٩٣/٢٩، ٢٠٦، ٣٧٥، ٣٧٦؛ الاختصاص: ١٨٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦٣/١٦، ٢٦٧؛ كشف الغمّة: ٤٧٧/١

٤. وسائل الشيعة: ١٥٩/٣؛ مستدرك الوسائل: ٣٠٤/٢؛ بحار الأنوار: ٣٢٨/٢٩، ٣٧٥، ٣٨٧، ٣٩١، ←

وقد روى أخطب خوارزم في كتابه: أنّ فاطمةعليها السلام ماتت وهي ساخطة على أبي بكر؛ لمكان فدك[١]. وأمّا أنّ سخطها[٢] قدح فيه فأمر ثابت عند أهل الإسلام من حيث وجوب محبّتها ومودّتها على الكلّ، ولما روي في الأحاديث الصحيحة من أبيهاصلى الله عليه وآله في حقّها من قوله: «يؤذيني من آذاها»[٣]، وقوله: «يريبني ما[٤] أرابها»[٥]، وقوله: «إنّ اللّه يرضى لرضاها ويسخط لسخطها»[٦] إلى غير ذلك. وإذا كان الحال كذلك وجبت لها العصمة، فسخطها إنّما يكون واقعاً على ما هو مخالف للشريعة والقضايا العقليّة، فيكون فاعل ما يسخطها مخالفاً لهما، فيخرج عن العدالة وذلك من أعظم القوادح؛ إذ الخروج عن العدالة مبطل للخلافة بالإجماع.

٣٤٩/٣٠، ١٨٢/٤٣، ٢٠٦، ٢٥٠/٧٨، ٢٥٥؛ الإقبال: ٦٢٣؛ الصوارم المهرقة: ١٥٦؛ علل الشرائع: ١٨٥/١؛ غيبة النعمانيّ: ٤٧؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٦٢/٣

١. ما عثرت عليه في المناقب للخوارزميّ، بل ذكر في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٠/٦

٢. مر، حج: + غاية.

٣. بحار الأنوار: ٦٢/٢٧، ٣٤٧/٣٠، ٣٥٣؛ إرشاد القلوب: ٢٣١/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧٣/١٦؛ الصراط المستقيم: ١١٨/٢، ١٢/٣؛ الصوارم المهرقة: ١٤٧؛ عوالي اللآلي: ٩٣/٤

٤. حج: من.

٥. بحار الأنوار: ٣٣٧/٢٩، ٦٦/٣٧، ٣٩/٤٣؛ الصراط المستقيم: ٢٨٢/٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣؛ العمدة: ٣٨٥؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٣٢/٣

٦. بحار الأنوار: ٢٧٩/٢١، ٦٣/٢٧، ٣٣٥/٢٩، ١٩/٤٣، ٢١، ٢٦، ٤٤، ٥٤، ٢٢٠؛ إعلام الورى: ١٤٩؛ الأمالي للصدوق: ٣٨٣؛ الأمالي للطوسيّ: ٤٢٧؛ الأمالي للمفيد: ٩٤؛ روضة الواعظين: ١٤٩/١؛ صحيفة الرضاعليه السلام: ٤٥؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٢٦/٢، ٤٦؛ كشف الغمّة: ٤٦٧/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٢٥/٣

[ملاحظات حول عمر بن الخطّاب]

قال: ومن ذلك توليته لعمر؛ فإنّها من القوادح المستلزمة لقوادح أخرى؛ فإنّ الخلافة لما تمهّدت له بوصايته إليه أبدع في الشريعة وغيّرها، فزاد فيها ونقص. فألزم الناس بغسل الرجلين، وأجاز مسح الخُفّين، وغيّر الأذان فأسقط «حيّ على خير العمل» وزاد فيه «الصلاة خير من النوم»، وقدّم التسليم على التشهّد، وأمر بعقد اليدين على الصدر والجماعة في النافلة، ووضع الخراج، ودوّن الدواوين، ونهى عن المتعتين، وقطع السارق من معصم الكفّ ومفصل ساق الرجل خلافاً لما أمر به النبيّ صلى الله عليه وآله من ترك الكفّ والعقب، وأنفذ طلاق الثلاث المرسلة، ومنع من بيع أمّهات الأولاد، ومنع التزويج في قريش، ومنع العجم من التزويج في العرب، وأحدث التعصيب في الإرث، وحكم بعول الفريضة.

وقدحوا فيه بالتخلّف عن جيش أسامة مع كونه في بعثه، وبتخلّفه عن الحضور في عزاء النبيّ صلى الله عليه وآله، وقيامه في السقيفة بمنازعة الأنصار في أمر لم يجعل اللّه له فيه دخلاً ولاأمره اللّه ولارسوله به، وقام في تمهيد خلافة أبي بكر دون باقي الصحابة وتوعّد من تخلّف عنها. وقالوا: إنّه كان غير عالم بشيء، حتّى لقلّة علمه شكّ في جواز الموت على النبيّ صلى الله عليه وآله، وأمر برجم الحامل والمجنونة لولا نهي عليّ عليه السلام، وغلّطته المرأة في تحريم زيادة الصداق على مهر السنّة حتّى قال: كلّ أفقه من عمر حتّى ربّات الحجال، وقضى في الحدّ بمئة قضيّة مختلفة متناقضة، وفضّل في العطاء وأعطى أزواج النبيّ غير حقّهنّ، ومنع أهل البيت من خمسهم، وأبدع في قصّة الشورى مخالفاً للنبيّ /٢٣٣ ب/ ولأبي بكر، وردّ على النبيّ صلى الله عليه وآله في مرض موته لمّا أراد أن يكتب لهم الكتاب المانع لهم من الاختلاف ومنَعه عن مراده ونسبه إلى ما لايجوز عليه من كونه يهجر أي يهذي، ومزّق

كتاب فاطمة وقد كتب بها أبو بكر بردّ فدك والعوالي، وضربها قنفذ بالسوط بأمره، وضغطها هو بالباب حتّى اجهضت جنينها، كلّ ذلك رواه الثقات في سيرهم حتّى أنّ أهل السنّة حاولوا الإعذار عنها بالجوابات اعترافاً بصحّة وقوعها.

أقول: أشار إلى القوادح المعدودة في الثاني ولاريب أنّ خلافته مسبّبة عن الأوّل، فبطلان خلافة الأوّل والقدح فيها كافٍ عن القدح في خلافة الثاني؛ لبطلان الفرع ببطلان الأصل، لكن ذكر القوادح المعدودة فيه أيضاً زيادة في إقامة الحجّة وكشفاً للغمّة وأظهاراً للصواب. ومن المعلوم في سير المحدّثين وأخبار الراويين أنّ عمر لمّا تمهّد له مهاد الخلافة غيّر السنن النبويّة وأبدع في الشريعة المحمّديّة صلى الله عليه وآله بزيادة ونقص.

[ما يتعلّق بالطهارة من بدعه]

فما يتعلّق بالطهارة من ذلك ذكر منه أمران:

[الأمر بغسل الرجلين في الوضوء وترك المسح]

أحدهما: الأمر بغسل الرجلين في الوضوء وترك المسح، مع أنّ المأمور به في نصّ الكتاب العزيز إنّما هو المسح[1]، فترك النصّ وعمل بالتأويل وأظهر ذلك وجعله مذهباً للناس، حتّى أنّ أهل السنّة جعلوا ذلك شعاراً لهم وقالوا: إنّ من خالفهم ومسح متابعة للكتاب فهو مخالف للإجماع تارك للسنّة المأخوذة من الخلفاء. فاعتدوا على قول الخليفة وتركوا قول اللّه ونصّه في محكم كتابه، ثمّ

---

١. مشير إلى قوله تعالى:﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلَى الصَّلاة فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة/٦٥).

حاولوا تأويل الآية الواردة بالمسح نصرةً لمذهب الخلفاء، مع أنّ جماعة من الصحابة بل فضلاءهم لم يقولوا بذلك ولاعملوا بقول عمر فيه، بل ثبتوا على العمل بنصّ الكتاب، سيّدهم عليّ عليه السلام وابن عبّاس وحذيفة وأبو ذرّ وسلمان وجماعة غيرهم، حتّى قال ابن عبّاس: لم أجد في كتاب اللّه تعالى إلّا غسلين ومسحين[1]، وكذلك جميع أهل البيت عليهم السلام وعلمائهم. ومعلوم أنّ العمل بكتاب اللّه واتّباع آل رسول اللّه صلى الله عليه وآله أقوى وأحرى وأنّ ذلك بدعة أحدثها هذا الخليفة خلافاً على أهل البيت وتغييراً لمعالم الدين وأحكام الشريعة.

[المسح على الخُفَّين]

والثاني: المسح على الخُفَّين؛ فإنّه أوّل من سنّه وأمر به الخليفة الثاني[2] وتابعه أصحابه على ذلك. ومن المعلوم أنّ ذلك مخالف لنصّ القرآن؛ لأنّ المأمور به فيه إنّما هو المسح على الرجلين، والخفّ لايصدق عليه اسم الرجل لغةً ولاعرفاً. وأنكر ذلك عليّ عليه السلام فقال لعمر: لم أمرت بالمسح على الخفّين؟ قال: لأنّي رأيت رسول اللّه يوم الطائف مسح على خفّيه. فقال عليّ عليه السلام: ذلك قبل نزول المائدة أو بعد نزولها؟ قال عمر: لاأدري. فقال عليّ عليه السلام: غير أنّي أدري أنّه عليه السلام ما مسح على خفّيه بعد /٢٣٤ أ/ نزول المائدة[3]. فحفظ عمر المنسوخ ولم يحفظ الناسخ وهو

---

١. مستدرك الوسائل: ٣١٩/١؛ عوالي اللآلي: ١٩٣/٢

٢. التهذيب: ٣٦١/١؛ وسائل الشيعة: ٤٥٨/١؛ مستدرك الوسائل: ٣٣٣/١، ٣٣٥؛ بحار الأنوار: ٣٦٠/١٠، ٣٥٧/٣٠، ٣٧/٣١، ٢٥٨/٧٧، ٢٩٨؛ تحف العقول: ٤١٧؛ تفسير العيّاشيّ: ٣٠١/١؛ الجعفريّات: ٢٤؛ الصوارم المهرقة: ٢٣٤؛ متشابه القرآن: ١٦٦/٢

٣. نفس المصادر.

دليل جهله وجرأته على تغيير الأحكام بغير قدم راسخ في العلم. ولهذا قال الصادقعليه السلام: «سبق الكتاب المسح على الخفّين»[1].

[ما يتعلّق بالصلاة من بدعه]

وما يتعلّق بالصلاة من ذلك أمور خمسة أشار إليها في الأصل:

[إسقاط «حيّ على خير العمل» من الأذان]

أحدها: إسقاط «حيّ على خير العمل» من الأذان؛ فإنّ عمر نهى عنها وقال: إنّ النداء بأنّ الصلاة خير العمل غير جائز؛ لأنّ الناس إذا سمعوا ذلك اشتغلوا بها عن الجهاد[2]. فأمر بترك ما أمر اللّه به ورسوله بمجرّد هذا الاستحسان ردّاً على اللّه وخلافاً على رسوله. أتراه أعلم بمصالح الخلق منهما أم تدبيره لهم أتمّ من تدبيرهما حتّى يعترض عليهما ويقول: إنّ النداء بذلك يوجب فساداً هو ترك الجهاد والاتّكال على الصلاة؟ مع أنّ ذلك في الحقيقة وهم شيطانيّ وخيال إبليسيّ؛ فإنّ المؤمن الموقن بما جاء به من عند اللّه لايترك بعض فرائض اللّه لكون فريضة أخرى أكثر ثواباً منها، فأيّ مؤمن يترك فريضة الجهاد لأجل كون فريضة الصلاة أفضل منه؟ فإنّ الكلّ منهما يجب على المكلّف القيام به، وإن كان أحدهما أكثر ثواباً من الآخر؛ فإنّه لااستبعاد ولافساد في تفضيل بعض الفرائض

---

١. مرويّ عن أمير المؤمنين عليّعليه السلام في: وسائل الشيعة: ٤٦٢/١؛ مستدرك الوسائل: ٣٣٥/١؛ بحار الأنوار: ٢٨٦/٤٦، ٢٩٧/٧٧؛ الإرشاد: ١٦١/٢؛ الجعفريّات: ٢٤؛ روضة الواعظين: ٢٠٣/١؛ الصراط المستقيم: ١٨٤/٣؛ كشف الغمّة: ١٢٥/٢

٢. بحار الأنوار: ٣٥٧/٣٠، ١٤٠/٨١؛ الصراط المستقيم: ٢٠/٣، ٢٧٦؛ علل الشرائع: ٣٧٦/٢؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٨١

على البعض، فأيّ مفسدة في النداء بـ «حيّ على خير العمل» حتّى يصحّ في اجتهاده النهي عنها؟ وكيف يصحّ نسخ الشريعة من غير صاحب الشريعة؟ مع أنّ الاتّفاق واقع على أنّه لانسخ في الشريعة بعد موت النبيّ عليه السلام. فكان نهيه عن ذلك ليس إلّا اعتماداً لتعطيل الأحكام وتغيير الدين المحمّدي صلى الله عليه وآله خلافاً على آل الرسول عليهم السلام؛ لما علم أنّهم قائلون بذلك ومفتون به وثابتون على العمل به عن اللّه وعن رسوله، فخالفهم عناداً للحقّ وأهله.

[زيادته في أذان الصبح قول: «الصلاة خير من النوم»]

والثاني: زيادته في أذان الصبح قول: «الصلاة خير من النوم»[1]؛ فإنّه لمّا علم أنّ اللّه ورسوله حكَما بأنّها أفضل الأعمال أراد هضم ما عظّمه اللّه ورسوله خلافاً عليهما، فجعلها خيراً من النوم، مع أنّ من المعلوم بالضرورة أنّ النوم من جملة الأفعال المباحة، بل هو من الأفعال الضروريّة الواقعة بغير اختيار المكلّف، فجعلُها خيراً منه لايفيد تعظيمها ولاالمزيّة لها؛ فإنّ جميع الأفعال الاختياريّة المندوبة خير منه فضلاً عن الأفعال الواجبة، بل وبعض الأفعال المباحة خير منه كالنظر في إصلاح المعاش والسعي في التكسّبات الزائدة على قدر الحاجة؛ فإنّها أيضاً خير منه. فيكون ذلك إسقاطاً لمزيّتها وفضلها على شيء من العبادات الواجبة والمندوبة، ومعلوم أنّ ذلك مخالف لما هو المعلوم من الدين بالضرورة من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نصّ عليها بالتفضيل وخصّصها بالخصائص الدالّة على زيادة مزيّتها وشرفها على سائر العبادات، حتّى قال عليه السلام: /٢٣٤ ب/ «إنّ عمود دينكم

---

١. بحار الأنوار: ٣٥٧/٣٠، ٤٣/٣١؛ الطرائف: ٤٧٧/٢

الصلاة»[١]، وقال: «أوّل ما يحاسب العبد به عن الصلاة، فإذا قبلت قبل سائر عمله وإن ردّت ردّ سائر عمله»[٢]، إلى غير ذلك من الأحاديث المتّفق على نقلها. فالنداء عليها بأنّها خير من النوم ردّ لهذه الأحاديث ولما هو المعلوم من الدين من فضلها، بل ذلك في الحقيقة تهجيناً لها كما قيل:

ألم تر أنّ السيف يزري بحدّه　　　مقالك[٣] هذا السيف أمضى من العصا[٤]

[تقديمه التسليم على التشهّد]

والثالث: تقديمه التسليم المخرج من الصلاة ـ لعموم قولهعليه السلام: «تحليلها التسليم»[٥] ـ على التشهّد الذي هو جزء من الصلاة بالاتّفاق. وقد ورد في السير أنّ عمر أوّل من قدّم التسليم على التشهّد في التحيّات. وذلك بدعة ظاهرة؛ إذ المنقول بالتواتر عن النبيّصلى الله عليه وآله وعن سائر أهل بيته أنّ التسليم آخر الصلاة وأنّ

---

١. الكافي: ١٨/٢؛ بحار الأنوار: ٣٣٢/٦٥، ٢٣٤/٧٩؛ تفسير العيّاشيّ: ١٩١/١

٢. مرويّ عن النبيّصلى الله عليه وآله والصادقينعليهما السلام في: الكافي: ٢٦٨/٣؛ من لايحضره الفقيه: ٢٨/١؛ التهذيب: ٢٣٩/٢؛ وسائل الشيعة: ٣٤/٤، ١٠٨؛ بحار الأنوار: ٢٦٧/٧، ٢٥/٨٠؛ عوالي اللآلي: ٣١٨/١

٣. حج: مقالة.

٤. منقول في: بحار الأنوار: ١١٧/١٠٥؛ الصوارم المهرقة: ٢٦٦؛ رياض العلماء: ٥٠٤/٥

٥. مرويّ عن النبيّصلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّعليه السلام وجعفر بن محمّد الصادقعليه السلام في: الكافي: ٦٩/٣؛ من لايحضره الفقيه: ٣٣/١؛ وسائل الشيعة: ٣٦٦/١، ٣٩٧، ١١/٦، ٤١٥، ٤١٧؛ مستدرك الوسائل: ٢٨٨/١، ١٣٦/٤، ١٣٧، ٢١/٥؛ بحار الأنوار: ٣٥٧/٣٠، ٢٣٦/٧٧، ٣١٦، ٢٠٦/٨١، ٢١٦، ٢٢٣، ٣٧٦، ٣١٠/٨٢، ٢١٠/٨٥؛ تفسير الإمام العسكريّ: ٥٢٠؛ دعائم الإسلام: ١٥٧/١؛ الصراط المستقيم: ٢٠/٣؛ عوالي اللآلي: ٤١٦/١، ٢١٨/٢، ٨/٣، ٩٣؛ الفصول المختارة: ١٩٣؛ فقه الرضاعليه السلام: ١٠٥؛ المسائل الصاغانيّة: ١١٩

التشهّد يجب إيقاعه[1] قبله ولولا ذلك لوقع التشهّد بعد الفراغ من الصلاة؛ لحصول التحلّل منها بالتسليم بعموم الحديث، فيلزمها النقص؛ لأنّ التشهّد جزء منها بالاتّفاق، فإذا وقع بعد التسليم لم يكن داخلاً فيها ضرورةً، فيقع النقص والخلل فيها. فلمّا ألزم الناس عمر بتقديم التسليم على التشهّد لزمهم بطلان الصلاة وعدم صحّتها، فأبطل على المسلمين صلاتهم التي هي عمود دينهم. وذلك لأنّ مقصوده هدم دين الإسلام وتعطيل أحكامه، ولمّا كان عموده الصلاة قصَد إلى تغييرها؛ ليدخل الخلل والنقص فيها، وذلك من الأمور التي لايتفطّن لها إلّا من أعطي سلامة بصيرته وترك عماءة التقليد.

[أمره بعقد اليدين المسمّى بالتكفير]

والرابع: أمره بعقد اليدين المسمّى بالتكفير وإنّ من المعلوم بين أهل السيرة أنّ أوّل من أمر به وابتدعه عمر في أيّام خلافته وأنّ النبيّ ﷺ لم يفعله ولالأحد من الصحابة باتّفاق آل الرسول وغيرهم من أهل العلم، فابتدعه الثاني خلافاً على أهل البيت من حيث علمه بإنكارهم له واستحساناً منه لذلك من حيث تشبّه فاعله بالخشوع والاستكانة بين يدي الربّ. وهو استحسان فاسد؛ لأنّ حقائق العبادة وكيفيّاتها وجهاتها أمور متلقّاة من الشارع لايجوز فيها مجرّد الاستحسان؛ لأنّ اللّه تعالى تعبّد الخلق بأشياء غير معقولة المعاني ولم يجوّز لهم ما استحسنوه بعقولهم؛ لقوله ـ حاكياً عن الكفّار ـ: **﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلّا لِيُقَرِّبُونا إلَى اللّهِ زُلْفى﴾**[2]. فعلم أنّ الاستحسان والاستصلاح فيها غير جائز. ومن المعلوم أنّ عقد

---

١. حج (خ ل): إتيانه.
٢. الزمر/٣

اليدين لم يرد به النصّ الصريح؛ /٢٣٥ أ/ لأنّه لو كان لما أنكره مالك ولذكره في *موطئه* الذي اعتمد فيه تصحيح ما صحّ عنده من الأخبار.

وتعليل بعضهم ـ أنّه فصل بين النفس الحيوانيّة والنفس الملَكيّة؛ لأنّ مسكن الأولى من البدن ما تحت الصدر ومسكن الثانية ما فوقه، فعقد اليدين عند الوسط لفصل عساكر كلّ واحدة منهما وجنودها عن عساكر الأخرى، فلاتحصل معارضة النفس الحيوانيّة للملَكيّة وقت الصلاة ليتم التوجّه إلى جناب القدس ـ تعليل متناقض؛ فإنّ النفس الحيوانيّة هي عبارة عن قوّتي الشهوة والغضب، وجنودهما وعساكرهما مبثوثة في جميع البدن، خصوصاً والقوّة الغضبيّة تستمدّ من القوّة الخياليّة التي مسكنها الدماغ بالاتّفاق. فالقاطع للنفس الحيوانيّة والقاتل لها ليس هذا الفعل الصوريّ، وإنّما هو التوجّه المعنويّ والإقبال بالإرادات والعزائم إلى نحو المعبود باستيلاء القوّة العقليّة على المتوهّمة والمتخيّلة بسبب الرياضات والمجاهدات، وقد أشرنا في كتابنا هذا إلى تحقيق ذلك.

[ابتداعه الجماعة في الصلاة النافلة]

والخامس: ابتداعه الجماعة في الصلاة النافلة، على ما روي عنه في الأسانيد الصحيحة أنّه دخل المسجد في أوّل ليلة من شهر رمضان في أيّام خلافته، فرأى المصابيح في المسجد، فقال: ما هذه المصابيح التي أراها؟ فقيل: إنّ الناس قد اشتغلوا بالتراويح. فقال: ما لي أراهم خلقاً شتّى؟ ثمّ قال: لو جمعتهم على شخص واحد لكان أصلح. ثمّ أمرهم بالإجماع[1] والصلاة خلف زيد بن ثابت، ثمّ

---

١. حج (خ ل): بالاجتماع.

خرج في الليلة الثانية، فرأى الناس صفوفاً خلف زيد، فأعجبه ذلك فقال: بدعة ونعمت البدعة[١]. فاعترف بأنّها بدعة، ثمّ استحسنها ووصفها بأنّها نعمت البدعة، مع أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار»[٢].

ولهذا روي عن عليّ عليه السلام أنّه دخل ليلة جامع الكوفة في شهر رمضان فرأى أهل الكوفة قد اجتمعوا لصلاة النافلة خلف رجل منهم، فأمر ولده الحسن عليه السلام أن يفرّقهم، فدخل عليهم وفي يده الدرّة ليضربهم بها، فلمّا رأوه ابتدروا الأبواب وهم ينادون: وا عُمَراه[٣]. إلى غير ذلك من بِدَعه التي غيّر بها العبادات الشرعيّة؛ ليبطل على الناس عباداتهم ويستولي عليهم سلطان الغفلة والأهواء الشيطانيّة وليرتدّ الناس بطاعته على أعقابهم عن الدين المحمّدي صلّى الله عليه وآله.

[ما يتعلّق بالشرعيّات غير العبادات من بدعه]

وأمّا ما يتعلّق بالشرعيّات غير العبادات فأمور كثيرة ذكر في الأصل منها عشرة أشياء هي من مشاهيرها:

---

١. بحار الأنوار: ٧/٣١، ٢٠٢/٧١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٨٢/١٢؛ الصراط المستقيم: ٢٦/٣؛ الطرائف: ٤٥٤، ٤٥٥؛ نهج الحقّ: ٢٨٩، ٣٤٢، ٣٤٣

٢. الكافي: ٥٦/١؛ وسائل الشيعة: ٣٣٥/٨، ٢٧٢/١٦؛ مستدرك الوسائل: ٢٩٥/١٠؛ بحار الأنوار: ٣٥٤/١٠، ٣٥٧/٣٠، ١٨٧/٣١، ٥٨/٩٨؛ جامع الأخبار: ١٨٢؛ الخصال: ٦٠٥/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤١/٣، ٢٨٤/١٢؛ الصراط المستقيم: ٧٢/١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٢٤/٢؛ كشف الغمّة: ١٣٤/٢

٣. التهذيب: ٧٠/٣؛ وسائل الشيعة: ٤٦/٨؛ بحار الأنوار: ٧/٣١، ١٨١/٣٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨٣/١٢؛ الصراط المستقيم: ٢٦/٣؛ الصوارم المهرقة: ١٦٣؛ نهج الحقّ: ٢٨٩

[وضع الخراج على المسلمين]

الأوّل: وضع الخراج على المسلمين[١]؛ فإنّه من المعلوم في دين الإسلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يفعل ذلك ولاأبو بكر. ثمّ إنّه فعل ذلك في ولايته، فقسّم الناس ثلاثة أصناف: /٢٣٥ ب/ جنداً ورعيّةً وأهل العلم، فأخذ من الرعيّة الخراج لأهل العلم والجند؛ لأنّ أهل العلم عليهم للرعيّة تعليم الأحكام والقضاء والفتوى والولاية وإقامة الحدود، والجند عليهم الجهاد والقتال وفتح البلاد، وجعل ما يأخذه من الرعيّة من الخراج بمنزلة الزكاة وجعل الرعيّة هم أهل الزراعات والصناعات والتجارات، فأبطل بذلك أعمال الكلّ وأخرجهم من حقيقة الإخلاص إلى العمل لغير اللّه.

فأهل العلم صار تحصيلهم له ليس إلّا لتحصيل المعاش والرزق من بيت المال، وكذلك لايفتون ولايقضون ولايعلّمون ولايدرسون إلّا لذلك، لا للّه تعالى ولا للإخلاص في دينه ولاطاعة لأمره وأمر رسوله، فأبطل بذلك أعمالهم. والجند لم يكن جهادهم إلّا لذلك العطاء، لا للّه ولا لإعزاز الإسلام وإعلاء كلمة الحقّ، بل لأجل الرزق والمعاش، فأبطل بذلك جهادهم ودفاعهم وحرموا الثواب. وكذلك الرعيّة صار إعطاهم الزكاة لا لأجل التقرّب بها إلى اللّه تعالى والإخلاص في أمره، بل في مقابل أعمال الصنفين؛ لاحتياجهم إليهما في تقويم دينهم ودنياهم، فأبطل عملهم وأحبط ثوابهم. وكلّ هذه المفاسد المبطلة لهذه الأعمال التي هي أساس الدين وأصوله حصلت من هذه البدعة التي تفرّد بها هذا الخليفة.

---

١. بحار الأنوار: ١٥/٣١؛ خلاصة الإيجاز: ٣٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٤/١٢؛ الصراط المستقيم: ٢٦/٣؛ نهج الحقّ: ٢٨٨

[تدوينه الدواوين]

الثاني: تدوينه الدواوين؛ فإنّه ابتدع كتابة ديوان أثبت فيه أسماء أهل العطاء من الجند ومن أهل العلم والرياسات والولايات وأثبت لكلّ واحد ما يعطى من الخراج الذي وضعه على الرعيّة[١]. ومعلوم أنّ ذلك لم يفعله النبيّ صلى الله عليه وآله ولاأبو بكر، فأبدعه هو وكتبه ووضعه على يدَي شخص سماه صاحب الديوان، وابتدع له أجرة من ذلك الخراج على حمله وحفظه. وعلى هذه البدعة جرت سلاطين الجور وحكّامهم وقضاتهم اقتداء بهذه البدعة التي أحدثها في الدين وزادها في أحكام المسلمين.

[نهيه عن المتعتين]

الثالث: نهيه عن المتعتين ـ متعة الحجّ ومتعة النساء ـ لما رواه الكلّ أنّه قام خطيباً في بعض من أيّام خلافته فقال: أيّها الناس! متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حلالاً وأنا محرّمهما ومعاقب عليهما، متعة الحجّ ومتعة النساء[٢]. مع أنّهما من المعلومات من الدين بنصّ القرآن. أمّا متعة الحجّ ففي قوله ـ عزّ وجلّ ـ: **﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾**[٣]، وأمّا متعة النساء ففي

---

١. وسائل الشيعة: ١٠٨/١٥؛ بحار الأنوار: ٣٤٨/٣٤، ٩/٣٨، ٢٩٣/٧١، ٥٩/٩٧؛ دعائم الإسلام: ٨٦/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٤/١٢؛ الغارات: ٣٢/١؛ كشف الغمّة: ٢٩/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٧١/٣

٢. مستدرك الوسائل: ٤٥٠/١٤، ٤٨٣؛ بحار الأنوار: ٦٣٠/٣٠، ٦٣٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨١/١، ٢٥١/١٢، ٢٥٣، ٢٦٥/١٦؛ الصراط المستقيم: ٢٧٦/٣؛ الصوارم المهرقة: ٨/ ٢١٢؛ فقه القرآن: ١٠٦/٢؛ متشابه القرآن: ١٨٩/٢؛ نهج الحقّ: ٢٨١، ٥٢٤

٣. البقرة/١٩٦

قولـه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[١]. وكـذلك علـم مـن السنّة النبويّة أنّهﷺ أمر بمتعة الحجّ وأباح متعة النساء، لايشكّ في ذلك أحد مـن العلماء، وأهل البيتعليهم‌السلام /٢٣٦ أ/ مجمعون على ذلك وكلام عمر دالّ عليه حيث قال: كانتا على عهد رسول اللّه حلالاً، وإنّما حدث الشكّ فيهما بين أهل الإسلام ممّا ابتدعه عمر من النهي عنهما.

[سبب منعه لمتعة الحجّ]

وسبب منعه لهما، أمّا متعة الحجّ فلما ورد في الأحاديث ورواه أهـل التفسـير أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ قال النبيّﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لمـا سُقت الهـدي ولجعلتهـا عمرة أتمتّع بها إلى الحجّ. ثمّ إنّهعليه‌السلام أمر مناديه أن ينادي في الناس: أنّ مـن لـم يسق هدياً فليحلّ من إحرامه ويجعلها عمرة يتمتّع بها، ومن سـاق هـدياً فليبـق على إحرامه؛ فإنّه لاينبغي لسائق الهدي أن يحلّ حتّى يبلغ الهدي محِلّه[٢]. فأحـلّ جماعة ممّن لم يسق الهدي وبقيت طائفة على إحرامهم، وكان ممـن بقـي علـى إحرامه عمر، فقال له النبيّﷺ: لمَ لاأحللت يا عمـر؟ أسُقت الهـدي؟ قـال: لا. فقال: فلم لاتفعل كما فعل الناس؟ قال: أنت أشعث أغبر وأنا أنكح النساء وأشـمّ الطيب، لايكون ذلك منّي أبداً. فقال له النبيّﷺ: إنّك لم تؤمن بهـا ولاتـؤمن بهـا حتّى تموت[٣]. فبقي ذلك في نفسه، فلمّا كان في أيّـام خلافتـه فعـل ذلـك ومنـع

---

١. النساء/٢٤

٢. مقتبس من: البقرة/١٩٦

٣. مستدرك الوسائل: ٨٤/٨؛ كشف الغمّة: ٢٣٦/١؛ كشف اليقين: ٢٣٨

الناس من المتعة بالحجّ.

[سبب منعه لمتعة النساء]

وأمّا سبب منعه لمتعة النساء فلقصّة وقعت بينه وبين عليّ عليه السلام معروفة بين أهل السيرة أوجب له تحريم متعة النساء والمنع منها بعد أن كانت حلالاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهد أبي بكر وبعض من خلافته، ثمّ منع منها برأيه. فنسخ ما ثبت في القرآن والسنّة شرعه، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ثابت في شرعه، ثمّ اعترف هو بذلك فقال: كانتا على عهد رسول الله حلالاً أنا أحرّمهما، فأسند التحريم إلى نفسه، لأنّه نقل ذلك عن رسول الله وذلك مستلزم لنسخه الشريعة وإبطاله لأحكامها ردّاً على الله وعلى رسوله. ولهذا كان ولده عبد الله بن عمر يفتي بحِلّ متعة النساء، فقيل له: إنّ رأيك هذا يخالف رأي أبيك؛ فإنّه يمنع منها. فقال: إذا كان رأي الله ورسوله بحلّها [أ]أترك رأي الله ورأي رسوله وأتّبع رأي أبي؟[1] وقال عليّ عليه السلام: «لولا ما فعله ابن الخطّاب من المنع من متعة النساء ما زنى إلّا شقيّ».[2 و3]

---

١. بحار الأنوار: ٦٠٠/٣٠؛ متشابه القرآن: ١٧٩/٢؛ نهج الحقّ: ٢٨٣

٢. الكافي: ٤٨٨/٥؛ التهذيب: ٢٥٠/٧؛ الاستبصار: ١٤١/٣؛ وسائل الشيعة: ٥/٢١، ١٠، ١١؛ مستدرك الوسائل: ٤٤٧/١٤، ٤٦٦، ٤٧٧؛ بحار الأنوار: ٦٠١/٣٠، ٣٠/٥٣، ٣٠٤/١٠٠؛ خلاصة الإيجاز: ٢٥، ٢٨؛ الدعوات: ١١١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٣/١٢، ٢٥/٢٠؛ الصراط المستقيم: ٢٧٣/٣؛ عوالي اللآلي: ١٢٥/٢؛ فقه القرآن: ١٠٦/٢؛ متشابه القرآن: ١٨٩/٢

٣. هامش حج: في الحديث: «إنّ الله رأف بكم، فجعل المتعة عوضاً لكم من الأشربة»، وكأنّه يريد بالأشربة المسكرات التي يتلذّذ بها. وفي بعض الأحاديث روي: «أنّ الله تعالى حرّم

[إفتاء الفقهاء الأربعة بتحريم متعة النساء]

وما العجب إلّا من مذهب العامّة حيث تركوا العمل بكتاب اللّه وسنّة نبيّه واتّبعوا رأي عمر وبدعته، فأفتى الفقهاء الأربعة بتحريمها اتّباعاً لقول عمر وأهملوا ما في كتاب اللّه وسنّة نبيّه، حتّى أنّهم لو ظفروا بمن يفعل المتعة لأفتوا بقتله.

فقد روى بعض الثقات أنّ شخصاً بدمشق كان جاراً لامرأة /٢٣٦ ب/ أيّمة، فرأى شخصاً غريباً يتردّد إلى بيتها، فقال له: ما لك والدخول إلى هذا المنزل؟ فقال: إنّي استمتعتُ بصاحبته. فقبض في الحال عليه وجرّه بأزياقه إلى السوق ونادى: هلمّوا إلى الرافضيّ المستحلّ للمتعة. فاجتمع عليه جماعة كثيرة منهم وأخذوه ملبّباً حتّى أحضروه إلى القاضي. فقال لهم: ما لكم ولهذا الرجل الغريب؟ فقالوا: زعم أنّه استمتع بامرأة هي جارة لفلان. فقام إليه رجل من أخدام القاضي واستأذن القاضي في أنّه يستقرّه في الخلوة، فأذن له، وكان الرجل ممّن يتشيّع باطناً، فخلا به فقال: إذا سألك القاضي عن حالك مع المرأة فقل زنيت بها، وخلاصك عليَّ.

وجاء الرجل إلى القاضي فقال: يا مولاي! إنّه مظلوم، هو يقول غير ما يقول هؤلاء الجماعة. فاستنطقه عن حاله مع المرأة فقال: إنّي زنيت بها. فأطلقه القاضي وانتهز الجماعة الذين جاؤوا به، فقالوا: إنّما قال إنّه استمتع بها، ولو قال إنّه زنى بها لما تعرّضنا به. وخرجوا ومضى الرجل سالماً لأجل اعترافه بالزناء، ولو كان

على شيعتنا المسكر وكلّ شراب وعوّضهم من ذلك المتعة» [من لايحضره الفقيه: ٤٦٧؛ وسائل الشيعة: ٧/٢١؛ مستدرك الوسائل: ٤٥٢/١٤؛ بحار الأنوار: ٣٠٦/١٠٠؛ خلاصة الإيجاز: ٤٢؛ المتعة: ٩]. (مجمع البحرين).

بقي على القول بالمتعة لحلّت به العقوبة. فانظر إلى حال هؤلاء الأقوام، ينكرون ما أحلّ اللّه ورسوله ولاينكرون ما صرّحت الشريعة بتحريمه، وللّه درّ القائل حيث يقول:

ثناتكم تعفون عنها، ومن أتى إليكم من المستمتعين قتلتم[1]

[بدعته في قطع اليد والرجل]

الرابع: قطعه للسارق الذي وجب قطع يده من معصم الكفّ والذي وجب له قطع الرجل قطعه من كعب الساق خلافاً للمنقول عن النبيّ صلى الله عليه وآله؛ فإنّ الثابت بالطريق الصحيح أنّه إنّما قطع اليد من مفصل الأصابع الأربعة وترك الكفّ والإبهام وقطع الرجل من مفصل القدم وترك العقب، وعمر فعل ما نقل عنه وهو الذي عليه علماء العامّة بأجمعهم خلافاً على اللّه ورسوله.[2]

[إنفاذه الطلاق بالثلاث المرسلة وجعله ثلاث طلقات]

الخامس: أنّه أنفذ الطلاق بالثلاث المرسلة وجعله ثلاث طلقات وحرّم به الزوجة على المطلّق ما لم يتزوّج، فإنّ الرجل من الصحابة كان يقول لامرأته: أنت طالق ثلاثاً، تأكيداً للطلاق لا لأجل تعدّده، فقال عمر: إنّكم قد استعجلتم أمراً كان لكم فيه إناءة وإنّي أحببت أن أعجل لكم ما استعجلتموه وإنّي قد أمضيتها عليكم ثلاثاً[3]. فأنفذ الثلاث المرسلة وجعلها كالثلاث التي بينها رجعتين

---

١. منسوب إلى ابن العوديّ النيليّ كما في: الغدير: ٥٠٠/٤؛ نظرة إلى الغدير: ١١٧

٢. مستدرك الوسائل: ١٢٤/١٨

٣. مستدرك الوسائل: ٣٠٢/١٥، ٣١٦؛ بحار الأنوار: ٣٢٠/١٠، ٢٦/٣١، ٢٧؛ الاختصاص: ١٠٩؛ الصراط المستقيم: ١٩٢/٣؛ الطرائف: ٤٦٣/٢؛ عوالي اللآلي: ١٦٨/١؛ المسائل الصاغانيّة: ←

في تحريم المرأة على الزوج إلّا بالمحلّل، ومعلوم أنّ ذلك لم يكن في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وجميع علماء أهل البيت أنكروه، وتبعه على ذلك علماء العامّة خلافاً على آل محمّد ـ صلوات اللّه عليهم ـ

[منعه من بيع أمّهات الأولاد وإن مات الولد]

السادس: أنّه منع من بيع أمّهات الأولاد وإن مات الولد، وقال: هذا رأي رأيته[١]. فأمضاه على الناس مع أنّه من المعلوم بضرورة /٢٣٧ أ/ الدين أنّ الأمة لاتخرج بالاستيلاد عن الملك، فكيف صحّ منع المالك عن التصرّف في ملكه مع عموم قوله عليه السلام: «الناس مسلّطون على أموالهم»[٢]؟ والعقل يجزم أنّه مع موت الولد لايقال لها أمّ ولد حقيقةً، فكيف وجب المنع من البيع مع بقاء الملكيّة؟ وكلّ ذلك عناد لآل محمّد صلى الله عليه وآله.

[منعه من التزويج في قريش]

السابع: أنّه منع الناس من التزويج في قريش.[٣]

[منعه العجم من التزويج في العرب]

الثامن: أنّه منع العجم من التزويج في العرب، وذلك شيء اخترعه وبدعه

٨٣، ٨٤، ٨٨؛ نهج الحقّ: ٣٤٥، ٥٣٠

١. الصراط المستقيم: ١٤٨/١، ٢٢/٢؛ الفصول المختارة: ٢١٣

٢. بحار الأنوار: ٢٧٢/٢؛ عوالي اللآلي: ٢٢٢/١، ٤٥٧، ١٣٨/٢، ٢٠٨/٣؛ نهج الحقّ: ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥٧٢

٣. بحار الأنوار: ٣٥/٣١

سفهاً لم ينقله عن النبيّ ﷺ وإنّما هو رأي اخترعه واستحسان سنح له وأجرى الناس عليه، مع أنّه من المعلوم من الدين المحمّديّ خلاف ذلك؛ فإنّه يقول: «المسلمون أكفاء بعضهم ببعض»[١]. فليس لأحد حينئذٍ على أحد فضل ولامزيّة إلّا بزيادة الصلاح والتقوى؛ لأنّ اللّه ـ سبحانه ـ يقول: ﴿**إنَّ أكرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أتْقاكُمْ**﴾[٢]، وفي الحديث القدسيّ: «الجنّة لمن أطاعني وإن كان عبداً حبشيّاً، والنار لمن عصاني وإن كان سيّداً قرشيّاً»[٣]. فلامزيّة[٤] لأحد على أحد من الإسلام العربيّ والمولى والقرشيّ وغيره والهاشميّ ومن ليس بهاشميّ، فلايصحّ منع أحد من المسلمين من نكاح المسلمة؛ لأنّه كفو لها بنصّ النبيّ، ففعل عمر ذلك ردّاً لما جاءت به الشريعة الأحمديّة.

[إحداث التعصيب]

التاسع: أنّه أوّل من أحدث التعصيب[٥]، وهو توريث العصبة، والعصبة هم القرابة الذين لاإرث لهم تسمية لكون المسمّى له الإرث في النصّ غيرهم، فأعطاهم عمر ما فضل عن التسمية وأحرمه صاحب القرابة المسمّى له الإرث في

---

١. الكافي: ٣٣٧/٥، من لايحضره الفقيه: ٣٩٣/٣؛ التهذيب: ٣٩٧/٧؛ وسائل الشيعة: ٦١/٢٠، ٧٤؛ مستدرك الوسائل: ٢٣٨/١٨؛ بحار الأنوار: ٢٢٣/١٦، ٤٣٧/٢٢، ٣٧١/١٠٠؛ روضة الواعظين: ٣٧٤/٢؛ عوالي اللآلي: ٢٧٤/٢، ٣٣٩/٣، ٦١٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٨٩/١؛ مكارم الأخلاق: ٢٠٤

٢. الحجرات/١٣

٣. بحار الأنوار: ٨٢/٤٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٥١/٤

٤. تش: مرتبة.

٥. بحار الأنوار: ٤٠/٣١

النصّ، كالبنت والبنتين مع الإخوة؛ فإنّ اللّه سمّى للواحدة النصف وللاثنين الثلثين، وكالأعمام مع الأخت والأختين؛ فإنّ الحكم فيهما كما سبق. فعلماء أهل البيت عليهم السلام يردّون الفاضل عن التسمية على ذوي الفروض، فيقولون: للبنت النصف تسميته والباقي بالردّ عليها، وكذلك ما فضل من الثلثين في البنتين يردّ عليهما بالسويّة.

وعلماء العامّة يجعلون ما زاد على المسمّى للعصبيّة، فيورّثون الإخوة مع الواحدة النصف ومع الاثنين الثلث، وكذا الكلام في الأعمام مع الأخت والأختين، ويحتجّون عليه بفعل عمر ذلك؛ فإنّه هو أبدع هذه البدعة وجعلها سنّة خلافاً على آل الرسول ونصّ القرآن في قوله تعالى: ﴿**وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ في كِتابِ اللّهِ**﴾[1]، فيكون الأقرب أولى بالإرث من الأبعد بنصّ الذكر الحكيم، ولم يرض بذلك عمر، بل حكم بمشاركة الأبعد للأقرب خلافاً على اللّه ورسوله. /٢٣٧ ب/

[حكمه بعول الفريضة]

العاشر: حكمه بعول الفريضة[2]. والعول في اللغة الزيادة، يقال: عالت الفريضة إذا زادت، ومعناه هنا أنّه إذا دخل النقص في الفريضة على ذوي الفريضة بدخول الزوج أو الزوجة، أعال الفريضة أي زاد فيها حتّى يستوي في النقص ذوي الفروض وغيرهم. وذلك من المعلوم من الدين أنّه مخالف للكتاب العزيز

---

١. الأنفال/٥٧؛ الأحزاب/٦

٢. الكافي: ٧٩/٧؛ التهذيب: ٢٤٨/٩؛ مستدرك الوسائل: ١٦١/١٧؛ بحار الأنوار: ٤٠/٣١، ٣٣١/١٠١؛ دعائم الإسلام: ٣٨١/٢؛ علل الشرائع: ٥٦٨/٢

والسنّة النبويّة؛ إذ يلزم منه أن يجعل في الفريضة شيء لم يجعله اللّه تعالى فيها. ولهذا أنكره ابن عبّاس وأظهر القول ببطلانه بعد موت عمر وقال: محال أن يجعل اللّه في المال شيئاً لايفي به. فقيل: ولم لاأظهرت هذا الخلاف في حياة عمر؟ فقال: هيبة وكان امرءً مهيباً[١]، وفي رواية أخرى: خفت من الأعيسر[٢] أن يمزّق عليّ إهابي.

وبالجملة إنّه من المعلوم عند الكلّ أنّ العول والتعصيب من أحداثه وأبداعه خلافاً لما عُلم من الشريعة المحمّديّة ودين أهل البيت، وتبعه على ذلك أهل السنّة وتركوا العمل بالكتاب والسنّة وأخذوا بقول عمر ووجّهوا له التوجيهات الفاسدة واحتملوا له الاحتمالات البعيدة وأوّلوا لأجله القرآن بالتأويلات السخيفة محافظةً على سنّة عمر وتقليداً له، ذلك هو الضلال البعيد والخسران المبين.[٣]

[تأخّره عن جيش أسامة]

وممّا قدحوا عليه به تأخّره عن جيش أسامة وخلافه على رسول اللّه صلى الله عليه وآله في ذلك حيث أمره بكونه معه، والكلام فيه كما مرّ في قوادح الأوّل من غير فرق.

[غيبته في عزاء النبيّ صلى الله عليه وآله]

وممّا قدحوا عليه به أنّه لم يحضر في عزاء النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك مُجمَع عليه عند الكلّ أنّه كان مع صاحبه في سقيفة بني ساعدة في طلب الإمارة والخلافة وأنّه

---

١. الكافي: ٧٩/٧؛ التهذيب: ٢٤٨/٩؛ بحار الأنوار: ٤٠/٣١، ٣٣١/١٠١؛ علل الشرائع: ٥٦٨/٢
٢. حج: الأمير. الأعيسر لقب ابن الخطّاب، كما في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٩/١
٣. مقتبس من: إبراهيم عليه السلام/١٨؛ الحجّ/١٢ـ١١؛ سبأ/٨؛ الزمر/١٥

هو وصاحبه وجميع من حضر السقيفة لم يحضروا عزاء نبيّهم ولادفنه ولاتجهيزه ولاالصلاة عليه، بل اشتغلوا عن ذلك المصاب الجليل والقادح العظيم بالقيل والقال والمنازعات والمخاصمات في مقامه والولاية للأمن بعده قبل دفنه، جرأةً منهم على اللّه وشماتة بموت رسول اللّهﷺ وطلباً للفرصة وحرصاً على الدنيا وحبّاً للرياسة، مع كونهم ليسوا من أهلها ولاراّهم نبيّهم من المستحقّين لها، بل كيف ساغ لعمر السعي والجدّ والتشمير في عقد البيعة لأبي بكر حتّى فعل لأجلها المناكير وخاصم أكثر الصحابة؟ مع أنّه رجل من سائر المسلمين لم يجعله اللّه تعالى ولارسوله في ذلك المقام ولاأمره بمساعدة أبي بكر على ما طلبه من الخلافة والإمرة، فكيف صحّ له القيام والاجتهاد والمخاصمة /٢٣٨ أ/ والمقاتلة وإشهار السيوف على ذلك من غير إذن من اللّه ورسوله.

ومن المعلوم لذوي البصائر أنّ مسارعته إلى ذلك دون غيره من الصحابة إنّما كان لأمر دنيويّ وغرض مقصود من الأغراض الدنيويّة وإنّه لم يكن ذلك منه نصيحة للإسلام ولامحافظة على إظهار الدين، بل لما قال عليّعليه السلام: «اشدد بها له اليوم ليردّها عليك غداً»[1]، وقوله: «لشدّ ما تشطّرا ضرعيها»[2]. وكيف لم يسارعا لأجل الدين يوم بدر، ويوم أحد وقد فرّا من الزحف؟ ويوم الأحزاب وعمرو بن عبد ودّ يناديهما ويطلبهما للبراز، فصمتوا وخمدوا جميعهم، فلم يقم إليه أحد منهم؟ وكذلك يوم مرحب انهزما أقبح هزيمة؟ وإن كانت مسارعتهم إلى السقيفة

---

١. بحار الأنوار: ١٨٥/٢٨، ٣٤٦، ٥٢٢/٢٩؛ الاحتجاج: ٧٤/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١/٦

٢. بحار الأنوار: ٥١٨/٢٩؛ الاحتجاج: ١٩١/١؛ الإرشاد: ٢٨٧/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٢/١، ١٦٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٠٥/٢؛ نهج البلاغة: ٤٨

لأجل الدين فلتكن المسارعة والمسابقة يومئذٍ أولى وأحقّ لطالب الدين مع ضعفه يومئذٍ واحتياجه إلى من يذبّ[١] عنه وغناه يوم السقيفة عن تلك المسابقة؛ لأنّ اللّه لم يقبض نبيّه إلّا بعد إكمال دينه وتمام كلمته، فلمّا لم يكن الأمر منهم كذلك عُلم أنّ المسابقة يوم السقيفة إنّما كانت لنيل الرياسة طلباً للجاه وحبّاً للدنيا وحسداً لآل محمّد وذلك موجب لخروجهم عن الدين بالكلّيّة، وللّه درّ القائل:

وعلى الخلافة سابقوك وما   سبقوك فى أحد ولابدر[٢]

[جهله بالأحكام الشرعيّة]

وممّا قدحوا عليه بأنّه لم يكن عالماً بشيء من الأحكام ولاعارفاً بجميع ما تحتاج إليه الأمّة من الأمور الشرعيّة المصلحة للمعاش والمعاد. وممّا يدلّ على ذلك ما نقل عنه من الشكّ في جواز الموت على النبيّ صلى الله عليه وآله؛ فإنّ أهل السيرة رووا عنه أنّه قال يوم موت النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه لم يمت ولايموت وإنّما غاب عن أظهرنا وسيعود فتقطّع أيدي رجال وأرجلهم ممّن يقول بموته. وكان يمرّ بمحافل المسلمين ومجامعهم ويقول: من سمعته يقول: إنّ رسول اللّه قد مات، علوته بسيفي هذا[٣]. فبلغ ذلك أبا بكر، فأنكر عليه وبعث إليه، فلمّا حضره قال له: أما

---

١. مر، حج: يذود.

٢. ديوان ديك الجنّ الحمصيّ: ٩١

٣. بحار الأنوار: ٥٨٢/٣٠، ٥٨٤، ٥٩٠، ٥٩١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٧/١، ٤٠/٢، ٤٢، ١٩٥/١٢، ١٩٧، ١٩٩؛ الصوارم المهرقة: ٣٧؛ الفصول المختارة: ٢٤٠؛ كمال الدين: ٩٣/١؛ نهج الحقّ: ٢٧٦

سمعت اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]؟ فقال: إنّي لم أسمع هذه الآية إلّا هذه الساعة. ورجع عمّا كان قاله، ثمّ أمر أبو بكر أن ينادى في الناس: إنّ من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد ربّ محمّد فإنّه حيّ لم يمت[2]. وسأل عمر سائل فقال: كيف /٢٣٨ ب/ لم تسمع هذه الآية وأنت ممّن لزم محمّداً وصحبه؟ فقال: ألهانا عن كثير من القرآن الصفق في الأسواق.

ومن ذلك غلطه في قصّة رجم المجنونة والحامل؛ فإنّه قد روى الثقات أنّ عليّاً عليه السلام مرّ بمجنونة وهي تقتل، فقال: ما بال مجنونة آل فلان تقتل؟ فقيل له: إنّ عمر أمر برجمها؛ لأنّه قد ثبت عنده أنّها زنت. فقال عليّ عليه السلام: خلّوا عنها وردّوها إليه. ففعلوا ذلك، ثمّ إنّه عليه السلام مضى إليه فقال: أما سمعت قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتّى يفيق، وعن الصبيّ حتّى يبلغ، وعن النائم حتّى ينتبه»؟ فدرأ عنها الحدّ وقال: لولا عليّ لهلك عمر.[3]

وكذا رووا أنّ أناساً شهدوا على امرأة حامل أنّها زنت وكانت محصنة، فأمر عمر برجمها وكان عليّ عليه السلام حاضراً، فنهاه عن ذلك وقال: إن كان اللّه قد جعل لك عليها سبيلاً فما جعل لك على ما في بطنها سبيلاً، فاتركها حتّى تضع وتكفّل

---

١. الزمر/٣٠

٢. بحار الأنوار: ٥٩٠/٣٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٧/١، ٤٠/٢، ٣٥/١٣؛ الصوارم المهرقة: ٣٧؛ الفصول المختارة: ٢٤٠

٣. وسائل الشيعة: ٢٣/٢٨؛ مستدرك الوسائل: ٨٤/١، ١٣/١٨؛ بحار الأنوار: ٦٨١/٣٠، ٦٨٢، ٢٥٠/٤٠، ٢٧٧، ٨٨/٧٦؛ الإرشاد: ٢٠٣/١؛ إرشاد القلوب: ٢١٣/٢؛ دعائم الإسلام: ٤٥٦/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٥/١٢؛ الصراط المستقيم: ١٧/٢؛ الطرائف: ٤٧٣/٢؛ العمدة: ٢٥٧؛ كشف الغمّة: ١١٢/١؛ كشف اليقين: ٦٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٦٦/٢؛ نهج الحقّ: ٣٥٠

ولدها، فإذا فصل فأقم عليها حدّ اللّه. فقال عمر عند ذلك: لولا عليّ لهلك عمر.[1]

ومن ذلك غلطه في تحريم زيادة الصداق على مهر السنّة وردّ المرأة عليه بحضرة جماعة المسلمين كما رواه أهل السيرة. قالوا: خطب الناس في بعض أيّام الجمع عمر، فقال في خطبته: أيّها الناس! من غالى في مهر ابنته حتّى زاد فيه على مهر السنّة أخذته وجعلته في بيت المال. فسكتوا ولم يُجبه أحد منهم، فقامت إليه امرأة من أخرَيات الناس فقالت: ما جعل اللّه ذلك لك ولا لأحد من المسلمين، إنّ اللّه تعالى يقول: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطاراً فَلاتَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾[2]. فاقحمته على المنبر وبان للجميع غلطه، فلمّا خجل بين الناس قال متعذّراً: كلّ أفقه من عمر حتّى المخدّرات (وفي رواية حتّى ربّات الحجال). ثمّ قال: ألاتعجبوا من إمام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت إمامكم فنضلته.[3]

ومن ذلك ما أظهر منه الغلط في ميراث الأجداد؛ فإنّ أهل السيرة رووا أنّه أفتى في ميراث الجدّ بمئة قضيّة ينقض بعضها بعضاً، فكان يُفتي فيه بشيء ثمّ ينقضه ويرجع عنه ويُفتي بغيره حتّى بلغت فتاويه فيه ذلك القدر[4]، ولهذا قال: أيّ

---

١. وسائل الشيعة: ١٠٨/٢٨؛ مستدرك الوسائل: ٥٥/١٨؛ بحار الأنوار: ٦٧٨/٣٠، ٢٥٠/٤٠، ٤٩/٧٦، ٥٣؛ الإرشاد: ٢٠٤/١؛ دعائم الإسلام: ٤٥٣/٢؛ كشف اليقين: ٦١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٦٢/٢؛ نهج الحقّ: ٢٧٧

٢. النساء/٢٠

٣. بحار الأنوار: ٦٥٥/٣٠؛ الصراط المستقيم: ١٥/٣؛ كشف اليقين: ٦٢؛ نهج الحقّ: ٢٧٧

٤. بحار الأنوار: ٥٨/٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٦/١٢؛ الصراط المستقيم: ٢٠/٣؛ الفصول المختارة: ٢٠٤؛ نهج الحقّ: ٢٤٠، ٢٨٠

سماء تظلّني أو أيّ أرض تقلّني إن قلت في الجدّ برأيـي؟ وروي أنّ ذلـك إنّمـا قاله /٢٣٩ أ/ أبو بكر[١]، وأمّا عمر فقال: من أراد أن يـتقحّم جـراثيم نيـران جهـنّم فليقل في الجدّ برأيه.[٢]

ومن ذلك أنّ رجلاً سأله عن عدّة تطليق الأمة كم هي، فلم يعـرف الجـواب، فقام والسائل خلفه حتّى مرّ بحلقة فيها عليّ عليه السلام، فقال له عمر: كـم عـدّة تطليـق الأمة؟ فأومى له عليّ عليه السلام بإصبعيه، فالتفت إلى السائل فقال: عدّة تطليقها مرّتـان. فتعجّب السائل من ذلك، فقال: يا سبحان اللّه! أتيتك أسـألك عـن مسـألة وأنـت الإمام المتّبع والخليفة المأمون، فلم يكن عندك جواب ما سألتك، ثمّ جئـت إلـى هذا الرجل الأصلع، فسألته عن مسألتي، لم تستحي بين ملأ من الناس، ثمّ إنّه مـا كلّمك ولاعظّمك وإنّما أومى بإصبعيه، فرضيت بذلك منه وانتهيت إلى قولـه، ثـمّ أفتيتني بما قال لك[٣] بالإيماء دون الكلام من هذا الرجـل الـذي فعـل معـك هـذا الفعل وفعلت معه ما فعلت ورضيت منه بما فعل. فقال عمـر: أولاتعرفـه؟ فقـال الرجل: لا. فقال له: إنّه ابن عمّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وزوج ابنتـه وأبـو ولديـه الحسـن والحسين، إنّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أعلم هذه الأمّة بعد نبيّها. فقال السائل: أمّا إذا كان هو ذلك الرجل فلابأس.[٤]

ومن ذلك أنّه أرسل إلى امرأة حامل في أمر عرض له سؤالها عنه، فأجهضـت جنينها لمّا بلغها الخبر خوفاً من بأسه وسطوته، فبلغ الخبر إلى عمر، فلم يعلم ما

---

١. بحار الأنوار: ٣٤٧/٤٠؛ الإرشاد: ٢٠٠/١؛ كشف اليقين: ٦٩

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨١/١

٣. حج (خ ل): بما أفتاك.

٤. عوالي اللآلي: ٢٣٣/١

يلزمه من ذلك، فاستفتى الحاضرين معه، فقالوا: نراك مؤدّباً ولاشيء عليك. وكان عليّ حاضراً مع القوم، فقال له عمر: ما تقول يا أبا الحسن في ذلك؟ فقال عليّ عليه السلام: قد سمعت ما قال لك القوم. فقال عمر: عزمت عليك ليقول ما عندك في ذلك. فقال عليه السلام: إن كان القوم قد راقبوك فقد غشوك وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطؤوا، أرى عليك غرّة وعلى عاقلتك الدية؛ لأنّ القتل خطأ تعلّق بك. فأخذ بقوله ولم يقم من مجلسه حتّى أجرى الدية على آل الخطّاب، وقال: لاعشت لمعضلة ليس لها أبو حسن[1]. إلى غير ذلك من الأحوال.

والغلط الواقع منه في القضايا كثير لو أردنا تعداده لطال الأمر علينا، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه له كافٍ في هذا المعنى في قوله: «يكثر العثار فيها والاعتذار منها».[2]

[تفضيله بعض الناس على بعض في العطاء]

وممّا قدحوا عليه به تفضيله بعض الناس على بعض في العطاء؛ فإنّه لمّا /٢٣٩ ب/ دوّن الديوان وأثبت أسماء أهل العطاء فيه لم يجعل نصيبهم من العطاء متساوياً، بل فضّل بعضهم على بعض فيه بحسب ما يقتضيه رأيه وطبعه وميله، مع أنّ من المعلوم بين الكلّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يفضّل أحداً من الصحابة في قسمة

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٣/١

٢. بحار الأنوار: ٤٩٧/٢٩؛ الاحتجاج: ١٩١/١؛ الإرشاد: ٢٨٧/١؛ الأمالي للطوسيّ: ٣٧٢؛ الجمل: ١٢٦، ١٧١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٤/١؛ الطرائف: ٤١٧/٢، ٤٢٠؛ علل الشرائع: ١٥٠/١؛ معاني الأخبار: ٣٦٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٠٤/٢؛ نهج البلاغة: ٤٨؛ نهج الحقّ: ٣٢٦

الغنيمة والزكاة ومال الجزية وغير ذلك على أحد، بل كان يقسّمه بينهم بالسويّة، لا على قدر بلائهم في الإسلام ولا على جهادهم عن الدين؛ لأنّ فعلهم لم يكن لأجل العطاء، بل كان حمية للدين ونصرة للحقّ وإعزازاً لكلمة الإسلام تقرّباً إلى اللّه تعالى وطلباً لرضائه[1].

وعمر فضّل بعض أهل الديوان على بعض في عطائه، مخالف بذلك فعل النبيّ صلى الله عليه وآله، فهو من جملة البدع التي ابتدعها والأحداث التي أحدثها خلافاً للدين وتغييراً لقواعده وإبطالاً لأعمال المسلمين؛ ليرتدّوا على أعقابهم من حيث لايشعرون. ومن هذا إعطاؤه أزواج النبيّ غير ما يستحقِقنه؛ فإنّه أبدع لعائشة وحفصة في بيت المال في كلّ سنة لكلّ واحدة مئة ألف درهم[2]، ومن المعلوم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله لم يعطهما ذلك وإنّما يجري عليهما النفقة والكسوة على الاقتصاد، فأبدع لهما ما لايستحقّانه؛ لكونهما من أهل مودّته ومحبّته واشتهارهما ببغض آل النبيّ.

ويدلّ على ذلك ما رواه الثقات من أهل السيرة أنّ عليّاً عليه السلام حدث عن نفسه قال: كنت قاعداً يوماً عند عثمان وقد بويع له، إذ أتته عائشة وحفصة تطلبان منه ما كان يعطيهما أبو بكر وعمر في كلّ سنة من بيت المال. فقال عثمان: لاأرى لكما في كتاب اللّه ولاسنّة نبيّه من ذلك شيئاً. فقالتا له: فما بال أبو بكر وعمر كانا يعطياننا ذلك؟ أأنت خير منهما؟ فقال لهما: كانا يعطيانكما بطيبة من أنفسهما،

---

١. حج (خ ل): لمرضاته.

٢. بحار الأنوار: ٤٤/٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٠/١٢؛ الصراط المستقيم: ٢٠/٣؛ نهج الحقّ: ٢٧٩

لاباستحقاق لكما، وأنا نفسي لاتطيب بإعطائكما، فانصرِفا فليس لكما عندي حقّ. فقالتا: إذا منعتنا عطائنا فأعطنا ميراثنا من ضياع رسول اللّه وأمواله التي بيدك.

فقال عثمان: لا واللّه ولاكرامة ولانعِم عين، ولكنّي أجيز شهادتكما على أنفسكما؛ فإنّكما قد شهدتما عند أبيكما أنّكما سمعتما رسول اللّهﷺ يقول: «إنّ الأنبياء لاتورّث، ما تركناه صدقة»[١]. ثمّ بعثتما أعرابياً من قيس جلفاً يتطهّر ببوله مالك بن [أوس][٢] بن الحدثان يشهد معكما لم يكن من أصحاب النبيّ ولا من الأنصار. أما وجدتم من هو أحقّ بالشهادة ليشهد على رسول اللّه غير أعرابيّ؟ أمّا واللّه لاأشكّ أنّه قد كذب على رسول اللّه وكذبتما معه، ولكن أجيز شهادتكما /٢٤٠ أ/ على أنفسكما، اذهبا فلاحقّ لكما وإن كنتما شهدتما بباطل فعليكما وعلى من أجاز شهادتكما على أهل هذا البيت لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين.

قال عليّعليه السلام: ثمّ نظر إليّ وتبسّم وقال: يا أبا الحسن! شفيتك منهما؟ فقلت: نعم! واللّه لقد قلت حقّاً، فلاأرغم اللّه إلّا أنفهما.[٣]

---

١. بحار الأنوار: ١٠٤/٢٨، ٣٥٣، ١٣٤/٢٩، ٣٥٨، ٣٧٧، ٦٢٩؛ إرشاد القلوب: ٣٣٤/٢؛ تفسير القمّيّ: ١٥٥/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٧/١٦، ٢٦٥؛ الصراط المستقيم: ١٨٨/٣؛ الصوارم المهرقة: ١٢٩، ١٤٠؛ فقه القرآن: ٢٤٧/١؛ المسائل الصاغانيّة: ٩٩؛ نهج الحقّ: ٢٦٨، ٥١٨

٢. تش، مر، حج: الحرث. والصحيح ما أثبتناه، كما في: مستدرك الوسائل: ٩١/١١؛ بحار الأنوار: ٣٦٨/٢٩، ٣٧١، ٢٥/٣٢، ١١٧/٤١؛ الأمالي للطوسيّ: ٧٢٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣١/١٢، ٢٢١/١٦ وما بعد؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٩٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٧١/٢

٣. بحار الأنوار: ٣١٧/٣٠؛ كتاب سليم بن قيس: ٣٩٥

وبسبب تفضّل عمر بعض الناس على بعض في العطاء منع أهل البيت من خُمسهم الذي كان يعطيهم إيّاه رسول اللهﷺ بأمر الله حيث أنزل: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ ما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى**﴾[١]، فكان النبيﷺ يعطي بني هاشم خمس الغنائم واستمرّ ذلك إلى زمان خلافة عمر، فمنَعهم منه وقال: إنّ الغنائم قد كثرت وهذا الخمس كثير. فقيل له: إنّ النبيﷺ كان يعطيهم ذلك. فقال: إنّه كان يعطيهم تفضّلاً لااستحقاقاً، وما كانت الغنائم بهذه الكثرة وما حاجة بني هاشم إلى هذا كلّه، بل صرْفه في الكراع[٢] والسلاح والجهاد أولى، وإنّما يكفيهم ما يقوم به أودهم[٣] والباقي يصرف في مصالح الجهاد. فعمل فيهم بذلك الرأي وأخذ الخمس منهم وصرفه في الوجوه التي أرادها وأجرى عليهم قدر الضرورة[٤]، فعل ذلك عناداً لأهل البيت وإضعافاً لهم؛ لئلّا يكثرهم الأموال، فيحسن حالهم. ومن المعلوم أنّ ذلك من المبغضين لهم، مع أنّ دين الإسلام قاضٍ بوجوب محبّتهم وتوفير حقّهم وتعظيم شأنهم، لاينكر ذلك من هو متديّن بالإسلام[٥].

[ابتداعه في قصّة الشورى ما يخالف النصّ والاختيار]

وممّا قدحوا عليه به ما فعله في قصّة الشورى؛ فإنّه ابتدع فيها أمراً ثالثاً

---

١. الأنفال/٤١
٢. هامش حج: أي آلات الحرب.
٣. حج (خ ل): أمرهم.
٤. بحار الأنوار: ٥٦/٣١، ١٤٠/٣٩؛ الاحتجاج: ٩٦/١؛ الفصول المختارة: ٣٤١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٦١/١
٥. حج (خ ل): بدين الإسلام.

مخالفاً للنصّ والاختيار. ومن المعلوم أنّ الطريق إلى الاستخلاف منحصر في أمرين: إمّا النصّ أو الاختيار، لاثالث لهما بالاتّفاق من الكلّ، واخترع هو برأيه طريقاً ثالثاً مخالفاً لهما. ولهذا قال في مرضه الذي مات فيه حين طعنه أبو لؤلؤة: إن أوص فقد أوصى من هو خير منّي ـ يعني أبو بكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي ومن أبي بكر ـ يعني رسول اللهﷺ ـ[١]. ثمّ إنّه عدل عن فعلهما بزعمه وجعل الأمر شورى في ستّة سمّاهم، ثمّ استحضرهم، فشهد لهم أنّهم من أهل الجنّة، ثمّ عاب كلّ واحد منهم بعيب يوجب عدم جواز خلافته، حتّى قال في طلحة: ولقد مات رسول الله وهو ساخط عليك للكلمة /٢٤٠ ب/ التي قلتها في حياته[٢]. ثمّ قال: إن مضت ثلاثة أيّام ولم يتّفقوا على واحد

---

١. بحار الأنوار: ١٤٣/٣٠، ٣٨٥/٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٥/١، ٢٢٠/١٧؛ الكافئة: ٤٦

٢. روي أنّه قال لأهل الشورى ـ وهو يجود بنفسه ـ أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ قالوا: قل؛ فإنّا لو استعفيناك لم تعفنا. فقال: أمّا أنت يا زبير! فوعقة لقس، مؤمن الرضا كافر الغضب، يوماً إنسان ويوماً شيطان، ولعلّها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مدّ من شعير، فإن أفضت إليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً، ومن يكون يوم تغضب إماماً. وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمّة وأنت على هذه الصفة.

ثمّ أقبل على طلحة ـ وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر ـ فقال له: أقول أم أسكت؟ قال: قل؛ فإنّك لاتقول من الخير شيئاً. قال: لقد مات رسول اللهﷺ وهو ساخط عليك للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب. والكلمة المذكورة هي أنّه لمّا نزلت آية الحجاب قال طلحة: ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ.

ثمّ أقبل على سعد بن أبي وقّاص، فقال: إنّما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وسهم، وما زهرة والخلافة وأمور الناس.

ثمّ أقبل على عبد الرحمن بن عوف، فقال: وأمّا أنت يا عبد الرحمن! فلو وزن نصف إيمان ←

فاقتلوهم ودعوا الناس يختاروا لأنفسهم.

[مناقضات تلزم من قصّة الشورى]

وأقول: في هذ القصّة تناقض لزمه من وجوه ثلاثة:

أحدها: شهادته لطلحة أوّلاً أنّه من أهل الجنّة، ثمّ قوله ثانياً: إنّ رسول اللّه مات وهو ساخط عليه. ومن المعلوم بالضرورة أنّ من سخط عليه رسول اللّه ليس من أهل الجنّة، خصوصاً وقد حكم عليه بأنّه مات وهو ساخط عليه، فكيف يصحّ أن يكون ذلك المسخوط عليه من أهل الجنّة؟ وذلك مناقضة صريحة.

والثاني: أنّه أمر بقتلهم إن لم يتّفقوا بعد الأيّام التي عيّنها، وكيف يصحّ قتل من شهد له رسول اللّه ﷺ أنّه من أهل الجنّة؟ فإنّ ذلك القتل المأمور به إن كان لاستحقاقهم إيّاه لم يحصل الجزم بأنّهم من أهل الجنّة؛ لأنّ استحقاقهم للقتل إنّما كان بجريمة كبيرة خرجوا بها عن قواعد الإسلام، وكلّ من كان هذا حاله لايمكن الجزم له بدخول الجنّة. وإن كان بغير استحقاق لهم فكيف صحّ من

المسلمين بإيمانك لرجّح إيمانك، ولكن لايصلح لهذا الأمر من فيه ضعف كضعفك، وما زهرة وهذا الأمر.

ثمّ أقبل على عليّ عليه السلام، فقال: للّه أنت لولا دُعابة فيك. أما واللّه لئن ولّيتهم لتحملنّهم على المحجّة البيضاء والحقّ الواضح.

ثمّ أقبل على عثمان، فقال: هيهاً إليك، كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك، فحملت بني أميّة وبني أبي معيطٍ على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً. واللّه لئن فعلوا لتفعلنّ، ولئن فعلت ليفعلنّ. ثمّ أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي؛ فإنّه كائن (بحار الأنوار: ٣٨٥/٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٥/١، ٣٢٦/٦، ١٤٢/١٢؛ العدد القويّة: ٢٥١).

الخليفة الواجب الطاعة الأمر بقتل جماعة لايستحقّون القتل، بل كانوا معظّمين عند نبيّهم حتّى شهد لهم بالجنّة؟ فيكون ذلك قدحاً صريحاً في الأمر بقتلهم وذلك تناقض ظاهر وتهافت بيّن.

والثالث: أنّه أدخل عليّاًعليه‌السلام في الشورى وأهّله للخلافة وعدّه من جملة المستحقّين لها حتّى قال فيه: للّه أنت أبو الحسن لو لادُعابة فيك، واللّه لو ولّيتهم لحملتهم على المحجّة البيضاء والطريق الواضح. مع أنّه لمّا تنازع أبو بكر وعليّعليه‌السلام على الخلافة لمّا طلبوا عليّاًعليه‌السلام لبيعتهم احتجّ عليهم عليّعليه‌السلام بقرابته وسابقيّته وبما قاله النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله فيه، ادّعى أبو بكر أنّه سمع رسول اللّهصلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: إنّا أهل بيت اختار اللّه لنا الآخرة على الدنيا وأنّ اللّه لم يجمع لنا أهل البيت النبوّة والخلافة[1]. واحتجّ بذلك أبو بكر على عليّعليه‌السلام، فصدّقه يومئذٍ وشهد له بذلك أربعة، أوّلهم عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل، فكيف صحّ منه يومئذٍ أن يشهد أنّ رسول اللّهصلى‌الله‌عليه‌وآله قال: إنّه لم يجمع اللّه لنا النبوّة والخلافة، وفي يوم الشورى أدخل عليّاًعليه‌السلام في الخلافة وأهّله لها؟ فقد جمع لهم بين النبوّة والخلافة وذلك مخالف ومناقض لما شهد به أوّلاً.

ولهذا قال عليّعليه‌السلام لولده الحسنعليه‌السلام ـ وقد لامه على الدخول مع أهل الشورى وقد قال: لاتدخل مع القوم وارفع نفسك عنهم[2] ـ: إنّما أردت بالدخول معهم مناقضة عمر وقوله: إنّه لن تجتمع لنا النبوّة والخلافة، ثمّ إنّه أهّلني لها،

---

١. بحار الأنوار: ٢١١/٢٧، ١٢٤/٢٨، ٢٩٥، ٣١٥/٣٠، ٤٥١/٣١، ٢٦٥/٨٢؛ الاحتجاج: ١٥٠/١؛ العدد القويّة: ٤٨؛ كتاب سليم بن قيس: ٦٣٠، ٦٤٨، ٧٢٦؛ اليقين: ٣١٠

٢. والصحيح أنّ القائل عمّه العبّاس بن عبد المطّلب، كما في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٠/١

فأردت إظهار /٢٤١ أ/ مناقضته للناس.

وتظهر المناقضة أيضاً من وجه رابع وهو أنّه قد قال عمر يوم وصيّته بالشورى: لو كان أحد الرجلين حيّاً ـ أبو عبيدة أو سالم مولى أبي حذيفة ـ لما خالجني فيه شكّ[١]. فقد عيّن أنّ سالماً لو كان حيّاً لما خالجه في استحقاقه للخلافة شكّ ولكان وجب عليه أن ينصّ عليه بها، مع أنّه معلوم عند الكلّ أنّ سالماً لم يكن من قريش، بل كان من الموالي، وهو يناقض ما رووه يوم السقيفة للأنصار من قولهم: إنّ النبيّ ﷺ قال: «الأئمّة من قريش»[٢]. فأبطلوا دعوى الأنصار بهذا الحديث وأخذوا الخلافة منهم؛ لكون محلّها قريش دون باقي قبائل العرب، فكيف يقول بعد ذلك إنّه لايخالجه شكّ في استحقاق سالم للخلافة وإنّه لو كان حيّاً لنصّ عليه بها وسلّمها إليه، مع أنّه ليس من قريش بالاتّفاق؟ وذلك تناقض صريح وتهافت ظاهر. فعلم أنّ شوراه التي ابتدعها كانت مستلزمة لهذه

---

١. بحار الأنوار: ٣٨٣/٢٨، ٧٧/٣١، ٨١، ٣٨٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٩/١، ٤٩/٩؛ الصراط المستقيم: ١٨/٣

٢. الكافي: ٣٤٣/٨؛ بحار الأنوار: ١٣٣/١٨، ١٠٤/٢٥، ١٧٠/٢٨، ٢٦١، ٣٧٨/٢٩، ١٠/٣٠، ٢٩١، ٧٦/٣١، ٨٠، ٨١، ٤٠٧، ٥٤٤، ١٤٦/٤٠؛ الاحتجاج: ١٤٥/١؛ إعلام الورى: ٢٨٨؛ بصائر الدرجات: ٣٣؛ بناء المقالة: ٣٦٥، ٣٩٧،٣٨٥، ٣٩٨، ٣٩٨؛ التحصين لابن الطاووس: ٦٣٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩،٢٤/٦، ٣٠، ٣٧، ٦٣/٧، ٨٤/٩، ٨٥، ٨٧، ٨٦/١٢، ٢٣٤/١٥، ٢٦٥/١٦، ١٦٦/١٧، ٢٦/٢٠؛ الصراط المستقيم: ٨٢/١، ١٠٦/٢، ٢٦٨، ٢٨٦، ٣٠١، ١٠٠/٣، ١٠٩، ١٣١، ١٤٤؛ الصوارم المهرقة: ٥٩، ٦٩، ٧٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٩٠، ٢١٢، الطرائف: ٤٠٠/٢، ٤٨٢؛ العدد القويّة: ٧٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٣/٢؛ الفصول المختارة: ٢٩٩؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٧٧، ٦٣٦؛ كشف الغمّة: ٣٩/١، ٥٥؛ كمال الدين: ٣٢/١، ٢٧٤؛ متشابه القرآن: ٣٣/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١١٠/١، ٣٠٢، ٣٠/٢؛ نهج البلاغة: ٢٠١

المناقضات، بل ومشتملة على مفاسد كثيرة لو استقصينا القول فيها لطال الكتاب، والله الموفّق للصواب.

[منعه النبيّ ﷺ عن الكتاب الذي أراد كتابته لهم في مرض موته]

وممّا قدحوا به عليه منعه النبيّ ﷺ عن الكتاب الذي أراد كتابته لهم في مرض موته؛ فإنّه قد روى مسلم في *صحيحه*[١] والحميديّ في *الجمع بين الصحيحين*[٢] وغيرهما من العلماء والمحدثّين أنّه لمّا احتضر النبيّ ﷺ وكان في البيت رجال منهم عمر بن الخطّاب وجمّ غفير من الصحابة قال النبيّ ﷺ: ائتوني بدواة وبياض (و في حديث آخر: ائتوني بدواة وكَتِف) أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي. فقال عمر: حسبنا كتاب ربّنا، إنّ نبيّكم ليهجر. فاختلف الحاضرون، فقال بعضهم: القول ما قاله النبيّ ﷺ، وقال آخرون: القول ما قاله عمر. فلمّا كثر بينهم اللفظ والاختلاف في البيت نظر إليهم النبيّ ﷺ نظر المغضب وقال لهم: قوموا عنّي، فلاينبغي عندي التنازع. فخرجوا من عنده، فقال بعض من بقي: أنأتي بالدواة والكتف يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: أمّا بعد الذي قلتم فلا، ولكن أوصيكم بأهل بيتي خيراً. وكان ابن عبّاس إذا ذكر هذا الحديث يبكي حتّى تبلّ دموعه الحصى ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! وكان يقول دائماً: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله وبين كتابه[٣]. قال ابن أبي الحديد في شرح *نهج*

---

١. الجامع الصحيح: ٧٦/٥

٢. الجمع بين الصحيحين: ٨/٢

٣. بحار الأنوار: ٤٧٤/٢٢، ٥٣١/٣٠، ٥٣٦؛ الأمالي للمفيد: ٣٦؛ سعد السعود: ٢٩٦؛ الطرائف: ٤٣٢/٢

البلاغة: لولا أنّ عمر علم أنّ رسول اللّهﷺ يموت في ذلك المرض لما جسر أن ينبس في ذلك الكلام بحرف /٢٤١ ب/ ولاقدر أن يفوه منه بكلمة.[١]

[دلالة هذه الواقعة على الطعن على عمر]

وأقول: إنّ هذه الواقعة تدلّ على الطعن على عمر من وجهين:

أحدهما: أنّه قدّم بين يدَي رسول اللّه واختار غير اختياره، مع أنّ اللّه تعالى حرّم ذلك ونهى عنه في كتابه، فقال تعالى: **﴿يا أيُّهَا الّذينَ آمَنُوا لاتقَـدِّمُوا بَـيْنَ يَدَيِ اللّهِ ورَسُولِهِ﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلامُؤْمِنَةٍ إذا قَضَـى اللّـهُ وَرَسُولُهُ أمْراً أنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخيَرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ﴾**[٣]، فكيف صحّ من عمر أن يتقدّم بين يدَي النبيّﷺ مع أمره بالكتاب وطلبه لكتابته لينفي به الاختلاف عن أمّته نظراً منهعليه السلام لما يصلحهم واختياره لذلك، فيمنعه عنه ويحول بينه وبينه ويختار ضدّ اختياره حتّى أوقع بين الصحابة الاختلاف والقيل والقال بحضرة النبيّﷺ الذي هو ضدّ مقصود النبيّﷺ من أمره بكتابة الكتاب، حتّى أنّهم لمّا قالوا له:

---

١. هذا النقل غير صحيح ولاربط له بالمقام، بل أشار الشارح المعتزليّ به ـ بالنقل عن الجاحظ ـ إلى ما جرى في كلام عمر مع أهل الشورى، وهو عابهم بما عابهم، وإليك أصل الكلام: فنظر إليهم [عمر]، فقال: أكلّكم يطمع في الخلافة بعدي؟ فوجموا، فقال لهم ثانية، فأجابه الزبير وقال: وما الذي يبعدنا منها؟ ولّيتها أنت، فقمت بها، ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة. قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ: واللّه لولا علمه أنّ عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة ولاأن ينبس منه بلفظة (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٥/١).

٢. الحجرات/١

٣. الأحزاب/٣٦

أنأتي بالدواة والكتف، قالﷺ: أمّا بعد الذي قلتم فلا. فدلّ على أنّهﷺ علم أنّ المقصود من الكتاب لايقع منهم، فيكون كتابته عبثاً خالياً عن الفائدة ولايجوز فعل ذلك منهﷺ، ولأجل ذلك تركه؛ لأنّ الغرض منه نفي الاختلاف، فلمّا وقع منهم الاختلاف بحضرته وفي بيته قبل موته بل حال توديعه وطلب مرضاته، فكيف ينفعهم الكتاب بعد موته؟

فوقوع ذلك من عمر دليل قلّة مبالاته بالدين وعدم مراعاته للأوامر الشرعيّة وأنّه لم يكن معظّماً للنبيّ ولامحترماً له ولاممتثلاً لأوامره ولامسلماً له في جميع ما يأتي به، واللّه تعالى يقول: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ في ما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لايَجِدُوا في أنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليماً**﴾[1]. فأين الإيمان المتحقّق فيه وفي الجماعة الذين قالوا: القول ما قاله عمر؟ فجعلوا قول عمر هو الحقّ الذي يجب اتّباعه، وقول النبيّ هو الباطل الذي يجب تركه، وذلك هو الكفر الصراح.

والثاني: أنّه لمّا منع النبيّﷺ عن مراده وحال بينه وبين ما أمر به لم يقتصر على ذلك، بل تجرّى عليه ونسبه إلى ما لايجوز عليه، بل شتمه في مقابل وجهه بحضرة أصحابه بقوله: إنّ نبيّكم ليهجر؛ فإنّ معناه أنّه ليهذي ويهذر كحال المبرسمين الذين يهجرون ويهذرون لغلبة المرض والوجع، مع أنّ اللّه تعالى يقول: ﴿**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحى**﴾[2]. وذلك لمن أنصف من نفسه دليل على أنّ القائل لذلك لم يكن ذا عقيدة في الدين ولاقوّة في الإسلام،

---

١. الأنبياء/٦٥

٢. النجم/٤ـ٣

وإلّا فكيف يصحّ من /٢٤٢ أ/ المسلم الموحّد للّه والمقرّ بنبوّة رسوله أن يعترض على نبيّه ويصدّه ويمنعه عن مراده، ثمّ لم يتوصّل إلى ذلك بالنوع الجميل ولابالقول الليّن ولابالتلطّف، بل إنّما توصّل إليه بأخبث الطرق وأوعرها حتّى لزمه مقابلة نبيّه بالكلام الشنيع ومشافهته بالقول الرديء الذي تتنفّر منه الطباع وتنكره العقول؟[1]

بل إن كان صادقاً في ما قال باعتبار ظنّه ووهمه فقد اعتقد في نبيّه جواز خروجه عن العقل وأنّه يأمر الناس بالهوى ومجرّد الطبيعة، وذلك معتقد يخالف النصّ والإجماع. وإن كان كاذباً بأن يكون يعرف في معتقده أنّه ليس هذيان وأنّ أمره كان واقعاً على الصحّة والسداد كان قوله ذلك له شتم؛ لأنّ من قال لصاحبه ـ إذا يجادل معه ـ: تهذي، فقد شتمه في عرف المخاصمات والمنازعات، وذلك على الوجهين خروج عن الإسلام.

والاعتذار بأنّه إنّما أخرج هذه الكلمة على مقتضى الطبع وخشونة الجانب ووعارته لا على اعتقاد له فيها، ضعيف؛ لأنّ التكليف كلّه على خلاف الطبع وكسر القوّة الغريزيّة، فالواجب عليه كسر النفس وترك العادة وخفض الجناح؛ لأنّه مكلّف بذلك مع جملة الناس، فكيف مع نبيّه الذي هو أفضل الأنبياء وأكملهم؟ وإنّما وقع ذلك منه جرأة على اللّه ورسوله وقلّة مبالاته بالأحوال

---

١. هامش تش: على أنّهم رووا هذا الحديث بعبارة أخرى وهي: «ائتوني بدواة وبياض أكتب لأبي بكر كتاباً لايختلف عليه اثنان»، ثمّ قال: «يأبى اللّه والمسلمون إلّا أبا بكر»، وجعلوها من أدلّتهم الدالّة على النصّ على خلافته. وإذا كان هذا الحديث صحيحاً كيف يصحّ من الثاني منعهم من الإتيان بالدواة والبياض في حقّ الأوّل ونسبته عليه السلام إلى الهجر ـ وهو الهذيان ـ وقوله: حسبنا كتاب اللّه؟ تأمّل.

الدينيّة إذا عرضت له الأغراض الدنيويّة. وإنّما غرضه الردّ والعناد لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لما علمه أنّ ذلك الكتاب إنّما هو لبيان منصبهم وإظهار شأن عليّ عليه السلام وذرّيّته، فخاف وقوع ذلك من النبيّ صلى الله عليه وآله، فيفوت كلّ ما دبّره وما قرّره هو وأصحابه من إزواء الإمرة والخلافة عن عليّ عليه السلام وذرّيّته، وذلك ظاهر لمن تدبّر هذه الواقعة وأمثالها وترك العناد والتقليد.

[تمزيقه كتاب أبي بكر في ردّ فدك والعوالي إلى فاطمة عليها السلام]

وممّا قدحوا عليه ما فعله مع فاطمة عليها السلام؛ فإنّ أهل السيرة رووا أنّ أبا بكر لمّا منعها فدك والميراث مشت إليه فاطمة عليها السلام مع جماعة من[1] حفدتها ونسائها، فقالت: أترِثُ أباك يا أبا بكر ولاأرِثُ أبي؟ ثمّ إنّها كلّمته بكلام كثير وحاججته حتّى أنّه رجع عن ذلك وكتب لها كتاباً بردّ فدك والعوالي. فأخذت فاطمة عليها السلام الكتاب ومضت إلى منزلها، فلقيها عمر عند باب المسجد وحولها نساؤها والكتاب بيدها، فقال: ما هذا الكتاب الذي بيدك يا بنت رسول اللّه؟ قالت: كتاب كتبه لي أبو بكر بردّ فدك والعوالي. فقال: أعطيني حتّى أقرأه وأردّه /٢٤٢ ب/ عليك. فناولته الكتاب، فأقبل ينظر فيه، فلمّا أتى على آخره تفل فيه ومزّقه وقال: لايكون ذلك أبداً، إنّ هذا فيء المسلمين، لم يكن لأبي بكر أن يحكم فيه[2].

---

١. حج: ـ من.

٢. بحار الأنوار: ٢٢٦/٢٩، ٢٣٥؛ الاحتجاج: ١٠٢/١؛ بلاغات النساء: ٢٣؛ دلائل الإمامة: ٣٤؛ رسالة حول حديث «نحن معاشر الأنبياء لانورّث»: ٢٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٢/١٦، ٢٥١، ٢٥٧؛ الصراط المستقيم: ٢٨٣/٢؛ الصوارم المهرقة: ١٣١؛ الطرائف: ٢٦٣/١؛ نهج الحقّ: ٢٦٥، ٣٦٠

فقالت فاطمةعليها السلام: بقرت كتابي بقر اللّه بطنك[1].

فكان ما فعله به أبو لؤلؤة إجابة لدعوة فاطمةعليها السلام، وهذا الفعل صريح الدلالة على بغضه لآل الرسول وعناده لهم وعدم رضاه بخير يصل إليهم، وذلك من أعظم الكبائر. مع أنّهاعليها السلام ماتت وهي ساخطة عليه كما كانت ساخطة على أبي بكر؛ فإنّه لمّا بلغه فعل عمر بالكتاب فرح بذلك وقال: إنّما فعلت ذلك حياءً منها ولقد ندمت عليه بعد ما خرجت عنّي، ولكن الحمد للّه كما أنّه وقع في يدك وعملت به ما عملت. والقدح بهذا الفعل وسخطها عليهما تقدّم الكلام عليه.

[أمره قنفذاً بالهجوم على بيت فاطمةعليها السلام]

وممّا قدحوا عليه به أمره قنفذاً بالهجوم على بيت فاطمةعليها السلام بغير إذنها وأنّه أمر قنفذاً بضربها لما حالت بينهم وبين فتح الباب وضغطها بالباب حتّى كان ذلك سبباً لإسقاط حمل كان بها سمّاه النبيّصلى الله عليه وآله محسناً[2]. كلّ ذلك رواه الثقات من أهل

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٤/١٦

٢. الأقوال حول محسن بن عليّ بن أبي طالب مختلفة:

فبعض أهل السير ظنّوا أنّه مات طفلاً. راجع: «فاطمة الزهراء من الولادة حتّى الشهادة»، مجلّة نداء الإسلام: ٤٦/٣؛ تاريخ الأمم والملوك: ١٥٣/٥؛ الكامل في التاريخ: ٣٩٧/٣؛ الإصابة: ٤٧١/٤؛ التبيين: ١٣٣؛ تذكرة الخواص: ١٩٣

وبعضهم ظنّوا أنّه مات وهو رضيع. انظر: نزل الأبرار: ١٣٤

وبعضهم على أنّه مات إثر ولادته. راجع: جمهرة أنساب العرب: ٣٧

وبعضهم ذكروا أنّه كان سقطاً. انظر: الفصول المهمّة: ١٢٦؛ نزهة المجالس: ١٨٤/٢، ١٩٤؛ العمدة: ٧٤؛ مطالب السؤول: ٦٣؛ تهذيب الكمال: ٤٧٩/٢٠؛ العقد الثمين: ٢٠٣/٦؛ أولاد الإمام عليّعليه السلام: ٤٦؛ إسعاف الراغبين: ٩٣؛ مشارق الأنوار: ١٣٣؛ المناقب الثلاثة للفارس الكرّار: ١٢٠؛ الأرجوزة المختارة: ٨٩؛ بطل العلقمي: ٤٧٦/٣؛ رسالة أصول الدين: ٣٠٦؛ ←

السيرة منهم من أهل السنّة الواحديّ والواقديّ. وروى الواقديّ أيضاً أنّهم همّوا بإحراق بيت فاطمةعليها السلام لمّا امتنع عليّعليه السلام عن الخروج إليهم لأجل البيعة[1]. وذلك هو الكفر الخفيّ والمخالفة الظاهرة لما قاله الرسول مبلّغاً عن ربّه. هذا ما أشرنا إليه من القوادح المذكورة في الأصل وله قوادح أخرى كثيرة أعرضنا عن ذكرها مخافة الملالة.

إفحام الأعداء والخصوم: ٩٣/١؛ تلخيص الشافي: ١٥٦/٣؛ عيون الأخبار لقرشيّ الإسماعيليّ: ٦؛ جنّة المأوى: ١٣٣؛ كتاب النقض: ٣١٧؛ مأساة الزهراء: ١٣١/٢

وبعضهم على أن ليس له وجود خارجيّ. راجع: البدء والتاريخ: ٢٠/٥

١. ذهب بعض من لاطريق له إلى التحقيق إلى أنّ إحراق بيت فاطمة مسألة غير مستندة، ما تفوّه بها علماء الشيعة، فضلاً عن أهل السنّة والجماعة. فيا أسفاً عليه وعلى من اتّخذ مذهباً مثله. إنّ كتب الشيعة مشحونة بذكر هذه القضيّة المؤلمة، فإن شئت راجع: تحفة الأبرار: ٢٤٩؛ رسالة أصول الدين: ٣٠٦؛ حديقة الشيعة: ٣؛ جلاء العيون: ٢١٥؛ حقّ اليقين: ١٠٢؛ أنيس المؤمنين: ٥٦٥؛ جوهر مراد: ٥٦٥؛ أنيس الموحّدين: ١٨٠؛ رياض الشهادة: ١٢٢/١؛ الكبريت الأحمر: ٢٧٧

وبعض أهل السنّة قد اعترف به، فراجع: أنساب الأشراف: ٥٨٦/١؛ روضة المناظر: ١٤٦/٧، ١١٣/١١؛ المختصر في أخبار البشر: ١٥٦/١؛ العقد الفريد: ١٣/٥

وأكثرهم قالوا بأنّ ابن الخطّاب اكتفى بالتهديد؛ ليخرج أهل البيت لأخذ البيعة لابن أبي قحافة ولم يحرق البيت. ثمّ هب أنه اكتفى بالتهديد، فأيّ قدح أعظم من التهديد بإحراق بيت فيه سيّدة نساء العالمين وسبطَي الرسول الأمين؟

وقولــه لعلــيّ قالهــا عمــر	ـ أكرم بسامعها أعظِم بملقيها ـ
حرقــت دارك لاأبقــي عليــك بهــا	إن لم تبايع، وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفـص يفـوه بها	أمـام فـارس عدنـان وحاميـها

(ديوان حافظ إبراهيم: ٨٢/١).

واطلب تمام البحث في مصادر خصّت به، منها: *دراسة وتحليل حول الهجوم على بيت فاطمة؛ إحراق بيت فاطمة في كتب المعتبرة عند أهل السنّة* و.... .

[ملاحظات حول عثمان بن عفّان]

قال: وكانت من شوراه التي ابتدعها وخالف الكتاب والسنّة في ابتداعها خلافة عثمان، فحصل منه من البدع ما ظهر وشاع عند الخاصّة والعامّة. فاستبدّ بالأموال ظلماً وآثر بها أهل بيته من بني أميّة دون المسلمين، وحمى المراعي وأخذ عليها الأموال وباعها من المسلمين، وردّ الحكم بن [أبي] العاص بعد أن طرده رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسمّاه الطريد، وأحرق المصاحف غير مصحف ابن مسعود؛ فإنّه منعه فضربه حتّى كسر ضلعه، وضرب عمّار حتّى صار به فتق، ونفى أبا ذرّ من دار هجرته من المدينة إلى الربَذة، وقتِل الهرمزان ظلماً فلم يقد قاتله به، وقصّته مع أهل مصر ـ في الكتاب الذي كتبه إلى عامله على مصر بقتلهم وقتل محمّد بن أبي بكر بعد أن كان قد أعتبهم وأعطى محمّداً عهداً على مصر ـ مشهورة رواها الكلّ وكانت هي السبب في قتله.

وعابوا /٢٤٣ أ/ عليه قسمة الولايات بين أقاربه مع إعلانهم بالفسق، وعمله بالتكبّر ولبس الحرير والذهب وعمل البوقات، وأنّه لم يحضر بدراً ولابيعة الرضوان، وفرّ يوم أحد ثلاثة أيّام، وخذله الصحابة حتّى قتِل في بيته وهو بين أظهُرهم لم يدافع عنه مدافع ولاحمى عنه محام مع كونه خليفتهم، وذلك دليل على عظم أحداثه في الدين[١]. ولهذا بقي بعد القتل ثلاثة أيّام لم يدفن وعليّ عليه السلام حاضر في المدينة يعلم القضيّة[٢] ويشهد الوقعة وهو يومئذٍ شديد الساعدين كثير الأعوان، فلم ينصره ولم يدفع عنه ولانهى عن قتله ولاأنكر على قاتله، فلو لم

---

١. تش (خ ل): الإسلام.

٢. حج (خ ل): القصّة.

يكن مستحقّاً للقتل بسبب أحداثه لكان عليّ عليه السلام تاركاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قدرته على ذلك، فأحد الأمرين لازم: إمّا أن يكون ترك النهي لعدم جوازه، أو تركه مع وجوبه، لكن الثاني باطل بالإجماع، فتعيّن الأوّل وذلك ظاهر بيّن.

أقول: لمّا توطّت الخلافة لعثمان بسبب الشورى التي ابتدعها عمر وبايعه عبد الرحمن بن عوف لطمعه فيه ـ كما طمع عمر من أبي بكر ـ أبدع أيضاً بدعاً كثيرة وغيّر الأحكام تغييراً ظاهراً، فقدح أهل السيرة عليه بأحداثه وتحدّثوا عليه بها.

[استبداده بأموال المسلمين]

فمن قوادحه التي تحدّث بها أهل السيرة استبداده بأموال المسلمين ظلماً منه لحقوقهم، فلم يصرف بيت مال المسلمين في وجوهه الواجب صرفه فيها، بل انفرد بها وصرفها في مصالحه ومصالح أهل بيته من بني أميّة، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «وقام معه بنو أميّة يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع»[١]. حتّى روي أنّه أعطى الحَكَم بن [أبي] العاص الذي كان طريد رسول اللّه صلى الله عليه وآله بعد أن ردّه أربعة [آلاف] [٢] دينار[٣] من بيت المال، وكذا أعطى أربعة من

١. بحار الأنوار: ٥٣١/٢٩؛ الاحتجاج: ١٩٢/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٧/١؛ الطرائف: ٤١٧/٢؛ علل الشرائع: ١٥٠/١؛ معاني الأخبار: ٣٦٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٠٥/٢؛ نهج البلاغة: ٤٨؛ نهج الحقّ: ٣٢٦

٢. تش، مر، حج: ألف.

٣. والصحيح مئة ألف درهم، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٩/١

بني أميّة زوّجهم بناته لكلّ واحد مئة ألف درهم[1]، حتّى أنّ خازن بيت المال[2] جاء إليه وألقى المفاتيح بين يديه لما رآه من كثرة تصرّفه في بيت المال وإسرافه في إعطائه لبني أميّة وقال: هذه مفاتيح المال فأعطها من شئت[3]. فقال له عثمان: ألقها واذهب حيث شئت، أتسخط عليَّ أن وصلت عشيرتي؟ وأخذ المفاتيح ودفعها إلى مروان بن الحكم. إلى غير ذلك من التصرّفات الخارجة عن القانون الذي كان عليه المتقدّمَين.

[حمايته المراعي على الناس]

ومن قوادحه أنّه حمى المراعي على الناس /٢٤٣ ب/ ومنعهم من السوم فيها إلّا بالثمن[4]، فكان يبيعها على المسلمين، فيرعون فيها مواشيهم ويسلّمون له الثمن ـ كما رواه الثقات ـ ومعلوم أنّ المتقدّمَين عليه لم يفعلا ذلك، والذي في الشريعة المحمّديّة صلى الله عليه وآله أنّ الكلأ والماء الناس فيه شرع[5]، ليس لأحد فيه اختصاص على أحد، فيكون ما فعَله مخالفاً للسنّة ولسيرة المتقدّمَين عليه.

[ردّه الحَكَم بن أبي العاص إلى المدينة]

ومن قوادحه ردّه الحَكَم بن [أبي] العاص مع أنّه قد اشتهر عند الكلّ أنّ

---

١. والصحيح أربعمئة ألف دينار كما في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٣/٣؛ الصراط المستقيم: ٣١/٣؛ نهج الحقّ: ٢٩٣

٢. وهو زيد بن أرقم، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٩/١

٣. الجمل: ١٨٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٨/١

٤. بحار الأنوار: ٢٢٧/٣١، ٢٢٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٨/١، ٣٩/٣

٥. روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الناس شركاء في ثلاث: النار والماء والكلأ» (مستدرك الوسائل: ١١٤/١٧).

الحكم بن [أبي] العاص عمّ عثمان كان يحاكي مشية رسول اللّهﷺ وينقصه لبغضه له وكان يفعل ذلك استهزاءً به وسُخريّةً، فرآه النبيّﷺ يوماً وهو يفعل ذلك، فقال له النبيّﷺ ـ وقد غضب لذلك ـ: أتحكيني يا ذا الأبنة؟ اخرج من المدينة، فلاجاورتني فيها حيّاً ولاميّتاً. فطرده هو وابنه مروان ونفاهما إلى بلاد اليمن وبقيا بها منفيَّين مطرودَين مدّة حياة النبيّﷺ.[1]

فلمّا مات وولي أبو بكر طمع عثمان أن يردّهما، فكلّم أبا بكر في ذلك، فزبره وأغلظ عليه وقال: أتريدني يا عثمان أن آوي طريد رسول اللّهﷺ؟ كلّا! لايكون ذلك. فسكت عثمان حتّى ولي عمر، فكلّمه أيضاً في ردّهما، [فأباه][2] عليه وقال: لايكون منّي أن آوي طريد رسول اللّهﷺ وطريد أبي بكر، اعزب عن هذا الكلام[3]. فسكت عثمان، فلمّا ولي واستتمّ له الأمر كتب إليهما بأن اقدما المدينة. فأقدمهما المدينة على رؤوس الأشهاد مكرمين، وخرج فيلقاهما وقال عند ملتقاهما: واللّه ما نفيتما إلّا بغياً وعدواناً. وهذا هو الكفر الصريح والخروج عن الإسلام بالكلّيّة؛ فإنّه لم يكتف بمخالفته لرسول اللّهﷺ حتّى نسبه إلى البغي والعدوان، فنعوذ باللّه من سوء العاقبة.

[جواب المخالفين عن هذه الملاحظات والجواب عنه]

ولقد أجاب بعضهم[4] عن الأوّل بأنّ الأموال التي استبدّ وآثر بها أهل بيته إنّما

---

١. بحار الأنوار: ٥٩/١٨، ٦٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٩/١٥؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٨١/١

٢. تش، مر، حج: فأبا.

٣. الصراط المستقيم: ٣٠/٣

٤. وهو قاضي القضاة، كما في ما يلي من المصادر.

كانت أمواله لأموال المسلمين أو كان أخذها على سبيل القرض[١]. وعن الثاني بأنّه إنّما حمى المرعى لإبل الصدقة[٢]، وعن الثالث بأنّه جاز أن يكون ردّه للحَكَم بإذن رسول اللّهﷺ[٣]، وهذا جواب ضعيف.

وضعف الأوّل ظاهر؛ فإنّ أحداً لايقدح عليه باستيثاره بأموال نفسه ولابإعطائه أهل بيته من أمواله ما شاء؛ فإنّ ذلك لايجوز الذمّ /٢٤٤ أ/ عليه، بل سبيله أن يمدح على ذلك ويثني عليه. ومن المعلوم أنّ المنكرين والقادحين عدّوا ذلك في جملة أحداثه وقالوا له في وجهه: أخذتَ من بيت مال المسلمين كذا وكذا، ولم ينكر ذلك هو ولااعتذر بما اعتذر له هذا المجيب، ولو كان ما قاله حقّاً لكان الواجب على عثمان أن يذكر ذلك ويُجيب به؛ ليتخلّص به من الصحابة الذين أنكروا عليه ذلك الفعل. فلمّا لم يفعل ذلك ولم يجب به، بل قال: أكثبوها[٤] على أعجل لكم ما حضر منها وأسعى في الباقي، عُلم أنّها كانت من أموال المسلمين[٥].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٣/٣

٢. نفس المصدر: ٣٩/٣

٣. نفس المصدر: ٢٩/٣

٤. مر، حج: اكتبوها.

٥. روي أنّ عثمان خرج يوماً حتّى صعد المنبر واجتمع المسلمون لسماع كلامه، فقال: معاشر المسلمين! قد بلغني خوضكم في برّي أهل بيتي وصلتي لهم وحباي لمن حبوت من أهل بيتي وأوليائي وذوي قرابتي. إنّ رسول اللّهﷺ كان من بني هاشم، فحبا أهله ووصلهم وجعل لهم الخمس نصيباً ووفّره عليهم ونحلهم صفو الأموال وأغناهم عن السؤال. وإنّ أبا بكر حبا أهله وخصّهم بما شاء من المال. وإنّ عمر حبا بني عديّ وأصفاهم وخصّهم بالإكرام والإعظام وأعطاهم ما شاء من المال. وإنّ بني أميّة وعبد شمس أهلي وخاصّتي، وأنا أخصّهم بما شئت من المال. أما واللّه لو قدرت على مفاتيح الجنّة لسلّمتها إلى بني أميّة على رغم أنف من رغم (الجمل: ١٨٤).

وكذا الكلام في القرض؛ فإنّه لم يعتذر به، ولو كان في قصده القرض لذكر ذلك وجعله عذراً له مع القوم.

وأمّا الثاني فأضعف؛ فإنّه لو كان الأمر كما زعم المجيب لما أخذ الثمن عليها وجمع منها الأموال، ومن المعلوم أنّه إنّما حماها لأجل البيع لتحصيل المال بدعة ابتدعها وأحدوثة أحدثها ﴿ما أنْزَلَ اللّهُ بها مِنْ سُلْطانٍ﴾[1].

وكذا الثالث؛ فإنّه غير معلوم لأحد، بل المعلوم للكلّ أنّهما طريدا رسول اللّهﷺ، فلو كان إنّما ردّهما بإذنه لذكر ذلك وادّعاه لما عدّدت عليه أحداثه؛ فإنّهم ذكروا ردّهما من جملة الأحداث. وكذا كان ينبغي له أن يذكر ذلك لأبي بكر وعمر لمّا التمس منهما ردّهما وكانا قد منعاه وأغلظا له في القول، فهلّا قال لهما: إنّي استأذنت رسول اللّهﷺ في ردّهما، ليقوم عندهما حجّة؟ ولكنّه لم يذكر ذلك ولاادّعاه عندهما ولا عند أحد من الصحابة وإلّا لنقل كما نقل غيره من أحوالهم.

[إحراقه المصاحف]

ومن قوادحه إحراقه المصاحف التي هي كلام اللّه العزيز الواجب على أهل الإسلام تعظيمه والقيام بحرمته وإنّهم أجمعوا على أنّ من استخفّ بحرمته كان مرتدّاً خارجاً من الإسلام ولاشيء في الاستخفاف أبلغ من الحرق بالنار. فقد نقل أهل السيرة أنّه لمّا أراد اجتماع الناس على مصحفه طلب المصاحف التي في أيدي الناس حتّى جمعها كلّها، ثمّ إنّه أحرقها، وفي رواية أخرى أنّه وضعها في

---

١. يوسفعليه السلام/٤٠؛ النجم/٢٣

قدر وطبخها بالنار حتّى تمزّقت وتفرّقت[١]. ولم يبق منها غير مصحف عبد اللّه بن مسعود؛ فإنّه طلبه منه، فمنعه ولم يسلّمه إليه، فضربه على ذلك حتّى كسر بعض أضلاعه ومنعه عطاؤه وبقي عبد اللّه مريضاً حتّى مات، ودخل عليه عثمان في مرضه وطلب منه أن يحلّه، فلم يرض أن يحلّه[٢].

وكيف صحّ له التهجّم على الكتاب العزيز /٢٤٤ ب/ بهذه الأفعال الشنيعة؟ وكيف صحّ له أن يضرب رجلاً من أكابر الصحابة وفضلائهم وعلمائهم على منعه ملكه لايسلّمه إليه حتّى مات بسبب ذلك الضرب؟ ومن المعلوم للكلّ أنّ كلّ ذلك الفعل مخالف للشريعة محرّم بالكتاب والسنّة.

[ضربه لعمّار بن ياسر]

ومن قوادحه ضربه لعمّار بن ياسر حتّى أخذه الفتق، على ما رواه الثقات من أهل السيرة، أنّ عمّار بن ياسر قام في المسجد يوماً وعثمان يخطب على المنبر، فوبّخه بأحداثه وأفعاله، فنزل عثمان، فركضه برجله حتّى ألقاه على قفاه وداس في بطنه برجله وأمر أعوانه من بني أميّة، فضربوه حتّى غشي عليه، وهو مع ذلك يشتم عماراً ويسبّه وتركه ومضى إلى منزله[٣]. فاحتمل عمّار إلى منزله وهو لما

---

١. بحار الأنوار: ٢٠٦/٣١، ٢٧٠، ٧٧/٨٩؛ سعد السعود: ١٤٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤١/٣؛ القصص للجزائري: ٢٦١

٢. مستدرك الوسائل: ٢٠٤/٤؛ بحار الأنوار: ١٨٨/٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤١/٣، ٤٢

٣. بحار الأنوار: ١٩٣/٣١، ١٩٤، ٢٦٥/٨٢؛ الجمل: ١٨٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٦/٣، ١٠٢/١٠، ٣٥/٢٠؛ الصراط المستقيم: ٢٣٨/٣؛ الطرائف: ٤٩٦/٢؛ نهج الحقّ: ٢٩٦

به، فلمّا أفاق من غشوته دخل عليه الناس، فلامه بعضهم وقال: وما لك والتعرّض لعثمان وقد علمت أفعاله وأحداثه؟ فقال: إنّما حملني على ذلك كلام سمعته من رسول الله ﷺ؛ فإنّه قال: «أفضل الأعمال كلمة حقّ[1] تقولها بين يدَي إمام جائر»[2]، فأردت أن أنال هذه الدرجة، وإنّ لي ولعثمان موقفاً عند الله يوم القيامة.

وحينئذٍ يقال: كيف جاز لعثمان أن يفعل مع خيار أصحاب النبيّ هذه الأفعال المخالفة للشريعة لأجل أنّهم قالوا بالحقّ وأرادوا ردّه عن أحداثه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؟ إنّ وقوع ذلك منه دليل على قلّة التزامه بأحكام الشرع.

قالوا: إنّه كان حاكماً وله أن يؤدّب من يجتري عليه بالكلام القبيح، فكان ذلك منه جزاءً لما فعله؛ **قلنا**: ما قاله عمّار فيه إن كان حقّاً فلايصحّ من عثمان أن يؤدّبه[3] وينتقم منه على قول الحقّ بالإجماع، وإن كان باطلاً كان الواجب عليه أن يجلس أوّلاً، ثمّ يطلب عمّاراً عند جماعة الصحابة والمسلمين، ثمّ يطالبه بإثبات ما نقمه عليه حتّى يثبت عند الكلّ بطلان قوله ويظهر للجماعة ظلم عمّار له، ثمّ يقيم عليه الحدّ إن شاء.

ثمّ إنّا نقول: كيف يصحّ أن يقال: إنّ ما قاله عمّار باطلاً؟ ورسول الله ﷺ

---

١. مص: عدل

٢. الكافي: ٥٩/٥؛ التهذيب: ١٧٧/٦؛ وسائل الشيعة: ١٢٦/١٦، ١٣٤؛ مستدرك الوسائل: ١٨٨/١٢؛ بحار الأنوار: ٧٥/٩٧، ٨٩، ٩٣؛ الخصال: ٦/١؛ روضة الواعظين: ٦/١؛ مشكاة الأنوار للطبرسيّ: ٥١

٣. حج: يؤذيه.

يقول فيه: «عمّار مع الحقّ والحقّ مع عمّار»[1]، وقال فيه أيضاً: «عمّار جلدة بين عيني، تقتله الفئة الباغية»[2]، فعُلم أنّ ما فعله عثمان به مخالف للشريعة ومباين لأحكام الدين.

[نفيه أبا ذرّ عن دار الهجرة]

ومن قوادحه نفيه أبا ذرّ عن دار الهجرة لأجل قوله بالحقّ، وذلك أنّ أهل السيرة رووا أنّ عثمان لمّا أحدث الحوادث أنكر عليه أبو ذرّ وعدّد عليه أحداثه، فلم ينجع فيه ذلك، فصار أبو ذرّ يتحدّث بها في المجالس والمحافل إظهاراً للدين وتعويلاً على المسلمين؛ /٢٤٥ أ/ ليعلم الكلّ أنّ خليفتهم قد افتتن، يحبّ العاجلة وترك العمل بالسنن النبويّة، فعل ذلك أبو ذرّ اتّباعاً منه لأمر اللّه وأمر رسوله في إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فبلغ ذلك عثمان، فأرسل إليه بأن اخرج من المدينة ولاتجاورني فيها. فخرج إلى الشام، فأقام بها يحدّث الناس بما سمعه من رسول اللّه من فضائل أهل بيته، فبلغ خبره معاوية، وكان يومئذ والياً على الشام من قبَل عثمان، فكتب إليه بأنّ أبا ذرّ يحدّث أهل الشام بفضائل عليّ بن أبي طالب وأهل بيته، فإن كان لك بالشام حاجة فلاتدعه بها وإلّا أفسد عليك أهلها.

فاستقدمه عثمان من الشام على بعير مقتب بغير وطاء حتّى لم يصل الحجاز إلّا وفخذاه ينضحان دماً، ثمّ لم يمهله حتّى سيّره إلى الربذة ومنع الناس من

---

١. بحار الأنوار: ٣٤/٤٤؛ رجال الكشّيّ: ٣٠؛ علل الشرائع: ٢٢٣/١

٢. بحار الأنوار: ١٢/٣٣؛ رجال الكشّيّ: ٣٠؛ عوالي اللآلي: ١١٣/١؛ كشف الغمّة: ٢٥٨/١؛ كشف اليقين: ١٦٠

تشييعه، فلم يجسر أحد أن يشيّعه إلّا عليّاً عليه السلام وأولاده وبني هاشم؛ فإنّهم خرجوا مشيّعين له. فاستقبلهم بعض أعوان عثمان من بني أميّة؛ ليردّهم عنه، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام وضرب فرسه بالسوط بين أذنيها، فلم يملك منها شيئاً وردّته إلى المدينة كرهاً. فجاء إلى عثمان وأعلمه بذلك، فأرسل إلى عليّ عليه السلام يعاتبه على ذلك وقال: ضربت فرس رسولي وخالفت أمري، فإنّي نهيت الناس عن تشييعه، فشيّعته أنت وبنو عمّك خلافاً عليّ. فقال عليّ عليه السلام: أمّا ضرب فرس رسولك فإنّه أراد أن يحول بيننا وبين ما وجب علينا من حقّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فدفعناه عن ذلك. وأمّا مخالفتك فما أردنا بتشييعه خلافاً عليك، ولكن حقّ وجب له علينا فآويناه، ولم تستطع أنت ولاغيرك أن يردّنا عن فعل ما أوجب الله علينا. فسكت عثمان.

وبقي أبو ذر رضي الله عنه بالربذة حتّى مات بها فريداً وحيداً طريداً[١]، مع أنّه كان من خيار الصحابة وفضلائها وزهّادها بالاتّفاق، فكيف صحّ من عثمان أن ينفي من كان حبيباً لرسول الله ويأوي من كان له طريداً؟ أليس ذلك منه خلافاً على رسول الله وخروجاً عن دينه؟ بلى! والله لهُو الخلاف المبين والخسران العظيم، ولهذا قال الصحابة لعثمان ـ لمّا عدّدوا عليه أحداثه وقت حصاره ـ: آويت الطريد ونفيت الحبيب، فأيّ أحداث أبلغ من هذه؟

---

١. الكافي: ٢٠٦/٨؛ مستدرك الوسائل: ٩٤/١١؛ بحار الأنوار: ٣٩٥/٢٢ وما بعد؛ ١٧٤/٣١، ١٧٧، ١٨٠، ٢٧٩، ٤٤٩، ٤٨١؛ الأمالي للطوسيّ: ٧١٠؛ الأمالي للمفيد: ٦٩، ١٦١؛ تفسير القمّيّ: ٥١/١، ٥٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٣/٣، ٥٥، ٥٦، ٢٥٢/٨، ٢٥٥، ٢٥٩؛ القصص للراونديّ: ٣٠٦؛ مجموعة ورّام: ٩٣/٢؛ نهج الحقّ: ٢٩٨؛ اليقين: ٥١٦

[امتناعه من إقادة قاتل الهرمزان]

ومن قوادحه /٢٤٥ ب/ قصّة قتل الهرمزان، وذلك أنّ الهرمزان كان من عظماء فارس وكان قد أسر في بعض الغزوات وجيء به إلى المدينة، فأخذه عليّ عليه السلام، فأسلم على يديه، فأعتقه عليّ عليه السلام، وكان عمر قد منعه من قسمة الفيء، فلم يعطه منه شيء بسبب ميله إلى عليّ عليه السلام. فلمّا ضرب عمر في غلس الصبح واشتبه الأمر في ضاربه سمع ابنه عبيد اللّه قوم يقولون: قتله العَلج، فظنّ أنّهم يعنون الهرمزان، فبادر عبيد اللّه إليه، فقتله قبل أن يموت عمر. فسمع عمر بما فعله ابنه فقال: قد أخطأ عبيد اللّه، إنّ الذي ضربني أبو لؤلؤة وإن عشت لأقيدنّه به؛ فإنّ عليّاً عليه السلام لايقبل منه الدية وهو مولاه.

فلمّا مات عمر وتولّى عثمان طالبه عليّ عليه السلام بقود عبيد اللّه وقال: إنّه قتل مولاي ظلماً وأنا وليّه. فقال عثمان: قتِل بالأمس عمر واليوم تقتل ابنه؟ حسب آل عمر مصابهم به. وامتنع من تسليمه إلى عليّ عليه السلام ومنع عليّاً حقّه ظلماً وعدواناً، ولهذا قال عليّ عليه السلام: لئن أمكنني الدهر منه يوماً لأقتلنّه به.

فلمّا ولي عليّ عليه السلام هرب عبيد اللّه منه إلى الشام والتجأ إلى معاوية وخرج معه إلى حرب صفّين، فقتله عليّ عليه السلام في حرب صفّين[1]. فانظر إلى عثمان كيف عطّل حقّ عليّ عليه السلام وخالف الكتاب والسنّة برأيه؟ واللّه تعالى يقول: ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً**﴾.[2]

---

١. بحار الأنوار: ٣٧٣/٣٠، ٢٢٥/٣١، ٢٢٦؛ الأمالي للطوسي: ٧٠٩؛ الجمل: ١٧٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦١/٣، ٥٤/٩؛ نهج الحقّ: ٣٠١

٢. الإسراء/٣٣

[قصّته المشهورة مع أهل مصر]

ومن قوادحه قصّته المشهورة مع أهل مصر، وذلك أنّه لمّا كثرت أحداثه وظهرت بين المسلمين كثرت الشكايات منه ومن عمّاله، فورد إلى المدينة جماعة من أهل مصر يشكون من عامله عليهم عبد اللّه بن أبي سرح، وقدم جماعة من أهل الكوفة يشكون من عاملهم الوليد بن [عقبة][١]، واتّفقوا جميعاً مع جملة أهل المدينة من المهاجرين والأنصار الذين نقموا عليه الأحداث. فأرسلوا إليه عليّ عليه السلام واستسفروه في ما بينهم، فكلّمه عليّ عليه السلام في أمرهم، فأعتبهم وعزل عن أهل مصر عامله وقال: يختاروا لأنفسهم من شاؤوا. فقالوا: نريد محمّد بن أبي بكر، فاستعمله على مصر وكتب له بها عهداً بحضرة الكلّ، وكذلك عزل عامله عن أهل الكوفة، فأقام لهم غيره.

ثمّ إنّ أهل مصر خرجوا مع عاملهم محمّد بن أبي بكر متوجّهين إلى مصر، فلمّا خرجوا من المدينة بقريب ثلاثة فراسخ رأوا غلاماً لعثمان على جمل له وهو يسرع الركض متوجّهاً /٢٤٦ أ/ نحو مقصدهم، فاسترابوا منه، فركضت عليه الخيل، فقبضوه وجاؤوا به إلى محمّد بن أبي بكر، فقال: ما خبرك؟ قال: أرسلني عثمان في غرض له وحاجة مهمّة. فقالوا: ما هو ذلك الغرض؟ فأبى أن يخبرهم بشيء. فقال لهم محمّد: فتّشوه، لعلّ معه كتاباً. ففتّشوه فلم يجدوا معه شيئاً، فنظر محمّد إلى إداوة كانت معه معلّقة على الجمل، فقال: إن كان معه شيء فهو في هذه الإداوة، ففتّشوها. فقالوا: إنّها ملآنة من الماء. فقال محمّد: ائتوني بها. فأتوه بها، فصبّ الماء منها، ثمّ حرّكها، فسمع في أسفلها شيء يتقلقل، فأخرج محمّد

---

١. تش، مر، حج: عتبة.

سكّيناً معه وشقّ أسفل الإداوة، فوجد فيه كتاباً مختوماً مشمّعاً بالشمع لئلّا يضرّه الماء، ففتحه محمّد فقرأه، فوجد فيه كتاباً إلى عامله أنّك متى قدم عليك محمّد بن أبي بكر وأصحابه المصريّين فاقتلهم واصلبهم وابق على عملك.

فأخذ محمّد الكتاب والغلام والجمل ورجع هو وأصحابه المصريّون إلى المدينة، فوجدوا أهل العراق وهم يتجهّزون للخروج مع عاملهم إلى الكوفة، فلمّا رأوا أصحابهم المصريّين قالوا: ما بالكم رجعتم وما الذي ردّكم؟ فقالوا: أمر فضيع وخطب جسيم. وحدّثوهم بالواقعة، فاجتمع المصريّون مع العراقيّين ومعهم محمّد بن أبي بكر وغلام عثمان وجَمله حتّى دخلوا المسجد واجتمعوا مع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، فأرسلوا إلى عليّ عليه السلام واستحضروه معهم وأخرج محمّد بن أبي بكر الكتاب وقرأه على الناس وحدّثهم بقصّته مع الغلام وكيف استخرجه من الإداوة، ثمّ قال: وهذا الغلام وهذا جَمله واقفاً على باب المسجد.

فتعجّب عليّ عليه السلام من ذلك وجميع الحاضرين، ثمّ قاموا بأجمعهم ودخلوا على عثمان وهو في منزله، فحدّثه عليّ عليه السلام بجميع ما جرى وأقرأه الكتاب وأحضر الغلام والجمل بين يديه وقال: الناس استسفروني، ثمّ إنّك أعتبتهم على يدي، ثمّ تكتب بهذا الكتاب الشنيع وتعمل هذا الأمر الفضيع؟ فقال عثمان: أمّا الغلام فغلامي والجمل فجملي والكتاب خطّ كاتبي والخاتم خاتمي وأمّا الكتاب فلاعلم لي به. فقال عليّ عليه السلام: يا سبحان اللّه العظيم! كيف يخرج غلامك على جملك بخطّ كاتبك وخاتمك وأنت لاتعلم؟ هذا ما لايجوز على ذوي العقول. فأصرّ عثمان على ذلك القول، فقام عليّ عليه السلام مغضباً وخرج الناس بخروجه وهاج الناس وتحدّثوا بذلك وكان بعد ذلك حصارهم إيّاه وكانت هذه الواقعة هي

السبب الأقوى في قتله.[١]

[قسمته الولايات بين أقاربه من بني أميّة]

ومن قوادحه قسمته الولايات /٢٤٦ ب/ بين أقاربه من بني أميّة، فاستعملهم على البلاد، فأظهروا فيها الفساد واستعملوا الفسق وشرب الخمر وأخذ الأموال من غير حلّها، حتّى أنّه استعمل على الكوفة الوليد، فشرب الخمر جهاراً وخرج إلى الجامع وهو مخمور، فصلّى بالناس الظهر وهو سكران، فصلّى الظهر سبعاً والتفت إلى الناس فقال: أزيدكم؟ فعلموا أنّه سكران، ثمّ إنّه قاء الخمر في المحراب، فأخرجوه من المسجد محمولاً لايعقل. وقال فيه [الحطيئة][٢] الشاعر:

شهد الحُطَيئة يوم يلقى ربّه أنّ الوليد معاقر الخمر

صلّى بهم سبعاً وقال: أزيدكم إن شئتم، فأكملتُها العشر[٣]

وقدم أهل الكوفة إلى المدينة، فشهدوا على الوليد بشرب الخمر وأنّه قاءها في المحراب، فاستحضره عثمان ولم يقم عليه الحدّ أحد خوفاً من عثمان، فقام عليّ عليه السلام، فجلده بمجلس عثمان وقال: لايضيّع حدّ اللّه وأنا حاضر.[٤]

---

١. بحار الأنوار: ٣٧٤/٣٠، ١٤٩/٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤٢/٢، ١١/٣؛ الصراط المستقيم: ٢٠/٣؛ نهج الحقّ: ٢٩٠

٢. تش، مر، حج: الحطية (وكذا ما يليه).

٣. ديوان الحطيئة (مع تصرّف): ٨٥

٤. الكافي: ٢١٥/٧؛ التهذيب: ٩٠/١٠؛ وسائل الشيعة: ٢٢٦/٢٨؛ بحار الأنوار: ٣٨٣/٢٣، ٩١/٤٤، ٩٩/٧٦، ١٦٣، ٢٤٣/١٠١؛ الأمالي للصدوق: ٤٩٠؛ تأويل الآيات: ٤٦٣؛ الجمل: ١٧٧، ٣١٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢٩/٢، ١١/٣، ١٩، ٢٢٧/١٧؛ الصراط المستقيم: ٣٠/٣؛ كتاب سليم بن قيس: ٨١١؛ كشف الغمّة: ١٢١/١؛ المسائل الصاغانيّة: ١٣٥؛ المناقب لابن ←

وكذلك استعمل عبد اللّه بن أبي سرح على أهل مصر، فظلمهم وأخذ الأموال من غير حلّها[1]، حتّى شكوا منه وعدّوا عليه الصحابة استعماله لبني أميّة على المسلمين من جملة أحداثه، وقالوا: استعملت الفسّاق على المسلمين وتركت الصالحين والأخيار من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، فلم يستعمل أحد منهم.

وولّى مروان بن الحكم الطريد بن الطريد على الكوفة وعلى بيت المال وأحدث الأحداث العظيمة، وكانت واقعة محمّد بن أبي بكر مع أصحابه المصريّين برأي مروان. إلى غير ذلك ممّا جرى من عمّاله من بني أميّة من البدع العظيمة المعطّلة لأحكام الدين.

[عمله بالتكبّر وإظهاره لأعمال الجبابرة]

ومن قوادحه عمله بالتكبّر وإظهاره لأعمال الجبابرة وتزيينه بزيّ الجاهليّة والملوك خلافاً لما كان عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه[2] من التواضع والزهد وطريقة الصلحاء. فاستعمل الحُجّاب والغلمان ولبِس الحرير وتزيَّن بالذهب وضرب البوقات على بابه، وكلّ هذه أعمال مخالفة للشريعة الأحمديّة وما كان عليه الصحابة والخلفاء المتقدّمَين عليه، ولهذا نقموا عليه وظهر بين المهاجرين والأنصار فسقه وطلبوا منه الاعتزال عن إمرتهم، فأبى، فقتلوه؛ لعلمهم باستحقاقه لذلك وأنّ الخلافة لايجوز لمن هو معلن بالفسق.

شهر آشوب: ١٤٧/٢

١. بحار الأنوار: ١٢٩/٣٠، ١٤٩/٣١، ١٥٤، ٢٦١؛ تفسير العيّاشيّ: ٢٨٠/١؛ تقريب المعارف: ١٦٣؛ الجمل: ١٣٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١/٣؛ الغارات: ١٢٤/١

٢. حج (خ ل): الصحابة.

[غيبته يوم بدر وبيعة الرضوان وفراره يوم أحد]

ومن قوادحه عيبهم إيّاه بأنّه لم يحضر غزاة بدر التي كانت أوّل حرب امتحن به المؤمنون، فجلس في بيته وتعلّل /٢٤٧ أ/ بمرض زوجته[١]. وكذلك بيعة الرضوان لم يحضرها وتخلّف عنها متعلّلاً بموت زوجته[٢]، مع أنّ اللّه تعالى يقول في أهلها: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾[٣]، فكان محروماً من ذلك الرضا.

ويوم أحُد انهزم وفرّ من الزحف أقبح فرار، حتّى أنّه بقي في هزيمته مدّة ثلاثة أيّام لايلتفت إلى ورائه، حتّى وصل إلى قرية قريب مكّة يقال لها السوارقيّة[٤]. ولمّا رجع إلى المدينة بعد أن علم بسلامة النبيّ صلى الله عليه وآله قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: لقد ذهبت فيها عريضة يا عثمان[٥]. ولم يردّ جواباً خجلاً ممّا فعله، وكلّ هذه كبائر قادحة في عدالته.

[إجماع الصحابة على قتله واستحلالهم لدمه]

ومن قوادحه أنّ الصحابة بأجمعهم أجمعوا على حربه؛ لأجل أحداثه التي

---

١. بحار الأنوار: ٢٠٢/٢٢، ٢١٠/٣١؛ الأمالي للمفيد: ١١٤؛ إعلام الورى: ١٣٩؛ الجمل: ١٢٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١/١٥؛ الصراط المستقيم: ٢٤/٣

٢. بحار الأنوار: ٢٣٥/٣١، ٢٥٤، ٢٩٧؛ الأمالي للمفيد: ١١٤؛ الجمل: ١٢٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٥/١، ٦٨/٣، ٢١/١٥؛ الصراط المستقيم: ٢٤/٣؛ العدد القويّة: ٢٠٠

٣. الفتح/١٨

٤. وفي المصادر أنّه هرب إلى الأعوص.

٥. بحار الأنوار: ٨٤/٢٠، ١٣٨، ١٤٤؛ الإرشاد: ٨٢/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١/١٥؛ عين العبرة: ٣٥؛ كشف الغمّة: ١٩٣/١

نقموها عليه، وكانوا يومئذٍ بين خاذل وقاتل حتّى قتلوه في بيته بين وُلده ونسائه في المدينة ودار الهجرة، ومنعوه من الماء ثلاثة أيّام وهو بين ظهراني المسلمين، مع أنّه خليفتهم وإمامهم، لم يحم عنه منهم محام ولا له منهم قائم مع كونه بين ظهرانيهم، وذلك دليل على إجماعهم على قتله واستحلالهم لدمه، كما أجمعوا على خلافته، حتّى قال بعض العلماء: إنّ المُجمِعين على قتل عثمان كانوا أكثر من المجمعين على بيعته. وما ذاك[1] إلّا لعظم أحداثه، حتّى بقي ثلاثة أيّام مرميّاً على الكناسة بعد قتله، لم يجسر أحد أن يدفنه، حتّى قام ثلاثة نفر من بني أميّة[2]، فأخذوه بالليل بعد انتصافه سرقة ودفنوه لكي لايعلم بهم أحد[3]. وذلك دليل على

---

١. حج: ذلك.

٢. بقي عثمان ثلاثة أيّام لايدفن، ثمّ إنّ حكيم بن حِزام وجبير بن مطعم كلّما عليّاًعليه السلام في أن يأذن في دفنه، ففعل. فلمّا سمع الناس بذلك قعد له قوم في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله، ومعهم الحسن بن عليّعليه السلام وابن الزبير وأبو جهم بن حذيفة بين المغرب والعشاء، فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة، يعرف بحشّ كوكب وهو خارج البقيع. والحشّ هو المخرج، وكان ذلك الموضع بستاناً كان الناس يقضون الحوائج فيه كما هو دأبهم في قضاء الحاجة في البساتين، وكوكب اسم رجل من الأنصار.

ثمّ إنّهم دفنوه بعد ما ذهب الكلاب بإحدى رجليه، وصلّى عليه حكيم بن حزامٍ أو جبير بن مطعمٍ. وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه، فأرسل عليّعليه السلام، فمنع من رجم سريره، وكفّ الذين راموا منع الصلاة عليه، ودفن في حشّ كوكب. فلمّا ظهر معاوية على الإمرة أمر بذلك الحائط، فهدم وأدخل في البقيع، وأمر الناس ليدفنوا موتاهم حول قبره حتّى اتّصل بمقابر المسلمين بالبقيع. وقيل: إنّ عثمان لم يغسّل، وإنّه كفّن في ثيابه التي قتل فيها (بحار الأنوار: ١٦٧/٣١، ١٦٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٧/٢، ٥/١٠).

٣. بحار الأنوار: ١٦٦/٣١ وما بعد، ٣٠٤، ٣٠٧، ٤٩٣، ٢٩٧/٤٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٧/٢، ٥/١٠، ١٣/١٦، ٢١٨/١٧؛ العدد القويّة: ٢٠٠؛ مسار الشيعة: ٣٩

عظم أحداثه وكبر معاصيه بحيث لم يبق في المسلمين له راحم ولاصديق علموه منه وسوء صنيعته في الإسلام وأهله. ويكفيك في ذلك إعراض عليّ عليه السلام عن نصرته مع قدرته على ذلك، حتّى أرسل إليه يقول:

فإن كنت مأكولاً فكن أنت[١] آكلى وإلّا فأدركنى ولمّا أمزّق[٢]

فلم يجبه بشيء وسكت عنه ولم يدافع ولم يحام عنه بيد ولابلسان، مع كونه يومئذٍ قويّ الساعدين كثير الأعوان، فلولا أنّه كان مستحقّاً لما فعلوه به لكان أمير المؤمنين عليه السلام مخلّاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تمكّنه منه، وذلك غير جائز بالإجماع. فترك عليّ عليه السلام بجانب عثمان وإهماله إيّاه مع تمكّنه من الدفع عنه دليل قاطع على استحقاق عثمان لما فعِل به، وذلك دليل على عظم أحداثه، بل على عدم إسلامه، وذلك ظاهر بيّن لذوي العقول السليمة من آفة التعصّب والتقليد، ﴿**وَاللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾[٣]. /٢٤٧ ب/

[إثبات اتّصاف صاحبي هذه القوادح بالظلم]

قال: وإذا ثبت اشتمال من ادّعى له الخلافة والولاية غير عليّ عليه السلام على هذه المفاسد واتّصافه بهذه القوادح كان بالضرورة موصوفاً بالظلم.

أمّا أوّلاً: فلأنّ الظلم لغةً النقص، وهذا عين النقص؛ لأنّ هذه القوادح أضداد للكمالات، وكلّ ما هو ضدّ الكمال نقص وإلّا لما كانت قوادح، هذا خلف.

وأمّا ثانياً: فلأنّ الظلم في الاصطلاح مخالفة الشرع والعمل بما نهى اللّه عنه،

---

١. مص: خير

٢. ديوان الممزّق العبديّ: ٦

٣. الأحزاب/٤

وهذه القوادح المعدودة كلّها مشتملة على مخالفة الأحكام الشرعيّة التي جاء بها النبيّ الكريم ونزل به القرآن العظيم وإلّا لم تكن قادحة ولامَعيبة ولما صحّ إيرادها في معرض الذمّ وعدم الصلاحيّة لمرتبة الولاية؛ لكونه حينئذٍ خالياً عن الفائدة، هذا خلف.

[إثبات عدم صلاحيّة صاحبي هذه القوادح للخلافة]

فالموصوف بها بالضرورة يكون ظالماً، فيكون غير عليّ عليه السلام ظالماً، والظالم لايصلح للولاية.

و[1] الصغرى ظاهرة بعد ثبوت هذه القوادح؛ لثبوت نقلها عن رجالها والرواة لها؛ فإنّها مرويّة بطريق رجالها من أهل السير[2] والذنب فيها عليهم، فقد شرك في روايتها جماعة من علماء الجمهور من أهل التواريخ والمحدثّين.

وأمّا الكبرى فلقوله تعالى: ﴿**لايَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ**﴾[3]، والمراد بالعهد الإمامة والولاية؛ لأنّ صدر الآية دالّ على ذلك؛ فإنّه لمّا قال تعالى لإبراهيم مبشّراً له: ﴿**إنّي جاعِلُكَ للنّاسِ إماماً**﴾[4] فرح إبراهيم بما أنعم اللّه عليه، فسأله ثبوت الولاية والإمامة في ذرّيّته وعدم إخراجها عنهم استيفاءً[5] لمراتب الكمال بقوله: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتي**﴾[6]، فأجابه الجليل مبشّراً له ومجيباً لسؤاله بقوله: ﴿**لايَنالُ عَهْدِي**

---

١. حج: أقول.
٢. حج: السيرة.
٣. البقرة/١٢٤
٤. نفس المصدر.
٥. حج (خ ل): استبقاءً.
٦. نفس المصدر.

الظّالِمينَ﴾، أي لاتنال الإمامة التي جعلتُها لك من كان ظالماً من ذرّيّتك. فعلم من الآية أمران:

أحدهما: أنّ الإمامة لاتكون إلّا في ذرّيّته.

والثاني: أنّه لاينالها مِن عند اللّه مَن هو موصوف بالظلم منهم.

فعلم أنّ كلّ ظالم من ذرّيّة إبراهيم لايصلح[1] أن ينال الإمامة والولاية من قبَل اللّه تعالى ولايكون ممّن رضي اللّه بإمامته وولايته، وإلّا لزم الكذب في خبره، هذا خلف. فكلّ ظالم تولّى أمور المسلمين باستيلائه وقهره وكثرة أعوانه وأنصاره لايكون إماماً من اللّه ولا ممّن رضي اللّه بإمامته، وإلّا لكان قد جعله إماماً. وكذا لايكون مجعولاً من رُسُله ولا من خواصّ أوليائه؛ لنصّ /٢٤٨ أ/ الآية الدالّة على أنّ اللّه تعالى لايجعل الإمامة ولاينالها منه من كان ظالماً، وغير المعصوم موصوف بالظلم؛ لأنّ من لم يتّصف بالعصمة لايتّصف بالاستقامة والاعتدال المتّصفين بهما أهل الولاية عن اللّه، فيتحقّق فيه الميل عن الوسط، وذلك هو عين الظلم بسبب الخروج عن الصراط المستقيم، فيكون من أحد الجانبين: إمّا من المغضوب عليهم أو الضالّين ـ كما مضت الإشارة إليه ـ فغير عليّ لايصلح للولاية ولاتصلح الولاية له؛ لتحقّق ظلمه، فثبت[2] الولاية لعليّ عليه السلام؛ لثبوت عصمته المستلزم لاستحالة اتّصافه بالظلم، وذلك ظاهر تشهد به العقول السليمة من تقليد السلف وحسن الظنّ بأفعالهم؛ فإنّ ذلك هو الداء الذي لادواء له، وباللّه التوفيق.

❊

---

١. تش: لايصحّ.

٢. حج (خ ل): فتثبت.

[استمرار الإمامة بعد عليّ عليه السلام]

قوله: ولابدّ من القائم بالحجج والبيّنات في جميع أزمان التكليف؛ للعلّة المذكورة أوّلاً. فبعد عليّ عليه السلام القائم بها ولده الحسن عليه السلام، ثمّ بعده أخوه الحسين عليه السلام، الأوّل مستودع والثاني مستقرّ، فبعده كانت الإمامة في وُلده، ففي عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد الباقر ابنه، ثمّ في جعفر الصادق ابنه، ثمّ في موسى الكاظم ابنه، ثمّ في عليّ الرضا ابنه، ثمّ في محمّد الجواد ابنه، ثمّ في عليّ الهادي ابنه، ثمّ في الحسن العسكريّ ابنه، ثمّ في الخلف المهديّ ابنه؛ لثبوت ذلك بالنصّ المتواتر من النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم بأسمائهم وكُناهم نقلته الإماميّة، وكذا نقلوا النصّ مِن كلّ واحد منهم على مَن بعده نقلاً متواتراً في ما بينهم، مع اتّصاف كلّ واحد منهم بالفضائل الموجبة له التقديم على أهل زمانه وحصول عصمتهم الموجبة لإمامتهم. ودعواهم الإمامة مع ظهور المعجزة على أيديهم منقول بين الإماميّة لايختلفون فيه، فيجب القول بإمامتهم؛ لقيام الحجّة.

[غيبة الثاني عشر منهم وسببه]

والثاني عشر منهم باقٍ موجود من زمان موت أبيه العسكريّ عليه السلام إلى آخر زمان التكليف؛ لوجوب وجود الحجّة في كلّ وقت؛ لوجوب اللطف عامّاً، فلايختصّ ببعض الأزمنة. وغيبته لاتمنع من لطفيّته؛ لانتفاع الخلق به كما ينتفع بالشمس من تحت حجاب الغَيم.

وسبب الغيبة ليست من الله؛ لحكمته، ولا من الإمام؛ لعصمته، فيكون من الأمّة، فلأجل كثرة عدوّه منهم وقلّة ناصره خاف على نفسه، فوجب الاستتار إلى وقت زوال السبب وما لم يزل لم يزل، أو تكون هناك مصلحة لانعلمها اقتضت الاستتار، فيدوم حتّى تزول. ومن استبعد بقاءه هذه المدّة الطويلة[1] فقد أبعد وأحال لحصوله في غيره، ففيه أولى[2]، فكيف يستبعد فيه ما وقع في غيره لولا العناد؟

[وجوب اعتقاد إمامتهم بالنصّ وعصمتهم وأفضليّتهم]

ويجب على كلّ مكلّف اعتقاد إمامة هؤلاء المذكورين بالنصّ، واعتقاد عصمتهم وأفضليّتهم، واعتقاد وجود الثاني عشر منهم وبقائه وظهوره بعد الغيبة؛ للنصوص الدالّة على ذلك، /٢٤٨ ب/ واعتقاد أنّ فاطمة عليها السلام معصومة؛ لدخولها في آية التطهير الموجبة لإذهاب الرجس عنها، ولمنع أذاها بالحديث الموجب لعصمتها وإلّا لصحّ، وتجب محبتها؛ لأنّها من أولي القربى[3]، فهو من شعائر الإيمان.

[تعيُّن الإمامة في ذرّيّة عليّ عليه السلام منساقة فيهم واحد بعد واحد]

قال: لمّا كان بناء مذهب الإماميّة ـ الذين هم الطائفة الاثنا عشريّة ـ على وجوب انحصار الأئمّة في اثني عشر بالروايات الصحيحة المرويّة بطريق التواتر

---

١. مو: ـ الطويلة.

٢. مو: + وقد وقع في الأزمنة السالفة من المعمّرين من السعداء والأشقياء من هو أزيد من عمره بأضعاف.

٣. مو: + الذين أمر الله بمودّتهم وجعله أجر الرسالة بنصّ القرآن، فيجب تعظيمها ومحبّتها.

في ما بينهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، وكان أوّلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالأدلّة السابقة وتعيّنت الإمامة في ذرّيّته منساقة فيهم واحد بعد واحد، «كلّما خوى نجم طلع نجم»[١ و٢]، حتّى اندرج بالعدد إحدى عشر إماماً وجب في قواعدهم بقاء الثاني عشر وكونه موجوداً من حين ولادته، وإنّ الإمامة انتقلت إليه من حين موت أبيه الحسن العسكريّ إلى زماننا هذا. فعندهم إنّه الإمام القائم المهديّ وإنّه ابن العسكريّ وإنّه حيّ من حين ولادته وهي سنة ستّ وخمسين ومئتين إلى هذا الوقت، بل ويجب بقاؤه إلى آخر زمان التكليف على ما تقرّر في قواعدهم، وهذه المدّعيات بعد ثبوت أصولهم ظاهرة.

[الأصول التي تبتني عليها هذه المدّعيات]

والأصول التي تبتني عليها هذه المدّعيات هي ثبوت الحسن والقبح العقليّين ووجوب التكليف عقلاً[٣]، ووجوب نصب الإمام على اللّه عقلاً كما وجبت بعثة الأنبياء عقلاً، وأنّه لايجوز خلوّ الزمان عن الإمام وإلّا لخلا الزمان عن اللطف، ووجوب عصمة الإمام وكونه منصوصاً عليه وكونه أفضل الخلق بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وثبوت النصّ والعصمة والأفضليّة لعليّ عليه السلام، ووجوب انحصار الأئمّة في اثني عشر. وجميع هذه الأصول حقّقها علماء هذه الطائفة في مصنّفاتهم وقرّروها مع

---

١. حج: + آخر.

٢. مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في: بحار الأنوار: ٢١٤/٣٤، ٢١٥؛ تأويل الآيات: ١٧٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨٤/٧، ٩٣؛ عوالي اللآلي: ٨٥/٤؛ نهج البلاغة: ٣٣، ١٤٥

٣. حج: كذلك.

جميع قواعدهم الأصوليّه بالبراهين القاطعة، وقد أشرنا في ما سلف من هذه الرسالة إلى بيان جميعها بما سنح من الأدلّة بحسب الوقت.

[الأقوال في الإمامة بحسب اشتراط النصّ والعصمة والأفضليّة]

وإذا ثبتت هذه القواعد وجب انسياق الإمامة في ذرّيّة عليّ عليه السلام دون غيره بغير خلاف بين الأمّة؛ فإنّ الناس قائلان[1]:

قائل بأنّ الولاية بعد النبيّ صلى الله عليه وآله /٢٤٩ أ/ ليست بالنصّ ولاتشترَط فيها العصمة ولا الأفضليّة وإنّما هي بالاختيار والبيعة. وهذا يقول: إنّ الولاية لأبي بكر ولم تنحصر عنده في ذرّيّة عليّ عليه السلام ولا في بني هاشم، بل يصحّ أن تكون في سائر قبائل قريش، ولاينحصر عدد الخلفاء عندهم في عدد معيّن وإن كانوا لايسمّون الخلافة إلّا لأربعة ويرون أنّها بعد الأربعة صارت ملكاً مخصوصاً.

وقائل يشترط النصّ والعصمة والأفضليّة، وهذا يقول: إنّ الولاية لعليّ عليه السلام وإنّها منحصرة في ذرّيّته. ولاثالث لهما.

وحينئذٍ نقول: قد تحقّق عند الطائفة الاثني عشريّة بطريق الرواية الصحيحة المتواترة المفيدة للقطع واليقين أنّ الإمامة بعد نبيّنا[2] صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام، ثمّ بعده في أولاده بطريق النصّ من النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم بأسمائهم وكُناهم وألقابهم، ثمّ من كلّ واحد منهم على من بعده واحداً بعد واحد، ثمّ يستدلّون بطريق النصّ والعصمة والأفضليّة والدعوى وظهور المعجزة.

---

١. مر، حج: ـ قائلان.

٢. مر، حج: + محمّد.

[وجوب القول بوجود الثاني عشر منهم وبقائه إلى آخر زمان التكليف]

وبالجملة الأدلّة الدالّة على إمامة عليّ عليه السلام بعينها دالّة على إمامة القائمين بالأمر بعده من ذرّيّته عليهم السلام إلى أن انتهى ذلك إلى الثاني عشر منهم المعروف بالمهديّ وبالمنتظَر وبالقائم وإنّه ابن الحسن العسكريّ. ولهذا قالوا بوجوب بقائه من ذلك الوقت إلى آخر زمان التكليف بناءً على القواعد السالفة؛ إذ لولا بقاؤه لزم انخرام أحدهما، لكن انخرام شيء منها محال؛ للبرهان الدالّ على ثبوتها وتحقّقها، فوجب القول بوجود الثاني عشر وبقائه إلى آخر زمان التكليف، وذلك ظاهر بيّن.

ولهم[1] على وجوده وبقائه بل على الانحصار في الاثني عشر وعلى النصّ عليهم بأسمائهم وأنّ الثاني عشر هو المهديّ وأنّه يملك الأرض كلّها ويظهر دعوته لعامّة الخلق، فيدعوهم إلى دين محمّد صلى الله عليه وآله بعد اندراسه بحكّام الجور وتغيير أهل الظلم له لمعالمه وتعطيلهم لأحكامه نصوصٌ كثيرة متواترة، من أراد الوقوف على هذه[2] النصوص فليقف عليها من كتب أهل العلم من الفريقين؛ فإنّها مذكورة فيها.

[نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم بأسمائهم وألقابهم وكُناهم]

أقول: أمّا نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم بأسمائهم وألقابهم وكُناهم، فقد ورد في ذلك عنه صلى الله عليه وآله أحاديث كثيرة، من ذلك حديث جابر الأنصاريّ[3] وحديث سلمان

---

١. مبتدؤه المؤخّر «نصوصٌ» بعد ثلاثة أسطر.

٢. مر: تلك.

٣. سأل جابر الأنصاريَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى قوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا** ←

الفارسيّ[1] وحديث جَندَل اليهوديّ[1] وحديث اللوح الذي نـزل بـه جبرئيـل مـن

اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء/٥٩]، قال جابر: قلت: يا رسول اللّه! عرفنا اللّه فأطعناه وعرفناك فأطعناك، فمن أولي الأمر الذين أمرنا بطاعتهم؟ فقال: هم خلفائي يا جابر وأولياء الأمر بعدي. أوّلهم أخي عليّ، ثمّ بعده ولده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ الباقر، وستدركه يا جابر! فإذا أدركته فأقرأه منّي السلام، ثمّ جعفر الصادق، ثمّ موسى الكاظم، ثمّ عليّ الرضا، ثمّ محمّد الجواد، ثمّ عليّ الهادي، ثمّ الحسن العسكريّ، ثمّ الخلف الحجّة القائم المنتظر المهديّ، ذلك الذي يفتح اللّه تعالى على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لايثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه للإيمان (بحار الأنوار: ٢٨٩/٢٣، ٢٤٩/٣٦؛ إعلام الورى: ٣٩٧؛ تأويل الآيات: ١٤١؛ الصراط المستقيم: ١٤٣/٢؛ العدد القويّة: ٨٥؛ عوالي اللآلي: ٨٩/٤؛ القصص للراونديّ: ٣٦٠؛ كشف الغمّة: ٥٠٩/٢؛ كفاية الأثر: ٥٣؛ كمال الدين: ٢٥٣/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٨٢/١).

١. روي عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه أنّه قال: دخلت على رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فلمّا نظر إليّ قال: يا سلمان! إنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ لم يبعث نبيّاً ولارسولاً إلّا جعل له اثني عشر نقيباً. قلت: يا رسول اللّه! قد عرفت هذا من الكتابين. قال: يا سلمان! فهل علمت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم اللّه للإمامة من بعدي؟ فقلت: اللّه ورسوله أعلم. قال: يا سلمان! خلقني اللّه من صفاء نوره، فدعاني فأطعته، وخلق من نوري عليّاً، فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ عليه السلام فاطمة، فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن عليّ ومن فاطمة الحسنَ والحسينَ، فدعاهما فأطاعاه. فسمّانا اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بخمسة أسماء من أسمائه، فاللّه المحمود وأنا محمّد، واللّه العليّ وهذا عليّ، واللّه فاطر وهذه فاطمة، واللّه الإحسان وهذا الحسن، واللّه المحسن وهذا الحسين. ثمّ خلق من نور الحسين تسعة أئمّة، فدعاهم فأطاعوه، قبل أن يخلق اللّه سماءً مبنيّةً أو أرضاً مدحيّةً أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع.

قلت: يا رسول اللّه! بأبي أنت وأمّي، ما لمن عرف هؤلاء؟ فقال: يا سلمان! من عرفهم حقّ معرفتهم واقتدى بهم فوالى وليّهم وتبرّأ من عدوّهم فهو واللّه منّا، يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن. قلت: يا رسول اللّه! أيكون إيمان بهم بغير معرفتهم وأسمائهم وأنسابهم؟ ←

فقال: لا يا سلمان! فقلت: يا رسول الله! فأنّى لي بهم؟ قال: قد عرفت إلى الحسين، ثمّ سيّد العابدين عليّ بن الحسين، ثمّ ابنه محمّد بن عليّ باقر علم الأوّلين والآخرين من النبيّين والمرسلين، ثمّ ابنه جعفر بن محمّدٍ لسان الله الصادق، ثمّ موسى بن جعفرٍ الكاظم غيظه صبراً في الله، ثمّ عليّ بن موسى الرضا لأمر الله، ثمّ محمّد بن عليّ الجواد المختار من خلق الله، ثمّ عليّ بن محمّد الهادي إلى الله، ثمّ الحسن بن عليّ الصامت الأمين العسكريّ، ثمّ ابنه حجّة بن الحسن المهديّ الناطق القائم بأمر الله.

قال سلمان: فسكتتُ، ثمّ قلت: يا رسول الله! ادع الله لي بإدراكهم. قال: يا سلمان! إنّك مدركهم وأمثالك ومن تولّاهم بحقيقة المعرفة. قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثمّ قلت: يا رسول الله! مؤجّل فيّ إلى أن أدركهم؟ فقال: يا سلمان! اقرأ **﴿فَإذا جاءَ وَعْدُ أولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أولي بَأس شَديدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدّيار وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْناكُمْ بِأمْوال وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً﴾** [الإسراء/٦ــ٥]. قال سلمان: فاشتدّ بكائي وشوقي، فقلت: يا رسول الله! بعهدٍ منك؟ فقال: إي والذي أرسل محمّداً إنّه بعهد منّي وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمّة وكلّ من هو منّا ومظلوم فينا. إي والله يا سلمان! ثمّ ليحضرنّ إبليس وجنوده وكلّ من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً حتّى يؤخذ بالقصاص والأوتار والتراث، **﴿وَلايَظْلِمُ رَبُّكَ أحَداً﴾** [الكهف/٤٩]. ونحن تأويل هذه الآية: **﴿وَنُريدُ أنْ نَمُنَّ عَلَى الّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾** [القصص/٦ــ٥]. قال سلمان: فقمت بين يدي رسول الله وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه (بحار الأنوار: ٦/٢٥، ١٤٣/٥٣؛ دلائل الإمامة: ٢٣٧؛ الصراط المستقيم: ١٤٢/٢؛ مصباح الشريعة: ٦٣).

١. دخل جَندَل بن جُنادة اليهوديّ من خيبر على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمّد! أخبرني عمّا ليس لله وعمّا ليس عند الله وعمّا لايعلمه الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا ما ليس لله فليس لله شريك، وأمّا ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأمّا ما لايعلمه الله فذلك قولكم: يا معشر اليهود! عزير ابن الله، والله لايعلم أنّ له ولداً. فقال جندل: أشهد أن لاإله إلّا الله وأنّك رسول الله حقّاً.

ثمّ قال: يا رسول الله! إنّي رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام، فقال لي: يا جندل!

أسلِم على يد محمّد واستمسِك بالأوصياء من بعده. فقد أسلمت ورزقني اللّه ذلك، فأخبرني ما الأوصياء بعدك؛ لأتمسّك بهم. فقال: يا جندل! أوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل. فقال: يا رسول اللّه! إنّهم كانوا اثني عشر، هكذا وجدنا في التوراة. قال: نعم! الأئمّة بعدي اثنا عشر. فقال: يا رسول اللّه! كلّهم في زمن واحد؟ قال: لا، ولكن خلف بعد خلف؛ فإنّك لن تدرك منهم إلّا ثلاثة. قال: فسمّهم لي يا رسول اللّه. قال: نعم! إنّك تدرك سيّد الأوصياء ووارث الأنبياء وأبا الأئمّة عليّ بن أبي طالب بعدي، ثمّ ابنه الحسن، ثمّ الحسين، فاستمسك بهم من بعدي ولايغرّنّك جهل الجاهلين. فإذا كانت وقت ولادة ابنه عليّ بن الحسين سيّد العابدين يقضي اللّه عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن.

فقال: يا رسول اللّه! هكذا وجدت في التوراة اليايقطوا شبّراً وشبيراً، فلم أعرف أساميهم، فكم بعد الحسين من الأوصياء وما أساميهم؟ فقال: تسعة من صلب الحسين، والمهديّ منهم، فإذا انقضت مدّة الحسين قام بالأمر بعده عليّ ابنه ويلقّب بزين العابدين، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده ابنه يُدعى بالباقر، فإذا انقضت مدّة محمّد قام بالأمر بعده جعفر ويُدعى بالصادق، فإذا انقضت مدّة جعفر قام بالأمر بعده موسى ويُدعى بالكاظم، ثمّ إذا انتهت مدّة موسى قام بالأمر بعده ابنه عليّ ويُدعى بالرضا، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده ابنه محمّد يُدعى بالزكيّ، فإذا انقضت مدّة محمّد قام بالأمر بعده عليّ ابنه ويُدعى بالنقيّ، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده الحسن ابنه يُدعى بالأمين، ثمّ يغيب عنهم إمامهم. قال: يا رسول اللّه! هو الحسن يغيب عنهم؟ قال: لا، ولكن ابنه الحجّة. قال: يا رسول اللّه! فما اسمه؟ قال: لايسمّى حتّى يظهره اللّه.

قال جندل: يا رسول اللّه! قد وجدنا ذكركم في التوراة وقد بشّرنا موسى بن عمران بك وبالأوصياء بعدك من ذرّيّتك. ثمّ تلا رسول اللّه صلى الله عليه وآله: **﴿وَعَدَ اللّهُ الّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً يَعْبُدُونَني لايُشْرِكُونَ بي شَيْئاً﴾** [النور/٥٥]. فقال جندل: يا رسول اللّه! فما خوفهم؟ قال: يا جندل! في زمن كلّ واحد منهم جبّار يعتريه ويؤذيه، فإذا عجّل اللّه خروج قائمنا يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ثمّ قال صلى الله عليه وآله: طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محجّتهم، أولئك وصفهم اللّه في كتابه: **﴿الّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾** [البقرة/٣]، وقال: **﴿أولئِكَ حِزْبُ**

زمرّدة خضراء مكتوب عليه /٢٤٩ ب/ ببياض يشبه نور الشمس، وأهداه إلى فاطمةعليها السلام من ربّ العزّة، فيه أسماء أبنائها وكُناهم وألقابهم واحداً بعد واحد، رواه جابر لمحمّد الباقرعليه السلام، ثمّ أخرج الباقرعليه السلام ذلك اللوح بعينه، فقابله بما كان مكتوباً عند جابر، فلم يغادر منه حرفاً[1]. وكذلك حديث الخواتيم التي في

اللهِ ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة/٢٢]. (مستدرك الوسائل: ٢٧٩/١٢؛ بحار الأنوار: ٣٠٤/٣٦).

١. روي عن جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام: قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: إنّ لي إليك حاجة، فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: في أيّ الأوقات أحببت. فخلا به أبي في بعض الأوقات، فقال له: يا جابر! أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمّي فاطمة بنت الرسولصلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أمّي أنّه في ذلك اللوح مكتوب. فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أمّك فاطمة في حياة رسول اللهصلى الله عليه وآله أهنّئها بولادة الحسينعليه السلام، فرأيت في يدها لوحاً أخضر، ظننت أنّه من زمرّدة خضراء، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبيه نور الشمس، فقلت لها: بأبي أنت وأمّي يا بنت رسول الله! ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا اللوح أهداه الله إلى رسول الله، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابنيّ واسم الأوصياء من وُلدي، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك. قال جابر: فأعطتنيه أمّك فاطمة، فقرأته وانتسخته. فقال أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ قال: نعم! فمشى معه أبي حتّى انتهى إلى منزل جابر، فأخرج إلى أبي صحيفة من ورق. فقال: يا جابر! انظر في كتابك لأقرأ عليك. فنظر جابر في نسخته، فقرأه أبي، فما خالف حرف حرفاً.

قال جابر: أشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوباً وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عند الله العزيز الحكيم، لمحمّد بن عبد الله نبيّه ونوره وسفيره وحجابه، نزّل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين. عظّم يا محمّد أسمائي واشكر نعمائي ولاتجحد آلائي، أنا الله لاإله إلّا أنا، قاصم الجبّارين ومذلّ الظالمين وديّان يوم الدين، أنا الله لاإله إلّا أنا وحدي، فمن رجا غير فضلي أو خاف غيري عذّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكّل. إنّي لم أبعث نبيّاً وأكملت أيّامه وانقضت مدّته إلّا جعلت له وصيّاً، وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيّك على الأوصياء وأكرمتك

الصحيفة التي نزل بها جبرئيلعليه السلام إلى النبيصلى الله عليه وآله فيها أسماء الأئمّة الاثني عشر، مختوم عند اسم كلّ واحد منهم ختام، بحيث إنّ كلّ واحد منهم يفكّ ختاماً منها

بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن حلمي وعلمي بعد أبيه وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامّة معه والحجّة البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب.

أوّلهم سيّد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبيه جدّه المحمود محمّد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الرادّ عليه كالرادّ عليّ، حقّ القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفر ولأسرنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه. وانتجبت بعده موسى، وانتجبت بعده عمياء حندس؛ لأنّ خيط فرضي لاينقطع وحجّتي وأوليائي لايشقون. ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدي موسى حبيبي وخيرتي. إنّ المكذّب بالثامن مكذّب بكلّ أوليائي وعليّ وليّي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوّة وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شرّ خلقي. قد حقّ القول منّي لأقرّنّ عينيه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي وموضع سرّي وحجّتي على خلقي، جعلت الجنّة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته، كلّهم قد استوجبوا النار. وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن. ثمّ أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب، سيذلّ أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، ويقتلون ويحرّكون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والرنين في نسائهم. أولئك أوليائي حقّاً، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال، ﴿أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة/١٥٧]. قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تعرف من دهرك إلّا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلّا عن أهله (إرشاد القلوب: ٢/٢٩٠؛ تأويل الآيات: ٢١٠؛ العدد القويّة: ٨٤).

ويعمل بما فيه.[١]

وقد روى الخصوم عنه صلى الله عليه وآله ما يدلّ على الانحصار في اثني عشر، من ذلك ما رواه الحميديّ في *الجمع بين الصحيحين*[٢] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لايزال أمر أمّتي عالياً[٣] ما ولّاهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش».[٤]

---

١. روي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: أنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله كتاباً قبل وفاته، فقال: يا محمّد! هذه وصيّتك إلى النجبة من أهلك. قال: وما النجبة يا جبرئيل؟ فقال: عليّ بن أبي طالب ووُلده عليهم السلام. وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يفكّ خاتماً منه ويعمل بما فيه، ففكّ أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه. ثمّ دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام، ففكّ خاتماً وعمل بما فيه. ثمّ دفعه إلى الحسين عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: أن اخرج بقوم إلى الشهادة، فلاشهادة لهم إلّا معك، واشر نفسك للّه ـ عزّ وجلّ ـ ففعل. ثمّ دفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه أن أطرق واصمت والزم منزلك ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر/٩٩]، ففعل. ثمّ دفعه إلى ابنه محمّد بن عليّ عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: حدّث الناس وأفتهم ولاتخافنّ إلّا اللّه ـ عزّ وجلّ ـ فإنّه لاسبيل لأحد عليك، ففعل. ثمّ دفعه إلى ابنه جعفر عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك وصدّق آباءك الصالحين ولاتخافنّ إلّا اللّه ـ عزّ وجلّ ـ وأنت في حرز وأمان، ففعل. ثمّ دفعه إلى ابنه موسى عليه السلام، وكذلك يدفعه موسى إلى الذي بعده، ثمّ كذلك إلى قيام المهديّ عليه السلام (الكافي: ١٧٩/١، ٢٨٠؛ بحار الأنوار: ١٩٢/٣٦، ٢٠٩، ٢٧/٤٨؛ الإرشاد: ١٥٩/١؛ إعلام الورى: ٢٦٦؛ الأمالي للصدوق: ٤٠١؛ الأمالي للطوسيّ: ٤٤١؛ تقريب المعارف: ١٧٩؛ الصراط المستقيم: ١٤٨/٢؛ علل الشرائع: ١٧١/١؛ غيبة النعمانيّ: ٥٢؛ كشف الغمّة: ١٢٤/٢؛ كمال الدين: ٢٣١/١، ٦٦٩/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٨/١).

٢. الجمع بين الصحيحين: ٢٠٣/١، ٢٠٤

٣. ليس هذا اللفظ في ما يلي من المصادر، ولكن فيها: «ظاهراً» أو «صالحاً» أو «قائماً».

٤. بحار الأنوار: ٢٣١/٣٦، ٢٤١، ٢٩٨، ٢٩٩؛ إعلام الورى: ٣٨٣، ٣٨٤؛ الأمالي للصدوق: ٣١٠؛ تقريب المعارف: ١٧٥؛ الخصال: ٤٧٥/٢؛ الصوارم المهرقة: ٩٣؛ عوالي اللآلي: ٩٠/٤؛ غيبة ←

وفي حديث آخر: «لايزال هذا الأمر قائماً حتّى تقوم الساعة ويكون فيهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش».[١]

وفي حديث ابن مسعود قال: دخل شابّ على عبد اللّه بن مسعود فسأله: هل عهد إليكم نبيّكم كم تكون بعده خليفة؟ فقال له ابن مسعود: إنّك لحديث السنّ وهذا شيء ما سألني عنه أحد. نعم يا بنيّ! عهد إلينا نبيّنا أنّه يكون بعده اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.[٢]

وفي حديث آخر قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «إنّ اللّه تعالى أوحى إلى نبيّه إبراهيم عليه السلام أن اسكن ولدك إسماعيل وأمّه هاجر بالبيت التهاميّ ـ يعني مكّة ـ فإنّي ناشر ذرّيّته وسأجعل منها عظيماً يكون من وُلده اثنا عشر نقيباً عدد نقباء بني إسرائيل»[٣]، إلى غير ذلك من الأحاديث.

[لكلّ واحد من الأنبياء عليهم السلام أوصياء اثنا عشر]

ثمّ اعلم أنّ جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام من آدم إلى عيسى كان لكلّ واحد منهم أوصياء اثنا عشر وذلك أنّهم كانوا بأجمعهم مظهراً من مظاهر خاتم الأنبياء ـ أعني محمّداً صلّى الله عليه وآله ـ وكذلك جميع الأولياء والأوصياء عليهم السلام كانوا مظهراً من مظهر

النعمانيّ: ١٢٥؛ كمال الدين: ٢٧٣/١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩١/١

١. بحار الأنوار: ٢٣٩/٣٦، ٢٩٧، ٣٦٢؛ إعلام الورى: ٣٨١؛ الخصال: ٤٧٣/٢؛ الطرائف: ١٧١/١؛ العمدة: ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٢؛ عوالي اللآلي: ٩٠/٤؛ غيبة النعمانيّ: ١٢٠؛ كشف الغمّة: ٥٧/١، ٥٠٤/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٨٩/١؛ نهج الحقّ: ٢٣٠

٢. بحار الأنوار: ٢٩٨/٣٦؛ إعلام الورى: ٣٨٣؛ تقريب المعارف: ١٧٣؛ القصص للراونديّ: ٣٧٠

٣. بحار الأنوار: ٢١٤/٣٦؛ الطرائف: ١٧٢/١؛ عوالي اللآلي: ٩١/٤

خاتم الأولياء والأوصياء ـ أعني علياًعليه السلام ـ لقولهصلى الله عليه وآله: «بعث عليّ مع كلّ نبيّ سراً وبعث معي جهراً»[١]. وقد تقرّر أنّ الأنبياء والرسل في العدد مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ وأنّ الأولياء والأوصياء كذلك. وكما أنّ كِبار الأنبياء والرسل سبعة بالاتّفاق من آدم ونوح وإبراهيم وداوود وموسى وعيسى ومحمّد الذين هم الأقطاب في العوالم تطبيقاً بالكواكب السبعة السيّارة /٢٥٠ أ/ فكذلك كِبار الأولياء والأوصياء سبعة بحكم التطبيق بالاتّفاق؛ لأنّ كلّ نبيّ من الأنبياء السبعة لابدّ له من وليّ يخلّفه في أمّته، ولابدّ أن يكون كلّ إقليم قائماً بقطب من الأقطاب، ولذلك وقعت الأقاليم سبعة تطبيقاً بالأقطاب السبعة، وحيث إنّ العوالم المعنويّة مطابقة للعوالم الصوريّة. وكما أنّ الأمر للسبعة السيّارة يدور على اثني عشر برجاً فكذلك الأمر للسبعة الأقطاب يدور على اثني عشر وصيّاً ووليّاً، فصار الترتيب في العالم المعنويّ والصوريّ مطابقاً ولاينبغي الأمر إلّا كذلك.

فما مات نبيّ إلّا وخلّف من بعده وصيّاً ووليّاً يقوم مقامه على ما كان هو بصدده من أمر الدين والدنيا، وهذا واجب في حكمة اللّه وترتيب الوجود وانتظام العالم، وقد أشار إلى هذا النبيّصلى الله عليه وآله في قوله: «واللّه ما خرج آدم من الدنيا إلّا وقد أوصى إلى ابنه شيث وما وفت أمّته له. واللّه ما خرج نوح من الدنيا إلّا وقد وصّى لابنه سام وما وفِي له بعده. واللّه ما خرج إبراهيم من الدنيا إلّا وقد وصّى إلى ابنه إسماعيل وما وفت أمّته. واللّه ما خرج موسى من الدنيا إلّا وقد وصّى لوصيّه يوشع وما وفِي له بعده. واللّه ما خرج عيسى من الدنيا إلّا وقد

---

١. قال جبرئيلعليه السلام للنبيّصلى الله عليه وآله: «إنّ اللّه بعث علياً مع الأنبياء باطناً وبعثه معك ظاهراً» (القصص للجزائريّ: ٩١).

وصّى لوصيّه شمعون وما وفت أمّته. وإنّي سأخرج من بين أظهُركم وسأوصيكم لعليّ بن أبي طالب وإنّكم لجارون على بيعتهم وسنّتهم، حذوَ النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة»[1] ـ يعني من غير زيادة ولانقصان ـ فكيف يخلّ النبيّ المعصوم بالوصيّة الواجبة عليه في الدين؟ وهو يقول: «من مات بغير وصيّة فقد مات ميتة جاهليّة»[2]. فمن قال بعدم الوصيّة في حقّه فهو من أعظم الجهّال، وقوله هذا من أعظم الأقوال طعناً عليه وقدحاً فيه، وقد قامت على هذه الشواهد النقليّة والدلائل العقليّة، والمنكر لأمثال ذلك منكر لعقله؛ لشدّة العداوة والحسد.

[أوصياء الأقطاب السبعة]

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء وإن كانوا كثيرين وأنّ لكلّ نبيّ ورسول وصيّ ووليّ، لكن نقتصر في هذا المقام على السبعة الأقطاب وأوصيائهم الاثني عشر نقيباً واسماً؛ ليقاس الباقي عليهم ويتحقّق عندك أنّ نظام العالم الصوريّ كما وقع على سبعة من /٢٥٠ ب/ الكواكب واثني عشر برجاً كذلك نظام العالم المعنويّ وقع على سبعة من الأنبياء والأقطاب والاثني عشر من الأولياء والأوصياء الذين هم على مقامهم.

أمّا الأنبياء والأقطاب السبعة:

فأوّلهم: آدم، وأوصياؤه: شيث، هابيل، قينان، ميشم، شيشم، قادس، قيذوف،

---

١. بحار الأنوار: ١٢٩/٣٨؛ معاني الأخبار: ٣٧٢

٢. وسائل الشيعة: ٢٥٩/١٩؛ الألفين: ٤٧؛ روضة الواعظين: ٤٨٢/٢؛ الطرائف: ٣٨٢/٢؛ مشكاة الأنوار للطبرسيّ: ٣٣٤؛ المقنعة: ٦٦٦؛ مكارم الأخلاق: ٣٦٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٤٦/٣

إيمسبخ، إينوخ، إدريس، دينوح، ناحور.

والثاني: نوح، وأوصياؤه: سام، يافث، أرشخ، فرشخ، فانوا، سالح، هود، صالح، ديمسح، معدل، دريجا، هجان.

والثالث: إبراهيم، وأوصياؤه: إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، إيلون، إيتم، أيّوب، ذينون، دانيال الأكبر، إيتوخ، أناخا، أفاخا.

والرابع: موسى، وأوصياؤه: يوشع، عروف، قيذف، عزير، أريشا، هارون[١]، سليمان، آصف، أتواخ، منيفا، أرون، واعث.

والخامس: عيسى، وأوصياؤه: شمعون، عزوف، قيدوف، عسيرواو، زكريّا، يحيى، أهدى، مشخا، طالوت، قس، أستين، بحير الراهب.[٢]

والسادس: محمّد ﷺ، وأصياؤه: عليّ المرتضى، الحسن المجتبى، الحسين الشهيد، عليّ زين العابدين، محمّد الباقر، جعفر الصادق، موسى الكاظم، عليّ الرضا، محمّد الجواد، عليّ الهادي، الحسن العسكريّ، محمّد المهديّ صاحب الزمان ـ صلوات اللّه عليهم ـ وأسماؤهم باللسان العبريّ: إيليا، قيدور، إيريل، مشفور، مشهور، مشموط، وافرا، هزاز، تيمورا، بسطورا، فوفش، فرنمونيا.

وإنّما خصّصنا الذكر بهؤلاء الستّة للحديث المتقدّم وتركنا السابع؛ لأنّه لم يذكر في الحديث المرويّ عنه ﷺ، وأسماء أولئك الأوصياء منقولة من لسان أهلها وكتبهم، والعهدة فيها على الراوي، فأمّا أسماء أئمّتنا عليهم السلام فمنقولة عنهم وعن جدّهم بالنقل المتواتر بين المؤالف والمخالف.

---

١. هامش تش: في بعض النسخ بدل هارون داوود، والظاهر أنّه صحيح.

٢. قس: علم اليقين: ٢٧/١

والسابع: هو داوود عليه السلام، وإنّما لم نذكر[١] أسماء أوصيائه؛ لأنّ الكتاب الذي نقل منه هذه الأسماء قد ضاع منه بعض الأوراق التي فيها تلك الأسماء، لكنّها أيضاً معلومة عند أهلها مذكورة في زبورهم؛ لأنّ هذه الوصاية سنّة اللّه الجارية بينهم، /٢٥١ أ/ لايصحّ لأحد منهم تبديلها ولاتغيير لسنّة اللّه، ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَحْوِيلاً**﴾[٢].

[غرض الأنبياء عليهم السلام من تعيين أوصيائهم في حياتهم وبعد وفاتهم]

والغرض والداعي للأنبياء والرسل عليهم السلام في تعيين أوصيائهم في حياتهم وبعد وفاتهم لحفظ شرائعهم وأديانهم وإظهار أحكامهم وأسرارهم ظاهراً وباطناً جليّاً وخفيّاً؛ لئلّا تختلّ أمور الدين وأحكام الشرع ونظام الإسلام بفقدهم؛ لأنّ احتياج الخلق كما صار واجباً ضروريّاً إلى وجود نبيّ كامل مرشد متعيّن من عند اللّه صار واجباً بعدهم إلى وصيّ كامل متعيّن من عنده يحفظ شرعه ودينه ويجري به أحكامه على أمّته. فيجب أن يكون هذا الوصيّ موصوفاً بصفة نبيّه من العصمة والطهارة وصدق اللهجة والذكاء والفطنة والأصل الصحيح والنسل الصريح، وعلى الجملة[٣] يكون متحلّياً بالأخلاق الحميدة كلّها، متبرّياً عن الأخلاق الذميمة بأسرها، وكلّ هذه من لوازم العصمة، وفوق ذلك النصّ عليه من عند اللّه على لسان هذا النبيّ أو من عيّنه من الأوصياء. وهكذا كانوا أوصياء كلّ الأنبياء، فأوصياء محمّد صلى الله عليه وآله من عليّ عليه السلام إلى المهديّ كذلك.

---

١. حج: تذكر.

٢. فاطر/٤٣

٣. حج (خ ل): بالجملة.

[وجوب تعيين الوليّ وتنصيصه على اللّه]

وتعيين النبيّ أو الإمام للوصيّ وتنصيصهما عليه واجب على اللّه ولايصحّ تفويض ذلك إلى الخلق؛ لأنّه ليست للخلق قوّة الاطّلاع على باطن الإنسان ومعرفة حقائق أنفسهم ليحصل لهم العلم بهم وبقلوبهم ليعرفوا استحقاقهم للإمامة والخلافة، فلايصحّ تعيين الخلق للنبوّة ولاللإمامة لابطريق الإجماع ولابغيره، فلايكون معيّنهما ومبيّنهما إلّا اللّه، ولهذا وجب بعد العصمة النصّ؛ لأنّ العصمة والنصّ من أعظم شرائط النبوّة والإمامة بطريقَي العقل والنقل.

[علّة حصرهم في السبعة بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء]

وأمّا علّة حصرهم في العدد المذكور بالنسبة إلى الأنبياء والرسل ثمّ إلى الأولياء والأوصياء فحكمة اللّه وأسراره المندرجة تحتها، وهذا يلزم في كلّ عدد وفي كلّ متعدّد، ولسنا في صدد حلّ الكلّ ولاالبعض.

و أمّا علّة عدد الأقطاب والأنبياء السبعة وعدد الأولياء والأوصياء الاثني عشر فكثيرة، نشير إلى بعضها. وأوّل ذلك تطبيق العالم الصوريّ بالعالم المعنويّ؛ فإنّ المعنويّ أقدم من الصوريّ؛ لتقدّم الروحانيّات والبسائط على الجسمانيّات والمركّبات، فوقع ترتيب العالم الصوريّ على السبعة من الكواكب والاثني عشر من البروج ليصير تسعة عشر وينتظم حال العالم بها بحكم قوله: ﴿**عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾[1]، وكذلك كلّيّات الموجودات من العقل والنفس /٢٥١ ب/ والأفلاك التسعة والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة والإنسان الجامع للكلّ، وكذلك ترتيب

---

١. المدثّر/٣٠

العالم المعنويّ على السبعة من الأقطاب والاثني عشر من الأولياء؛ ليكون المجموع تسعة عشر وينتظم بها حال ذلك العالم.

ولأهل التصوّف ترتيب آخر موافق لما ذكرناه ودليل على صحّته ومحقّق لما ادّعيناه وهو أنّهم قالوا بالأقطاب والأوتاد والأبدال والغوث والإمام والأفراد والنقباء والنجباء ورجال اللّه وأمثال ذلك من العبارات، وقالوا بالقطب الأعظم والأقطاب الستّة والتابعين له وبالواحد والثلاثة والخمسة والسبعة والأربعين والثلاثمئة من رجال اللّه. وغرضهم في ذلك أنّ القطب الأعظم إذا قام في الوجود وفقد عينه عن العالم يقعد أحد الأقطاب الستّة مكانه، فيأخذون من الثلاثة واحداً بعد واحد ويقعدونه مكانه ويعطون من الخمسة واحداً عوضه ويأخذون من السبعة واحداً ويعطون من الأربعين عوضه ويأخذون من الأربعين واحداً ويعطون من الثلاثمئة عوضه ويأخذون من الثلاثمئة واحداً بعد واحد ويعطون من العالم عوضه وهكذا يدور إلى يوم القيامة، وعند التحقيق يرجع إلى ما قلناه بأنّ الكلّ مرجعهم إلى السبعة والاثني عشر.

[كلام الشيخ ابن العربيّ في الأقطاب السبعة]

وكثير من مشايخ الصوفيّة أشار إلى هذا وذكروه في كتبهم ورسائلهم، سيّما الشيخ محيي الدين الأعرابيّ؛ فإنّه ذكر ذلك في *فتوحاته* وأشار إلى السبعة وإلى الاثني عشر وإلى خاتم الأولياء الأوّل وخاتم الأولياء الثاني، فقال:

> أقطاب هذه الأمّة اثنا عشر عليهم مدار هذه الأمّة، كما أنّ مدار العالم الحسّيّ الجسمانيّ في الدنيا والآخرة على اثني عشر برجاً قد وكّلهم اللّه بظهور ما يكون في الدارين من الكون والفساد.

وأمّا المفردون فكثيرون، والختمان منهم فهما قطبان، وليس في الأقطاب من هو على قلب محمّد[1]. وأمّا المفردون فمنهم من هو على قلب محمّد والختم منهم. وأمّا الأقطاب الاثنا عشر فهم على قلوب الأنبياء، فالواحد على قلب آدم وإن شئت قلت على قدم آدم، أو يكون الأوّل على قدم نوح، والثاني على قدم إبراهيم، والثالث على قدم موسى، والرابع على قدم عيسى، والخامس على قدم داوود، والسادس على قدم سليمان، والسابع على قدم أيّوب، والثامن على قدم إلياس، والتاسع على قدم لوط، والعاشر على قدم هود، والحادي عشر على قدم صالح، والثاني عشر /٢٥٢ أ/ على قدم شعيب.[2]

[كلامه في الملائكة السبعة]

وأمّا السبعة من الملائكة الكِبار الذين هم بإزاء الأقطاب والأنبياء الكِبار فهو من قوله:

إنّ الأنبياء العظام والأقطاب الكرام انحصروا في سبعة؛ لأنّ اللّه تعالى خلق ما بين العرش والكرسيّ سبعة أملاك يتصرّفون في العوالم علواً وسفلاً، وكان نبيّنا محمّدﷺ قبل النزول إلى هذا العالم يأخذ منهم الأخلاق والعلوم بإذن اللّه تعالى، والكواكب السبعة والأفلاك السبعة مظاهرها، والأرضون السبعة والبحور السبعة مظاهر تلك المظاهر.

وإنّ الأولياء والأوصياء انحصروا في اثني عشر وليّاً ووصيّاً؛ لأنّ اللّه تعالى خلق ما بين العرش والكرسيّ اثني عشر ملكاً وجعلهم أولياء العوالم العلويّة والسفليّة يتصرّفون في العالم كما يريدون، والأولياء والأوصياء في هذا العالم مظاهرهم وكذلك الملوك؛ لأمر يرجع إلى قابليّاتهم الأصليّه واستعداداتهم الذاتيّة الغير المجعولة.

---

١. حج (خ ل): واحد.

٢. الفتوحات المكّيّة: ٧٧/٤

[كلامه في خاتم الأنبياء وخاتم الأوصياء]

والأصل في هذا المجموع خاتم الأنبياء وخاتم الأوصياء؛ لأنّ الكلّ راجع إليهما. وخاتم الأنبياء النبيّ المطلق وخاتم الأولياء الوليّ المطلق. والظاهر والباطن في الوجود عبارة عنهما وعن ظهورهما وبطونهما. وكذلك الأوّل والآخر؛ لأنّهما مظهر الحقّ ومجلاه؛ لأنّ النور الأوّل والروح الأوّل له اعتبار الظاهر واعتبار الباطن، فالظاهر للنبوّة والباطن للولاية، فالولاية باطن النبوّة وحقيقتها والنبوّة ظاهر الولاية وصورتها، والأولى مخصوصة بخاتم الأولياء والثانية مخصوصة بخاتم الأنبياء. فالولاية والنبوّة راجعتان إلى حقيقة واحدة هي النور الأوّل والروح الأعظم، إلّا أنّ النبوّة أصليّة ذاتيّة حاصلة له بالأصالة والولاية إرثيّة حاصلة له بالوراثة. فجميع الأنبياء كما أنّهم تابع لخاتم الأنبياء ومظهر من مظاهره كذلك جميع الأولياء تابع لخاتم الأولياء ومظهر من مظاهره، وذلك لأنّ ولايته ولاية النبيّ ونوره نوره ونفسه نفسه وروحه روحه.

[روايات عن العامّة في فضائل عليّ عليه السلام]

وقد روى أخطب خوارزم[1] عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريّا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب».[2]

وفي رواية البيهقيّ[3]: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه

---

١. المناقب للخوارزميّ: ٨٩

٢. بحار الأنوار: ٣٨/٣٩؛ بناء المقالة: ١٧٠؛ روضة الواعظين: ١٢٨/١؛ شواهد التنزيل: ١٠٣/١؛ الصوارم المهرقة: ٢٧٦؛ كشف الغمّة: ١١٣/١؛ كشف اليقين: ٥٢

٣. ما عثرت عليه في مؤلّفات البيهقيّ المطبوعة، ونقله الرازيّ عنه في: الأربعين في أصول الدين: ٤٧٤

وإلى إبراهيم في خلّته[١] وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب».[٢]

وفي كتاب *المناقب*[٣] قال رسول اللّهﷺ يوم فتح خيبر: «لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالاً /٢٥٢ ب/ لاتمرّ على ملأ من المسلمين إلّا أخذوا من تراب رِجلك وفضل طهورك مستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترِثني وأرِثك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي. أنت تؤدّي عنّي دِيني وتقاتل على سنّتي وأنت في الآخرة أقرب الناس منّي وأنت غداً ترد عليّ الحوض وتكون عليه خليفتي تذود عنه المنافقين، وأنت أوّل داخل الجنّة من أمّتي. وإنّ شيعتك على منابر من نور رِواء مشربون، مبيضّة وجوههم، وهي حولي أشفع لهم، فيكونون غداً في الجنّة جيراني. وإنّ عدوّك غداً ظِماء ومظمؤون، مسوّدة وجوههم يقمحون[٤]. حربك حربي وسلمك سلمي وسرّك سرّي وعلانيتك علانيتي وسريرة صدرك كسريرة صدري، وأنت باب علمي وغيبة سرّي، فلحمك لحمي ودمك دمي. وإنّ الحقّ معك وأنت مع الحقّ والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وإنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أمرني أن أبشّرك أنّك وعترتك في الجنّة؛ وأنّ عدوّك في النار، لايرد عليّ

---

١. مص: إلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه.

٢. بحار الأنوار: ٣٩/٣٩؛ إرشاد القلوب: ٢١٧/٢؛ الصراط المستقيم: ٢١٢/١؛ كشف الغمّة: ١١٤/١؛ كشف اليقين: ٥٣؛ نهج الحقّ: ٢٣٦

٣. المناقب للخوارزمي: ١٢٩

٤. حج (خ ل): مقمحون.

الحوض مبغض لك، ولايغيب عنه محبّ لك. قال عليّ عليه السلام: فخررت اللّه ـ سبحانه ـ ساجداً وحمدته على ما أنعم عليّ من الإسلام والقرآن وحبّبني إلى خاتم النبيّين وسيّد المرسلين صلى الله عليه وآله أجمعين.[١]

ومن كتاب *المناقب*[٢] للخوارزميّ عن جابر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «جاءني جبرئيل من عند اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بورقة آس أخضر مكتوب عليها ببياض: إنّي قد افترضت محبّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام على خلقي، فبلّغهم ذلك عنّي».[٣]

ومنه[٤] عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لَما خلق اللّه ـ عزّ وجلّ ـ النار».[٥]

ومنه[٦] قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «لو أنّ عبداً عبَد اللّه مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل جبل أحُد ذهباً فأنفقه في سبيل اللّه، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف حَجّة على قدمَيه، ثمّ قتِل[٧] مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم

---

١. بحار الأنوار: ٢٧٢/٣٧، ٢٤٧/٣٨، ١٨/٣٩؛ إعلام الورى: ١٨٦؛ الأمالي للصدوق: ٩٦؛ روضة الواعظين: ١١٢/١؛ الصراط المستقيم: ٢٠٠/١؛ كشف الغمّة: ٢٨٧/١، ٢٩٨؛ كشف اليقين: ١٠٧، ٢٨١؛ كنز الفوائد: ١٧٨/٢

٢. المناقب للخوارزميّ: ٦٦

٣. بحار الأنوار: ٢٥٧، ٢٧٥، ٢٩٧؛ الأمالي للطوسيّ: ٦١٩؛ الصراط المستقيم: ٥٠/٢؛ كشف الغمّة: ٩٩/١؛ كشف اليقين: ٢٢٥؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٩٨/٣

٤. المناقب للخوارزميّ: ٦٧

٥. بحار الأنوار: ٢٤٨/٣٩، ٢٤٩، ٣٠٥؛ إرشاد القلوب: ٢٣٤/٢؛ بشارة المصطفى: ٧٥؛ عوالي اللآلي: ٨٦/٤؛ كشف الغمّة: ٩٩/١؛ كشف اليقين: ٢٢٥؛ نهج الحقّ: ٢٥٩

٦. المناقب للخوارزميّ: ٦٧

٧. مص: + بين الصفا والمروة.

يدخلها»[1]. فمن يكن عند اللّه وعند رسوله بهذا الشرف وهذه المرتبة والقرب والزلفى لاشكّ وبالضرورة هو خاتم الأولياء وسيّدهم؛ لأنّ معنى الخاتم أن يكون كلّ وليّ يكون في الوجود مرجعه إليه في حياته وبعد وفاته.

ثمّ إنّا نقول: وإذا ثبت هذا الأصل ـ أعني انحصار الأولياء والأوصياء في اثني عشر بقول أهل السلوك ـ فهو أيضاً ثابت بقول النبيّ صلى الله عليه وآله وقول الأئمّة وقول سائر العلماء.

[انحصار الأولياء في اثني عشر بقول النبيّ صلى الله عليه وآله]

وأمّا قول النبيّ صلى الله عليه وآله: فقد تواترت الشيعة به خلفاً عن سلف، مثل قوله للحسين عليه السلام: «ابني هذا إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمّة /٢٥٣ أ/ تسعة، تاسعهم قائمهم، اسمه اسمي وكنيته كنيتي»[2]، وبعبارة أخرى: حجّة بن حجّة، أخو حجّة، أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم. وهذا نصّ صريح في عددهم وفي إمامتهم، إلى غير ذلك من الأحاديث التي ملأت مصنّفاتهم.

[انحصار الأولياء في اثني عشر بقول الأئمّة عليهم السلام]

وأمّا من الأئمّة: فقد ثبت أيضاً عند الشيعة وخصوصاً الإماميّة أنّ كلّ واحد منهم نصّ على الآخر بالإمامة، والنصّ لايجوز إلّا في حقّ المعصوم، فثبت أنّهم

---

١. بحار الأنوار: ١٩٤/٢٧، ٢٥٦/٣٩، ٢٨٠؛ إرشاد القلوب: ٢٢٩/٢؛ بشارة المصطفى: ٩٤؛ الصراط المستقيم: ٤٩/٢؛ كشف الغمّة: ١٠٢/١؛ كشف اليقين: ٢٢٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٩٨/٣

٢. بحار الأنوار: ٣٧٢/٣٦؛ إرشاد القلوب: ٢٢٣/٢؛ تقريب المعارف: ١٢٥؛ جامع الأخبار: ١٧؛ كتاب سليم بن قيس: ٩٤٠؛ كشف اليقين: ٣٣١؛ كمال الدين: ٢٦٢/١؛ النكت الاعتقاديّة: ٤٣

منحصرون في هذا العدد؛ لقولهم عليهم السلام: «المنكر لأوّلنا كالمنكر لآخرنا[1] والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا»[2]، كالأنبياء مثلاً بمثل المنكر للأوّل منهم منكر للآخر، فكلّهم إمام معصوم منصوص عليه من اللّه ورسوله ومن الإمام، والكلّ من اللّه بإذنه وعلمه ومشيّته.

[انحصار الأولياء في اثني عشر بقول العلماء]

وأمّا قول العلماء: ففي كتاب محمّد بن طلحة؛ فإنّه استدلّ على انحصارهم في هذا العدد بوجوه:

الأوّل: أنّ الإسلام مبنيّ على أصلَي الشهادتين: شهادة الوحدانيّة وشهادة الرسالة، وكلّ واحد من هذين الأصلين مركّب من اثني عشر، والإمامة فرع الإيمان، فيجب أن يكون عدّة القائمين بها اثني عشر كعدد الأصلين.

الثاني: أنّ عدد نقباء بني إسرائيل بنصّ الكتاب اثنا عشر[3]، فجعل عدّة النقابة هذا العدد، فيجب أن تكون عدّة القائمين بفضيلة الإمامة والتقدمة كذلك، وكذلك ليلة العقبة لمّا بويع رسول اللّه صلى الله عليه وآله أخرجوا اثني عشر نقيباً.

الثالث: الأسباط اثنا عشر بنصّ القرآن، فجعل الأسباط الهُداة في بني إسرائيل

---

١. مص: ـ المنكر ... لآخرنا.

٢. مرويّ عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام في: بحار الأنوار: ٣٦٦/٨، ٦١/٢٧، ١٦٠/٥١؛ إعلام الورى: ٤٤٢؛ الصراط المستقيم: ٢٣٢/٢؛ كشف الغمّة: ٥٢٧/٢؛ كفاية الأثر: ٢٩٥؛ كمال الدين: ١٤/١؛ ٤٠٩/٢

٣. مشير إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً**﴾ (المائدة/١٢).

اثني عشر يستلزم كون الأئمّة الهُداة في الإسلام اثني عشر.

الرابع: أنّ مصالح العالم وتصرّفاتهم مفتقرة إلى الزمان وهو عبارة عن الليل والنهار، وكلّ واحد منهما منقسم باثني عشر ساعة، فمصالح العالم مفتقرة إلى هذا العدد، فمصالح الأنام[١] مفتقرة إلى الإمام، فوجب أن يكون عدده بعدد ساعات جزئَي الزمان.

الخامس: أنّ الولاية تهدي القلوب إلى سلوك الحقّ وتوضح المقاصد إلى سبيل النجاة، كما يهتدي نور الشمس والقمر أبصار الخلائق إلى المناهج والطرق؛ ليسلكوا بهما المسالك الصعبة ويرتكبوا المناهج الوعرة، فهما نوران هاديان. والإمامة تهدي نور البصائر، والشمس والقمر يهديان الأبصار، والكلّ واحد في هذين النورين. ومَحالّ النور الهادي إلى الأبصار اثنا عشر برجاً، فيجب أن يكون مَحالّ النور الهادي للبصائر كذلك بطريق التطابق.

ويعرف من هذا نكتة شريفة وهي أنّهم قد قرّروا وورد في الأحاديث أنّ حامل الأرض الحوت[٢] والحوت آخر البروج، فيكون المعنى أنّ الحامل للأرض آخر بروج الإمامة وهو الحوت الحامل للأرض لأثقال مصالح[٣] أديانهم وهو

---

١. حج (خ ل): الأيّام.

٢. الكافي: ٢٥٥/٨؛ من لايحضره الفقيه: ٥٤٢/١، ٥٤٣؛ بحار الأنوار: ٣٤٩/١٠، ٢٠٨/١٦، ٨٧/٥٤، ٣١٢، ٣٧٥، ٧٨/٥٧، ٧٩، ٩٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٤٧/٨٨، ١٤٩، ١٩٣/٩٠؛ تفسير القمّيّ: ٥٨/٢، ٥٩؛ التوحيد: ٢٣؛ جامع الأخبار: ٥٠؛ صحيفة الرضاعليه السلام: ٥٩؛ العدد القويّة: ٧٩؛ علل الشرائع: ٥٥٤/٢، ٥٥٥؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٣١/٢؛ كشف الغمّة: ٥٤/١؛ مكارم الأخلاق: ٣٠٩؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٥٥/٤

٣. مر: مصالحهم في.

حامل نور الإمامة الباقي لها القائم بأعبائها إلى أن تقوم الساعة وهو المهديّعليه السلام، فهو الحوت المشار إليه، فافهم. /٢٥٣ ب/

السادس: أنّ النبيّصلى الله عليه وآله قال: «الأئمّة من قريش»[١]، فحصر به أنّها فيهم ولايجوز أن يكون في غيرهم. فهذا الوصف في درجة الاعتبار نازلاً منزلة التعليل بالعلّة المنصوصة هي أنّ القرشيّة صفة شرف يتقدّم صاحبها على غيره، ولهذه قالصلى الله عليه وآله: «قدّموا قريشاً ولاتتقدّموها»[٢].

والذي عليه محقّقو علماء النسب أنّ كلّ من ولده النضر بن كنانة فهو قرشيّ، فردّ كلّ قرشيّ إليه، فنسب قريش انحدر منه إلى رسول اللّهصلى الله عليه وآله وشرف قريش ارتقى لها من رسول اللّه، فهوعليه السلام بمنزلة مركز الدائرة بالنسبة إلى محيطها، فمنه نزل الشرف. فإذا فرضته خطّاً متصاعداً متّصلاً إلى المحيط مركّباً من نقط أباً فأباً

---

١. الكافي: ٣٤٣/٨؛ بحار الأنوار: ١٣٣/١٨، ١٠٤/٢٥، ١٧٠/٢٨، ٢٦١، ٣٧٨/٢٩، ١٠/٣٠، ٢٩١، ٧٦/٣١، ٨٠، ٨١، ٤٠٧، ٥٤٤، ١٤٦/٤٠؛ الاحتجاج: ١٤٥/١؛ إعلام الورى: ٢٨٨؛ بصائر الدرجات: ٣٣؛ بناء المقالة: ٣٦٥، ٣٨٥،٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٨؛ التحصين لابن الطاووس: ٦٣٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤/٦،٢٩، ٣٠، ٣٧، ٦٣/٧، ٨٤/٩، ٨٥، ٨٧، ٨٦/١٢، ٢٣٤/١٥، ٢٦٥/١٦، ١٦٦/١٧، ٢٦/٢٠؛ الصراط المستقيم: ٨٢/١، ١٠٦/٢، ٢٦٨، ٢٨٦، ٣٠١، ١٠٠/٣، ١٠٩، ١٣١، ١٤٤؛ الصوارم المهرقة: ٥٩، ٦٩، ٧٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٩٠، ٢١٢، الطرائف: ٤٠٠/٢، ٤٨٢؛ العدد القويّة: ٧٩؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٦٣/٢؛ الفصول المختارة: ٢٩٩؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٧٧، ٦٣٦؛ كشف الغمّة: ٣٩/١، ٥٥؛ كمال الدين: ٣٢/١، ٢٧٤؛ متشابه القرآن: ٣٣/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١١٠/١، ٣٠٢، ٣٠/٢؛ نهج البلاغة: ٢٠١

٢. بحار الأنوار: ٨٤/٤٠، ٦٦/٨٥؛ دعائم الإسلام: ٩٠/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٣/٧، ١٧٢/٩؛ العمدة: ٢٧١؛ كشف الغمّة: ٥٦/١

فهو محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لويّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. فالمركز الذي انبعث منه الشرف متصاعداً هو النبيّ ﷺ والمحيط الذي انتهت إليه الصفة القرشيّة الشريفة هو النضر بن كنانة، وهذا الخطّ المتصاعد من المركز إلى المحيط أجزاؤه اثنا عشر، فدرجات الشرف المتصاعدة اثنا عشرة، فدرجات الشرف المتنازلة عن المركز يجب أن تكون اثني عشرة أيضاً؛ لاستحالة أن يكون الخطّان الخارجان من المركز إلى المحيط متفاوتين. فالنبيّ ﷺ منبع الشرف الذي منه الإمامة متصاعداً وهو منبع الشرف الذي هو محلّ الإمامة متنازلاً، فيجب أن يكون الأئمّة اثني عشر؛ لأنّهم الخطّ النازل كحال الخطّ الصاعد من غير فرق، وهذا وجه حسن ونظر لطيف.[1]

[اشتمال أكثر الأشياء في الآفاق والأنفس على اثني عشر]

وقال بعض المتأخّرين[2]:

إنّ هذا العدد يشتمل عليه أكثر الأشياء في الآفاق وفي الأنفس حيث وقع على اثني عشر، وكذلك أكثر أسماء اللّه تعالى، فيجب أن يكون عدد الأئمّة كذلك؛ فإنّ لاإله إلّا اللّه اثنا عشر حرفاً، ومحمّد رسول اللّه اثنا عشر حرفاً، ثمّ البشير النذير اثنا عشر حرفاً، ثمّ عليّ بن أبي طالب اثنا عشر حرفاً، ثمّ أمير المؤمنين اثنا عشر حرفاً، ثمّ الحسن والحسين كذلك، ثمّ فاطمة بنت محمّد كذلك، ثمّ العروة الوثقى كذلك، آدم خليفة اللّه كذلك، نوح خالصة اللّه كذلك،

---

١. مطالب السؤول: ٧٩؛ المقدّمات من نصّ النصوص: ٢٣٩

٢. هامش حج: وهذا الكلام مستفاد من كلام العارف البُرسيّ ـ أنار اللّه برهانه ـ [ولكن ما وجدناه في مؤلّفاته].

إبراهيم خليل الله كذلك، موسى كليم الله كذلك، عيسى رسول الله كذلك، محمّد حبيب الله كذلك، الرحمن الرحيم كذلك، الحميد المجيد كذلك، الرؤوف الرحيم كذلك، الحنّان المنّان كذلك، الخالق البارئ كذلك، الواحد الكريم كذلك، /٢٥٤أ/ الواحد القهّار كذلك، الظاهر الباطن مثله، التوّاب الوهّاب مثله، الفتّاح الرزّاق مثله، المحسن المجمل مثله، كذلك المنعم المفضل، كذلك الباعث الوارث، كذلك المحيي المميت، كذلك الغفور الودود، كذلك الشكور الرؤوف، كذلك ديّان يوم الدين، كذلك **﴿أقيمُوا الصَّلاةَ﴾**[1] **﴿وَآتُوا الزَّكاةَ﴾**[2]. مثله **﴿عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ﴾**[3]، **﴿وَبَعَثْنا مِنْهُمُ عَشَرَ نَقيباً﴾**[4]، **﴿وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَي عَشْرَةَ أسْباطاً أمَماً﴾**[5]، **﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً﴾**[6]، وكذلك **﴿الم * ذلِكَ الْكِتابُ﴾**[7]، و **﴿الم * اللّهُ لاإلهَ﴾**[8]، والبروج اثنا عشر، والملائكة الموكّلون بها اثنا عشر، والساعات الليليّة والنهاريّة. **﴿وَكَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأمْثالَ﴾**[9] **﴿وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأعْلى﴾**[10].[11]

[كيفيّة الانتفاع بالإمام الغائب]

قال: فإن قيل: ما معنى لطفيّته إذا لم يكن ظاهراً للخلق ولامبسوط اليد

---

١. البقرة/٤٣، ٨٣، ١١٠؛ النساء/٧٧؛ الأنعام/٧٢؛ يونس عليه السلام/٨٧؛ النور/٥٦؛ الروم/٣١؛ المزمّل/٢٠

٢. نفس المصادر.

٣. التوبة/٣٦

٤. المائدة/١٢

٥. الأعراف/١٦٠

٦. البقرة/٦٠

٧. البقرة/٢ـ١

٨. آل عمران/٢ـ١

٩. إبراهيم عليه السلام/٢٥؛ النور/٣٥

١٠. النحل/٦٠

١١. أنوار الرشاد: ٧٧

ولاينتفع به في الأحوال الدينيّة ولاالأمور الدنيويّة؟ فما الفائدة في إمامته؟ **قيل**: إنّ المنفعة بالإمام ثابتة على حالتي الظهور والكمون والتمكّن وبسط اليد والاختفاء والغيبة وقبض اليد. أمّا منفعته في الحالة الأولى فظاهرة، وأمّا منفعته في الحالة الثانية فلأنّ السياسة المدنيّة قد تكون باعتبار حفظ الفروع والأفعال الجزئيّة الحاصلة في الملاقيات والمصادمات المادّيّة الحاصلة بسبب الاجتماع المضطرّ إليه في حفظ النوع، وقد تكون باعتبار حفظ النوع، وقد تكون باعتبار حفظ الأمور الكلّيّة والقوانين المنطبقة على الجزئيّات وانتظام التدبير الكلّيّ بواسطة حفظ الشريعة عن الضياع وبقائها على أصولها عن التغيّرات الناشئة عن أهواء أهل البدع والأغراض العاجلة والحظوظ الدنيويّة. والإمام لطفيّته في حفظ الأمرين معاً، فتعذّر أحدهما لعارض خارجيّ لايستلزم تعطيل الآخر، فمتى تعذّر الانتفاع به في الجزئيّات بقي الانتفاع به في الأمور الكلّيّة المهمّة التي هي الأصول بحاله؛ فإنّه الحافظ للشريعة والعالم بقوانينها والعارف لأحكامها، فبقاؤه ووجوده مستلزم لبقائها وحفظها عن التغيير والزوال وذلك هو الأصل المحوج إلى وجود الإمام باعتبار الأصول ووجوب نصبه في الحكمة الإلهيّة.

وأمّا تصرّفه في الأحكام الجزئيّة وإنفاذ السياسات الشخصيّة وبسط اليد بالنسبة إلى تدبير الأمور المعاشيّة وإصلاح أفراد النوع وتكميل أشخاصهم، فربّما منع منه تغلّب الظلَمة على المراتب، فلايلزم من تغيّره أو تعذّره كلّه أو بعضه كثير ضرر مع حفظ الأصول والقوانين الكلّيّة، فامتناع إنفاذها باعتبار عارض خارجيّ لايكون مانعاً من ثبوت الولاية في نفسها ولا من تحقّقها باعتبار الأمور الكلّيّة المهمّة؛ لأنّ المانع لايتمكّن من ردّها ولا من تعطيلها كما هو الواقع في هذه الأزمنة. /٢٥٤ ب/

[معنى استدار الزمان كهيئته الأولى في أيّامه ﷺ]

أقول: ويدلّ على هذا ما روي من قول النبيّ ﷺ: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه السماوات والأرض»[١]؛ فإنّ معناه أنّ القوانين الكلّيّة التي كانت موجودة في بدء خلق السماوات والأرض لما كانت محفوظة عنده ﷺ باعتبار نشأته النوريّة الحاصلة قبل خلق السماوات والأرض، ثمّ إنّه عليه السلام ظهر بالصورة البشريّة بعد أن تغيّرت تلك القوانين بأعمال الجاهليّة وبدول السلاطين المتغلّبة وأفعال الكفَرة الظاهرة فيها الصفات الجلاليّة وأعادها هو عليه السلام كما كانت بسبب استيلائه وظهور دعوته وغلبة كلمته واستقامة دولته وشدّة أعوانه وتتميمه لمكارم الأخلاق بشريعته وطريقته وحقيقته عادت تلك القوانين على ما كانت عليه؛ لظهور الصفات الجماليّة في أيّامه، فاستدار الزمان كهيئته الأولى وكان في أيّامه كما كان في بدء خلق السماوات والأرض.

وهذا دليل على أنّ للّه خلفاء يظهرون بعد الأزمنة المتطاولة؛ ليعاد بهم القوانين الكلّيّة المحفوظة عندهم عند تغيّرها بالدول الظالمة، **﴿سُنَّةَ اللّهِ فِي الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْديلاً﴾**[٢]؛ فإنّ من المعلوم أنّ اختفاء الأولياء وخمولهم ليس من الأمور المبدعة في هذه الملّة، بل هي سنّة جارية في جميع الملل الماضية والأزمنة السالفة، يعرف ذلك من طالع كتب الأخبار والقصص المشتملة على أحوال الماضين.

---

١. بحار الأنوار: ٩٨/٩، ٢٥٢/١٥، ٣٣٩/٥٥، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٤٨/٧٣؛ تحف العقول: ٣٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢٦/١؛ فضائل شهر رجب: ٤٩٦

٢. الأحزاب/٦٢

[انتفاع الناس بالإمام الغائب كانتفاعهم بالشمس خلف الغيم]

قال: ومثال ذلك انتفاع الناس بالشمس إذا حجبها الغَيم؛ فإنّ حجب الغيم لها وإن قصر بها عن نفوذ شعاعها بتمامه إلى الأرض إلّا أنّه لايستلزم بطلان الانتفاع بالكلّيّة حتّى يلزم من حجب الغيم لها تعطيلها بالكلّيّة وخروجها عن حدّ الانتفاع، بل الانتفاع بالشعاع المنحدر عنها بحاله؛ فإنّ به تحصل الإضاءة في جميع العوالم السفليّة، بل وقيامها إنّما هو به، بحيث لو فرض عدم الشمس بالكلّيّة لتعطّل وجودها ولم يتمّ الانتفاع بها. وإذا كان الانتفاع بالشمس بحاله مع حجاب الغيم لها فكذلك حال الوليّ؛ فإنّه وإن لم يكن ظاهراً ولامبسوط اليد لموانع حاجته له عن التصرّف التامّ ووصول نورانيّته بتمامها وكمالها، فلايكون ذلك موجباً لتعطيل الانتفاع به بالكلّيّة، بل منافعه باقية بحالها مع ذلك الحجاب، واصلة إلى جميع الأنفس المستعدّة لقبول فيضه ونورانيّته، متّصلة بأوليائه بالإعانة والإمداد على مطالبهم، بل وإلى أعدائه بالضرب على أيديهم وحجبهم عن أكثر خواطرهم الشيطانيّة من حيث لايشعرون؛ لسريان نورانيّته واتّصالها بالكلّ، فينتفع بها الكلّ، بل الكلّ قائم بها كقيام العوالم السفليّة بضوء الشمس وإن حجبها الغيم.

[تعلّق قوام الدنيا وبقاء الأنواع بالقطب الكلّيّ]

ولهذا تقرّر في الحكمة الإشراقيّة /٢٥٥ أ/ أنّ قوام الدنيا وبقاء الأنواع متعلّق بالقطب الكلّيّ الذي عليه مدار الأرض وبه بقاء الكلّ؛ لأنّه النفس الكلّيّة باعتبار عالم النفس والعقل الكلّيّ باعتبار عالم العقل والجرم الكلّيّ باعتبار عالم الجرم، فهو كلّ العالم، بل نفس العالم، بل هو صاحب الفيض الكلّيّ على الكلّ، فهو

الآية الكبرى ومظهر أسرار الربوبيّة الظاهر بسرّ العبوديّة[1] لسائر الأشخاص، فالكلّ يتّصل به ويمدّه بنوره ويبقيه ببقائه. فالأعلام لولاه طامسة والأديان لولا وجوده دارسة، فقواعد الدين مشيّدة بوجوده وأعلام الهدى منتشرة بجوده، بل وكلّ الجود والوجود الفائض عن الوجود المطلق قائم بوجوده.

أقول: وفي الأحاديث المرويّة عن النبيّ ﷺ ما يدلّ على ذلك، مثله قوله عليه السلام: «إنّ اللّه خلق السماء وجعل لها سُكّاناً وحَرَساً، ألا وإنّ حرس السماء النجوم، فإذا هلك النجوم هلك أهل السماء. وخلق الأرض وجعل لها سكّاناً وحرساً، ألا وإنّ حرس الأرض أهل بيتي، فإذا هلك أهل بيتي هلك أهل الأرض»[2].

ومثله قوله عليه السلام: «مثل أهل بيتي مثل نجوم السماء، كلّما خوى نجم طلع

---

١. هامش حج: المراد بسرّ العبوديّة إنّما هو كنهها الذي يسمّى بالربوبيّة كما ورد عنهم عليهم السلام: «العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة» [مرويّ عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في: مصباح الشريعة: ۷]. وهو عليه السلام لما كان ربّاً إنسانيّاً وإنساناً ربّانيّاً فله وجهان: وجه به يلي الربّ الحقيقيّ ـ تعالى شأنه ـ ووجه يلي نفسه الإنسانيّ. فبوجهه الربّانيّ الغالب في حقّه تعالى على وجهه الإنسانيّ بوجه خاصّ من الغلبة الربّانيّة يربّي الأشخاص بل الأشياء كلّها ويمدّها ويبقيها، وبوجهه البشريّ والعبديّ يستفيد من الربّ الحقّ الحقيقيّ جلّ جلاله عن الشركة والشباهة ويستكمل تدريجاً بالعبادات الخاصّة له، وذلك الاستكمال يزيد شيئاً فشيئاً على ربّانيّته الخاصّة. فظهر سرّ كون الكلّ متّصلاً به عليه السلام وانكشف كون ذلك الاتّصال اتّصال العبوديّة بالربوبيّة كاتّصال المعلول بالعلّة الفيّاضة، والمعلول مظهر العلّة، فأولياؤه عليهم السلام مظاهر جماله الثاني ومرايا كماله الربّانيّ، ومن هنا ينكشف سرّ قوله: «بل عينيّته ظهوره بطور آخر».

يك نكته از اين دفتر گفتيم وهمين باشد

لولا العالي لانطمس السافل، فتثبّت وتلطّف سرآ. «نوري قدس سره».

٢. الصراط المستقيم: ٨١/٢

نجم»[1]. ومن المعلوم أنّ استقامة العالم العنصريّ إنّما هو بالنجوم، فيكون أهل بيته كذلك؛ ليتحقّق معنى المماثلة. إلى غير ذلك من الأحاديث الدالّة على أنّ العالم لايستقيم إلّا بواحد من أهل بيته، إمّا ظاهراً أو مستوراً، فاستتاره لايوجب بطلان إمامته ولاانتفاء ولايته ولاعدم الانتفاع به، بل غيبته ظهوره بطور آخر، فاعرف ذلك تعرف به سرّ الغيبة.

[عدم ممانعة الغيبة عن وصول نور الإمام الغائب]

قال: فإن كانت السياسة بيده كان الزمان به نورانيّاً مضيئاً، ويكون حاله كحال اليوم الذي شمسه طالعة غير محجوبة بشيء من الموانع في ضحوة نهارها. وإن كانت السياسة ليست بيده، بل تغلب عليها الظلمة كانت الظلمات غالبة والزمان حينئذٍ ظلمانيّ، ويكون حال الوليّ كحال الشمس عند الغيم محجوباً عن الأبصار ومنفعته واصلة إلى كلّ من في جميع الأمصار، لايمنعه الحجاب عن نفوذ نوره في سائر الأجسام وبلوغ نفعه إلى سائر الأنام. فليتفطّن لهذه الرموز أولوا الأفهام؛ فإنّها من الأسرار العظام، بها ينجلي ما يرد على أهل الولاية من الشكوك والأوهام.

[وجوه في غيبة الإمام]

فإن قلت: فما السبب في الغيبة وما الوجه فيها؟ **قلت:** قد ذكر علماء أهل

---

١. مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في: بحار الأنوار: ٢١٤/٣٤، ٢١٥؛ تأويل الآيات: ١٧٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨٤/٧، ٩٣؛ عوالي اللآلي: ٨٥/٤؛ نهج البلاغة: ٣٣

هذه الطريقة لذلك وجهان:

[الوجه الأوّل]

أحدهما: أن يكون ذلك من الأعداء والخصوم؛ لأنّ تمام الإمامة وحصول الانتفاع بها بالنسبة إلى الأمور الجزئيّة إنّما يتمّ بثلاثة أحوال:

الأوّل: إيجاده ونصبه وإظهاره وقيام الحجّة على وجوده ونصب الدلالة على عينيه[١] وإعطاؤه جميع آلات الإمامة وشرائطها، وذلك هو الواجب على اللّه تعالى، /٢٥٥ ب/ وقد فعله.

الثاني: قبول الإمام لها والسعي في الذبّ عنها والقيام بمهمّاتها وحفظ جانبها وسياسة الرعيّة والقيام عليهم بما يصلحهم، وذلك من فعل الإمام، والواجب على اللّه تعالى فيه إنّما هو إعلامه بذلك وايجابه عليه، وقد فعله.

الثالث: متابعة الخلق وقيامهم بنصرته والدفع لأعدائه عنه وفعلهم لما يصلحه وطاعتهم لأوامره ونواهيه، وذلك من فعلهم، والواجب على اللّه تعالى فيه إعلامهم به وإيجابه عليهم وقد فعله. فالحقّ تعالى قد فعل ما وجب عليه من تتميم أحوال اللطف، وكذلك الإمام وما وجب على الخلق فقد أعلمهم به وأوجب عليهم القيام وأوعدهم عليه الثواب وتوعّدهم على تركه العقاب وأبلغ في الإعذار والإنذار. وبقي ما هو باختيارهم ممّا هو مناط التكليف، فما فعلوه ولاقاموا به ولاقبلوا ما أمِروا به من فرض طاعته والقيام بخدمته والدفاع عنه والجهاد بين يديه، بل أخافوه وأعانوا أعداءه عليه ولم يقبلوا أوامره، بل

---

١. حج: عينه.

تواثبوا[١] على قيامه، فغصبوه منه وتغلّبوا على سلطنة الخلق والأمر والنهي بالعساكر والخزائن والسلاح، وتابعهم الخلق وقاموا معهم عليه. فلمّا أخاف على نفسه وعلى أوليائه من القتل والنهب واستباحة الأموال والذراريّ ـ كما وقع لبعضهم ـ استتر منهم اتّقاءً على نفسه حتّى تزول هذه الموانع، فما طال بها الزمان إلّا تمادياً وكثرة وقوّة وظهوراً، فاستمرّ العذر إلى هذا الوقت، وما لم يزل السبب لم تزل الغيبة، فهذا هو السبب والوجه في الغيبة.

[الوجه الثاني]

الثاني: أنّه لمّا تحقّق أنّ اللّه تعالى حكيم وأنّ أفعاله تقع موافقة للمصالح وتكميل الخلق، وأنّ الإمام معصوم لايصحّ منه الميل عن مركز الاعتدال وخطّ الاستقامة، وحصلت هذه الغيبة من الوليّ ولم يعلم الوجه فيها ولاالسبب الداعي إليها على وجه القطع والجزم، وجب أن يرجع فيها إلى الأصول والقواعد المضبوطة في العلوم الكلاميّة والحكميّة.

فنقول حينئذٍ: جاز استناد هذه الغيبة إلى فعل اللّه تعالى وأنّه اختاره وارتضاه لحكمة خفيّة ومصلحة كلّيّة، فلايجوز الاعتراض فيها؛ لأنّ أفعاله مشتملة على الحكَم والمصالح والكمالات نعلمه ونتحقّقه فيها على وجه الإجمال وإن لم نعلمه مفصّلاً، فجاز اشتمال هذه الغيبة على حكمة ومصلحة ونوع كمال لانعلم الوجه فيه ولانتحقّقه على التفصيل، وما دام ذلك السبب المصلح باقياً في علم اللّه دامت الغيبة، فلاتزول حتّى يزول. ويكون حكمها حكم خلق سائر

---

١. مر، حج: توثّبوا.

الحيوانات وكثير من المركّبات العنصريّات التي لايعلم الوجه في مصلحتها وبيان وجه الكمال فيها على التفصيل، ولايلزم من ذلك قبحها ولايصحّ لأحد لايعلم /٢٥٦أ/ الوجه في خلقها أن يقول: لمَ خلَقها ولأيّ شيء أوجدها؛ فإنّه لايُسأل عمّا يفعل بعد الاطّلاع على الحكمة الإجماليّة والعلم بها في مطلق أفعاله وأنّها واقعة على مقتضى عنايته الموجبة لسوق الأشياء إلى منتهى كمالاتها اللائقة بها من غير فرق.

[الوجه الثالث]

ولبعض الأصحاب قول ثالث وهو أن السبب فيها استخلاص النطف التي يحصل منها أهل الإيمان من أصلاب أهل النفاق؛ خوفاً أنّ بسط اليد يقتضي القيام بالسيف الموجب لقتل أهل الخلاف، فيفوت بقتلهم وجود تلك الذراريّ الصالحة من أصلابهم، فأخّر ذلك واختفى الإمام؛ لاستخلاصهم من تلك الظهور، وذلك أمر مطلوب في الحكمة الإلهيّة.

ومن هذا أجاب بعضهم عن عليّ عليه السلام في تركه الجهاد مع الثلاثة المتقدّمين عليه؛ فإنّه لو جاهدهم لقتل من هنالك من أهل الردّة وقد كان عليه السلام يعلم أنّ في ظهورهم من النطف الصالحة للقيام بالولايه والنصرة والاتّصاف بالإيمان، فترك جهادهم وصبر على أذاهم؛ لاستخلاص تلك النطف. وحال صبر عليّ عليه السلام في قعوده عن طلب حقّه كحال اختفاء المهديّ عليه السلام عن أعدائه من غير فرق؛ فإنّ منع التصرّفات في الجزئيّات حاصل فيهما.

ومن هذا روي عن الحسين عليه السلام أنّه كان يوم الطفّ إذا حمل على عسكر ابن زياد يقتل بعضاً ويترك آخرين مع تمكّنه من قتلهم، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام:

كشف عن بصري، فأبصرت النطف التي في أصلابهم، فعرفت مَن يخرج مِن نطفته مَن هو مِن أهل الإيمان فتركته عن القتل؛ لاستخلاص تلك الذرّيّة، ورأيت من لم تخرج منه نطفة[1] صالحة فقتلته. وهذا شأن أهل الولاية في تدبيرهم أمور الخلق من حيث لايشعرون، فلايجوز الاعتراض على شيء من أفعالهم، بل الواجب فيها الحمل على الحكمة الإجماليّة والمصالح العامّة من غير احتياج إلى العلم التفصيليّ.

[إمكان بقاء مثله هذا العمر الطويل]

وأمّا استبعاد بقاء مثله هذا العمر الطويل وأنّ ذلك غير مألوف بالنسبة إلى العوائد فضعيف جدّاً لايلوي عليه من له أدنى بصيرة؛ فإنّ هذا التعمير من الأمور الممكنة الواقعة لأناس كثيرة أزيد من عمره بأضعاف، فإنكاره واستبعاده سخافة وحماقة؛ فإنّ من أثبت الفاعل المختار على مقتضى الحكَم والأغراض لايصحّ منه إنكار ذلك واستبعاده إلّا بالخروج عن الملّة الإسلاميّة. وان أردت الوقوف على هذا المعنى وتمام البحث فيه فعليك بكتب الإماميّة المصنّفة /٢٥٦ ب/ في هذا الشأن[2]؛ فإنّها كثيرة مطوّلة ذكروا فيها نصوصاً على وجوده وعلى بقائه وعلى ظهوره بعد الغيبة وجواز الغيبة في الحكمة وأنّها وقعت لسائر أهل الولاية من الأنبياء وأوصيائهم وذكروا المعمّرين ومدّة أعمارهم من أهل السعادة والشقاوة، وقد اشتمل كتابنا الموسوم بـ*معين المعين في أصول الدين* على نبذة شافية في هذا المعنى.

❊

---

١. حج: لم يخرج من نطفته من هو.
٢. حج (خ ل): هذه المسألة.

[أفضليّة الأنبياء على الملائكة]

قوله: ويجب اعتقاد أنّ الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة، بمعنى أكثر ثواباً؛ لحصول المشقّة في طاعتهم[1] الموجبة لارتفاع درجتهم؛ لأنّهم عبدوا اللّه مع المجاهدات النفسانيّة وجرّدوا أنفسهم عن متعلّقات المادّة وشوائب الطبيعة مع ارتكاسها فيها وذلك من أعظم المجاهدات، فيكونوا أفضل منهم.

[أفضليّة نبيّنا ﷺ ووصيّه عليه السلام على جميع الأنبياء]

واعتقاد أفضليّة نبيّنا محمّد ﷺ على جميع الأنبياء؛ لجمعه الخصال المتفرّقة فيهم ولإخباره بذلك عن نفسه. واعتقاد أنّ عليّاً عليه السلام كذلك؛ لمساواته له بنصّ القرآن، وكذلك الحسنان؛ للحديث المشهور. وأمّا باقي الأئمّة فلاريب في أفضليّتهم على ما عدا أولي العزم، وعندي فيهم توقّف. وعليّ أفضل من باقي الأئمّة؛ للعلّة السابقة، والحسنان أفضل من الباقين؛ لما تقدّم، وأمّا التسعة الباقية ففي مرتبة واحدة، وجاء في القائم مرجّحات كالقيام بالسيف وإظهار الأمر وشدّة المحنة وطول العمر وكثرة العبادة.

[حكم مخالفي عليّ عليه السلام ومحاربيه]

والمخالفون لعليّ عليه السلام أو المعتقدون لإمامته بالبيعة فَسَقة. وأمّا محاربوه

---

١. حج (خ ل): طاعاتهم.

فكَفَرة؛ لحديث «حربك يا عليّ حربي»[١]. فلهذا يحكم بكفر طلحة والزبير وجميع من قتِل يوم الجمل، ودعوى توبتهم لم تثبت؛ إذ لاتجوز[٢] بدون الاعتذار إليه. وكذلك معاوية ومن كان معه في حرب صفّين وجميع أهل النهروان كلّهم هالكون؛ لحربهم الإمام الحقّ، فكلّهم خوارج مرقوا من الدين.

[معنى الرجعة عند المصنّف]

ويجب اعتقاد كون الرجعة حقّاً؛ لإجماع الإماميّة على ثبوتها وورود الأخبار بها عن الأئمّة عليهم السلام. ومعناها بعث أشخاص من الأموات عند ظهور القائم عليه السلام من أهل ولايته؛ ليتبهّجوا بدولته ويشاهدوا فتح آل محمّد، وأناس من أعدائه؛ لينالوا نقمته وتنكيله، وليس ذلك ببعيد في العقل؛ لإمكانه، وقد دلّ النقل عليه، فيجب المصير إليه.

[تحقيق مذهب الإشراقيّين في أفضليّة الأنبياء على الملائكة]

قال: هذا البحث بناه المصنّف على ما مضى من مباحث النبوّة والولاية وأنّهما من أعلى درجات الكمال وأعظم مراتب الشرف الذي لانهاية له ولامرتبة بعده إلّا الألوهيّة؛ لأنّ مرتبة الولاية المطلقة هي المرتبة الجامعة لجميع المراتب. وقد تقرّر في مباحث الحكمة الإشراقيّة أنّه لابدّ عند تمام النشئات الكونيّة الجرميّة

---

١. بحار الأنوار: ٣٦٤/٨، ٣٣١/٣٢؛ الإفصاح: ١٢٨؛ الجمل: ٧٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٣/١٣؛ الصوارم المهرقة: ٨٩؛ عوالي اللآلي: ١٠٢/٢، ٨٧/٤؛ الفصول المختارة: ٢٤٥؛ فقه القرآن: ٣٦٥/١

٢. مو: لاتصحّ.

المادّيّة من ختمها بالنسخة الجامعة لجميع خواصّ العوالم الجرميّة وغيرها المسمّاة بالعالم الصغير الذي هو النسخة المختصرة من العالم الكبير. وإذا كانت هذه المرتبة مشتملة على هذه النسخة الكلّيّة المشتملة على جميع خواصّ العالم بجملته لاجرم وجب أن يكون هناك شخص هو أكمل جميع أشخاص النوع من عالم الجرم وأتمّه وأعدله. /٢٥٧ أ/ فوجب بطريق العناية الإلهيّة وترتيب العوالم الحاصل على النظام الأتمّ أن تكون النفس المدبّرة لهذا الجرم الكامل الحاوي لمراتب الاعتدال أشرف النفوس وأكملها وأفضلها. ولهذا سمّوها بالنفس الكلّيّة، بل هي في الحقيقة عقل كامل باعتبار توقّف نشأة العوالم عليها بطريق العلّة الغائيّة؛ لأنّها منتهى غاية الغايات وآخر درجات النهايات وكانت متقدّمة بالاعتبار العقليّ وإن كانت متأخّرة في الوجود الفعليّ، فهي حينئذٍ العقل الأوّل والعقل الكلّيّ وعقل الكلّ، فكانت حينئذٍ مرتبة النبوّة المنشعبة عن مرتبة الولاية المطلقة المنشعب عنها الولاية الخاصّة أعلى وأشرف وأفضل من جميع العوالم العقليّة والنفسيّة والجرميّة ـ على ما مرّ ـ وهذا تحقيق مذهب الإشراقيّين من أهل الحكمة وإن كان للمشّائيّين في ذلك خبط كثير كما خبط فيه أهل الكلام ووافقهم من المتكلّمين طائفة، فقالوا: إنّ الأنبياء والأولياء أشرف من الملائكة.

أقول: إنّما كان الأمر كذلك؛ لأنّ ابتداء نشأة التكوين بالعالم الاختراعيّ الذي هو عالم العقل المشار إليه في قولهعليه السلام: «أوّل ما خلق اللّه العقل»[١]. ثمّ نزل إلى

---

١. بحار الأنوار: ١/٩٧، ١٠١، ١٠٤، ٥٤/٣٠٩، ٣٦٢، ٥٥/٢١٢؛ سعد السعود: ٢٠١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١٨٥؛ عوالي اللآلي: ٤/٩٩

عالم النفس على مراتبه، فيسمّى هذين العالمين عالم الإبداع وعالم الغيب وعالم الأنوار. ثمّ نزل إلى عالم التكوين والتسطير، فهو عالم الجرم المسمّى بعالم الشهادة، مبدؤه المحيط الأعلى الذي هو أشفّها وأسرعها حركةً والمحيط بجميعها وآخره فلك القمر. ثمّ نزل منه إلى عالم العناصر المسمّى بعالم الكون والفساد من أمّهاته إلى مواليده المعدنيّة والنباتيّة والحيوانيّة على مراتبها. ثمّ نزل منها إلى العالم الألفيّ الظاهر بصورة الألف وهو النسخة الجامعة أحسن الصور وأبدعها وأتمّها الحاوي لجميع العوالم المتقدّمة المشتملة على جميع خواصّها المسمّى بالعالم الصغير والإنسان الصغير المشار إليه في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾**[١]، وفيه قول بعضهم:

أتحسب[٢] أنّك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر[٣]

فكان هو الخاتم لتلك العوالم والمكمّل لجميعها والمشتمل على جميع ما فيها من الكمالات، إمّا فعلاً كما في الأنبياء والكاملين من أتباعهم، أو قوّةً كما في باقي أشخاصه، فكان بذلك أشرف الكائنات وأفضل المخلوقات.

[العالم هو صورة الحقيقة الإنسانيّة]

«وتحقيق هذا البحث أنّهم يقرّرون أنّ العالم هو صورة الحقيقة الإنسانيّة وذلك لأنّ اسم اللّه مشتمل على جميع الأسماء ومتجلٍّ فيها بحسب مراتبها الإلهيّة ومظاهرها، وهو مقدّم بالذات والمرتبة على باقي الأسماء، فمظهره أيضاً مقدّم

---

١. الإنسان/٤

٢. حج (خ ل): أتزعم.

٣. ديوان الإمام علي عليه السلام: ١٧٥

على المظاهر كلّها ومتجلٍّ فيها بحسب مراتبه، فلهذا الاسم بالنسبة إلى غيره من الأسماء اعتباران:

أحدهما: ظهور ذاته في كلّ واحد من الأسماء.

والثاني: اشتماله عليها كلّها من حيث المرتبة الإلهيّة.

فبالأوّل تكون مظاهرها /٢٥٧ ب/ كلّها مظهر هذا الاسم الأعظم؛ لأنّ الظاهر والمظهر في الوجود شيء واحد لاكثرة فيه ولاتعدّد، وفي العقل يمتاز كلّ منهما عن الآخر، كما يقول أهل النظر بأنّ الوجود عين الماهيّة في الخارج وغيرها في العقل، فيكون اشتماله عليها اشتمال الحقيقة الواحدة على أفرادها المتنوّعة.

وبالثاني يكون مشتملاً عليها من حيث المرتبة الإلهيّة اشتمال الكلّيّ المجموعيّ على الأجزاء التي هي عينه.

وإذا علمت هذا علمت أنّ حقائق العالم في العلم والعين كلّها مظاهر الحقيقة الإنسانيّة التي هي مظهر لاسم الله، فأرواحها أيضاً كلّها جزئيّات الروح الأعظم الإنسانيّ، سواء كان روحاً فلكيّاً أو عنصريّاً أو حيوانيّاً وصور تلك الحقيقة ولوازمها، ولذلك يسمّى العالم المفصّل بالعالم الكبير عند أهل هذه الصناعة؛ لظهور الحقيقة الإنسانيّة فيه، ولهذا الاشتمال وظهور الأسماء الإلهيّة كلّها فيها دون غيرها استحقّت الخلافة من بين الحقائق كلّها.

سبحان من أظهر ناسوته   سر سنا لاهوته الثاقب
ثمّ بدا فی خلقه ظاهراً   فی صورة الآكل والشارب[1]

فأوّل ظهورها في صورة العقل الأوّل الذي هو صورة إجماليّة للمرتبة

---

١. منسوب إلى الحلاج، كما في فصوص الحكم: ١٨٩

العمائيّة[١] المشار إليها في الحديث ـ وقد سأل الأعرابيّ له عليه السلام ـ: أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال عليه السلام: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء[٢ و٣]. لذلك قال عليه السلام: «أوّل ما خلق اللّه نوري»[٤]، وأراد العقل كما أيّده بقوله: «أوّل ما خلق اللّه العقل»[٥]. ثمّ صورة باقي العقول والنفوس الناطقة والفلكيّة وغيرها

---

١. هامش حج: حقيقة الوجود إذا أخذت بشرط أن لايكون معها شيء فهي المسمّاة عند القوم بالمرتبة الأحديّة المستهلكة جميع الأسماء والصفات فيها، وتسمّى جمع الجمع وحقيقة الحقائق والعماء أيضاً.

وإذا أخذت بشرط شيء فإمّا أن يؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمة لها كلّيها وجزئيها، المسمّاة بالأسماء والصفات فهي المرتبة الإلهيّة المسمّاة عندهم بالواحديّة ومقام الجمع، وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لمظاهر الأسماء التي هي الأعيان والحقائق إلى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها في الخارج تسمّى مرتبة الربوبيّة.

وإذا أخذت لابشرط شيء ولابشرط لاشيء فهي المسمّاة بالهويّة السارية في جميع الموجودات. [شرح فصوص الحكم للقيصريّ: ٢٢].

٢. هامش حج: في حديث أبي ذرّ [والصحيح أبي رزين العقيليّ، كما في المصدر] قال: يا رسول اللّه! أين كان ربّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء تحته هواء وفوقه هواء [عوالي اللآلي: ٥٤/١]. العماء (بالفتح والمدّ) السحاب. قال أبو عبيدة: لاندري كيف كان ذلك العماء. وفي رواية: كان في عمى (بالقصر)، ومعناه: ليس معه شيء. وقيل: هو كذلك، أي لاتدركه عقول بني آدم ولايبلغ كنهه الفطن. ولابدّ في قوله: «أين كان ربّنا؟» من مضاف محذوف ويكون التقدير «أين كان عرش ربنا؟». ويدل عليه قوله: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ**﴾ [هود عليه السلام/٧]. قال الأزهريّ: نؤمن به ولانصِفه بصفة، أي يجري اللفظ على ما عليه من غير تأويل.

٣. عوالي اللآلي: ٥٤/١

٤. بحار الأنوار: ٩٧/١، ١٠٤، ٢٤/١٥، ٢٢/٢٥، ١٧٠/٥٤؛ عوالي اللآلي: ٩٩/٤

٥. بحار الأنوار: ٩٧/١، ١٠١، ١٠٤، ٣٠٩/٥٤، ٣٦٢، ٢١٢/٥٥؛ سعد السعود: ٢٠١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٥/١٨؛ عوالي اللآلي: ٩٩/٤

وصورة الطبيعة والهيولى الكلّيّة والصورة الجسميّة البسيطة والمركّبة بأجمعها.

ويؤيّد ذلك قول سيّد الأولياء عليّ عليه السلام في بعض خطبه: «أنا نقطة باء بسم اللّه، أنا جنب اللّه الذي فرّطتم فيه، وأنا اللوح وأنا القلم، وأنا العرش وأنا الكرسيّ، وأنا السماوات السبع والأرضون»[1]. فلمّا صحا في أثنائها وارتفع عنه حكم تجلّي الوحدة ورجع إلى عالم البشريّة وتجلّى له الحقّ بحكم الكثرة شرع معتذراً فأقرّ بعبوديّته وضعفه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهيّة.

[سريان الإنسان الكامل في جميع الموجودات في السفر الثالث]

ولذلك قيل: إنّ الإنسان الكامل لابدّ أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحقّ فيها، وذلك في السفر الثالث الذي من الحقّ إلى الخلق بالحقّ، وعند هذا السفر يتمّ كماله وبه يحصل له حقّ اليقين من المراتب الثلاثة. ومن هنا تبيّن أنّ الآخريّة عين الأوّليّة[2] ويظهر سرّ ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ**

---

١. فصوص الحكم: ١١٨؛ المقدّمات من نصّ النصوص: ٢٠٣؛ جامع الأسرار: ٣٨٣

٢. هامش مر: وذلك لأنّ الأسفار عندهم منحصرة في أربعة:

الأوّل: هو رفع الحجب المتكثّرة عن وجه الوحدة.

الثاني: هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلميّة الباطنة.

الثالث: هو زوال التقيّد بالضدّين الظاهر والباطن بالحصول في أحديّة عين الجمع.

الرابع: الرجوع من الحقّ إلى الخلق في مقام الاستقامة وهو أحديّة الجمع. والفرق بشهود اندراج الحقّ في الخلق واضمحلال الخلق في الحقّ، حتّى عين الوحدة في الكثرة وصور الكثرة في عين الوحدة. هكذا نقل من كلمات الشيخ كمال الدين عبد الرزّاق القاشيّ [ما وجدته في كلماته، ولكن عثرت عليه في: المقدّمات من نصّ النصوص: ٢٦٧]، وفي كلام المصنّف دلالة على أنّ الأسفار ثلاثة ثالثها هو الرابع في كلامه، فافهم ذلك.

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]».[٢]

[كلام الشيخ ابن العربيّ في هذا السريان]

قال الشيخ في *الفتوحات*:

إنّ الكامل الذي أراد اللّه أن يكون قطب العالم وخليفة اللّه فيه إذا وصل إلى العناصر متنزّلاً إلى السفر الثالث ينبغي أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانيّة /٢٥٨ أ/ إلى يوم القيامة، وبذلك الشهود أيضاً لايستحقّ المقام حتّى يعلم مراتبهم أيضاً، فسبحان من دبّر كلّ شيء بحكمته وأتقن كلّ ما صنع برحمته.[٣]

[ظهورات الحقيقة الإنسانيّة في العالم الإنسانيّ]

«وإذا علمت أنّ للحقيقة الإنسانيّة ظهورات في العالم الكبير تفصيلاً فاعلم أنّ لها أيضاً ظهورات في العالم الإنسانيّ إجمالاً. وأوّل مظاهرها فيه الصورة الروحيّة المجرّدة المطابقة بالصورة العقليّة، ثمّ الصورة القلبيّة المطابقة بالصورة التي للنفس الكلّيّة، ثمّ الصورة التي للنفس الحيوانيّة المطابقة بالطبيعة الكلّيّة وبالنفس المنطبعة الفلكيّة وغيرها، ثمّ الصورة الدخانيّة اللطيفة المسمّاة بالروح الحيوانيّة عند الأطبّاء المطابقة بالهيولى الكلّيّة، ثمّ الصورة الدمويّة المطابقة لصورة الجسم الكلّيّ، ثمّ الصورة الأعضائيّة المطابقة لأجسام العالم الكبير. وبهذه التنزّلات في المظاهر الإنسانيّة حصل التطابق بين النسختين ولهذا سمّي بالعالم الصغير.

---

١. الحديد/٣

٢. شرح فصوص الحكم للقيصريّ: ١١٧

٣. ما عثرت عليه في *الفتوحات*، ولكن وجدته في نفس المصدر: ١١٩

وتفصيل هذه المطابقة يحتاج إلى بسط كثير لاتحتمله هذه الأوراق، ومن تدبّر ما أوردناه فيها وكان ذا نظر صحيح وفكر مستقيم وطبع سليم عرف المطابقة منه، والله الموفّق».[١]

[اشتمال الإنسان الصغير على الكتب والصحف]

ثمّ إنّا نزيد ونقول: اعلم أنّ الإنسان الصغير كتاب واحد مشتمل على الكتب والصحف؛ لأنّه من حيث روحه الجزئيّ وعقله المجرّد كتاب عقليّ مسمّى بأمّ الكتاب، ومن حيث قلبه اللوح المحفوظ والكتاب المبين، ومن حيث نفسه المنطبعة الطبيعيّة كتاب المحو والإثبات، ومن حيث بدنه وجسده الكتاب المسطور، ومن حيث مجموعيّته نسخة الكلّ وجامع الكلّ فهو كتاب جامع للكلّ، كافٍ في مطالعة الكلّ والمشاهدة له تحت آياته وكلماته.

قال بعض المتأخّرين: وليس بعجب أنّ الكلّ فيه وأنّه جامع الكلّ، بل العجب أنّ الكلّ خلِق لأجله والكلّ خادم له وهو مخدوم الكلّ، والكلّ ساجد له وهو مسجود الكلّ؛ لأنّه مظهر الذات المقدّسة وكمالاتها المترتّبة عليها، والعالم مظهر الأسماء والصفات والأفعال المترتّبة على الذات، وفيه قيل:

دواؤك فيك وما تشعر — وداؤك منك وتستكبر
وتزعم أنّك جرم صغير — وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي — بأحرفه يظهر المضمر
وأنت الوجود ونفس الوجود — وما فيك موجود لايحصر[٢]

---

١. نفس المصدر.
٢. ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ١٧٥

فليس كتاب أتمّ منه في مشاهدة الحقّ ومشاهدة أسمائه وصفاته وأفعاله بعد الكتاب الآفاقيّ، والكتاب الآفاقيّ لولاه فيه لم تكن له هذه المراتب؛ لأنّ شرفه وفضله ليس إلّا به. وفي الحديث: «لايسعني /٢٥٨ ب/ أرضي ولاسمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[١]، وفيه إشارة إلى أنّه مع الإنسان بالذات والوجود، ومع العالم بالأسماء والصفات.

[تحقيق في معنى الأمانة والظلوميّة والجهوليّة]

وإلى عظمته وشرفه أشار بقوله تعالى: ﴿**إنّا عَرَضْنَا الأمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأرْضِ وَالْجِبالِ فَأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا وَأشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾[٢]؛ فإنّه دالّ على جامعيّته واستعداده وقابليّته لنيابته وخلافته وظاهريّته ومظهريّته؛ لأنّ السماوات والأرض مع عظمتهما خافوا وعجزوا عن حمل أمانته، وهو حمَلها وأدّى حقّها وما حصل له من حملها لاخوف ولاعجز، فكيف لايكون أعظم وأشرف؟

والأمانة عند المحقّقين هي الخلافة؛ لعدم اشتراك الغير مع الإنسان فيها. والغرض الاطّلاع على استعداد أهل السماوات والأرض حالة إيجادهم والاطّلاع على استعداده وقابليّته واستحقاقه لقبول تلك الأمانة وحملها. والظلوميّة والجهوليّة مدح له غاية المدح؛ فإنّ بهما صار مستحقّاً للأمانة ومستعدّاً لحملها، لا كما توهّم الجاهل أنّه مذمّة، فليست هناك نسخة كاملة إلهيّة غيره ولاصحيفة

---

١. مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله في: عوالي اللآلي: ٧/٤. ومثله قوله صلى الله عليه وآله: «لم يسعني سمائي ولاأرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن» (بحار الأنوار: ٣٩/٥٥).

٢. الأحزاب/٧٢

جامعة للكلّ إلّا هو، فهو الخليفة والإمام المبين والكتاب الجامع.

[الإنسان الكبير بجملته كشخص واحد وحيوان واحد]

وإذا عرفت ذلك فنقول: الإنسان الكبير هو بجملته كشخص واحد وحيوان واحد ذو نطق وحياة وإرادة واختيار؛ لأنّ العالم بجملته أحد عشر كرة والشمس في حاقّ الوسط، فوقها فلك المرّيخ والمشتري وزحل وفلك الثوابت والأطلس وتحتها فلك الزهرة وعُطارِد والقمر وكرة النار وكرة الهواء وكرة الماء وكرة الأرض، والجملة بدن واحد، والنفس الكلّيّة روحه، وواجب الوجود تعالى روح روحه، والجملة المذكورة حيوان ناطق عاقل يفعل بالأختيار، والأرض في الوسط كالثقل في الأمعاء. والحيوان الأعظم لاموت له والذي في الأرض حياته عرضيّة كالخلط بين الأمعاء في الإنسان. وخلق هذا العالم الأكبر في ستّة أيّام، كما أنّ خلق العالم الأصغر في ستّة أشهر، وذلك دالّ على التطبيق. فأفعال اللّه تعالى في صورة الإنسان الكبير بعينه كأفعاله في صورة الإنسان الصغير؛ لأنّ أفعاله عند صدورها وبروزها من مكامن غيبها إلى مظاهرها على مراتب:

[مراتب صدور أفعال اللّه تعالى]

الأوّل: في حضرة روحه؛ لكونها في مكمن غيبه الذي هو غيب غيوبه؛ لأنّها في تلك الحضرة في غاية الخفاء والكمون، كأنّها غير مشعور بها من صفائها ولطافتها.

الثاني: في حيّز قلبه، ونزولها من تلك الحضرة إليها عند استحضارها وإخطارها بباله.

الثالث: في مخزن خياله، ونزولها فيه مشخّصة /٢٥٩ أ/ معيّنة.

الرابع: في حضرة شهادته وحواسّه بتحرّك أعضائه عند إرادة إظهارها وإبرازها في الخارج.

[مراتب صدور أفعال الإنسان الكبير]

فكذلك الإنسان الكبير؛ فإنّ كلّ ما يحدث في العالم من الأمور العينيّة الشهاديّة ـ كلّيّةً كانت تلك الأمور أو جزئيّةً ـ فلها هذه المراتب:

الأوّل: ثبوتها في حضرة الروح الكلّيّ الأعظم وعالم الإجمال.

الثاني: عند نزولها من تلك الحضرة إلى حضرة النفس الكلّيّة مفصّلاً.

الثالث: عند ظهورها في عالم الخيال المطلق ونزولها بكسوة للصورة الروحانيّة والجسمانيّة معاً في عالم الأفلاك والعلويّات خصوصاً في سماء الدنيا؛ لأنّها بمثابة الدماغ من الإنسان.

الرابع: عند ظهورها في عالم الشهادة الحسّيّة بصور الموادّ العنصريّة. فكما أنّ النزول الأوّل من الإنسان الصغير بإرادة كلّيّة والثاني بإرادة جزئيّة منضمّة إلى الكلّيّة فتتحرّك الأعضاء والجوارح بعد الجزم على الفعل ويتبعه ظهور الأفعال في الخارج، كذلك الإنسان الكبير النزول الأوّل فيه من حضرة الروح الأعظم لايكون إلّا بإرادة كلّيّة إجماليّة غيبيّة والثاني بإرادة جزئيّة منضمّة إلى تلك الكلّيّة مفصّلة معيّنة في حضرة النفس الكلّيّة؛ لتتحرّك بها السماوات التي هي بمثابة اليد والأعضاء في الإنسان الصغير ويظهر تلك الأفعال في الخارج الذي هو عالم العناصر والمواليد.

وكما أنّ سلطان الروح الجزئيّ الذي هو الروح الإنسانيّ لايكون إلّا في الدماغ، فكذلك سلطان الروح الكلّيّ الذي هو روح العالم لايكون إلّا في العرش؛

لأنّه بمثابة الدماغ. وكما أنّ مظهره الأوّل في الصغير هو القلب الحقيقيّ الذي هو النفس الناطقة، كذلك مظهره الأوّل في الكبير النفس الكلّيّة التي هي بمثابة القلب الحقيقيّ فيه. وكما أنّ مظهره الأوّل في الصغير في عالم الشهادة هو القلب الصوريّ[1] الذي في الصدور وقد يعبّر به عن الصدر الذي هو منبع الحياة الحيوانيّة، كذلك مظهره الأوّل في الكبير في الفلك الرابع الذي هو في قلبه الصوريّ وهو فلك الشمس؛ فإنّه منبع الحياة الصوريّة في العالم؛ لأنّه بمنزلة الصدر في الصغير والشمس بمنزلة الحياة الحيوانيّة فيه؛ إذ به يحيى جميع الأعضاء والجوارح في الصغير وبه يحيى جميع الحيوانات والنباتات في الكبير. فهو البيت المعمور المشار إليه في الشريعة أنّه في السماء الرابعة وجعل مقام عيسى وكانت معجزته إحياء الموتى؛ لأنّ البيت المعمور هو قلب الإنسان الكبير ومقام عيسى[2] الحقيقيّ الذي هو روح اللّه؛ فإنّ الإنسان الحقيقيّ روح اللّه وبه يحيى الموتى. /٢٥٩ ب/ والحياة الحقيقيّة أعظم من الحياة الصوريّة ومعجزة نبيّناﷺ أعظم؛ لأنّ عيسى كان يُحيي الموتى الصوريّة في بعض الأوقات ونبيّنا كان يُحيي الموتى المعنويّة دائماً، كذلك خلفاؤه وأولاده المعصومون عليهم السلام.

[تحقيق في معنى الطور وما يتعلّق به]

وقد أشار الحقّ تعالى إلى هذه الجملة بقوله: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[3]. فالطور هو العرش المعبّر عنه بالعقل الأوّل، والكتاب المسطور هو

---

١. حج (خ ل): الصنوبريّ.

٢. حج: الإنسان.

٣. الطور/٢ـ١

الكرسيّ المعبّر عنه بالنفس الكلّيّة؛ لنقوش المعلومات عليها مفصّلاً. ويجوز تعبير العقل بالقلم وتعبير النفس باللوح؛ لإفاضة العقل العلوم والحقائق على النفس كإفاضة القلم على اللوح. ويجوز أيضاً تعبير العرش بالأطلس وتعبير الكرسيّ بفلك الثوابت.

والرقّ المنشور هو الهيولى الأعظم الكلّيّة؛ لسذاجتها ولطافتها وخلوّها في نفس الأمر عن الصور عند تجرّدها وبساطتها ونقوشها بحروف الموجودات وصور المخلوقات كالرقوم على الرقّ، وإن كانت الهيولى في الخارج لايمكن تصوّرها منفكّة عن الصورة، وكذلك الصورة لايمكن انفكاكها في الخارج عن الهيولى، وذلك لقابليّتها واستعدادها لانتقاش الصور عليها.

والبيت المعمور هو السماء الرابعة؛ لنزول الصورة عليها من العالم العلويّ كنزول صورة القلب على الإنسان من حضرة النفس الناطقة والروح الجزئيّ، ونفخ الروح الحيوانيّ فيها كنفخ الروح الحيوانيّ في قلب الإنسان.

والسقف المرفوع هو السماء الدنيا؛ لارتفاعه على الأرض.

والبحر المسجور هو الهيولى العنصريّة المملوّة بصور الموجودات والمخلوقات، كما أنّ الطور فينا هو الدماغ الذي هو بمثابة العرش، والكتاب المسطور هو خيالنا المملوّ بنقوش الموجودات المرتسمة فيه، والرقّ المنشور هو هيولى الجسد وما عليها من الأعضاء والجوارح، والبيت المعمور هو القلب المعنويّ دون الصوريّ، والسقف المرفوع هو القلب الصوريّ، والبحر المسجور هو الحقائق والمعارف اللازمة لهذين القلبين أو القوّة المتخيّلة؛ لأنّهما كالبحر المملوّ بالأمواج والأوضاع من الصور والأشكال المتعاقبة المتتالية كما هو معلوم في خواصّ المتخيّلة. وهذا التقابل على سبيل الإجمال واقتضاء هذا المكان، وإلّا

فالتقابل التفصيليّ يحتاج إلى بسط كثير لايحتمله هذا المقام.

[تحقيق في معنى النون وما يتعلّق به]

ثمّ إنّ هذا يطابق قوله تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ**﴾[1]؛ فإنّ الدواة هو العقل الأوّل، والقلم هو النفس الكلّيّة، والأوراق الأجسام والعناصر، ولهذا قال عليه السلام: «جفّ القلم بما هو كائن»[2]، وهو شاهد بأنّ الدواة الروح الأعظم؛ /٢٦٠ أ/ لفيضه على الكلّ، والقلم العقل الكلّي؛ لإفاضته على النفس الكلّيّة، والأوراق الأجسام والعناصر. فالنون يكون إشارة إلى الدواة التي هي الروح الأعظم من إجماله الحقائق المجموعيّة اللائقة لذاته، والقلم إشارة إلى العقل الأوّل؛ لإفاضته على ما دونه كإفاضة القلم على اللوح أو الورق، والأوراق إشارة إلى الأجسام والعناصر وما يسطرون عليها من المخلوقات والموجودات المسطورة عليها من الدواة والقلم المعبّر عنها بالحروف والكلمات.

وإلى هذا أشار الإمام جعفر الصادق الأمين عليه السلام بقوله: «عقل الكلّ علمه ونفس الكلّ حياته والطبائع قلمه والأجسام لوحه».

وقيل: الطبيعة قوّة نافذة من نفس الكلّ في جميع الأجسام السماويّة والأرضيّة من محدّب فلك المحيط إلى مركز الأرض، وقيل: الطبيعة عبارة عن الحقيقة الجامعة للحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والحاكمة على هذه الأربع، والعنصريّ ما كان متولّداً من الأركان الأربعة.

---

١. القلم/١

٢. مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله في: شرح أصول الكافي للمازندرانيّ: ١٥/٨

قال الفاضل المتأخّر ـ قدّست نفسه ـ إنّ السماوات السبع وما فيها عند أهل الذوق من العناصر الأربعة[١]. وقال: إنّ النقليّات الدالّة على ذلك كثير[٢].

أقول: منها ما ذكره الإمام الأوّل والرئيس المقدّم الأكمل سيّد الأولياء وسلطان الورى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه أفضل التحيّة والسلام ـ في خطبة المبدأ المذكورة في *نهج البلاغة*[٣].

[الطبائع الأربعة عند جابر بن حيّان]

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ جابر بن حيّان الصوفيّ ﷺ في كتابه المسمّى بكتاب *العالم العلويّ والسفليّ*؛ فإنّه قال:

> إنّ الطبائع الأربعة القديمة إذا اعتدلت حتّى لايكون جزءً واحداً منها يزيد ولاينقص ويكون بالسواء في ميزان السبخات جاء من ذلك ما لايفسد أبداً.

وقال في كتاب *الشمس والقمر*:

> إنّهما لمّا اعتدلت طبائعهما إلّا طبيعتين أرانا اللّه تعالى بهما علامتين، فنقص منهما وزاد فيهما؛ ليخالف بينهما. فوجب بالبرهان أنّ ما اعتدلت ثلاث طبائع وزادت الرابعة خالداً أيضاً؛ لأنّا وجدنا العالم العلويّ اعتدلت طبائعه،

---

١. جامع الأسرار: ٢٧٦

٢. هامش مر: ومنها ما ورد في الخبر: أنّ اللّه تعالى لمّا أراد خلق السماء والأرض خلق جوهراً أخضر، ثمّ ذوّبه فصار ماءً مضطرباً، ثمّ أخرج منه بخاراً كالدخان، فخلق منه السماء، كما قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصّلت/١١]، ثمّ فتق تلك السماء، فجعلها سبعاً، ثمّ جعل من ذلك الماء زبداً، فخلق منه أرض مكّة، ثمّ بسط الأرض كلّها من تحت الكعبة ولذلك تسمّى مكّة أمّ القرى؛ لأنّها أصل جميع الأرض، ثمّ شقّ من تلك الأرض سبع أرضين [بحار الأنوار: ٥٤/٢٩].

٣. نهج البلاغة: ٤٠

فطالت مدّته وبعُد الفساد منه.

وإنّ اللّه تعالى لمّا خلق الأشياء كلّها من العناصر الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض، خرجت الأسطقسات الأربعة من العوالم القديمة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فلمّا تزاوجت صار من ذلك للنار جزءان: حرارة ويبوسة، وللماء جزءان: برودة ورطوبة، وللهواء جزءان: حرارة ورطوبة، وللأرض جزءان: برودة ويبوسة، ثمّ خلق من ذلك العالمين العلويّ والسفليّ. فلمّا اعتدلت طبائعه بقي على الزمان وما اختلفت فيه ركبة الكون والفساد. فلمّا خلق اللّه تعالى الشمس /٢٦٠ ب/ عدّل طبائعها إلّا الجزء الناريّ؛ فإنّه زاد فيها، فجاءت بلون النار. وخلق تعالى القمر معتدل الأجزاء إلّا الجزء المائيّ غلب عليه، فجاء بلون الماء، فكان الغالبان الفاعلان؛ لأنّ الفاعلين النار والماء والمنفعلين الأرض والهواء.

قال في كتاب *التجميع*:

إنّ في العالم السفليّ ما اعتدلت طبائعه، فصار باقياً على الزمان لاتحرّقه النيران ولاتصدّيه[1] مياه الغُدران وهو الذهب الخالص الذي طبخته الطبيعة، فنقت أدرانه، فالبقاء الدائم في الأشياء يحتاج إلى تعديل الطبيعة.

قال:

حتّى أنّا لو قدرنا واستطعنا أن نأخذ رجلاً فنفصّله ونعدّل طبائعه ونردّه خلقاً جديداً لعاد لايموت أبداً.

فاعرف ذلك وتأمّله.

[تحقيق معنى الدواة والقلم والأوراق عند الآمليّ]

ثمّ قال الفاضل المتأخّرﷺ: إن شئت قلت: الدواة عالم الجبروت؛ لأنّه فوق الملكوت وهو عالم العقول والمجرّدات، والقلم عالم الملكوت؛ لأنّه فوق الملك

---

١. مر، حج: تصدمه.

وهو عالم النفوس والأرواح، والأوراق عالم الملك الذي هو عالم الجسمانيّات والعناصر؛ لأنّه بمثابة الألواح والأوراق؛ لسذاجته حين خلوّه من السطور والرقوم. فالروح الأعظم يكون كالدواة؛ لإجمال الحقائق والمعارف فيه إجمالاً كلّيّاً غيبيّاً كروحنا الجزئيّ بالنسبة إلى عقولنا الجزئيّة، والعقل الكلّيّ يكون كالقلم الذي يأخذ عن الدواة ويفيض على الألواح من النفوس والأجسام، والنفس الكلّيّة والأجسام والعناصر بأجمعها تكون كالأوراق والألواح؛ لقابليّتها لتلك الصور والنقوش، موافقاً لقوله عليه السلام: «جفّ القلم بما هو كائن»[1]؛ لأنّ القلم الذي هو العقل الأوّل جفّ بما كتب من دواة الروح الكلّيّ على النفس الكلّيّة وما دونها من حيث الإجمال والتفصيل؛ لأنّ الحقائق على الوجه الذي تقرّر تكون من الروح الأعظم ثابتاً على سبيل الإجمال وفي العقل الأوّل على سبيل التفصيل وفي النفس والأجسام على سبيل الإجمال والتفصيل معاً.

[تحقيق معنى فراغه تعالى]

وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله: «فرغ اللّه تعالى من الأربع، من الخَلق والخُلق والرزق والأجل»[2]، ومعناه فرغ منها من حيث الإجمال الكلّيّ، لا من حيث التفصيل. ولهذا لمّا سمع اليهود هذا الحديث قالوا: فإنّ اللّه تعالى الآن معطّل؛ لأنّه قد فرغ من الأمور كلّها. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ليس كذلك؛ فإنّه يوصل القضاء إلى القدر. وذلك لأنّ التفصيل الجزئيّ مطابق للأمر الكلّيّ وواقع على ترتيبه، ويسمّى

---

١. مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله في: شرح أصول الكافي للمازندرانيّ: ١٥/٨

٢. مصابيح الأنوار: ٤٠/١

الأوّل علم القضاء والثاني علم القدر، ويجوز الفراغ من القضاء الإلهيّ /٢٦١ أ/ ولكن لايجوز من القدر التابع له؛ فإنّ إيصال القضاء إلى القدر ووقوع القدر بموجب القضاء واجب، بل هو فعله وشأنه الذي هو فيه بحكم ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ**﴾[1].

ومصداق ذلك ما روي أنّ أمير المؤمنين عليّاًعليه السلام كان جائزاً عند حائط مايل، فأسرع في المشي، فقال له بعض أصحابه: أتفرّ من قضاء اللّه؟ فقال: بل أفرّ من قضائه إلى قدره[2]. لأنّ كلّ شيء يجري في الوجود يكون من القدر المطابق للقضاء الإلهيّ؛ لقوله تعالى: ﴿**كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً**﴾[3]، أي في العقل الأوّل الإجماليّ. وفي هذا الباب أسرار وأبحاث لايجوز كشفها أكثر من هذا؛ لأنّ سرّ القدر منهيّ عن كشفه عند غير أهله، واللّه أعلم.

[استدلال على أفضليّة الأنبياء مبنيّ على تجرّد النفس]

قال: واستدلّ بعضهم بأنّ الإنسان مركّب من النفس الناطقة والبدن، والنفس الناطقة من عالم الملكوت وهي من الأنوار الإلهيّة كالملائكة، وأفعالها أفعال الروحانيّات من العلوم والمعارف والتأثير في العالم السفليّ إذا صفت عن الكدورات الحيوانيّة، كما في الأنبياء والأولياء من تجريدهم أنفسهم من علائق ظلمات البدن ومتعلّقات الطبيعات، والبدن آلة لها في اكتساب الكمالات من الإدراكات والعبادات وممارسة الخيرات. فذات الإنسان الذي حصل لنفسه

---

١. الرحمن/٢٩

٢. بحار الأنوار: ٩٧/٥، ١١٤، ٢/٤١، ١٥١/٦٧؛ التوحيد: ٣٦٩؛ متشابه القرآن: ٢٠٠/١

٣. الإسراء/٥٨؛ الأحزاب/٦

كمالات غير ممكنة للمجرّدات بتقدير كون الملائكة مجرّداً أشرف، والأفعال الشريفة الصادرة عنه مع عوق القوى البدنيّة ومنع الأضداد العنصريّة أفضل من أفعال الملائكة الخالية عن هذه الشوائب. والأنبياء والأولياء موصوفون بالكمالات الروحانيّة من العلوم والمعارف وخوارق العادات من التأثيرات في الأجسام العنصريّة والإنباء عن الغيوب، فكانوا أفضل من الملائكة.

[استدلال على أفضليّة الأنبياء غير مبنيّ على تجرّد النفس]

وهذا الاستدلال كما تراه مبنيّ على تجرّد النفس، وأكثر المتكلّمين ينكرونه ويقولون: إنّها من جملة عوالم الجسميّة، فلايستقيم على جملة مذاهب المتكلّمين، ولهذا عدل المصنّف في الاستدلال عن هذا وقال: إنّ الأنبياء والأولياء عبادتهم أشقّ باعتبار أنّهم عبدوا اللّه تعالى مع معارضة القوّة الشهويّة لهم ولم تشغلهم شواغل القوى الطبيعيّة الملازمة لهم عن ملازمة العبادة والإقبال على الحضرة الإلهيّة، فكانت عبادتهم لذلك أشقّ؛ لاشتمالها على المجاهدات النفسانيّة والرياضات البدنيّة حتّى يحصل لهم الاستعداد للوصول إلى كمالاتهم الممكنة، بخلاف الملائكة الذين لامعارض لهم ولاممانع عن كمالاتهم، فكان وصولهم أسهل وطريقهم أقلّ إتعاباً، مع أنّ ما وصل إليه الملائكة مع تلك السهولة وصل إليه الأنبياء والأولياء /٢٦١ ب/ مع هذه المشاقّ والقواطع والموانع، فكانوا بذلك أفضل وأكمل[١]. ولم يتعرّض المصنّف للنفس في هذا التقرير أنّها جسمانيّة أو

---

١. هامش حج: «أفضل الأعمال أحمضها» وهو مشكل؛ لأنّ العبد إذا كان بعيداً من الحقّ كان متنفّراً عن الطاعات والعبادات، وكلّما قرب بالرياضات وملازمة الطاعات صار امتثاله للتكاليف عليه سهلاً يسيراً ورفع اللّه منه ثقل الطاعات ـ كما ورد في الخبر ـ بل يصير ←

مجرّدة، فكان مطابقاً لمذهب المتكلّمين وغيرهم.

[استدلال على أفضليّة الأنبياء مبنيّ على النقل]

وأكثر أهل الكلام يرجعون في التفضيل إلى دلائل النقل؛ فإنّ آية الاصطفاء دالّة عليه دلالة ظاهرة؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿**إنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمينَ**﴾[1] مستلزم لدخول الملائكة في ذلك الاصطفاء؛ لدخولهم في جملة العالم، والاصطفاء هو الاختيار، والاختيار من اللّه إنّما يقع على وجه الصواب، فلو لم يكن الأنبياء أهلاً لذلك الاصطفاء لما وقع ذلك من اللّه تعالى؛ لأنّه ليس على غيبه بمتّهم، فلايضع الشيء في غير موضعه ولايعطيه إلّا ما يستحقّه بسبب استعداده، وذلك بيّن واضح.

ومن أنكر هذا واعتقد أنّ الملائكة أفضل فقد جهل بحقيقة الولاية وما عرف الثمرة المجتناة[2] منها وكان من المحجوبين عن ارتضاع ثدي الحكمة وحقائق المعارف؛ فإنّ من تطّلع سرّه على حقائق الولاية ودقائقها عرف جلالة حالها وعظم مرتبتها وأنّها لايلحقها شيء من مراتب الكمال بعد الإلهيّة. وإذا ثبت أنّ مطلق الولاية الشاملة للنبوّة والولاية الخاصّة أشرف من مرتبة الملائكة، فالذي عليه اعتقاد أهل التحقيق من المسلمين أنّ نبيّنا محمّداً ﷺ أشرف الأولياء وأكمل الأنبياء لم يلحقه منهم لاحق ولايسبقه إلى الفضل سابق. وقد أخبر بذلك عن

مشتاقاً إلى العبادة مستلذاً به، فيلزم أن تكون عبادته بعد كمال القرب أقلّ ثواباً من عبادته في كمال البعد، ويلزم كون عبادة الأنبياء والأولياء أقلّ ثواباً من عبادة الأمم.

١. آل عمران/٣٣

٢. مر، حج: المجتباة.

نفسه وبيّنه لأمّته وقد سبقت منّا الإشارة إلى هذه المسألة مستوفاة في باب النبوّة.

[وجوب مساواة عليّ عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله في الأشرفيّة على الكلّ]

وحينئذٍ نقول: فلمّا ثبت أنّه عليه السلام أشرف الكلّ في الكلّ وجب أن يكون عليّاً عليه السلام كذلك، ويدلّ عليه وجهان:

[الوجه الأوّل]

الأوّل: أنّه عليه السلام مساوٍ للنبيّ صلى الله عليه وآله في جميع الكمالات والمقامات؛ لأنّ كلّ واحد منهما من الآخر، بل هو هو من جميع جهاته؛ بدليل قوله صلى الله عليه وآله: «إنّه منّي وأنا منه»[١] في مواطن كثيرة رواه الثقات بعدّة طرق، ولقصّة المؤاخاة والمنزلة ولكونه وإيّاه شيء واحد في أحاديث كثيرة أشرنا إلى بعض منها في قوله: «لم نزل من شيء واحد في الأصلاب الطاهرة والأرحام الزكيّة حتّى افترقنا من صلب عبد المطّلب فرقتين (وفي حديث: شطرين) في عبد اللّه وأبي طالب، ففيّ النبوّة وفي عليّ الخلافة»[٢]. وغير ذلك أحاديث كثيرة في هذا المعنى يقرب بعضها من بعض.

---

١. الكافي: ١١٠/٨؛ بحار الأنوار: ٦٩/٢٠، ٧٠، ٩٥، ١٠٧، ١٤٤، ٤٢٦/٣٠، ٣١٨/٣١، ٣٧٢، ٣٢٥/٣٨، ٨٧/٤٠، ٨٣/٤١، ٦٥/٤٢؛ الاحتجاج: ٦٥/١؛ إرشاد القلوب: ٢٦٠/٢؛ إعلام الورى: ٨١؛ الأمالي للطوسيّ: ٥٤٧؛ بشارة المصطفى: ١٨٦؛ الخصال: ٥٥٦/٢؛ دعائم الإسلام: ٣٧٤/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧، ٢٦١/١٣؛ الصراط المستقيم: ٢٥٣/١، ٥٨/٢؛ الطرائف: ٦٥/١؛ علل الشرائع: ٧/١؛ العمدة: ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠؛ عوالي اللآلي: ٨٨/٤، ١٢٤؛ القصص للراونديّ: ٣٤١؛ كشف اليقين: ٤٢١؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٢٤/٣؛ نهج الحقّ: ٣٩١؛ اليقين: ٣٥٧

٢. الكافي: ٤٤١/١؛ بحار الأنوار: ٢٤/١٥، ٣٤٠/٢٤، ٩٩/٣٥، ١٥٦، ١٩٦/٥٤، ٣٠٠/٧٤؛ إيمان أبي طالب للفخّار: ٥٦؛ جامع الأخبار: ١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٣/٧، ٦٧/١٤؛ ←

وإنّه عليه السلام لم يحجب عن شيء من درجات الكمال التي كانت للنبي صلى الله عليه وآله إلّا النبوّة؛ بدلالة قوله صلى الله عليه وآله: «يا علي! إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا أنّك لست بنبيّ»[1]. إلى غير ذلك من الأحوال الدالّة على المشابهة والاتّحاد /٢٦٢أ/ والمماثلة والمشاكلة. فإذا ثبت أنّ محمّداً أفضل الخلق وجب أن يكون عليّ كذلك وإلّا لم تكن لهذه الأحاديث الموجبة للاتّحاد والمشابهة فائدة ويكون صدورها حينئذٍ عن الحكيم عبثاً لا على وجه الصواب والصحّة، وذلك محال لايصدر عن الحكيم.

[شرف الخلافة على النبوّة في مقام الكثرة]

بل قد قال بعض أهل الفحص عن دقائق هذه المعاني: إنّ مرتبة الخلافة أعلى وأجلّ من مرتبة النبوّة في مقام الكثرة، وإن كانت مرتبة النبوّة أعلى وأجلّ منها في مقام الوحدة. وذلك لأنّ الولاية الخاصّة في مقام الوحدة لها إنّما يأخذ ما يأخذه عن اللّه تعالى بواسطة روحانيّة النبوّة، فكلّ وليّ إنّما يأخذ ما يأخذه بواسطة روحانيّة نبيّه؛ لأنّه به يعرف ومن مقامه يشهد. وأمّا في مقام الكثرة فالولاية أشدّ استقراراً وأبقى دواماً وأكثر أشخاصاً وأعمّ دائرةً، يعلم ذلك بتحدّس أحوالها؛ فإنّ الأزمنة على تتابعها وكثرة تصرّفات الوقائع والحوادث فيها لاتخلو عنها، على ما تقرّر في بحث الحكمة الإشراقيّة وعند أهل التحقيق من أهل

الصراط المستقيم: ٣٤١/١؛ الفضائل: ٥٤؛ كنز الفوائد: ١٦٤/١

١. بحار الأنوار: ٤٧٥/١٤، ٢٢٣/١٨، ٢٧٠/٣٧، ٣٢٠/٣٨، ٢٦٤/٦٠؛ الصراط المستقيم: ٦٥/٢؛ الطرائف: ٤١٣/٢؛ عوالي اللآلي: ١٢٢/٤؛ نهج البلاغة: ٣٠٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٧/١٣

الكلام وغيرهم من أهل الفحص عن الحقائق. ولاكذلك النبوّة؛ فإنّ الأزمنة والأوقات قد تخلو عنها، ولايمتنع في الحكمة خلوّها عنها بطريق العناية الإلهيّة ولايختلّ نظام الوجود العنصريّ ولاقوام الاجتماع المدنيّ المقتضي لوجوب الناموس الإلهيّ على الوجه الأكمل ـ كيف كان ـ وعلى بقاء الملك والتدبير بذلك الناموس المحفوظ عند الملك الحافظ صاحب الولاية والرياسة على الخلق، سواء كانت السياسة بيده بحيث يكون ظاهراً مبسوط اليد أو كانت السياسة بيد غيره وهو الحافظ للأمر الباطنيّ الذي لايتمّ الظاهر إلّا به.

ولهذا السرّ أوّل ما بدأ اللّه به الخلافة، فقال: ﴿**إنّي جاعِلٌ فِي الأرْضِ خَليفَةً**﴾[1]، فجعل اسم الخلافة قبل اسم النبوّة لهذا السرّ؛ من حيث ما تقرّر في العالم العقليّ أنّ الخلافة هي المستمرّة الثابتة في الأرض بحيث لايصحّ انقطاعها أبداً، ولاكذلك النبوّة؛ لجواز خلوّ الأرض عنها وإن لم يصحّ خلوّها عن الناموس الحاصل بها ويبقى محفوظاً عند الملوك من خلفاء أهل النواميس[2]، فبذلك شرفت النبوّة بمقام الوحدة وشرفت الولاية بمقام الكثرة. فتفهم العبارات ترشد؛ فإنّها أسرار أدركتها الأفكار من أولي الأيدي والأبصار.

أقول: مجموع ما ذكره في هذا المبحث ظاهر لايحتاج إلى زيادة كشف وإيضاح إلّا قوله: «والخلافة أشدّ استقراراً وأبقى دواماً وأكثر أشخاصاً وأعمّ دائرةً»؛ فإنّ شدّة استقرارها إنّما هو باعتبار تحقّق وجوب وجودها في الحكمة واقتضاء العناية إيّاها؛ فإنّه اقتضاء لازم لايجوز في نظر العقل الإخلال بها؛ نظراً

---

١. البقرة/٣٠

٢. مر، حج: الناموس.

إلى قوله تعالى: ﴿كانَ عَلى ربِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[١]. /٢٦٢ ب/

وكذا الكلام في بقائها ودوامها؛ فإنّه باعتبار أنّ الوجود الخارجيّ لايخلو في جميع الأوقات عنها، كما أشار إليه عليه السلام في قوله: «كلّما خوى نجم طلع نجم»[٢]، ومثله قول بعضهم:

ولاتعدُوَن عيناك عنهم؛ فإنّهم نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم[٣]

وأمّا كثرة الأشخاص فيها فباعتبار تعدّد أهل الولاية وكثرة أعيانهم؛ فإنّ أعدادهم أكثر من أعداد الأنبياء؛ فإنّك عرفت أنّ لكلّ نبيّ مرسل اثني عشر خليفة على ما هو سنة اللّه التي قد خلت من قبل[٤].

وأمّا عموم الدائرة فيها فباعتبار عدم جواز الشركة فيها باعتبار الزمان الواحد؛ فإنّه قد قرّرنا في ما سلف أنّه لايجوز وجود وليّين متصرّفين في زمان واحد، بل لو وجدا معاً في وقت واحد لكان المختصّ بالتصرّف والتدبير أحدهما، ولاكذلك النبوّة؛ لجواز اشتراكهما بين اثنين متصرّفين في وقت واحد.

وكذا قوله الناموس؛ فإنّه في لغة العرب يطلق على الملك النازل بالوحي عن اللّه تعالى على أنبيائه، ثمّ إنّهم سمّوا الشريعة النازل بها ذلك الملك ناموساً تسميةً للسبب باسم المسبّب مجازاً. فالناموس هنا هو الشريعة المُنزَلة من اللّه تعالى

---

١. مريم/٧١

٢. مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في: بحار الأنوار: ٢١٤/٣٤، ٢١٥؛ تأويل الآيات: ١٧٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨٤/٧، ٩٣؛ عوالي اللآلي: ٨٥/٤؛ نهج البلاغة: ٣٣، ١٤٥

٣. منسوب إلى أحمد بن عمر بن عبد اللّه العصفور، كما في: جامع بيان العلم وفضله: ٤٩/١

٤. مقتبس من: الفتح/٢٣

على نبيّ من أنبيائه؛ لتدبير خلقه وإصلاحهم باعتبار المعاش والمعاد.

[الوجه الثاني]

قال: الثاني: نصّ القرآن العظيم وبيان الذكر الحكيم الدالّ على مساواته للنبيّ الفاضل الثابت الأفضليّة على الكلّ في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾[1]؛ فإنّهعليه السلام لمّا دعا نصارى نجران إلى المباهلة أنزل اللّه هذه الآية في بيانها، فحكى فيها وأمر نبيّه بقوله: قل لهم ـ يا محمّد ـ تعالوا أيّها النصارى ندع أبناءنا وأبناءكم، وأراد بالأبناء الحسن والحسينعليهما السلام؛ لأنّهما المدعوّان للمباهلة، ونساءنا، وأراد بهنّ فاطمة؛ إذ هي المدعوّة من النساء دون غيرها من المسلمات، وأنفسنا، أي وندع أنفسنا. ومعلوم أنّ الأنفس المدعوّة ليس إلّا عليّاًعليه السلام بالإجماع؛ فإنّه لم يخرج إلى المباهلة بأحد سواه، فهو الأنفس المدعوّة بلاخلاف.

وليس المراد أنّه يدعى نفسه؛ لوجوب المغايرة بين المدعوّ والداعي، فالمدعوّ غيره، مع أنّه قد عبّر عنه بنفسه، فحينئذٍ لزم أنّ اللّه قد أخبر أنّ عليّاًعليه السلام هو نفس النبيّ. وليس المراد الاتّحاد، بل المماثلة والمشابهة والمناسبة في جميع الصفات، بل وفي الحقيقة التي يستحقّ بها كلّ منهما التعظيم عند الخلق وعند اللّه باعتبار المشاركة في الحقيقة التي استحقّ كلّ منهما بها الولاية على الخلق ووجوب الطاعة والمودّة.

فوجب بذلك أن يكونا في مرتبة واحدة، بل هما حقيقة واحدة يجري لكلّ واحد منهما ما يجري للآخر من الصفات والأحكام واللوازم والعوارض إلّا ما

---

١. آل عمران/٦١

استثناه الدليل القطعيّ، /٢٦٣ أ/ وهو مرتبة النبوّة التي هي مقام الوحدة الأصليّة؛ فإنّها للنبيّ ﷺ باعتبار الأصل ولعليّ عليه السلام باعتبار أخذها منه بواسطة مقابلة نفسه لنفسه، وكان ذلك نصّاً من اللّه ببيان حاله وإظهار أفضليّته على سائر الصحابة والأنساب باعتبار المشابهة النفسيّة والمماثلة الحقيقيّة بينه وبين نبيّه الذي هو الكامل المطلق بعد اللّه. فعليّ بنصّ اللّه تعالى قسيمه وشكله وأخوه وسالك آثاره والمماثل للكامل على الكلّ أكمل من الكلّ وهو المطلوب.

[الفرق بين هذا الطريق وبين ما تقدّمه]

وفي الحقيقة لافرق بين هذا الطريق وبين ما تقدّمه إلّا باختلاف العبارات؛ إذ مبناه على المساواة الموجبة للمماثلة والمشابهة المستلزمتين للاتّحاد في الحقيقة وذلك هو الأوّل بعينه. نعم! في هذا الوجه استدلال على الاتّحاد بمنطوق الآية، فهو معلوم في هذا الوجه بطريق النصّ القرآنيّ الذي لايحتمل التأويل.

[الاختلاف في شأن الولاية هي الفتنة الكبرى]

قال بعض أهل الفحص عن الحقائق: إنّ من تفطّن لهذه المعاني ويطّلع سرّه إلى فهم غوامض هذه الأسرار علم أنّ عليّاً عليه السلام قد كساه اللّه من لباس الجلال والإكرام وثياب الفضل والإنعام مثل ما أعطى نبيّه من غير فرق، إلّا ما استثني من اسم النبوّة دون مقتضاها ـ كما عُلم ـ وزاده على ذلك زيادة أخرى تأكيداً لحجّته وبياناً لحاله وكشفاً للخلق عن عظيم قدره إبلاغاً للحجّة البالغة وإقامة للاعتذار عليهم في معرفته والقيام بما وجب عليهم من فرض طاعته؛ ليكون حجّة بالغة لما علِمه تعالى من ما يقع فيه من الاختلاف العظيم. وقد أشار ـ سبحانه ـ إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ**

لايُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[١]. وهـذه الفتنـة إشـارة إلـى الاخـتلاف الواقع بين أهل الإسلام في شأن الولاية؛ فإنّها أصل الاختلاف الواقـع فـي الأمّـة الإسلاميّة ومنها تفرّقت الأهواء وتشـعّبت المـذاهب، فلأجـل ذلـك أعطـى اللّـه عليّاًعليه السلام من الزيادة في الشرف وبيان الفضل والكمال ما تقوم به الحجّة لـه علـى عامّة الخلق.

أقول: في هذه الآية إشارة إلى أنّ العوائد الإلهيّة لاتغيير فيها ولاتبديل؛ لقولـه تعالى: **﴿سُنَّةَ اللّهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّـهِ تَبْـديلاً﴾**[٢]. فلمّـا كانت الفتنة واقعة على من قبل هذه الأمّة من الأمم السالفة وجب بطريق الحكمة والعناية الإلهيّة المستمرّة التي لاتغيير في مقتضاها ولاتبديل أن تكون هـذه الأمّـة كذلك، وهذه الفتنة المشار إليها هنا هي الولايـة التـي هـي الأمـر البـاطنيّ الـذي يحتاج في إدراكه إلى زيادة الفكر وإطالة النظر والتفطّن في الأحوال الإلهيّة حتّى يعرف بطريق المعاينة /٢٦٣ ب/ الحقّيـة أنّ النبـوّة والولايـة متلازمـان؛ لأنّ كـلّ ظاهر لابدّ له من باطن يكون ذلك الظاهر مظهراً لذلك الباطن، ولابدّ لكـلّ بـاطن من ظاهر يكون ذلك الباطن حقيقته وسرّه ومعناه؛ ليكون الظاهر قائمـاً فـي مقـام عالم الشهادة والباطن قائماً في مقام عالم الغيب. وقد عرفت أنّهما أيضاً متلازمان متساوقان، فالباطن حقيقة الظاهر والظاهر شهادته ومظهره، والنبوّة والرسـالة هـي الظاهر، بهما يظهر سرّ الولاية وحقيقتها، والخلافة والولاية هي الباطن الـذي بـه يعرف حقيقة النبوّة والرسالة، وكلّ منهما متعلّق بالآخر لازم له. وقد يجتمعان في

---

١. العنكبوت/٣ـ١

٢. الفتح/٢٣

شخص واحد وقد يفترقان في شخصين، فتعلّق كلّ منهما بالآخر تعلّقاً معنويّاً. ولهذا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا سئل عن تلك الفتنة أشار إلى عليّ عليه السلام وقال: «هذا وذرّيّته، فمن أتى بولايتهم زكى وطاب ومن أنكرها لعِن وخاب»[1]، ثمّ قال: «حبّ عليّ حسنة لاتضرّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة لاتنفع معها حسنة»[2]، وذلك لعدم تحقّق الإيمان بدون الولاية.

[شرف عليّ عليه السلام بالنسب الخارجيّ]

قال: فشرفه مع مُماثلته بالنسب الخارجيّ، فاتّفق له منه ما لم يتّفق لأحد قبله ولابعده، فزوجتُه فاطمة سيّدة نساء العالم وجعل أملاكه في السماء وخاطبُه جبرئيل والعاقد ميكائيل[3] والمهر خمس الأرض[4]، وأعطاه من الولد مثل الحسن والحسين اللذين هما سيّدا شباب أهل الجنّة بنصّ النبيّ صلى الله عليه وآله[5]، وأخوه مثل جعفر

---

١. بحار الأنوار: ٣٣٨/٩، ٢٣/١٥، ١٠/٢٧، ١٣٠/٦٥؛ الاختصاص: ٤٤؛ الأنوار: ١٥؛ بشارة المصطفى: ٦٨؛ كشف اليقين: ٧؛ الفضائل: ١٥٢؛ مئة منقبة: ٨٢؛ نهج الحقّ: ٢٣٢

٢. عوالي اللآلي: ٨٦/٤؛ نهج الحقّ: ٢٥٩

٣. بحار الأنوار: ١٤٢/٤٣؛ إرشاد القلوب: ٢٣٢/٢؛ كشف الغمّة: ٤٧٢/١

٤. بحار الأنوار: ٣٦١/٣٦، ١١٣/٤٣؛ تأويل الآيات: ٢٤٠؛ روضة الواعظين: ١٤٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٥١/٣، ٣٥٢

٥. بحار الأنوار: ٣٦٠/٢٥، ١١٨/٢٧، ٢٥١/٣٦، ٧٣/٣٧، ٩٠/٣٩، ٢٦٣/٤٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٠٠، ٥/٤٥، ٣٠٢/٥٧؛ الاحتجاج: ٦٨/١؛ إرشاد القلوب: ٤١٩/٢؛ إعلام الورى: ٣٩٨؛ الأمالي للطوسيّ: ٣١٢، ٥٥٨؛ بشارة المصطفى: ١٦؛ الطرائف: ٢٠١/١؛ العمدة: ٤٠٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٣/٢؛ قرب الإسناد: ٥٣؛ القصص للراونديّ: ٣٦٨؛ كشف الغمّة: ٤٥٦/١، ٥٢١، ٥١٠/٢؛ كشف اليقين: ٣٠٥؛ كفاية الأثر: ١٤٣؛ كمال الدين: ٢٥٨/١؛ مئة منقبة: ١٨؛ نهج الحقّ: ٢٥٥

الطيّار مع الملائكة[1]، وابن عمّه النبيّ صلى الله عليه وآله، وأمّه فاطمة بنت أسد المعظّمة عند الرسول المتّفق على فضلها، وأبوه أبو طالب سيّد البطحاء ورئيس قريش وشيخهم المحامي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أيّام إقامته بمكّة، المجتهد في الذبّ عنه حتّى أنّه لمّا مات أوحى اللّه تعالى إليه أن اخرج منها، فقد مات ناصرك، وفضله وسُؤدُده وشرفه معلوم لاينكره إلّا معاند أو مكابر أو مبغض.

[شرف زوجته فاطمة عليها السلام]

أقول: أمّا شرف زوجته وفضلها فمعلوم بين الكلّ لاينكره أحد، والذي ورد من النبيّ صلى الله عليه وآله في تعظيمها وتفضيلها والنصّ على عصمتها وطهارتها فمعلوم بين الكلّ، رواه الثقات من الفريقين. وكذا نقلوا قصّة نكاحها وزفافها ومهرها وما وقع في ذلك [من] الكرامات الباهرة للعقول دليل قاطع على عظم حالها عند اللّه وشرف منزلتها. وقد ظهرت على يديها من الكرامات ما هو أظهر وأبهر وأكثر من الكرامات الظاهرة على مريم بنت عمران؛ فإنّ كثيراً ما رؤيت وهي نائمة ورحاها تدور ولايرى دائرها، فقيل لأبيها في /٢٦٤ أ/ ذلك، فقال: إنّ دائرها جبرئيل؛ أعانةً لها على ما يراه من جهدها وتعبها[2]. وكذلك رؤيت مراراً وهي

---

١. بحار الأنوار: ٣٣٧/١٨، ٥٣/٢١، ٢٧٤/٢٢، ٢٧٦، ٢٥٣/٢٦، ٢٧٢/٣٢، ٢١٣/٣٥، ٢٩٨/٤٤، ٢٤/٦١؛ تأويل الآيات: ٢٩٦؛ تفسير فرات: ١١١، ١٦٩، ٣٤٠؛ تفسير القمّيّ: ١٣/٢، ٣٤٦؛ الخرائج: ١٦٦/١؛ الخصال: ٦٨/١؛ العدد القويّة: ٣٤٣؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٦٥؛ كشف اليقين: ٣١٣؛ نهج الحقّ: ٣٨٩

٢. بحار الأنوار: ٩٧/٣٧، ٢٨/٤٣، ٢٩، ٤٥، ٤٦؛ إعلام الورى: ١٤٩؛ الخرائج: ٥٢٧/٢، ٥٣٠؛ دلائل الإمامة: ٤٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٣٧/٣

تطبخ طعامها والقِدر تغلي بالنار وهي تحرّك القِدر بيدها، فيسأل أبوها عن ذلك، فقال: إنّ اللّه حرّم لحم ابنتي ومحبّيها عن النار[١]. وأهدى إليها جوار أربع من الجنّة بعد موت أبيها رطباً، فأعطت منه سلمان أربع رطبات، فقال: لمّا أكلتهنّ لم أجد لهنّ عَجَماً، وكانت رائحتهنّ أزكى من المسك الأذفر[٢]. إلى غير ذلك من

---

١. روي عنه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال: «إنّ اللّه حرّم لحم وُلد فاطمة على النار» (حلية الأبرار: ٣٦٤/٤؛ رجال النجاشي: ٢٧٧).

٢. روي عن سلمان‌رضي‌الله‌عنه أنّه قال: كنت خارجاً من منزلي ذات يوم بعد وفاة رسول اللّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، إذ لقيني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب‌عليه‌السلام. فقال: مرحباً يا سلمان! صِر إلى منزل فاطمة بنت رسول اللّه؛ فإنّها إليك مشتاقة وإنّها قد أتحفت بتحفة من الجنّة وتريد أن تتحفك منها. قال: فمضيت وطرقت الباب واستأذنت، فأذن لي بالدخول. فإذا هي جالسة في صحن الحجرة وعليها عباءة، قالت: اجلس، فجلست وقالت: كنت بالأمس جالسة في صحن الحجرة شديدة الغمّ على النبيّ، أبكيه وأندبه وكنت رددت باب الحجرة بيدي، إذ انفتح الباب ودخل عليّ ثلاث جوار لم أر كحسنهنّ ولاكنضارة وجوههنّ. فقمت إليهنّ منكرة شأنهنّ وقلت: من أنتنّ؟ من مكّة أو من المدينة؟ فقلن: لا من أهل مكّة ولا من أهل المدينة، نحن من دار السلام بعثنا إليك، ربّ العالمين يقرئك السلام ويعزّيك عن أبيك.

فجلست أمامهنّ وقلت للتي ظننت أنّها أكبرهنّ: ما اسمك؟ قالت ذرّة. قلت: ولمَ سمّيت ذرّة؟ قالت: لأنّ اللّه تعالى خلقني لأبي ذرّ. وقلت للأخرى: ما اسمك؟ قالت: مقدادة. قلت: ولمَ سمّيت مقدادة؟ قالت: لأنّ اللّه تعالى خلقني للمقداد. وقلت للثالثة: ما اسمك؟ قالت سلمى. قلت: ولمَ سمّيت سلمى؟ قالت: لأنّ اللّه خلقني لسلمان.

وقد أهدين إليّ هديّة من الجنّة وقد خبأت لك منها. فأخرجت لي طبقاً من رطب أبيض أبرد من الثلج وأذكى رائحةً من المسك، ودفعت إليّ خمس رطبات وقالت لي: كُلْ هذا عند إفطارك. فخرجت وأقبلت أريد المنزل، فواللّه ما مررت بملإ من الناس إلاّ قالوا: تحمل المسك يا سلمان؟ حتّى أتيت المنزل. فلمّا كان وقت الإفطار أفطرت عليهنّ، فلم أجد لهنّ نوىً ولاعجماً (بحار الأنوار: ٢٢٦/٩١؛ دلائل الإمامة: ٢٨).

مناقبها وفضائلها لو عددناها لطال الكتاب.

[شرف أبنائه الحسن والحسين عليهما السلام]

وأمّا شرف أبنائه فمعلوم بين أهل الإسلام لاينكره إلّا من عمي قلبه عن الإيمان ونوره وكانت ظلمة الكفر غالبة على قواه وكانت جهنّم مستقرّه ومأواه. وناهيك في شرفهما وفضلهما تشريف الرسول لهما بقوله: «هما سيّدا شباب أهل الجنّة»[1]، وقال: «هما سيّدان في الدنيا وسيّدان في الآخرة»[2].

وممّا يدلّ على ذلك إجمالاً ما جاء في الأحاديث عن الثقات أنّهما كانا يكتبان، فكتبا يوماً وأنهيا خطّهما إلى أمّهما فاطمة؛ لتحكم بينهما، فقالت: لاأحكم بينكما حتّى يكون أبوكما هو الذي يحكم بينكما. فأنهياه إلى أبيهما فقال: لاأحكم بينكما، بل جدّكما يحكم بينكما. فأنهياه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: لاأحكم بينكما، فلعلّ جبرئيل يحكم بينكما. فلمّا حضر جبرئيل عنده عرضه النبيّ صلى الله عليه وآله عليه، فقال: يا محمّد! اللّه ـ عزّ وجلّ ـ هو الذي يحكم بينهما، وعرج جبرئيل ونزل من عند الربّ الجليل يقول: إنّ اللّه يقول: إنّ فاطمة أمّهما تحكم بينهما. فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة بذلك، فقالت: إذا كان قد جعل اللّه تعالى الأمر إليّ فأنا

---

١. بحار الأنوار: ٣٦٠/٢٥، ١١٨/٢٧، ٢٥١/٣٦، ٧٣/٣٧، ٩٠/٣٩، ٢٦٣/٤٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٠٠، ٥/٤٥، ٣٠٢/٥٧؛ الاحتجاج: ٦٨/١؛ إرشاد القلوب: ٤١٩/٢؛ إعلام الورى: ٣٩٨؛ الأمالي للطوسيّ: ٣١٢، ٥٥٨؛ بشارة المصطفى: ١٦؛ الطرائف: ٢٠١/١؛ العمدة: ٤٠٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٣/٢؛ قرب الإسناد: ٥٣؛ القصص للراونديّ: ٣٦٨؛ كشف الغمّة: ٤٥٦/١، ٥٢١، ٥١٠/٢؛ كشف اليقين: ٣٠٥؛ كفاية الأثر: ١٤٣؛ كمال الدين: ٢٥٨/١؛ مئة منقبة: ١٨؛ نهج الحقّ: ٢٥٥

٢. صحيفة الرضا عليه السلام: ٩٤

أنثر هذا العقد اللؤلؤ على خطّيهما[١]، فمن أخذ خطّه منه أكثر كان الحكم له على صاحبه. قال: وكان في نحرها عقد من اللؤلؤ الثمين، فقطعت خيطه ونثرته على الخطّين، فأمر اللّه ـ عزّ وجلّ ـ جبرئيل أن اهبط فاقسم الدرّ بين الخطّين نصفين كي لايتأذي أحد ولدَي حبيبي. فهبط جبرئيل في أسرع من لمح البصر، فضرب الدرّ بجناحه، فقسّم الدرّ بين الخطّين نصفين.

وهذا إذا فكر العاقل فيه وجده مشتملاً على غاية التعظيم لهذين الولدين ونهاية الكمال والجلال؛ فإنّ الوليّ والنبيّ وجبرئيل بل اللّه ـ عزّ وجلّ ـ لم يكن فيهم من يحكم على أحدهما بأنّ خطّه أدون من خط أخيه؛ امتناعاً من تأذّي أحدهما بذلك القدر، فيدخل عليه غضاضة من جهة واحد منهم، فكيف يكون حال من وصل في أذاهما إلى قتلهما، فقتل أحدهما بالسمّ والآخر بالسيف؟ ذلك باليقين هو الخسران المبين. وهذا قطرة من بحر غزير من فضائلهما وسُؤدُدهما وكمال مراتبهما ومقاماتهما، لو أراد البليغ الفصيح على تطاول الأزمنة الإعراب والإفصاح /٢٦٤ ب/ عن بعض البعض عنها لفهه العجز وأدركه القصور.

[شرف أخيه جعفر وعمّه حمزة]

وأمّا شرف أخيه جعفر وعمّه حمزة فمن المعلوم بين الكلّ لايمكن إنكاره، حتّى سمّي أحدهما سيّد الشهداء[٢] وسمّي أحدهما الطيّار ذو الجناحين يطير بهما

---

١. حج: خطّهما.

٢. بحار الأنوار: ٢٧٥/٢٢، ٢١٣/٣٥، ٦٥/٥١؛ الأمالي للصدوق: ٤٧٥؛ تفسير فرات: ٣٤٠؛ روضة الواعظين: ٢٦٩/٢

مع الملائكة بنصّ الرسول[١].

[قرب نسبته من النبيّ صلى الله عليه وآله]

وأمّا قرب نسبته من النبيّ صلى الله عليه وآله فأظهر من الشمس لايسع أحد بردّه وهو مرتبة لم تحصل لأحد سواه، حتّى أنّ النبيّ عليه السلام لعظم اختصاصه به خبر أنّه منه وأنّ لحمه لحمه ودمه دمه[٢]، بل أخبر اللّه تعالى في محكم كتابه أنّه نفسه[٣]، وليس بعد ذلك مرتبة ترام لطالب ولاتعدّ لأحد سواه.

[شرف أمّه فاطمة بنت أسد]

وأمّا شرف آبائه فأمّا من جهة الأمّ فمعلوم أنّ أمّه فاطمة بنت أسد المعلوم عند الكلّ فضلها وشرفها وعظم موقعها في الجاهليّة والإسلام، حتّى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يدعوها أمّه وكان يقول لها: أنت أمّي بعد أمّي[٤]. وأسلمَت على يديه وهاجرَت، ولمّا ماتت تولّى جهازها النبيّ صلى الله عليه وآله وكفّنها في قميصه واضطجع في لحدها بنفسه وقال في تلقينها: ابنك ابنك، لاجعفر ولاعقيل. فسئل عن ذلك، فقال: كفّنتُها في قميصي؛ لئلّا يخرج يوم النشور عريانة؛ لأنّ قميصي لايبلى،

---

١. بحار الأنوار: ٣٣٧/١٨، ٥٣/٢١، ٢٧٤/٢٢، ٢٧٦، ٢٥٣/٢٦، ٢٧٢/٣٢، ٢١٣/٣٥، ٢٩٨/٤٤، ٢٤/٦١؛ تأويل الآيات: ٢٩٦؛ تفسير فرات: ١١١، ١٦٩، ٣٤٠؛ تفسير القمّيّ: ١٣/٢، ٣٤٦؛ الخرائج: ١٦٦/١؛ الخصال: ٦٨/١؛ العدد القويّة: ٣٤٣؛ كتاب سليم بن قيس: ٥٦٥؛ كشف اليقين: ٣١٣؛ نهج الحقّ: ٣٨٩

٢. بحار الأنوار: ٢٤٧/٣٨، ١٠٦/٩٩؛ كشف الغمّة: ٢٨٧/١؛ كشف اليقين: ١٠٧

٣. آل عمران/٦١

٤. الفضائل: ١٢٦

واضطجعت في لحدها؛ لئـلّا يصيبها ضغط القبر، ولقّنتها؛ لأدفع عنها مسألة منكر ونكير، فلمّا سئلت عن الولاية اضطربت، فقلت لها: ابنك ابنك، لاجعفر ولاعقيل، إنّما هو عليّ بن أبي طالب.[1]

[شرف أبيه أبي طالب]

وأمّا من جهة الأب فمن المعلوم أنّ أباه أبا طالب كان رئيس قريش وسيّدهم وكانوا يسمّونه الشيخ، فإذا جاءهم أمر لم يتجاوزوا به عنه ويقولوا فيه ينظر ما يقول الشيخ، وكان يقال: قلّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب قريشاً وهو فقير لامال له[2]. وبالجملة ففضله وسُؤدُده لاينكره أحد من العرب، لا في الجاهليّة ولا في الإسلام. واختصّ وتشرّف بكفالة النبيّ ﷺ وتربيته وحمايته بين ذؤبان العرب وجهّال قريش وطواغيتها، فلم يزل النبيّ ﷺ يصدع بأوامر اللّه ونواهيه بين الجاهليّة وبين صناديد مكّة طول حياة أبي طالب، لم يخف من أحد منهم ولم يقدر أحد منهم أن يتعرّض له بسوءٍ طول حياته؛ خوفاً من بأسه وتعظيماً لحرمته. فلمّا مات رضي الله عنه أوحى اللّه إلى نبيّه بأن اخرج من مكّة فقد مات ناصرك بها، وسمّى النبيّ ﷺ عام موته عام الحزن؛ لأنّ موته وموت خديجة D في عام واحد.

والذي ثبت عن أئمّة الهُدى عليهم السلام وعن جميع علماء أهل البيت عليهم السلام أنّه كان مسلماً موحّداً مصدّقاً بوحدانيّة اللّه ورسالة /٢٦٥ أ/ نبيّه، وقد نطق بذلك في أشعاره. ولكنّه لم يظهر ذلك؛ ليتمكّن بكتمانه ذلك من نصرة النبيّ ﷺ مصانعة

---

١. مستدرك الوسائل: ٣٤٢/٢؛ بحار الأنوار: ٢٤١/٦، ١٨٠/٣٥؛ الفضائل: ١٠٢؛ كشف اليقين: ١٩٣

٢. بحار الأنوار: ١٥١/٤١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩/١

لقريش وإبقاء لحرمته لديهم بإظهار أنّه على دينهم؛ ليبقى له الرسالة عليهم، فيتمكّن بها من ردّ طغاتهم وكفّ عادية جهّالهم. وكان في ذلك نفعاً عظيماً ولطفاً جليلاً خفيّاً؛ لأنّه لو أظهر إسلامه لخاصمته قريش وجاهرت بعداوته كما جاهرت بعداوة النبيّ ﷺ، فيكون عندهم متّهماً في نصرته والذبّ عنه، فلمّا لم يظهرهم على إسلامه كان اعتقادهم في ذبّه عنه ليس صبواً إلى دينه، بل حميةً على النسب ومحاماة على الموالي، وذلك في دينهم من مكارم الأخلاق. وقد صرّح أبو طالب عليه السلام بذلك في أشعاره وأقواله، ومن طالع في ديوانه وتلمّح مدائحه في النبيّ ﷺ علم يقيناً أنّه كان معتقداً لنبوّته شاهداً برسالته بلاشكّ ولاشبهة.[١و٢]

[ردّ شبهة كفر أبي طالب]

قال: وطعنُ أهل الخلاف عليه بأنّه مات على الكفر ضعيف عند أهل النقل الصحيح. والمذهب الحقّ على ما روي عن جميع أهل البيت عليهم السلام أنّه عليه السلام مات مسلماً موحّداً عارفاً بالله ورسوله وولاية أوليائه ولم ينكر الحقّ ولا كان على

---

١. هامش حج: ومن أشعاره:

[والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أوسّد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذلك وقرّ منك عيوناً
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي ... ولقد دعوت وكنت ثمّ أميناً]
ولقد علمت بأنّ دين محمّد ... من خير أديان البريّة ديناً

[ديوان أبي طالب: ٧٨].

٢. ولمزيد الاستطلاع فراجع الكتب والرسائل التي اختصّ به، منها: *إيمان أبي طالب* للسيّد فخّار بن معد الموسويّ، وسميّه من الشيخ المفيد؛ فإنّهما مفيدان جداً.

دين الجاهليّة ولاموصوفاً بالشرك، بل هو وآباؤه على الملّة الإسلاميّة الحنفيّة، ملّة إبراهيم حنيفاً مسلماً، لايجوز أن يوصف واحد منهم بالكفر ولابالشرك. ولهذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيّة، لم تدنّسني الجاهليّة بأدناسها»[١]، فكيف يكون فيهم من هو كافر؟ كلّا! إنّ ذلك افتراء المبغضين لعليّ عليه السلام.

وقد قيل: إنّ أوّل من أظهر هذا المذهب وشنع بهذا القول حتّى صار قولاً معتبراً بين أهل الظاهر الذين هم شرّ من العوام ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[٢] معاوية بن أبي سفيان تشنيعاً على عليّ عليه السلام وإظهاراً لنقصه بين أهل الشام لمّا لم يجد مطعناً ولامغمزاً، فجعل ذلك سبيلاً إلى الاتّضاع منه والحطّ من مرتبته، فما وضع إلّا نفسه. وأنّى له أن يضع مَن قد رفعه الله وأعلاه وجعله فوقهم وأعلا ذكره على ذكرهم؟ بل ما ازداد بما قاله أعداؤه فيه إلّا شرفاً إلى شرفه وفضلاً إلى فضله. ولمّا قيل له: بم يفتخر ابن أبي طالب علينا وأبوه بين أطباق النيران، قال عليه السلام: أنّى يكون كذلك؟ وكيف؟ وأنا قسيم الجنّة والنار[٣]. فزاد

---

١. الكافي: ٤٤١/١؛ بحار الأنوار: ٢٤/١٥، ٣٤٠/٢٤، ٩٩/٣٥، ١٥٦، ١٩٦/٥٤، ٣٠٠/٧٤؛ إيمان أبي طالب للفخّار: ٥٦؛ جامع الأخبار: ١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٣/٧، ٦٧/١٤؛ الصراط المستقيم: ٣٤١/١؛ الفضائل: ٥٤؛ كنز الفوائد: ١٦٤/١

٢. الفرقان/٤٤

٣. بحار الأنوار: ٣٣٦/٨، ٣٥٣/٢٥، ١٩٩/٣٩، ٢٣٢/٤١، ٤٣/٤٢؛ بصائر الدرجات: ١٩٩، ٤١٦، ٤٥٥؛ تفسير العيّاشيّ: ١٧/٢؛ تفسير فرات: ٤٤٠؛ الصراط المستقيم: ٢٣٦/١؛ الفضائل: ٧٤، ٨٠، ٨٥، ١٧٠؛ المصباح للكفعميّ: ٦٩٨؛ مصباح المتهجّد: ٧٥٦؛ المناقب: ٣٤٢/٣؛ اليقين: ٢٥٧، ٣٩٥

بذخاً وأرغم أنوفاً، وما يقول بهذا وأمثاله فيهم إلّا أهل التعصّب والعناد المبغضين لمراتب الأبرار.

[شرف نفسه واجتماعه لمكارم الأخلاق]

ثمّ انضاف إلى شرف النسب شرف النفس وتمام الحسب واجتماع مكارم الأخلاق وتمييز النبيّ صلى الله عليه وآله له بالخصائص والمناقب في كلّ مشهد وموقف ومقام حتّى قال له /٢٦٥ ب/ يوم غزاة السلسلة، لمّا بشّره اللّه بظفره بأصحاب وادي القرى بإنزال سورة العاديات وخرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله متلقّياً له فرحاً بقدومه، فلمّا رآه عليّ عليه السلام ترجّل له عن فرسه، فقال له صلى الله عليه وآله: اركب يا عليّ؛ فإنّ اللّه ورسوله عنك راضيان، واللّه لولا أن أخشى أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالاً لاتمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك وأخذوا فضل طهورك يتبرّكون به[١].

[قبول الأعمال بالولاية]

ولقد أحسن بعض الناس حيث يقول:

واللّه لولا حيدر ما كانت الـ ... دّنيا ولاجمع البريّة مجمع
وإليه في يوم المعاد حسابنا ... وهو الملاذ لنا غداً والمفزع

---

١. الكافي: ٥٧/٨؛ بحار الأنوار: ٢١٦/١٠، ٣٢٩/٣١، ٣٢٢/٣٥، ٢٧٢/٣٧، ٢٤٧/٣٨، ١٨/٣٩، ١٠٤/٤٠، ١٦٧/٤٧؛ إعلام الورى: ١٨٦؛ الأمالي للصدوق: ٩٦؛ تأويل الآيات: ٦٣١؛ روضة الواعظين: ١١٢/١؛ الصراط المستقيم: ١٢/١، ٢٠٠؛ عوالي اللآلي: ٨٦/٤؛ كشف الغمّة: ٢٨٧/١، ٢٩٨؛ كشف اليقين: ١٠٧، ٢٨١؛ كنز الفوائد: ١٨٧/٢

قال بعض أهل الفحص: انظر إلى هذا الشاعر كيف قال: لولا حيدر، ولم يقل: لولا محمّد. وقوله حقّ؛ لأنّ قبول الأعمال بالولاية، فإن لم تكن فلاأعمال، فقبول الأعمال موقوف على الولاية. ومثله قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[١]، فعظمة الوليّ مستفادة من عظمة النبيّ[٢] وما مدح بدر إلّا وكان المدح في الحقيقة للشمس. فسرّ سائر العوالم من الأزل إلى الأبد مبدؤها الحضرة المحمّديّة وكمال أديانها بالولاية العلويّة وختم أدوارها بالدولة المهدويّة، ففيض تلك العوالم والألوف عن ألف غير معطوف آل محمّد، فمحمّد هو الظاهر وعليّ هو الباطن وفاطمة سرّ الظاهر والباطن؛ فإنّ اللّه ـ سبحانه ـ فضّل محمّداً وآل

---

١. المائدة/٦٧

٢. هامش حج: هذا غاية ما يمكن أن يثبت لمولانا عليّ عليه السلام، ويؤيّده قوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» [بحار الأنوار: ٢٨٧/٣٥؛ الألفين: ٣٤٥؛ بصائر الدرجات: ١٣٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣٦/٦، ٢٨٣/٢٠؛ شواهد التنزيل: ٣٦٧/١؛ الطرائف: ٥١٧/٢، ٥١٨؛ العمدة: ٢٠٨؛ كشف الغمّة: ١٣٠/١؛ عوالي اللآلي: ١٢٨/٤]، إلى غير ذلك من الأخبار التي قال عليه السلام في استفادة علمه منه صلى الله عليه وآله، حتّى أنّه قال: «أنا عبد من عبيد محمّد» [الكافي: ٨٩/١، ٩٠؛ بحار الأنوار: ٢٨٣/٣؛ الاحتجاج: ٢١٠/١؛ التوحيد: ١٧٤] وافتخر بقوله.

والعجب من النسفيّ حيث قال في كتاب بحر *الكلام* افتراءً على الشيعة بأنّهم قالوا: إنّ عليّاً كان شريكاً في النبوّة وبأنّ عليّاً كان أعلم من النبيّ صلى الله عليه وآله وهو بمنزلة الخضر من موسى. وافترى أيضاً على الشيعة بأنّهم قالوا: إنّ الوحي كان لعليّ عليه السلام، إلّا أنّ جبرئيل غلط في الوحي، وبأنّ الأرض لاتخلو من نبيّ والنبوّة صارت ميراثاً لعليّ وأولاده، إلى آخر ما قال [راجع: تفسير روح البيان: ١٨٨/٧]. وما هذا إلّا افتراء محض، ولم يقل أحد من العلماء والراسخين والكاملين بهذه الأقوال التي يضحك بها الثكلى، أعاذنا اللّه من السوء والعناد والافتراء. ولو سمع من بعض الغلاة أمثال هذه الكلمات فهي مردودة عندنا وهم زنديق كافر خارج عن ربقة الطائفة المحقّة الإماميّة ـ على صادعها السلام والتحيّة ـ

محمّد على الكلّ وأوجدهم قبل الكلّ واختارهم على الكـلّ واستعبد بـولايتهم وطاعتهم الكلّ، فهم سادات الكلّ في الكـلّ ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[١] وإن تقطّعت من المنكِر الأحشاء.

[ثبوت فضائل عليّ عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام]

وإذا عرفت ما ثبت لعليّ عليه السلام من الأفضليّة والأكمليّة على جملـة الخلـق بعـد النبيّ صلى الله عليه وآله وجب أن يكون ذلك ثابتاً لولديه الحسن والحسين عليهما السلام، فيجري لهما ما جرى لأبيهما من الفضل وعلوّ المنزلة والشرف الحسَبيّ، كما أنّ لهما من الشرف النسبيّ ما لم يحصل لغيرهما، فلهمـا المزايـا والكمـالات والخـواصّ والصـفات الموجبة لهما الخلافة والولاية كما لأبيهمـا، كـلّ ذلـك ثبـت لهمـا بـالنصّ عـن النبيّ صلى الله عليه وآله، نقله أهل النقل عنه في مواضـع كثيـرة ذكرتـه الإماميّـة وغيـرهم فـي مصنفّات جمّة، من أراد الاطّلاع عليه فليقف عليه منها؛ فإنّ فيها من الخصـائص والفضائل المعدودة ما يعجز أكثر الخلق عن تفصيله وتعديده.

وقد أجمل صلى الله عليه وآله هذه الفضائل ببيان شـافٍ ينـدرج فيـه جميـع مـا فصـل فـي المواضع /٢٦٦ أ/ المتعدّدة، وهو ما نقله الكلّ بالغـاً حـد التـواتر مـن قولـه صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين[٢] سيّدا شباب أهل الجنّة»[٣]. والسيادة معناها السؤدُد والشـرف

---

١. البقرة/١٠٥

٢. حج: + ابناي.

٣. بحـار الأنـوار: ٣٦٠/٢٥، ١١٨/٢٧، ٢٥١/٣٦، ٧٣/٣٧، ٩٠/٣٩، ٢٦٣/٤٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٠٠، ٥/٤٥، ٣٠٢/٥٧؛ الاحتجاج: ٦٨/١؛ إرشـاد القلـوب: ٤١٩/٢؛ إعـلام الـورى: ٣٩٨؛ الأمـالي للطوسيّ: ٣١٢، ٥٥٨؛ بشارة المصطفى: ١٦؛ الطرائف: ٢٠١/١؛ العمدة: ٤٠٢؛ عيـون أخبـار ←

والفضل، وقد ثبت بنصّه على أنّ لهما السيادة على جميع أهل الجنّة، فوجب أن يكون لهم السؤدُد على كلّهم، فيكونا أفضل من كلّهم. وإذا كانا أفضل من جميع أهل الجنّة وجب أن يكونا أفضل من الكلّ؛ لأنّ أهل الجنّة أفضل، والأفضل من الأفضل أفضل، فهما أفضل الكلّ.

[فضل باقي التسعة من وُلد الحسين عليهم السلام]

وأمّا باقي التسعة من وُلد الحسين عليهم السلام فلاريب في فضلهم وشرفهم؛ لاستحقاقهم الولاية على الكلّ، كما ثبت في الروايات المتواترة والأدلّة القطعيّة. وأمّا أفضليّتهم على سائر الأنبياء والأولياء فذلك ثابت لهم أيضاً؛ لكون المرتبة التي لعليّ والحسن والحسين عليهم السلام من الله ومن النبيّ صلى الله عليه وآله ثابتة لهم بطريق ثبوت الولاية لهم المأخوذة من روحانيّة النبيّ صلى الله عليه وآله المعطي لهم مراتبهم في العوالم الثلاثة؛ لأنّه قطب الكلّ.

[إثبات أفضليّة الوليّ على النبيّ]

وإذا عرفت أنّ كلّ واحد من الأولياء إنّما يأخذ ما يأخذه بواسطة روحانيّة نبيّه وجب أن يكونوا أفضل من الأنبياء وأكمل وأتمّ في مقام الوحدة بسبب مشاهدة الأنوار المحمّديّة والاستضاءة بها؛ لانعكاس شعاع مرآته على مرائي نفوسهم بسبب المقابلة الموجبة لاستعداد أنفسهم لقبول فيض نوره. ولاعجب

الرضا عليه السلام: ٣٣/٢؛ قرب الإسناد: ٥٣؛ القصص للراوندي: ٣٦٨؛ كشف الغمّة: ٤٥٦/١، ٥٢١، ٥١٠/٢؛ كشف اليقين: ٣٠٥؛ كفاية الأثر: ١٤٣؛ كمال الدين: ٢٥٨/١؛ مئة منقبة: ١٨؛ نهج الحقّ: ٢٥٥

من أفضليّة الوليّ المتفرّع من النبيّ الكامل القائم مقامه والمشاهد لمعارجه والمطّلع على جميع مقاماته الشهوديّة وأحواله الملكوتيّة على النبيّ القاصر عن الكمال الجمعيّ الناقص عن الاطّلاع على حقائق مقامات الكلّ وكيفيّات معارجه وتطوّره بالأطوار الشهوديّة الجمعيّة. فالوليّ المشاهد من مرآة النبيّ الكامل بواسطة انعكاسها على مرآة نفسه المستعدّة لقبولها بالضرورة يكون أتمّ جمعيّةً وأكمل مشاهدةً وأوسع دائرةً وأقوى اطّلاعاً من ذلك النبيّ المحجوب عن المشاهدات الجمعيّة، حتّى أنّ الواحد منهم يكون حاوياً لمقامات أولي العزم بسبب ملاحظة الأحوال المحمّديّة، فيكونوا أكمل حتّى من أولي العزم.

وهو بيّن بما تقرّر من أنّ الوليّ إنّما يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانيّة نبيّه وأنّه به يشهد ومنه يعرف، فلمّا كان نبيّنا ﷺ صاحب الجمعيّة الكاملة وأولياؤه منه يشهدون وبه يعرفون كانوا متساوين له باعتبار الانعكاس الحاصل من مرآته إلى مرائي مشاهداتهم. وهو عليه السلام أكمل من أولي العزم، /٢٦٦ ب/ فالمشاهد المقابل لمرآته بالاستعداد التامّ المنعكس عليه شعاعها يكون كذلك، بواسطة التشبّه التامّ، فيكون حال الواحد منهم كحاله في مشاهداته مقامات أولي العزم والارتقاء عنها إلى مشاهدة مقاماته الحاوية لمقاماتهم وزيادة خصائصه الجمعيّة.

[شبهات في أفضليّة الوليّ على النبيّ والجواب عنها]

أقول: الذي أشار إليه من الاستدلال على أفضليّة أولياء النبيّ ﷺ على سائر الأنبياء المتقدّمين وأوليائهم يرد عليه سؤال، تقريره أن يقال: كيف يكون المحتاجُ في الوصول إلى المقامات الشهوديّة إلى واسطة توصله إليها حتّى يكون بها مشاهداً ولولاها لما حصل له مشاهدة أفضلَ وأكمل ممّن لم يحتج إلى تلك

الواسطة، بل يشهد المقامات العلويّة باستعداده من غير احتياج إلى من يتوصّل به؟

وأيضاً كيف صحّت أفضليّة من لم يصل إلى مقام النبوّة لانحجابه على من وصل إليه ولم ينحجب عنه؟

ويجاب عن الأوّل: أنّه لامانع من التفضيل؛ لتساوي الكلّ في الاحتياج إلى المشاهدات الإلهيّة إلى روحانيّة النبيّ ﷺ؛ لأنّه معطي الكلّ مقاماتهم في العوالم الثلاثة، فلمّا كان أولياؤه لهم مزيد الاختصاص به وشدّة الاطّلاع على القطب المحمّديّ كانوا بذلك أشدّ اطّلاعاً على المقامات وأكثر جمعيّة لتلك المشاهدات، فلاعجب من أكمليّتهم وأفضليّتهم على من لم يكن له ذلك الاختصاص ولم يكن له النظر إلى ذلك القطب ولاشدّة الاطّلاع على تلك المقامات.

وعن الثاني: بأنّ انحجابهم عن اسم النبوّة ما كان لقصورهم عن مراتب أولئك الأنبياء، لا في مقام الوحدة ولا في مقام الكثرة، بل لتأخّرهم عن الخاتم بالوجود الصوريّ الموجب لحجبهم عن الاسم دون مقتضاه، بخلاف من عداهم من الأنبياء؛ لتقدّم وجودهم الصوريّ على الخاتم، فلايكن ثَمّ مانع من إطلاق الاسم عليهم؛ لوصولهم إلى المقامات الموجبة لهم إطلاقه. ولايلزم من ذلك أفضليّتهم على المحجوبين عن الاسم لمانع منع من إطلاقه؛ لمساواتهم لهم في المقامات التي ثبت بها الاسم لغير المحجوبين عنه وزيادتهم عليهم بالتشرّف بالقطب المحمّديّ، فثبتت لهم الأفضليّة عليهم.

فإن قلت: إذا كان الكلّ إنّما شاهد ما شاهده ووصل ما وصل إليه من المقامات بسبب روحانيّة القطب المحمّديّ فتساوى الكلّ في ذلك، فمن أين جاء التفضيل؟ **قلت**: إنّ الأنبياء لمّا كانوا في الوجود الصوريّ أسبق من القطب كان

أخذهم عنه إنّما هو باعتبار صورته المعنويّة /٢٦٧ أ/ النوريّة الحاصلة في عالم العقول من حيث إنّه عقل الكلّ ونفس الكلّ المندرج فيه إجمالاً ما هو في ما تحته من العوالم مفصّلاً. وأمّا أولياؤه فلتأخّر وجودهم الصوريّ عن وجوده الصوريّ كان أخذهم ما أخذوا عنه باعتبار المقامين معاً، فشاركوا الأنبياء في المقام الأوّل واختصّوا دونهم بالمقام الثاني الذي هو مقام التفصيل؛ لأنّه لمّا نزل إلى عالم الطبيعة بالصورة الإنسانيّة فصّل فيه ما أجمل هناك وظهر فيه بمقامات الوحي الملكيّ ما لم يكن ثَمّ؛ لأنّه هناك في مقام المشاهدة الحقّيّة[1] الحاجبة عن مشاهدة عالم الأجرام؛ للاشتغال بما هناك عنها. ولهذا كان مقام الإخبار بمغيبات عالم الكون والفساد ليس هو من المقامات العلويّة ولا من خواصّ أهل اللّه؛ لأنّهم لعلوّ هممهم يتنزّهون عن ذلك؛ لأنّ مطلوبهم إنّما هو المشاهدة الحقّة والاستغراق في جناب القدس وهو جناب مدهش مشتغل عن كلّ ما سواه.

ولهذا احتاج الأنبياء في تدبير النوع الإنسانيّ إلى الوحي النازل على أيدي الملائكة؛ لتعريف الحوادث الكونيّة، فأولياؤه ـ عليه وعليهم السلام ـ يشاهدون منه جميع ذلك على التفصيل، فتخلّقوا بجميع أخلاقه التي وصفه اللّه بالعظمة في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]، والعظيم لايقول في شيء إنّه عظيم إلّا إذا كان في غاية ما يكون من العظمة. واقتدوا به في جميع مسالكه الإجماليّة والتفصيليّة، ثمّ حصل لهم مع تمام النسب المعنويّ الحاصل لهم بسبب التشبّه التامّ والتخلّق الحقيقيّ بجميع أخلاقه النسب الصوريّ والقرب اللحميّ والدمويّ،

---

١. حج: الخفيّة.

٢. القلم/٤

فأشركت الموادّ واتّحدت الصور، فكانوا في الحقيقة هم هو وهو هم باعتبار النسبتين، فصاروا بذلك أهل الجمعيّة التامّة والمقامات العامّة، فتحقّق لهم مزيد الفضل والاختصاص بالكمالات الحقيقيّة على من سواهم من سائر الأنبياء والأولياء، كما تحقّق لهعليه السلام ذلك من غير فرق. فافهم مقاماتهم الإلهيّة وخصائصهم النبويّة؛ فإنّها مقامات غزيرة الأحكام عزيزة المرام، فاعرفها جدّاً تكن عارفاً بهم حقّ المعرفة التي وجبت عليك بقولهصلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»[1].

[مشابهة علماء هذه الأمّة بأنبياء بني إسرائيل]

قال: ومن هذا الباب قولهعليه السلام: «علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل»[2]؛ لما تحقّق أنّ ولاية علماء أمّته مشابهة لولاية أنبياء بني إسرائيل من حيث احتياج الكلّ إلى الولاية المطلقة. فعلماء أمّته باعتبار أخذهم ما تيسّر لهم من أحوال الولاية المطلقة التي افتقر إليها أنبياء بني إسرائيل في ولايتهم النبويّة من حيث إنّهعليه السلام معطي الكلّ مقاماتهم /٢٦٧ ب/ في الولاية المطلقة المتحقّق بها ولاية بني إسرائيل، فبينهما مشابهة معنويّة. وقد يكون الواحد من علماء أمّته أكثر جمعيّة

---

١. وسائل الشيعة: ٢٤٦/١٦؛ مستدرك الوسائل: ١٨٧/١٨؛ بحار الأنوار: ٣٦٨/٨، ٣٢١/٣٢، ٣٣١، ١٦٠/٥١؛ إعلام الورى: ٤٤٢؛ الإقبال: ٤٦٠؛ الصراط المستقيم: ١١١/١، ١٩٦، ٢٣٢/٢، ٢٧٧؛ الصوارم المهرقة: ٨٩؛ كشف الغمّة: ٥٢٨/٢؛ كفاية الأثر: ٢٩٦؛ كمال الدين: ٤٩/٢؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢١٧/٣؛ اليقين: ١٢٤

٢. مستدرك الوسائل: ٣٢٠/١٧؛ بحار الأنوار: ٢٢/٢، ٣٠٧/٢٤؛ الألفين: ٣٣٢؛ الصراط المستقيم: ١٣١/١، ٢١٣؛ عوالي اللآلي: ٧٧/٤؛ منية المريد: ١٨٢

من بعض الأنبياء باعتبار ملاحظة حالات القطب المحمّديّ وكثرة الاطّلاع على مقاماته، فتنعكس عليه شعاعات كثيرة بواسطة استعداد مرآته لقبولها، فصحّ أن يكون الواحد منهم أكمل وأتمّ من الواحد من أنبياء بني إسرائيل. هذا تحقيق ما ذكره بعض الفاحصين عن هذه الغوامض وبه عُلم وجوب أفضليّة أئمّتناعليهم السلام على سائر الأنبياء حتّى أولي العزم[١].

[توقُّف المصنّف في تفضيل أئمّتناعليهم السلام على أولي العزم]

وفي الأحاديث المرويّة عنهصلى الله عليه وآله وعنهمعليهم السلام ما يدلّ على ذلك، والمصنّف توقّف في تفضيلهم على أولي العزم بعد أن جزم بتفضيلهم على من عداهم، ووجّه توقّفه من جهة النقل؛ فإنّ اللّه تعالى في الذكر الحكيم قد أفردهم بالذكر في مواضع؛ تخصيصاً لهم من بين أهل الولاية. وإنّما فعل ذلك لمزيد اختصاص اختصّه بهم تفرّد بعلمه، فجاز أن يكون لهم من الحالات الموجبة لأفضليّتهم على من عدا من أخرجه النصّ. وأنت إذا حقّقت النظر في ما تلوناه عليك في هذه الحاشية تبيّنت لك حقيقة الأمر وعرفت أنّ أئمّتناعليهم السلام مركز الكلّ وقطب الكلّ ولهم الفضل على الكلّ وإن أباه من أبى.

[أحوال مراتب أئمّتناعليهم السلام بعضهم إلى بعض]

وأمّا أحوال مراتبهم بعضهم إلى بعض فقد علمت أنّ محمّداًصلى الله عليه وآله له الشرف الأصيل والفضل النبيل على الكلّ؛ لاستغنائه عن الكلّ واحتياج الكلّ إليه. وكذلك يجب لعليّ بعده ما يجب له بالنسبة إلى باقي أولاده؛ لعلّة المساواة. والحسن

---

١. هامش تش: ويؤيّد أفضليّتهم على أولي العزم نزول عيسىعليه السلام على صاحب الأمر.

والحسين عليهما السلام كذلك بعد أبيهما يجري فيهما ما يجري فيه؛ لما سبق. وأمّا باقي التسعة فالظاهر وجوب مساواتهم في درجة الولاية؛ لاحتياج الخلق إليهم في تحصيل الكمالات، فيجب تساويهم في ما به يحصل تكميلهم لهم. وجاء في أحاديثهم ممّا يدلّ على ذلك، كما روي عن الصادق عليه السلام: «علمنا واحد ونحن شيء واحد»[1]، «يجري لآخرنا ما يجري لأوّلنا»[2]، وفي معناه أحاديث كثيرة لانطوّل بذكرها.

ولعلّ للقائم بالأمر عليه السلام خاتم الختم زيادة ترجيح على من قبله من آبائه عليهم السلام بسبب ما أعطاه اللّه من خصائص الكمال زيادة على ما به يتمّ صلاح الأمّة لاتعلّق لها بأحوال الرعيّة؛ لوجوب المساواة في ما به يتحقّق الاحتياج إليهم فيه، ولهذا قال: «وجاء في القائم من مرجّحات» وهي قيامه بالسيف وإظهار الدعوة وختم الولاية والظهور على الأعداء والاختصاص بالفتوح وعلوّ الإسلام بجهاده وعموم عدله لجملة الخلق[3] وأنّ ما منهم إلّا من بشّر بدولته وظهور أيّامه، وذلك كلّه زيادة رجحان له عليه السلام وخصائص /٢٦٨ أ/ خصّه اللّه بها؛ لعلم تفرّد به ومصالح لايطّلع عليها البشر ولاتتمكّن العقول من إدراكها من غير نقصان لمزاياهم ولاحطّ من مراتبهم عليهم، فاعلم ذلك؛ فإنّه سرّ محجوب.

[ذكر أحوال المهديّ عليه السلام]

أقول: تمام هذا البحث بذكر أحوال المهديّ عليه السلام ووزرائه. قال الشيخ في

---

١. بحار الأنوار: ٣٦٢/٢٥، ٣١٧/٢٦، ٣٩٩/٣٦؛ غيبة النعمانيّ: ٨٥

٢. بحار الأنوار: ٣٦٠/٢٥، ٤/٦٦؛ الاختصاص: ٢٦٨؛ المحاسن: ٢٨٨/١

٣. مر، حج: + ورجوع الدولة.

فتوحاته:

إنّ الإمـام إلـى الـوزير فقيـر — وعليهما فلـك الوجـود يـدور
والملك إن لم تستقم أحوالـه — بوجود هذين فسوف [يبـور][2]
إلّا الإلــه الحــقّ[1] فهــو منـزّه — ما عنـده فـي مـا يريـد وزيـر
جلّ الإله الحــقّ فى ملكـوته — عن أن يراه الخلق وهو فقيـر[3]

ثمّ قال:

اعلم ـ أيّدك اللّه ـ أنّ للّه خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جـوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلـك اليـوم حتّى يلي هذه الخليفة من عترة رسول اللّه صلى الله عليه وآله من وُلـد فاطمـة عليها السلام، يـواطئ اسمه اسم رسول اللّه صلى الله عليه وآله، جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يبايع بين الركن والمقام، يُشبه رسول اللّه صلى الله عليه وآله في الخَلق وينـزل عنـه فـي الخُلـق؛ لأنّـه لايكون أحد مثل رسول اللّه في خُلقه. هو أجلى الجبهة أقنـى الأنـف، أسـعد الناس به أهل الكوفة، يبايع له العارفون باللّـه مـن أهـل الحقـائق عـن شـهود وكشف بتعريف إلهيّ له، رجال إلهيّون يقيمـون فـي دعوتـه وينصرونه، هـم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلّده اللّه. ينزل عليه عيسى بن مريم بالمنارة البيضاء بشرقيّ دمشق بين مهرودتين، متّكئاً علـى ملَكـين: ملـك عن يمينه وملك عن يساره[4]، يقطر رأسه ماء مثل الجمّان ينحـدر كأنّمـا خـرج من ديماس والناس في صلاة العصر.[5]

ثمّ قال:

ألا إنّ خـــتم الأوليـــاء شـــهيد — وعـــين إمـــام العـــالمين فقيـــد

---

١. مر (خ ل): الحيّ.

٢. تش، مر، حج: يدور.

٣. الفتوحات المكّيّة: ٣٢٧/٣

٤. بحار الأنوار: ٩٧/٥١؛ كشف الغمّة: ٤٨٨/٢

٥. الفتوحات المكّيّة: ٣٢٧/٣

هو السيّد المهديّ من آل أحمد — هو الصارم الهنديّ حين يبيد
هو الشمس يجلو كلّ غيم وظلمة — هو الوابل الوسميّ حين يجود

فظهر بقوله أنّ المهديّ عليه السلام سبط النبيّ وسبط العليّ وولدهما وهو قطب الوقت وإمام الزمان وإليه رجوع كلّ قطب وإمام من المشرق إلى المغرب ومن الأرض إلى السماء وعليه تقوم الساعة وبفقده تخرب الدنيا وتظهر الآخرة ولايبقى إلّا اللّه.

[وجه تسمية الإنسان بخليفة اللّه]

قال:

ويسمّى إنساناً وخليفة. أمّا إنسانيّته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلّها، وهو للحقّ بمنزلة[1] العين من العين الذي يكون به النظر وهو المعبّر عنه بالبصر، فلهذا سمّي إنساناً؛ فإنّه به نظر الحقّ إلى خلقه فرحمهم، وهو الإنسان الحادث الأزليّ والنشأة الدائم الأبديّ والكلمة الفاضلة الجامعة، فتمّ العالم بوجوده. فهو من /٢٦٨ ب/ العالم كفصّ الخاتم من الخاتم الذي هو محلّ النقش والعلامة التي يختم الملك به على خزائنه. وسمّاه خليفة من أجل هذا؛ لأنّه الحافظ خلقه كما يحفظ الختم[2] الخزائن، فما دام ختم الملك عليها لايجسر أحد على فتحها إلّا بإذنه، فاستخلفه في حفظ العالم، فلايزال العالم محفوظاً ما دام فيه هذا الإنسان الكامل. ألاتراه إذا زال وفكّ من خزانة الدنيا لم يبق فيها من اختزنه الحقّ فيها وخرج ما كان فيها والتحق بعضه ببعض وانتقل الأمر إلى الآخرة وكان ختماً على خزانة الآخرة ختماً أبديّاً؟ فظهر أنّ جميع ما في الصورة الإلهيّة من الأسماء في هذه النشأة الإنسانيّة فحازت رتبة الإحاطة والجمع بهذا الوجود وبه قامت الحجّة للّه تعالى على الملائكة.[3]

---

١. مص: + إنسان.
٢. حج: بالختم.
٣. فصوص الحكم: ٤٩

وهذا يدلّ على أنّ الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام من أوّلهم إلى آخرهم فيهم ظهرت الأديان صورةً ومعنىً والكمالات غيباً وشهادةً وبفقدهم ينقطع الكلّ ويرجع إلى أصله؛ لأنّهم منهم بدء[1] الأمر وإليهم يعود، ونعم البداية ونعم الإعادة.

[الولاة الاثنا عشر لعالم الخلق]

وقال الشيخ في المجلّد الأوّل:

إنّ للّه عزّ وجلّ أمر أن يولّي على عالم الخلق اثنا عشر والياً يكون مقرّهم الفلك الأقصى في البروج، فقسّم الفلك الأقصى اثني عشر قسماً، جعل كلّ قسم منها برجاً لسكنى هؤلاء الولاة مثل أبراج سور المدينة. فأنزلهم اللّه إليهما، فنزلوا فيها كلّ وال على تخت في برجه ورفع اللّه الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ، فرأوا فيه مسطَراً أسماءهم ومراتبهم وما شاء الحقّ تعالى أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة، فارتقم كلّ ذلك في نفوسهم وعلموه علماً محفوظاً لايتبدّل ولايتغيّر.

ثمّ جعل اللّه لكلّ واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان أوامرهم إلى نوّابهم، وجعل بين كلّ حاجبين سفيراً يمشي بينهما بما يلقي اللّه في كلّ واحد منهما، وعيّن اللّه لهؤلاء الذين جعلهم /٢٦٩ أ/ حجاباً لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنون بها وأنزلهم إليها، وهي ثمانية وعشرون منزلاً التي تسمّى المنازل التي ذكرها اللّه في كتابه[2]، تنزل كلّ ليلة منزلة منها إلى أن تنتهي إلى آخرها، ثمّ يدور دورة أخرى؛ ليعلموا بسيره وسير الشمس فيها عدد السنين والحساب[3]. فأسكن في هذه المنازل هؤلاء الملائكة وهم حجّاب أولئك الولاة الذين في الفلك الأقصى.

ثمّ إنّ اللّه تعالى أمر هؤلاء الولاة أن يجعلوا لهم نوّاباً ونقباء في السماوات

---

١. حج: لأنّه منه بدأ.

٢. يونس عليه السلام/٥؛ يس/٣٩

٣. مقتبس من: يونس عليه السلام/٥

السبع، في كلّ سماء نقيباً كالحاجب لهم، ينظر في مصالح العالم العنصريّ بما يلقون إليه هؤلاء الولاة ويأمرونهم به. فجعل اللّه لهم أجسام هذه الكواكب النقباء أجساماً نيّرة مستديرة ونفخ فيها أرواحها وأنزلها في السماوات السبع في كلّ سماء واحد منهم وقال لهم: جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر والياً بواسطة الحجّاب الذين هم ثمانية وعشرون حاجباً كما يأخذون أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ.

ثمّ جعل اللّه لكلّ نقيب من هؤلاء السبعة النقباء فلكاً يسبّح فيه، هو فيه كالجواد للراكب، وهكذا الحجّاب لهم أفلاك يسبحون فيها إذ كان التصرّف في حوادث العالم والاستشراق عليه، ولهم سدنة وأعوان يزيدون على الألف. وأعطاهم اللّه تعالى مراكب سمّاها أفلاكاً، فهم أيضاً يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كلّ يوم مرّة، فلايفوتهم من المملكة شيء أصلاً من تلك السماوات والأرض، فتدور النوّاب والحجّاب والنقباء والسدنة كلّهم في خدمة هؤلاء الولاة الاثني عشر والكلّ مسخّرون في حقّنا؛ إذ كنّا المقصود من العالم.

ولمّا جعل اللّه زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة وأقعد من أقعد في برجه ومسكنه الذي في تحت ملكه وأنزل من أنزل من الحجّاب والنقباء إلى منازلهم في سماواتهم وجعل في كلّ سماء ملائكة مسخّرة تحت أيدي هؤلاء الولاة وجعل /٢٦٩ ب/ تسخيرهم على طبقات. فمنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحقّ إلينا ومنّا إلى الحقّ في كلّ صباح ومساء وما يقولون إلّا خيراً في حقّنا، ومنهم المستغفرون لمن في الأرض[1]، ومنهم المستغفرون للمؤمنين[2]؛ لغلبة الغيرة الإلهيّة عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض. وما من حادث يحدثه اللّه في العالم إلّا وقد وكّل اللّه بإجرائه ملائكة، ولكن يأمر هؤلاء الولاة من الملائكة كما منهم

---

١. مشير إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الشورى/٥).

٢. مشير إلى قوله تعالى: ﴿الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (غافر/٧).

الصافّات والزاجرات والتاليات والمقسّمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبّرات، ومع هذا فلايزالون تحت [ولاء][١] هؤلاء الولاة. ثمّ إنّ العامّة ما تشاهد إلّا منازلهم والخاصّة يشهدونهم في منازلهم، كما تشاهد العامّة أجرام الكواكب ولاتشاهد أعيان الحجّاب ولاالنقباء.

وجعل اللّه في العالم العنصريّ خلفاء من جنسهم، فمنهم الرسل والأنبياء والخلفاء والأئمّة والأولياء والأقطاب والسلاطين والملوك ولاة أمور العالم العنصريّ. وجعل بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم ولاة في الأرض من أهلها وبين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات ودقائق يمتدّ إليهم من هؤلاء بالعدل، مطهّرة من الشوائب، مقدّسة عن العيوب، فيقبل أرواح هؤلاء الولاة للأرضين منهم بحسب استعداداتهم. فمن كان استعداده قويّاً حسناً قبل ذلك على صورته طاهراً مطهّراً وكان والي عدل وإمام فضل، ومن كان استعداده رديئاً قبل ذلك ورده إلى شكله من الرداءة والقبح، فكان والي جور ونائب ظلم وبخل، فلايلومنّ إلّا نفسه.[٢]

واللّه أعلم بحقائق الأمور وعواقب الأحوال. هذا آخر كلامه في شأن الولاة الاثني عشر والمهديّ.

[تعيين هؤلاء الولاة من عند اللّه]

قال المتأخّر الفاضل: والغرض من نقله أن يعرف أنّ الأئمّة الاثني عشر معيّنون من اللّه، خارجون عن وضع عباده، و﴿**ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[٣]. وكلّ من يقول: إنّ هذه الأعداد من الأئمّة والأنبياء بوضع الخلق، يقول بغير الحقّ من

---

١. تش، مر، حج: ولاة.

٢. الفتوحات المكّيّة: ٢٩٥/١

٣. الأنعام/٩٦؛ يس/٣٨؛ فصّلت/١٢

غاية جهله وعمائه عن وضع الأمور الإلهيّة، يفعل اللّه ما يشاء ويحكم ما /٢٧٠ أ/ يريد[١].

[رأي المحقّقين في النسبة بين الولاة الاثني عشر والملائكة المدبّرة]

وعند بعض المحقّقين من أهل اللّه أنّ مظهر أرواح هؤلاء الاثني عشر كانت تلك الملائكة وأرواحهم؛ لأنّهم كجدّهم وأبيهم المشار إليهما بخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء كما كانوا موجودين وآدم بين الماء والطين وأرواحهم واحدة وأنوارهم واحدة، فتكون أرواح هؤلاء الأئمّة كذلك؛ لأنّ الملائكة والكواكب والأفلاك كلّهم مظاهر حقيقة الإنسان التي هي الأصل في الكلّ؛ لأنّ حقيقة الإنسان بمثابة النواة في وجود الشجرة، فالعالم كالشجرة وحقيقة الإنسان كالنواة، فيكون هو أوّلاً كما هو آخراً كالثمرة والنواة بالنسبة إلى الشجرة. وإليه أشار بقوله: ﴿**هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لايَبْلى**﴾[٢]؛ لأنّ كلّ من يطّلع على شجرة الوجود حصل له الاطّلاع على المبدأ والمعاد وما بينهما بالنسبة إليه وبالنسبة إلى العالم. والمقصود أنّ جميع العالم صورةً ومعنىً كلّه مظاهر روح محمّد وروح عليّ وأرواح فاطمة وأولادها المعصومين عليهم السلام.

[رأي المتشرّعين في النسبة بين الولاة الاثني عشر والملائكة المدبّرة]

وعند بعض المتشرّعين أنّ أرواح هؤلاء الأئمّة يأخذ من أرواح تلك الملائكة الفيض والمعارف ويعطي لمن دونهم من الخلق، وهو جائز بوجه من الوجوه.

---

١. مقتبس من: إبراهيم عليه السلام/٢٧؛ المائدة/١

٢. طه/١٢٠

[كيفيّة حصول كمال الانتظام في العالم الصوريّ والمعنويّ]

فعلى جميع التقادير كمال انتظام العالم الصوريّ ليس إلّا بسبعة من الكواكب وسبعة من الأفلاك واثني عشر ملكاً، كذلك انتظام العالم المعنويّ ليس إلّا بسبعة من الأنبياء وسبعة من الأقطاب وسبعة من الأبدال واثني عشر وليّاً واثني عشر إماماً واثني عشر نقيباً. وكلام الشيخ بل وكلام سائر المشايخ يشهد بصحّة ذلك، وكذلك قواعد القوم في ترتيب أهل السلوك والمعاني من القطب والغوث والإمام والأبدال والأوتاد والفقهاء.

[حديث الرجعة]

وأمّا حديث الرجعة: فإنّه من المتواتر بين الإماميّة لايختلفون فيه وقد انعقد إجماعهم على ثبوتها على المعنى الذي أشار إليه المصنّف[1]. فمن جملة

---

١. هامش مر: ونقل عن السيّد المرتضى رحمه الله أنّه سئل عن معنى الرجعة التي ثبتت عليها الإماميّة وما حقيقتها؟ أهو رجوع الدولة والأمر إليهم على ما يذهب إليه الشذّاذ منهم أم هو رجوع أشخاص وأعيان كما يذهب إليه أكثرهم؟ وما الصحيح على هذين القولين؟

فأجاب رحمه الله، فقال: الجواب ـ وباللّه التوفيق ـ اعلم أنّ الذي تذهب الشيعة الإماميّة إليه أنّ اللّه تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهديّ عليه السلام قوماً ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته؛ ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه؛ لينتقم منهم، فيلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ وعلوّ كلمة أهله. والدلالة على صحّة هذا المذهب أنّ الذي ذهبوا إليه ممّا لاشبهة على عاقل في أنّه مقدور للّه تعالى، غير مستحيل في نفسه؛ فإنّا نرى كثيراً من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكارَ من يراها مستحيلة غير مقدورة. وإذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الإماميّة على وقوعها؛ فإنّهم لايختلفون في ذلك، وإجماعهم قد بيّنّا في مواضع من كتبنا أنّه حجّة؛ لدخول قول الإمام عليه السلام فيه، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لابدّ فيه من كونه صواباً. وقد ←

الأحاديث الواردة ما رواه القطب الراونديّ في *خرائج الجرائح*[١] مرفوعاً عن أبي سعيد سهل بن زياد، حدّثنا الحسن بن محبوب، قال: حدّثنا ابن فضيل، قال: حدّثنا سعد الجلّاب /٢٧٠ ب/ عن جابر عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال الحسين بن عليّعليه السلام لأصحابه ـ قبل أن يقتل ـ: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال لي: يا بنيّ! إنّك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى فيها النبيّون وأوصياء النبيّين وهي أرض تدعى عموراً. وإنّك تستشهد بها وتستشهد جماعة من أصحابك، لايجدون ألم

بيّنا أنّ الرجعة لاتنافي التكليف وأنّ الدواعي متردّدة معنا حين لايظنّ ظانّ أنّ تكليف من يعاد باطل، وذكرنا أنّ التكليف كما يصحّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة فكذلك مع الرجعة؛ فإنّه ليس في جميع ذلك ملجئ إلى فعل الواجب والامتناع من فعل القبيح.

فأمّا من تأوّل الرجعة في أصحابنا على أنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات فإنّ قوماً من الشيعة لمّا عجزوا عن نصرة الرجعة وبيان جوازها وأنّها تنافي التكليف عوّلوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرجعة. وهذا منهم غير صحيح؛ لأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فتطرق التأويلات عليها، فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحّته بأخبار الآحاد التي لاتوجب العلم. وإنّما المعوّل في إثبات الرجعة على إجماع الإماميّة على معناها بأنّ الله تعالى يُحيي أمواتاً عند قيام القائمعليه السلام من أوليائه وأعدائه ـ على ما بيّناه ـ فكيف يطرق التأويل على ما هو معلوم؟ فالمعنى غير محتمل. [رسائل الشريف المرتضى: ١٢٥/١].

وسئل عنها في المسائل المتفارقة، فقيل: ما الاعتقاد في الرجعة؟

فأجاب: معنى الرجعة أنّ الله تعالى يُحيي قوماً ممّن توفّى قبل ظهور القائمعليه السلام من مواليه وشيعته، فيفوزوا بمباشرة نصرته وطاعته وقتال أعدائه ولايفوت ثواب هذه المنزلة. والله قادر على إحياء الأموات، فلامعنى لتعجّب المخالفين لهذه الحال واستبعادهم لها.

هذا صورة لفظه، نقلته من مصنّفاتهرحمه الله. [نفس المصدر: ٣٠٢/٢].

١. الخرائج: ٨٤٨/٢

مسّ الحديد، وتلا: ﴿يا نارُ كُوني بَرْداً وَسَلاماً عَلى إبْراهيمَ﴾[1]، يكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً. فأبشروا، فوَالله لئن قتلونا فإنّا نرد على نبيّنا. ثمّ أمكث ما شاء اللّه، فأكون أوّل من تنشقّ الأرض عنه، فأخرج خرجة توافق ذلك خروج أمير المؤمنين وقيام قائمنا وحياة رسول اللّه، ثمّ لينزلنّ وفد من السماء من عند اللّه لم ينزلوا إلى الأرض قطّ، ولينزلنّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وجنود من الملائكة، ولينزلنّ محمّد وعليّ وأنا وأخي وجميع مَن مَنّ اللّه عليه في حمولات من حمولات الربّ خيلٍ بُلقٍ من نور لم يركبها مخلوق، ثمّ ليهزّنّ محمّد لواءه وليدفعه إلى قائمنا مع سيفه، إنّا نمكّن بعد ذلك ما شاء اللّه.

ثمّ إنّ اللّه يخرج من مسجد الكوفة عيناً من دُهن وعيناً من لبن وعيناً من ماء، ثمّ إنّ أمير المؤمنين يدفع إليَّ سيف رسول اللّه، فيبعثني إلى الشرق والغرب، فلاآتي على عدوّ إلّا أهرقت دمه ولاأدع صنماً إلّا أحرقته حتّى أقع إلى الهند فأفتحها. وإنّ دانيال ويونس[2] يخرجان إلى أمير المؤمنين، يقولان: صدق اللّه ورسوله، ويبعث معهما سبعون رجلاً، فيقتلون مقاتلهم، ويبعث معنا إلى الروم، فيفتح اللّه لهم.

ثمّ لايسكن كلّ دابّة حرّم اللّه لحمها حتّى لايكون على وجه الأرض إلّا طيّباً. وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل ولأخيّرنّهم بين الإسلام والسيف، فمن أسلم فثبت عليه ومن كره الإسلام أهرق اللّه دمه. ولايبقى على الأرض أعمى ولامقعد ولامبتلىً إلّا كشف اللّه عنه بلاءه بنا أهل البيت. ولينزلنّ البركة

---

١. الأنبياء/٦٩

٢. مص: يوشع.

من السماء إلى الأرض، حتّى أنّ الشجرة لتقصف بما يزيد اللّه فيها من الثمرة ولنأكلنّ ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا﴾[1]. ثمّ إنّ اللّه ليهب لشيعتنا كرامة لايخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها، حتّى أنّ الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته، فيخبرهم بعلم ما لايعلمون.[2]

ومثل هذا أحاديث كثيرة في هذا المعنى عن الأئمّة عليهم السلام، ولبعض علماء الإماميّة في هذا المعنى كتاب مفرد وسمّاه بكتاب *الرجعة*[3]. /٢٧١ أ/

❋

---

١. الأعراف/٩٦

٢. بحار الأنوار: ٨٠/٤٥، ٦١/٥٣

٣. وهي كثيرة متكاثرة، فمن أهمّها ما كتبه محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ، الفضل بن الشاذان، العيّاشيّ، محمّد بن الحرّ العامليّ، الحسن بن سليمان، الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، سعد بن عبد اللّه بن أبي خلف وغيرهم رحمهم الله (بحار الأنوار: ١٦/١، ١٢٠/١٠٧، ١٦٩؛ رجال النجاشيّ: ٣٦، ٣٠٦، ٣٥٠، ٣٨٩؛ الفهرست للطوسيّ: ١٣٦).

[مذاهب المتكلّمين في المعاد]

قوله: فصل: وإعادة الأجسام بعد التفرّق أو بعد العدم وإعادة النفوس المدبّرة إليها وإفاضة الحياة والأعراض عليها كما كانت أمر ممكن في نفسه مقدور للّه تعالى، فيجب القول بوقوعه؛ لنصّ الشرع على وقوعه، وكلّ ما أخبر الشرع[1] بوقوعه مع إمكانه وجب اعتقاد وقوعه. ولاخلاف بين المسلمين فيه، وإنّما يختلفون في أنّ الأجسام هل تعدم قبل البعث أو تتفرّق الأجزاء لاغير. ويبني على صحّة إعادة المعدوم، فمن قال بجوازه قال بالأوّل ومن قال بعدم جوازه قال بالثاني، وللفريقين دلائل هي بالمطوّلات أنسب.

[مذهب جالينوس في المعاد]

قال: المحقّقون من الأوّلين والآخرين على القول بإثبات المعاد وإنّما يختلفون في معناه. وقد نقل عن جماعة من الحكماء الطبيعيّين إنكاره، وكذا جالينوس أنكره؛ لاعتقاده أنّ النفس هي المزاج وأنّه يفنى والفاني لايعاد، خصوصاً أنّه عرض، والأعراض بعد العدم لايتصوّر عودها، فإذا بطل المزاج بفناء البدن لايعود. نعم[2]! القائلون بالمعاد اختلفوا في معناه.

---

١. مو: الشارع.

٢. حج (خ ل): ثمّ.

[اختلاف القائلين بالمعاد في معناه]

فقال بعضهم: إنّه الجسمانيّ فقط، وهو مذهب جماعة من المتكلّمين، بناءً على أنّ النفس جسم.

وآخرون قالوا: إنّه روحانيّ فقط، وهو مذهب جماعة من الحكماء الإلهيّين.

وطائفة قالوا: إنّه جسمانيّ روحانيّ، وهذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون الروح مجرّداً عن المادّة، فيعاد الجسم ويتعلّق به الروح أو يتعلّق بجسم آخر غير الأوّل، وهو مذهب قليل من أهل الإسلام، ذهب إليه الغزاليّ والفارابيّ وكلّ من قال بتجرّد النفس من أهل التصوّف.

والثاني: أن يكون الروح جسمانيّاً أو روحانيّاً ويعاد الجسم الأوّل ويرد فيه الروح، وهو مذهب كثير من أهل الإسلام والنصارى.

[تحقق الإعادة مبنيّ على تحقّق النفس وماهيّته]

فعلم من هذا الاختلاف أنّ تحقق الإعادة مبنيّ على تحقّق النفس وأنّها أيّ شيء هي؛ فإنّ هذه الاختلافات إنّما نشأت من الاختلافات فيها ـ كما عرفت ـ؛ فإنّ الطبيعيّين لمّا اعتقدوا أنّ النفس جسم وأحالوا إعادة المعدوم أحالوا المعاد مطلقاً.

وجالينوس لمّا قال: إنّها المزاج نفاه بالكلّيّة.

والمتكلّمون لمّا قالوا: إنّها جوهر جسمانيّ قالوا: إنّه إنّما يكون بإعادة النفس على حالتها، بناءً على أنّها إمّا الهيكل المحسوس المشاهد أو أنّها أجزاء أصليّة ـ كما في مذاهبهم ـ

وأمّا الغزاليّ وأتباعه فلمّا قالوا بتجرّد النفس قالوا: إنّها يبقى بعد فراق البدن،

فعودها ردّها إلى البدن مرّة أخرى إمّا إلى الأوّل بعينه أو إلى آخر يماثله.

وباقي المسلمين لمّا كان مذهبهم في النفس على أنحاء متعدّدة فالذي قال منهم: إنّها[١] جوهر روحانيّ، قائل بأنّه لابدّ من إعادة الجسم الأوّل ويرد فيه الروح جمعاً بين الشريعة والحكمة، ويدّعون أنّ هذا منطوق الآيات القرآنيّة.

والإلهيّون لمّا اعتقدوا بتجرّد النفس وبقائها بعد فناء البدن ذهبوا إلى المعاد الروحانيّ، ومرادهم به قطع علاقة النفس /٢٧١ ب/ مع البدن.

فبالجملة وقع الاتّفاق على وقوع المعاد وأنّه حقّ وإن اختلفوا في كيفيّة وقوعه.

[الدليل المطلق على ثبوت المعاد الجسمانيّ]

والدليل المطلق على ثبوت المعاد الجسمانيّ أنّه ممكن في نفسه، والصادق أخبر عنه، فوجب القول به.

أمّا الأوّل: فلأنّ الإمكان إنّما هو بالنظر إلى القابل والفاعل، وهما حاصلان إمّا بالنظر إلى الفاعل فلما مرّ من الأصلين السابقين: أحدهما: كونه قادراً على كلّ مقدور، والثاني: كونه عالماً بأعيان أجزاء الأشخاص؛ لتعلّق علمه بالجزئيّات.

وأمّا الثاني: فلاتّفاق قول الأنبياء عليهم السلام على ذلك غير موسى عليه السلام؛ فإنّه لم يذكره وما نزل في التوراة فيه شيء، وقد وجد في كتب من جاء بعده كحزقيل وشعيا. وأمّا الإنجيل فالذي ذكر فيه أنّ الأحبار يصيرون كالملائكة، فتكون لهم الحياة الأبديّة والسعادة السرمديّة، ويمكن حمله على الروحانيّ والجسمانيّ وعليهما،

---

١. مر، حج: + جوهر جسمانيّ أو إنّها.

ودلالته على الأوّل أظهر؛ لتحقّق الروحانيّة للملائكة دون الجسمانيّة.[١]

وأمّا القرآن المجيد فقد جاء فيه ذكره في كثير من المواضع مثل قوله تعالى: **﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾**[٢]، **﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ * بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾**[٣]، **﴿أَإِذا كُنّا عِظاماً نَخِرَةً﴾**[٤]، **﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا﴾**[٥]، **﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً**

---

١. كلّ ما في التوراة من الوعد والوعيد فهو لمنافع الدنيا ومضارّها. أمّا متافعها فمثل أن يقول: إن أطعتَم باركتُ فيكم وكثّرتُ من أولادكم وأطلتُ أعماركم وأوسعتُ أرزاقكم واستبقيتُ اتّصال نسلكم ونصرتُكم على أعدائكم، وإن عصيتم وخالفتم اخترمتُكم ونقصتُ من آجالكم وشتتُّ شملكم ورميتُكم بالجوع والمحن وأذللتُ أولادكم وأشمت بكم أعداءكم ونصرتُ عليكم خصومكم وشرّدتُكم في البلاد وابتليتُكم بالمرض والذلّ ونحو ذلك. ولم يأت في التوراة وعد ووعيد بأمر يتعلّق بما بعد الموت.

وأمّا المسيح عليه السلام فإنّه صرّح بالقيامة وبعث الأبدان، ولكن جعل العقاب روحانيّاً وكذلك الثواب. أمّا العقاب فالوحشة والفزع وتخيّل الظلمة وخبث النفس وكدرها وخوف شديد. وأمّا الثواب فما زاد على أن قال: إنّهم يكونون كالملائكة، وربّما قال: يصعدون إلى ملكوت السماء، وربّما قال أصحابه وعلماء ملّته: الضوء واللذّة والسرور والأمن من زوال اللذّة الحاصلة لهم، هذا هو قول المحقّقين منهم. وقد أثبت بعضهم ناراً حقيقيّة؛ لأنّ لفظة النار وردت في الإنجيل، فقال محقّقوهم: نار قلبيّة أي نفسيّة روحانيّة، وقال الأفلون: نار كهذه النار. ومنهم من أثبت عقاباً غير النار وهو بدنيّ فقال: الرعدة وصرير الأسنان. فأمّا الجنّة بمعنى الأكل والشرب والجماع فإنّه لم يقل منهم قائل به أصلاً والإنجيل صرّح بانتفاء ذلك في القيامة تصريحاً لايبقى بعده ريب لمرتاب (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٩/٩).

٢. يس/٧٨

٣. القيامة/٤ـ٣

٤. النازعات/١١

٥. فصّلت/٢١

غَيْرَها﴾[١]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً﴾[٢]، ﴿إذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ﴾[٣]، إلى غير ذلك ممّا جاء في هذا المعنى وهو كثير. والقول بأنّ المراد بها المجازات الدالّة على الحقائق وهو الروحانيّ ضعيف؛ لأنّها صريحة في الجسمانيّ، فحملها على المجازات تكذيب للأنبياء.

[توقّف المعاد على مقدّمتين]

فإذا عرفت ذلك فقد ظهر لك ممّا أوردناه من مذاهب القوم توقّف المعاد على مقدّمتين:

إحداهما: معرفة النفس وأنّها ما هي حتّى يتحقّق كيفيّة الإعادة.

والثانية: أنّ المعدوم هل يعاد أم لا؟ وأنّ العالم هل يعدم أم لا؟

[المقدّمة الأولى: معرفة النفس وماهيّتها]

فأمّا المقدّمة الأولى: فقد وقع فيها التشاجر العظيم والاختلاف الكثير وخبط أهل الكلام فيها وتعدّدت آراؤهم تعدّداً كثيراً حتّى قيل: إنّها بلغت إلى قريب أربعين مذهباً ليس على واحد منها دليل قطعيّ.

وأشهر مذاهبهم القول بأنّها أجزاء أصليّة في البدن من أوّل العمر إلى آخره.

وجمهور الفلاسفة وجماعة متصوّفة الإسلام وجماعة من أهل الكلام قالوا بتجرّدها وإنّها جوهر غير جسمانيّ متعلّق بهذا البدن تعلّق التدبير لاتعلّق الحلول،

---

١. النساء/٥٦

٢. ق/٤٤

٣. العاديات/٩

ولهم على ذلك دلائل هي بالصواب أنسب وبالحقّ أشبه.

[استدلال القائلين بتجرّد النفس]

أقول: «القائلون بتجرّد النفس استدلّوا على ذلك بأدلّة كثيرة، منها: أنّا لانغفل عن ذواتنا في حالة واحدة من الحالات، وكلّ جسم وعرض فإنّا قد نغفل عنه في بعض الحالات، ينتج من الثاني: أنّ ذواتنا ليست بجسم ولاعرض، فهو جوهر مجرّد قائم بذاته.

أمّا الكبرى فظاهرة.

وأمّا الصغرى فإنّي لاأغفل عن ذاتي في حالٍ ما؛ لأنّ الحالات التي لايخلو الإنسان عنها يقظة ونوم وصحو وسكر وحالة أهل الكشف.

أمّا حال اليقظة فلأنّ النفس ظهور محض ونور صرف، فلاغفلة /٢٧٢ أ/ عنده؛ لأنّ الغفلة لاتتصوّر إلّا على ما فيه خفاء وظلمة. وأيضاً في حال تصرّفي وفكري أعرف أنّي أنا المفكّر المتصرّف، فلامحالة لي شعور بذاتي.

وأمّا في حال النوم فلتصرّف نفسي في كلّ حالة في الأمثال الخياليّة والمعاني الوهميّة وفي الأمور الفكريّة العقليّة، ويكون لي مع هذه الحالة شعور بذاتي أنّها المتصرّفة المتفكّرة بالضرورة، وكذلك حال الصحو والسكر.

وأمّا حال المكاشفات التي هي لأهل التألّه من الإشراقيّين والمشايخ من المتصوّفين فلأنّي وجدت نفسي ـ وأنا صحيح العقل ولامانع لي ـ أنّي لاأبصر بدني وأجزاءه، فأكون قد أدركت شيئاً هو عين ذاتي، فأحكم عليها أنّها هي ولاأغفل في هذه الحالة شيئاً من بدني وأجزائه وقواه ولاأغفل عن ذاتي، فإدراكي لها من أوضح الإدراكات وأجلاها. فمعرفتي بذاتي وشعوري بها ضروريّ،

والعوام وأصحاب الطبائع الكثيفة لجهلهم بالحكمة وقعوا عن معرفتها في الحرمان الأبديّ.

وقد سئل أرسطو: كيف تعمى النفس عن معرفة نفسها وهي أمّ الحكمة؟ فقال: إذا غابت الحكمة عن النفس عميت عن نفسها وغيرها، كما يعمى البصر عن نفسه وغيره إذا غاب عنه المصباح. وما أحسن ما قال بعض الحكماء: إنّ العلوم كلّها في النفس بالقوّة، فإذا عرفت ذاتها صارت العلوم كلّها فيها بالفعل.

وتلخيصه أنّ كلّ إنسان يعلم هويّته مع غفلته عن جميع أعضائه، والمعلوم لابدّ وأن يكون مغايراً لما ليس بمعلوم، فذات الإنسان مغايرة لجميع أعضائه. ولهم أدلّة أخرى لانطوّل بتعدادها[1]».[2]

[ضرورة معرفة النفس]

«فالنفس الناطقة قوّة روحانيّة إلهيّة مجرّدة عن الموادّ غير منطبعة في جرم ولامنقسمة، وهي شعاع روح القدس، كما أنّ هذا الشعاع المحسوس شعاع الشمس، إلّا أنّ الشعاع لمّا قام بنفسه كان ظاهراً في ذاته ولذاته وكان ألطف من الشعاع الشمسيّ[3] بمراتب لاتحصى إلّا للحقّ تعالى، غاب عن الحسّ، فأنكره الجسمانيّون من الإنس وتفطّن له المؤيّدون بالقدس.

ومعرفة هذا الشعاع القدسيّ من أهمّ المهمّات الحكميّة والمسائل الحقيقيّة ومعرفة مفتاح الحكمة وليس لها مفتاح غيرها ولايتوصّل إلى الدخول في

---

١. مر: بتعدّدها.

٢. رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٢٣/٢

٣. حج: شعاع الشمس.

ملكوت السماوات والأرض وتحصيل مراتب الملائكة إلّا بمعرفتها، فهي أمّ الحكمة وأصل الفضائل. وهي كما قال بعض الحكماء: من عرف نفسه أمكنه أن يعرف كلّ شيء، ومَن جهلها لايمكنه أن يعرف شيء. وما تعرف على ما هي عليه من جهة البرهان، بل إنّما تعرف كلّ المعرفة من جهة الذوق والشوق واللطف والصفاء والحدس، ولايصير الإنسان عارفاً حكيماً حتّى يعرف هذا الشعاع معاينة ويعرف تجرّده وبقاءه بعد خراب البدن وكونه مدركاً لذاته ولغيره. فإذا تقرّر هذا في نفس الطالب استغنى عن كثرة الأقاويل والتخبيطات؛ فإنّ المذاهب فيها كثيرة والباطل لايحصى ولايضبط، من وجد برد اليقين استغنى عن مناقشة الغير ومنازعته».[1]

[كيفيّة العلاقة بين النفس والبدن]

«وأمّا العلاقة التي بين النفس والبدن فلايكون حالها كحال المتضايفين؛ لكون المضاف عرض لايتصوّر تعقّل أحدهما إلّا مع الآخر. وليس حال النفس /٢٧٢/ ب/ والبدن كذلك؛ فإنّهما جوهران ليسا بمتضايفين لذاتيهما، وإن لحقتهما الإضافة باعتبار أنّ كلاً منهما يستدعي الآخر.

ولاتكون علاقة النفس بالبدن كعلاقة الجسم بالجسم ولاالعرض بالجسم؛ لأنّ النفس جوهر مجرّد، فكيف تكون علاقته كعلاقة الجسم بجسم آخر؟ لأنّ علاقة الجسم بجسم آخر إمّا بمماسّة أو مقابلة أو مجاورة ونحوها ولاالعرض بالجسم؛ لحلوله فيه.

---

١. نفس المصدر: ٤٦٧/٢

وليست العلاقة بينهما كعلاقة العلّة والمعلول؛ لأنّ البدن ليس علّة للنفس؛ لأنّ الأخسّ لايوجد ما هو أشرف منه، ولاالنفس علّة للبدن وإلّا لامتازت دونه؛ فإنّها ما لم تتعيّن لم تعقل. فهي إذَن ـ أي العلاقة بينهما ـ علاقة شوقيّة عشقيّة تكون للنفس إلى البدن؛ لمناسبة بينهما لاستعداد البدن بالمزاج المخصوص لقبول أفاعيلها.

وشبّه الحكماء المزاج ـ الذي هو علّة في حدوث النفس وتعلّقها بالبدن ـ واشتعاله بنار النفس المشتعلة من النار العظيمة المسمّى بالعقل الفعّال بفتيلة مبتلّة بزيت واشتعالها من مصباح جاورها. وإذا كان المغناطيس يتعلّق بالحديد حتّى يجذبه إليه ويحرّكه ويحدث فيه الأفاعيل مع كونهما جسمين فلاتتعجّب[1] من تعلّق النفس بالبدن وتحريكها له».[2]

[وجه احتياج النفس إلى الروح الحيوانيّ]

«واعلم أنّ النفس لمّا كانت نوراً مجرّداً شديد اللطافة، والبدن جسم كثيف ظلمانيّ احتيج في مناسبة أحدهما مع الآخر إلى متوسّط يجمع بينهما، وهو الروح الحيوانيّ وهو جوهر لطيف مركّب من بخار الأخلاط ولطيفها، مسكنه الأعضاء الرئيسة ـ أعني القلب والدماغ والكبد ـ فهي المتعلّق الأوّل للنفس، وفيها من المناسبات الكثيرة الموجبة للتعلّق ما لايوجد في غيرها من الأعضاء من صفائها ونوريّتها وظهور المثال فيها وقبولها صور الأشباح، لكنّها لمّا كانت لطيفة احتاجت إلى عضو يمنعها عن التفرّق والانفشاش وهو القلب، ثمّ يحتاج

---

١. حج (خ ل): فلاتعجّب.
٢. نفس المصدر: ٤٦٧/٢

إلى عضو آخر يمدّها بالغذاء وهو الكبد، ثمّ إلى عضو يجعلها مستعدة لأن يكون مبدأ للحسّ والحركة وهو الدماغ، ثمّ إلى سائر الأعضاء واحداً بعد واحد بحسب الاحتياج إليه، إلى أن ينتهي إلى أنملة الأصابع على الترتيب، فيكمل بذلك الشخص الإنسانيّ الذي هو مدينة النفس الناطقة المدبّرة له».[١]

«ثمّ إنّ القلب معدن الروح الحيوانيّ الذي هو المتعلّق الأوّل للنفس، ويليه الدماغ وهو معدن الروح النفسانيّ الذي هو الحسّ والحركة، ويليه الكبد وهو معدن الروح الطبيعيّ وهو أصل النموّ والتغذية والتوليد، ومن هذه الأعضاء الثلاثة ينفذ في سائر الأعضاء. ولمّا كان هذا الروح متوسّطاً بين اللطافة والكثافة كان مشابهاً للنفس بجهة وللبدن بجهة، فصار هو الواسطة في تعلّق النفس بالبدن».[٢]

«فإذا سمعت في أقوالهم أنّ للإنسان نفساً حيوانيّة وللحيوان نفساً نباتيّة فمرادهم أنّ مجموع القوى الحيوانيّة نفس أخرى وكذلك مجموع القوى النباتيّة، والمبدأ /٢٧٣ أ/ للكلّ والجامع للإحساس والشهوة والغضب والشوق وتعقّل الأمور الكلّيّة شيء واحد.

ومثال فيض النفس عن المبدأ الفعّال مثل الشمس والبيت الذي فيه كوّة. فقبول البدن للنفس النباتيّة مثل قبول البيت لشعاع الشمس، وقبوله للحيوانيّة كتسخين البيت بالشعاع، وقبوله للناطقة كاشتعال البيت به مع التسخين والإنارة. فللحيوان أفعال النبات مع زيادة الحسّ والحركة وهي كالتسخين بالشعاع،

---

١. نفس المصدر: ٣٤٨/٢

٢. نفس المصدر: ٤٦٣/٢

وللإنسان أفعال النبات والحيوان مع زيادة إدراك المعقولات الكلّيّة وهي كالتسخين والإنارة مع الاشتعال، والفاعل الذي هو الشمس هنا واحد واختلاف الآثار الصادرة عنه التي هي الإنارة تارةً وتارةً هي مع التسخين وتارةً هما مع الاشتعال لاختلاف القوابل بالاستعداد؛ فإنّ البيت إذا كان لايستعدّ إلّا لقبول الإنارة فلايقبل من الشمس غيرها، فإذا كان وضعه بحيث يقبل الإنارة والتسخين معاً حصلا له، ولو كان وضعه بحيث يقبل الاشتعال قبله معهما كما لو كان له في طبيعة الكبريتيّة فكذلك استعداد الأمزجة لقبول فيض المبدأ، فكلّ يقبل ما كان مستعداً له بحسب وضعه وتركيبه»[1]، ﴿**فَتَبارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمينَ**﴾[2].

[الاختلاف في كيفيّة المعاد الجسمانيّ]

قال: فبالجملة المعاد الجسمانيّ وغيره يتحقّق على مذاهبهم ويصحّ إثباته، إلّا أنّه تختلف كيفيّاته باختلاف مذاهبهم في النفس. والقائلون بالتجرّد هم في الإعادة فريقان:

فريق قصروه عليها وجعلوا عودها إلى العالم العلويّ بعد قطع العلاقة البدنيّة، وفراغها عن الاشتغال بتدبير البدن عبارة عن المعاد، وهو مذهب جماعة كثيرة من أهل الحكمة سيأتي الكلام معهم.

وفريق قالوا: لابدّ عند القيامة الكبرى من عود الأبدان الجسمانيّة كما كانت، فتردّ العلاقة النفسانيّة على حالها على حسب ما كانت عليه في الحالة الأولى قبل قطع العلاقة؛ جمعاً بين الحكمة والظواهر النقليّة، وهو مذهب جماعة الإسلاميّين

---

١. نفس المصدر: ٤٧١/٢

٢. غافر/٦٤

من الحكماء وأهل التصوّف والكلام.

[المقدّمة الثانية: في جواز عدم العالم وجواز إعادة المعدوم]

وأمّا المقدّمة الثانية: فالكلام فيها على نوعين:

[تحقيق في جواز عدم العالم أو امتناعه]

الأوّل: في جواز عدم العالم أو امتناعه. ومذهب الإسلاميّين جوازه، ومَنَعه طائفة من الفلاسفة لاباعتبار ذاته؛ لأنّه عندهم ليس بواجب الوجود لذاته، نعم! منعوه من حيث وجوب وجوده بغيره؛ بناءً على تلازم المعلول مع العلّة التامّة وأنّ عدم المعلول إنّما يكون لعدم علّته وعلّته واجب الوجود وهو لايصحّ عدمه.

وطائفة منعوه بناءً على وجوب وجوده لذاته، وهذا مذهب مخالف لمقتضى العقول ومنافٍ لجميع الشرائع؛ فإنّ العقل الصريح حاكم بإمكانه وأنّه ليس بقديم لذاته، وكذلك جميع الملل والشرائع مخبِرة بذلك، فلايلتفت إلى ما قالوه.

ونسبوا إلى الكرّاميّة القول بأبديّة العالم بعد القول بحدوثه، فإن أرادوا بأبديّته بفاعل مختار يوجب له البقاء ويفيض عليه الوجود لا إلى نهاية فذلك لايحيله العقل ولاينافي أحكام /٢٧٣ ب/ الشريعة؛ فإنّه قد ورد فيها أنّ أهل القيامة أبديّون كما صرّحت به الآيات القرآنيّة. وإن أرادوا بأبديّته بذاته فذلك محال عقلاً وسمعاً؛ لأنّ الأبديّة الذاتيّة لاتتحقّق مع الحدوث الذاتيّ؛ لما بين التأبيد الذاتيّ والإمكان الذاتيّ المستلزم للحدوث الذاتيّ من المنافات الذاتيّة. نعم! تصحّ أبديّته استناداً إلى علّته الممدّة له باعتبار ارتباطها به ـ على ما مرّ ـ

والذي عليه عامّة أهل الإسلام جواز عدمه بالنظر إلى ذاته، لكن يختلفون في أنّ هذا الجائز هل يقع أم لا. ومبنى خلافهم على أنّ المعدوم هل يعاد أم لا،

وهي المسألة الثانية في أنّ المعدوم هل يصحّ عوده أم لا.

فمن قال منهم بجواز إعادته قال: إنّ العالم يعدم قبل القيامة، ثمّ يعاد مرّة ثانية كما كان أوّلاً.

ومن منع من إعادته منع من عدمه وقال: إنّ الإعادة معناها جمع الأجزاء بعد تفرّقها وتلاشيها وتأليفها على مثل الحالة الأولى. فالمعدوم هو التأليف وهو لايعاد بعينه وإنّما يعاد تأليف آخر مثله، فهو في الحقيقة تأليف مبتدأ، لكن لمّا كان مماثلاً للأوّل قيل إعادة الأجسام باعتبار حصوله على الهيئة الأولى، هذا رأي القائلين بأنّ المعدوم ليس شيئاً.

وأمّا الذين قالوا: إنّ المعدوم شيء في العدم، قالوا: إذا عدم الوجود بقيت الشيئيّة المخصوصة، فعند العود يفيض اللّه عليها الوجود مرّة ثانية كما أفاضها عليها أوّلاً.

أقول: وإلى هذا أشار بعض أهل الحكمة بقوله: إنّ الموجود المطلق لايعدم أصلاً وإنّ المعدوم المطلق لايوجد أصلاً. والإعدام والإيجاد بالنسبة إلى الممكنات عبارة عن تفريق أجزاء صورة إلى صورة أخرى وتبديل أوضاعه إلى أوضاع آخر، ومن هذا قيل: إنّ الممكنات غير متناهية وإنّ مظاهرها لانهاية لها.

[تحقيق في جواز إعادة المعدوم]

قال: النوع الثاني في تحقيق المذهب في جواز إعادة المعدوم، فنقول: ذهب طائفة كثيرة عن المتكلّمين كالأشعريّ ومن تبعه إلى جواز إعادة المعدوم، محتجّين بأنّه لو استحال عوده للزم انقلابه من الإمكان الذاتيّ إلى الامتناع الذاتيّ وهو باطل؛ إذ لاشكّ في أنّه ممكن الوجود حالتَي الوجود والعدم، فلايصحّ

اتّصافه بالامتناع الذاتيّ؛ للتنافي بين حقيقتَي الإمكان والامتناع الذاتيّين. وتحرير محلّ النزاع أن مراد المانعين بعود المعدوم إن كان الامتناع الغيريّ فينبغي أن يرتفع النزاع؛ لأنّ دعوى القائلين بالجواز تحقّق الإمكان الذاتيّ. وإن كان الامتناع الذاتيّ فهو الظاهر من عباراتهم؛ لأنّ إطلاق الامتناع وإطلاق الوجوب يشعر بالذات؛ إذ المطلق ينصرف إلى الكامل؛ لأنّ المحال لازم /٢٧٤ أ/ على تقدير العود، وما هو ممكن لذاته لايستلزم المحال.

فإذا قيل: كيف يقال للذي وجد في وقتٍ ما ممتنع ذاتاً؟ **قالوا**: إنّ وجوده الثاني ممتنع، فأجازوا الأوّل وأحالوا الثاني.

[اعتراضات على حجّة القائلين بجواز إعادة المعدوم والجواب عنها]

واعترضوا على حجّة القائلين بجوازه بأنّ قبول الوجود ثانياً أخصّ من مطلق الوجود وقابليّة الأعمّ لاتوجب قابليّة الأخصّ، كما أنّ الإنسان قابل للقائميّة وليس بقابل للفرسيّة، فجاز أن يكون قابلاً لمطلق الوجود دون الوجود الثاني.

أقول: وبيان ذلك أنّ الوجود الثاني مقيّد بكونه بعد الوجود الأوّل متخلّلاً بينهما عدم، والممتنع هو هذا المقيّد، والوجود الأوّل خالٍ عن هذا القيد؛ لأنّه وجود أوّل بعد عدم أوّل، فيكون مطلقاً بالنسبة إلى هذا الوجود، وتحقّق الامتناع في المقيّد لايستلزم تحقّقه في المطلق؛ لما بينهما من المغايرة الذاتيّة. فإمكان الأوّل لايستلزم إمكان الثاني؛ لما قلناه من المغايرة، فصحّ اتّصاف أحدهم بالامتناع والآخر بالإمكان.

قال: أجيب بأنّه إذا ثبت أنّه قابل للوجود من حيث هو يلزم أن يكون قابلاً له في جميع الأوقات، فحينئذٍ لو فرضنا أنّه لم يكن موجوداً أوّلاً كانت هذه القابليّة

ثابتة دائماً، فوجوده الأوّل إمّا أفاده زيادة استعداد لقبول الوجود الثاني أو لم يفده. فإن أفاده فقد صار العود أهون، وإن لم يفده فلاينتقص[١] عمّا هو عليه في الذات من قابليّة الوجود في جميع الأوقات؛ لامتناع الانقلاب.

أقول: لقائل أن يقول: إنّ قبوله الوجود الأوّل ما زاده استعداداً لقبول الوجود الثاني، بل كان مانعاً من قبول الوجود الثاني؛ لأنّ قبول المطلق يكون هو المانع من قبول المقيّد الذي لايصحّ اجتماعه معه؛ بناءً على امتناع اجتماع المثلين.

قال: بل الحقّ أنّ حصول الوجود الأوّل يفيده زيادة استعداد لاكتسابه معنىً يفيد زيادة استعداد لقبول الوجود ثانياً؛ لأنّ المقبول إذا حصل للقابل مرّة يصير القابل أقبل له واتّصافه به أسهل، فإذا اتّصف ثالثاً صار أشدّ قبولاً حتّى يصير ملكة وهذا ضروريّ.

أقول: لمانع أن يمنع الضرورة هنا؛ فإنّ القابل لايزداد في الاستعداد بتكرّر القبول إلّا إذا كانت الهويّة القابلة متحقّقة الثبوت بعد عدم المقبول الأوّل، أمّا إذا انتفت الهويّة بانتفاء المقبول فلاتتحقّق زيادة الاستعداد، بل ولايبقى هناك استعداد أصلاً، خصوصاً إذا قيل: إنّ الاستعداد أمر وجوديّ يفتقر إلى محلّ يقوم به. فمع انتفاء الهويّة لايبقى شيء أصلاً، فلااستعداد إليه، خصوصاً على مذهب الأشعريّ القائل بأنّ الوجود نفس الماهيّة؛ فإنّ بانتفائه تنتفي الماهيّة؛ لأنّه نفسها، فلايبقى للاستعداد محلّ؛ /٢٧٤ ب/ إذ لامستعدّ. نعم! هذا الكلام لو صحّ فإنّما يتمّ على رأي المعتزليّ القائل بمغايرة الوجود للماهيّة خارجاً؛ فإنّ محلّ الاستعداد حينئذٍ يكون باقياً عند زوال الوجود الأوّل؛ لكون الماهيّة شيئاً في العدم، مع أنّ للقائل

---

١. مر: ينقص.

أن يقول: إنّ قبولها للثاني منَع منه قبولها للأوّل والمانع للشيء لايكون معداً لـه، فتدبّر.

قال: ولعلّ المراد من قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾[1] هـذا القـدر، ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلى**﴾[2]؛ فإنّ خلق السماوات والأرض ابتداءً أعلى وأقوى مـن الحشـر، فهو مثال له ودليل عليه لمن تدبّر. ولهذا قال عليّ عليه السلام: «عجبت لمن أنكر النشـأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى»[3]، والآية الكريمة دالّة على ذلك في قوله تعـالى: ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[4].

[حجّة القائلين بامتناع إعادة المعدوم]

ومن ذهب إلى امتناع العود احتجّ عليه بوجوه:

الأوّل: أنّ المعدوم لاتبقى له هويّة ليصحّ الحكم عليه بالعود.

والصغرى بديهيّة.

وأمّا الكبرى فلأنّ الحكم إنّما يكون على الهويّة وحيث لاهويّة لاحكم.

الثاني: أنّه لو أعيد لوجب أن يعاد جميع الخواصّ التي هو بها وإلّا لمـا كـان المُعاد هو، بل غيره؛ لأنّ الشخص إنّما يكون هو بخواصّه، ومـن خواصّـه وقتـه الذي وجد فيه، وإذا أعيد مع وقته فقد أعيد هو في وقته بعينه، فيكون مبتدأ مـن

---

١. الروم/٢٧
٢. النحل/٦٠
٣. بحار الأنوار: ١٩٩/٦٩، ٩٤/٧٥؛ إرشاد القلوب: ١٩٢/١؛ أعلام الـدين: ٢٩٦؛ جـامع الأخبـار: ١٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبـي الحديـد: ٣١٥/١٨؛ غـرر الحكـم: ١٦٨؛ مجموعـة ورام: ٦٢/١؛ نهج البلاغة: ٤٩١
٤. يس/٧٩

حيث إنّه معاد، فلايكون معاداً؛ فإنّ المعاد هو الذي وجد في وقت ثانٍ وقد وجد في وقته الأوّل، فكيف يكون معاداً؟

الثالث: أنّه لو أمكن عوده لأمكن عود مثله معه؛ لأنّ حكم الأمثال واحد، وذلك محال؛ فإنّه لو أعيد مع مثله لما امتاز أحدهما عن الآخر؛ لتساويهما من جميع الوجوه وإلّا لما كانا مثلين، فلاامتياز بين الاثنين، هذا خلف.

[اعتراض على الوجه الأوّل والجواب عنها]

اعترض على الأوّل بأنّ قولكم: «لايصحّ الحكم عليه» حكم عليه وهو تناقض، ومتى صحّ الحكم عليه لايصحّ الحكم عليه بامتناع العود؛ لأنّ الامتناع إن كان لما هو هو كان وجوده محالاً مطلقاً، فلايصحّ عليه الدخول في الوجود، هذا خلف. وإن كان لغيره كان من حيث هو هو قابلاً للعود، وهو المطلوب.

أقول: قوله: «قولكم: لايصحّ الحكم عليه حكم عليه» فيه نظر؛ لأنّه عند التحقيق مغالطة ظاهرة؛ لأنّ قولنا: «لايصحّ الحكم» ليس هو من الإيجاب المعدول حتّى يتحقّق احتياجه إلى الموضوع المحصّل، بل هو من السلب البسيط الذي لايفتقر إلى ثبوت موضوع؛ لأنّ الشيء إذا عدم وانتفت هويّته صحّ سلب كلّ شيء عنه، بخلاف الحكم عليه بالعود؛ فإنّه حكم إيجابيّ محصّل يحتاج فيه إلى موضوع محصّل ثبت له المحمول في ذاته، وبينهما فرق كما حقّق في المنطق.

وحينئذٍ نقول: قولكم: «المعدوم يعاد» موجبة محصّلة تحتاج في ثبوت محمولها لموضوعها إلى ثبوت الموضوع وتحقّقه في ذاته، والمعدوم لاهويّة له ليصحّ ثبوت حكم العود له، بخلاف قولنا: «المعدوم لايعاد»؛ /٢٧٥ أ/ فإنّه سالبة

بسيطة، فلايحتاج في جواز الحمل هنا إلى ثبوت الموضوع وتحقّقه في نفسه حتّى يصحّ سلب العود عنه، بل يصحّ ذلك السلب عنه لكون هويّته غير متحقّقة، فلايتحقّق شيء من صفاتها؛ فإنّ الماهيّة إذا انتفت صحّ سلب جميع لوازمها على سبيل المناسبة، وذلك ممّا بيّن عند أهله.

قال: وفيه نظر؛ لأنّ الحكم بامتناع العود لايستلزم الحكم عليه بامتناع الوجود الأوّل؛ لأنّ امتناع الوجود الثاني لايستلزم امتناع الوجود الأوّل؛ لعدم التلازم. والتحقيق أنّ الحكم بالإعادة ليس على المعدوم المطلق ليمتنع، وإنّما هو حكم على المعدوم الذهنيّ بأنّه يعاد في الخارج كما كان قبل وجوده الأوّل؛ فإنّه إن صدق عليه أنّه يصحّ الحكم عليه بالوجود فكذا يصحّ هاهنا، والعجب من غفلتهم عن هذا المعنى مع ظهوره.

[اعتراض على الوجه الثاني والجواب عنها]

وعلى الثاني بعدم تسليم كون الوقت من الخواصّ التي يكون الشخص بها هو؛ فإنّ الزمان لادخل له في التشخّص.

وفيه نظر؛ إذ لمانع أن يمنع من ذلك؛ فإنّ الوقت من جملة المشخّصات؛ بل الأحسن أن يقال: لانسلّم أنّ المُعاد الذي وجد في وقت ثان، بل الذي وجد ثانياً، سواء وجد في وقت آخر أو في وقته الأوّل، بل نقول: إنّه هو ووقته معادين[1].

---

١. هامش تش، مر: وهذا إنّما يتمّ على رأي من يقول: إنّ الزمان جوهر، كما هو مذهب أفلاطون وفخر الدين الرازيّ كما سلف. وأمّا على القول بأنّه أمر تقديريّ لاوجود له خارجاً أو أنّه من الأعراض الغير القارّة فلايتصوّر الإعادة فيه قطعاً. «منه ﷺ».

[اعتراض على الوجه الثالث والجواب عنها]

وعلى الثالث أنّ المثل هو المساوي في الماهيّة ولاتجب المساواة في جميع الصفات، فلايلزم أنّه لو أعيد مثله لما بقي الامتياز؛ فإنّ الامتياز متحقّق بين زيد وعمرو مع تحقّق المماثلة بينهما، والتماثل من جميع الوجوه ممتنع.

قال بعض من منع: إنّ هذه الوجوه تنبيهيّة لااستدلاليّة، فلايرد عليها ما ذكروه؛ فإنّ الحكم بامتناع إعادة المعدوم من الأحكام الضروريّة؛ فإنّ من عدمت هويّته بالكلّيّة لايصحّ اتّصافه بشيء من الصفات بالضرورة، والعود صفة ثبوتيّة لاحقة له، فلايصحّ ثبوتها لمن لاهويّة له قطعاً.

واعترض عليه بأنّ تجويز نقيضه يمنع من كونه ضروريّاً؛ فإنّ الشيء مع جواز النقيض[1] لايصحّ أن يكون ضروريّاً.

وحقّق آخرون هذه الدعوى فقالوا: إنّ المعدوم لايعاد مع جميع عوارضه، فلعلّ أحداً لايخالفه؛ فإنّ بعض من جوّز إعادته ذهب إلى أنّ بعض العوارض لامدخل له في هويّة الشخص كالقدر المعيّن والوقت المعيّن والوضع المعيّن وأمثال هذه، وقد صرّحوا بأنّ الشخص بعد البعث يكون على وصف آخر، فيرتفع النزاع من البين وصحّ دعواهم بجواز العود مع بعض العوارض ودعوى منعه؛ لأنّ المراد بجميع العوارض.

أقول: هذا صلح بين الفريقين ورفع للتنازع الواقع بين القوم في منع إعادة المعدوم /٢٧٥ ب/ وجوازه؛ فإنّ القائل بمنعه إنّما منَعه على تقدير أخذ جميع العوارض والمشخّصات معه، ومن المعلوم أنّ إعادته على هذا النوع من الإعادة

---

١. حج (خ ل): نقيضه.

ممتنع. والقائل بجوازه إنّما جوّزه على تقدير أخذه من حيث الهويّة الذاتيّـة وإن اختلفت العوارض، فيرتفع النزاع من البين وهو ظاهر؛ فإنّ من منَع إعادة المعدوم مطلقاً يكون مخالفاً لمقتضى البداهة، وكذلك من جوّزه بجميع أحواله وعوارضه؛ إذ العقل الصريح يمنعه؛ لاستحالة إعادة الأعراض والصفات والعوارض اللاحقـة الاعتباريّة، بل والصفات الحقيقيّة، فالنزاع بين الفريقين حينئذٍ لاطائل تحته؛ لأنّـه نزاع لامحصول[1] له.

❊

---

١. حج: (خ ل): محصّل.

[مذاهب الفلاسفة في المعاد]

قوله: والقول[1] بإعادة الأرواح إلى عالمها بعد المفارقة للمدبّرات إن كانت من أهل السعادة ويبقى من أهل البهجة واللذّة، وإلّا إلى الأسفل إن كانت من أهل الشقاوة ويبقى في الحسرة والألم لايبعد ما دام الدور الأوّل. وأمّا عند تمامه وحصول الدور الآخر الذي تحصل معه النشأة الأخرى، فلابدّ من ردّها إلى الأجسام كما ورد به النقل الشريف[2].

قال: لمّا أشار إلى مذاهب المتكلّمين في أحوال المعاد أشار إلى مذاهب الفلاسفة في ذلك، ولمّا كان من أصولهم أنّ النفس الناطقة جوهر مجرّد متعلّق بهذا البدن تعلُّق التدبير والتصرّف لاتعلّق الحلول وأنّها يمتنع عليها العدم بعد مفارقة الأبدان بترك التصرّف فيها؛ لبطلان مزاجها الذي كان سبباً في التصرّف، بل ذلك الجوهر المجرّد النورانيّ يبقى بعد فساد المزاج ببقاء علّته الفيّاضة لوجوده وهو العقل الفعّال الدائم الوجود بالعلّة الأولى، فبعد انقطاع العلاقة وبقائها بعد خراب البدن ما حالها المسمّى بالمعاد؟

«وقع الكلام فيه وقد اختلفوا في أنّها هل تبقى مجرّدة عن المادّة بجميعها، أو بعضها يتجرّد وبعضها يتعلّق بالأجسام، أو الجميع منها يتعلّق بالأجسام.

---

١. أي: ويجب القول.

٢. مو: ـ الشريف.

[مذهب المشّائيّين]

فالمشّاؤون منهم قالوا بتجرّد جميعها. فالسعداء الكاملون يتّصلون بالمحلّ الأعلى والمقام الأسنى وهو عالم العقل البحت، وينالون من اللذّات والابتهاجات العقليّة والروحانيّة ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر[١]، ويستمرّون على ذلك أبد الآباد. وأمّا[٢] الأشقياء الناقصون فيحجبون عن الأنوار العقليّة والأشعّة القدسيّة والابتهاجات الروحانيّة؛ لظلمة نفوسهم وكدوراتها؛ لجهلهم بحقائق الموجودات ويبقون في ظلمة هذا الحجاب بهذا العقاب، وهو عذابها الأليم وعقابها الدائم المقيم.

[مذهب الإشراقيّين]

وأكثر الحكماء /٢٧٦أ/ الإشراقيّين وأفاضلهم قالوا بتجرّد بعضها دون بعض، وقالوا: إنّ ما لم يتجرّد منها يتناسخ بحسب الهيئات التي حصلت لهم حتّى يتجرّدوا إلى عالم العقل الصرف.

وبعضهم زعم أنّ شيئاً منها لايتجرّد؛ بناءً على أنّها جرميّة دائمة الانتقال في الحيوانات، ويعرف هؤلاء بالتناسخيّة.

وأهل المذهب الأوّل قالوا: إنّ نفوس الكاملين تتجرّد ونفوس الناقصين والمتوسّطين تتعلّق وهم القائلون بتناسخ الأرواح الناقصة في الأبدان، ويمنعون من انتقال النفس من البدن الإنسانيّ إلى مثله المسمّى عندهم بالنسخ. وأمّا

---

١. بحار الأنوار: ٩٢/٨، ١٩١؛ عدّة الداعي: ١٠٩، ٢٤١؛ عوالي اللآلي: ١٠١/٤

٢. حج: ـ أمّا.

انتقالها إلى الحيوان وهو المسمّى بالمسخ، أو إلى النبات وهو الفسخ، أو إلى الجماد وهو الرسخ فجائز.

[مذهب إخوان الصفاء]

وصاحب إخوان الصفاء جعل النفوس الجزئيّة يفيض عن النفس الكلّيّة وينتقل تلك النفوس الجزئيّة إلى الأشرف فالأشرف. فمن العناصر إلى المركّبات المعدنيّة على ترتيبها، ثمّ إلى النبات على ترتيبه من الأخسّ إلى الأشرف، ثمّ إلى الحيوان على الترتيب فتترقّى فيه، ولها في كلّ طبقة من هذه الطبقات مكث طويل حتّى تصل إلى سكّان الأطراف على الترتيب، حتّى تصل إلى سكّان الأوساط[١]، وهذه مراتب المبدأ. ومن البدن الإنسانيّ يكون البعث وهو أوّل مراتب العود وهو ـ أي الإنسان ـ الصراط المستقيم والصورة الألفيّة. فمتى حصلت النفس فيه الكمال العقليّ واستكملت بالحكمتين بريّة عن محبّة الكثرات تخلّصت عند المفارقة عن عالم الكون والفساد الذي هو نار جهنّم وتعلّقت بالأجرام الفلكيّة وهو أوّل دخولها في عالم الملكوت وأوّل مراتب الجنان.

وإن حصلت فيه الهيئات الرديئة والأخلاق السيّئة وجهلت العالم العقليّ والعلّة الأولى ولاعرفت المبدأ ولاالمعاد فعند المفارقة لاتعبر على الصراط المستقيم المؤدّي إلى الجنّة، بل لتلطّخها بالرذائل تردّ إلى الهياكل الرديئة المائلة عن الصراط المستقيم وترجع القهقرى إلى طبقات الجحيم من الأبدان الحيوانيّة بحسب الملكات المكتسبة والأخلاق الذميمة، وكلّما زالت عنها أخلاق تعلّقت

---

١. تش (خ ل): الأقطاب.

بأخرى تناسب الأخرى، إلى أن [تطهر][1] بالكلّيّة، فتفارق إلى أوّل درجات الجنان.

ونفوس السعداء تمرّ على الأجرام العلويّة على الترتيب حتّى تنتهي إلى الفردوس الأكبر وهو الفلك الأطلس. فإذا استكملت بالكلّ فارقت، فصارت مجرّدة بالكلّيّة عقولاً روحانيّةً، وهو /٢٧٦ ب/ كيفيّة حشر الأجساد.

[مذهب حكماء فارس وبابل ويونان ومصر وأرباب السلوك]

وحكماء فارس وبابل ويونان ومصر وأرباب السلوك والكشف قالوا بالنقل، إلّا أنّهم يمنعون في الأنفس الكاملة، بل هي بعد المفارقة تصل إلى سعادتها الروحانيّة، ويوجبون النقل في ما عداها، إلّا أنّهم يمنعون من النقل إلى النبات والمعادن والبسائط ويجعلون باب التعلّق هو البدن الإنسانيّ ويقولون: إنّه باب الأبواب وإنّ الأبدان الحيوانيّة لاستعداد لها لقبول الفيض للنفس عليها من العقل المفارق، بل المستعدّ لذلك هو البدن الإنسانيّ، ثمّ يفيض على الأبدان الحيوانيّة منه بعد المفارقة ولهذا سمّي باب الأبواب. فهو السبب في حياة جميع الأبدان العنصريّة لانتقال النفوس التي لم تستكمل إلى هذه الأبدان الحيوانيّة على قدر الأخلاق والملكات الرديئة، وكلّ نوع منها ينتقل إلى ما يناسبه من الملكات المتحكّمة[2] في نفوس تلك الأبدان الإنسانيّة.

فالبدن الإنسانيّ أوّل منازلها، فإذا تحكّمت فيها الظلمات البدنيّة انجذبت بها إلى أسفل السافلين مأوى المجرمين. فإذا تعلّقت بأصغر الحيوانات وزالت تلك

---

١. تش، مر، حج: تظهر.
٢. حج: المستحكمة.

الهيئات بالكلّيّة تعلّقت بعده بأوّل منازل الجنان ومراتبها وإن لم تطهّر بعدُ تعلّقت بالمناسب لها من حيوان عالم المثال على الترتيب إلى أن تزول الهيئة الرديئة عنها بالكلّيّة. ثمّ تتعلّق بأوّل مراتب الجنان وتلقّى في أيّام تعلّقها بالأبدان الحيوانيّة أنواع الآلام وأصناف العذاب والعقاب يقوى ويضعف بحسب قوّة الهيئات الرديئة وضعفها ويقلّ وينقص بشدّة السكرات والموت بالأسباب المؤلمة والقتل وبأنواع الآلام والأمراض وأصنافها.

وأمّا الأنفس العريّة عن الأخلاق الرديئة بسبب الاطّلاع على الأمور الشريفة الفاضلة ومعرفتها بالمبادئ العقليّة وانتقاشها بالوجود وشدّة شوقها وعشقها إلى ما هناك متّصلة بها، ضعيفة عن القوى البدنيّة ومتعلّقاتها؛ فإنّها لاتنتقل إلى الأبدان الحيوانيّة، بل تنتقل إلى السعادات. فالأنفس الطاهرة بالكلّيّة ترتقي إلى عالم النور المحض، متعلّقة بالأنوار العقليّة وتصير عقلاً مجرّداً في النور الأزليّ والسرور السرمديّ، والأتمّ شوقاً وعشقاً أتمّ انجذاباً إلى المراتب المتعالية.

وأمّا حال المتوسّطين من السعداء فإنّهم بعد المفارقة يرتقون إلى عالم المثل المعلّقة التي هي مظاهر لبعض الأجرام السماويّة. فكلّما كانت أشرف كان مظهرها أعلى وإن كانت أخسّ /٢٧٧ أ/ فأدنى. ثمّ لايزال ترتقي[١] إلى ما هو أعلى إلى أن تصل إلى الفلك الأعلى، وقد تستعدّ لأن تخلص على التدريج إلى عالم العقل المحض. وتحدث هذه النفوس من إيجاد المثل باستعدادها اللذّات المثاليّة ويستحضر من الأطعمة الشهيّة والمشارب الهنيئة وأصناف اللذّات أتمّ وأكمل من اللذّات الحسّيّة والمشتهيات الجسمانيّة؛ لأنّ مظاهرها

---

١. حج: تترقّى.

الصور المثاليّة التي هي الصور الثابتة».[1]

[معنى اللذّة والألم]

أقول: «اعلم أنّ اللذّة هي وصول ملائم الشيء وإدراكه لذلك الوصول، والألم إدراك وصول ما هو غير ملائم وإدراكه لذلك الوصول. واحترزنا بقولنا: «وإدراكه لذلك الوصول» عن حصول الملائم الغير الملذّ لحصول مانع عن الالتذاذ، كالخوف الشديد ومرارة الفم المانعَين عن الالتذاذ. فلاحاجة إلى أن يقيّد ولامشاغل ولامضادّ؛ فإنّ مع وجود الشاغل والمضادّ لاإدراك، على أنّ اللذّة والألم من الأمور البديهيّة الوجدانيّة التي لاتحتاج إلى تعريف وإن افتقرت إلى تنبيه؛ لأنّ من الأمور البديهيّة ما يفتقر إلى تنبيه وإخطار بالبال.

[ألذّ الأشياء كمالات النور المجرّد]

ولمّا كان الإدراكات كلّها حاصلة من النور المجرّد فلايمكن أن يكون شيء أدرك منه لذاته ولغيره، فلايتصوّر أن يكون شيء أعظم وألذّ من كماله وملائماته، حتّى أنّ اللذّات الجسمانيّة رشح من اللذّات العقليّة وظلّ منها. وإذا كان كمال النفوس أن تفارق وهي عارفة بأعيان الموجودات وتكون صافية نقيّة عن ملابسة الجسمانيّات ـ فإنّ غير الملائم لها إنّما هي الهيئات المظلمة البدنيّة الحاصلة لها من صحبة البدن وشوقها إليه ـ فإذا لم يكن معها شيء من هذه الهيئات الرديئة بعد المفارقة حصلت لها اللذّة الكبرى والراحة العظمى بإدراك كمالاتها وملائماتها.

---

١. رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٤٨/٣

وإنّما لم تلتذّ النفوس الكاملة وتتألّم الناقصة في حال التعلّق البدنيّ كتلذّذها وتألّمها بعد المفارقة لكثرة الشواغل البدنيّة والعلائق الجسمانيّة المانعة لها عن إدراك كمالاتها وملائماتها، كشديد السكر الذي وصل إليه ما يلائمه أو ينافره؛ فإنّه لعدم إدراكه لايلتذّ بالملائم ولايتألّم بالمنافي، وكذا عليل المعدة أو ممتلئها لايلتذّ بما يحضره من الأطعمة الطيّبة، وكذا ساقط القوى عند الموت، وغير ذلك من الأسباب /٢٧٧ ب/ المانعة عن الالتذاذ. ومن أنكر اللذّة العقليّة النوريّة والبهجة الروحانيّة فهو كالعِنّين الذي ينكر لذّة الجماع[١].

[لذّة النفس الناطقة وألمها]

ولمّا كانت لكلّ من القوى الحسّيّة لذّة وألم ـ كالقوّة الباصرة التي لذّتها الألوان الحسنة المشرِقة وألمها بالألوان القبيحة المكروهة، ولذّة السمع بالنغمات المناسبة وألمها بالمنافرة، ولذّة الذوق بالطعوم الطيّبة وألمها بالطعوم المكروهة، وكذا باقي القوى ـ فكذلك النفس الناطقة لها لذّة وألم. فلذّتها بإدراك الكمال العقليّ ومحبّتها وعشقها لعالم النور وقهرها للقوى البدنيّة. وإنّما يحصل لها الشوق والعشق إلى ذلك العالم الروحانيّ والمقام النورانيّ إذا عرف نفسه وعرف العالم الروحانيّ وترتيب الوجود وعرف المبدأ والمعاد وسائر الموجودات كما ينبغي بحسب الطاقة والإمكان.

ولمّا كانت العناية بالبدن وتدبيره واجبة؛ لتوقّف الكمال عليه وأجود التدبير والأخلاق الاعتدال في الأمور الشهوانيّة والغضبيّة ولاخلاص عن هذا العالم إلّا

---

١. حج: الوقاع.

إذا رجّح الشوق إلى ذلك العالم على الشوق إلى هذا العالم، فإذا اطّلعت النفس على الحقائق الإلهيّة وعشقت الأنوار الروحانيّة واشتدّ شوقها إلى النور الأعلى الربوبيّ وتطهّرت من محبّة القوى البدنيّة، فإذا فارقت البدن شاهدت في الحال عالم النور ومعدن السرور وانجذبت إليه وجذبتها الأنوار إلى عالمها، فتتخلّص إليه بالكلّيّة وانعكست عليها الإشراقات الغير المتناهية من النور الأوّل من غير واسطة وبالواسطة ومن كلّ واحد من الأنوار المجرّدة بغير واسطة وبواسطة ومن كلّ واحد من النفوس المفارقة الغير المتناهية مراراً غير متناهية. فحينئذٍ تحصل لها لذّات غير متناهية وابتهاجات مستمرّة غير منصرمة، وكلّ نفس لاحقة تلتذّ بالنفوس السابقة وهي تلتذّ باللواحق من النفوس المفارقة، فتلتذّ لذّة غير متناهية، وهذه الإشراقات العقليّة النوريّة يزيد في حسنها وجمالها إشراق نور الأنوار ومشاهدته.

[امتناع الإحاطة باللذّة العقليّة في هذا العالم]

واللذّة العقليّة محال أن يحاط بها في هذا العالم؛ فإنّه لانسبة للإدراكات العقليّة ومدرِكها ومدرَكها إلى الإدراكات الحسّيّة ومدرِكها ومدرَكها؛ فإنّها أرفع /٢٧٨ أ/ وأعلى وأتمّ؛ فإنّ القوى الحسّيّة لاتصل إلى كنه الشيء المحسوس، كالبصر الذي لايدرك إلّا السطوح، والباقي من القوى يدرك كلّ واحد منها عرضاً من أعراض الشيء المحسوس. وأمّا الإدراكات العقليّة فتصل إلى كنه الشيء، والإدراكات الحسّيّة مشوبة لاتدرك إلّا مع زوائد لاتدخل في حقيقة المدرَك؛ فإنّا إذا أردنا إدراك لون فلايمكننا إدراكه إلّا مع طول وعرض وقرب وبعد وغير ذلك من الأعراض الخارجة عن حقيقة اللون، وكذلك باقي الإدراكات الحسّيّة، والعقل

يدرك الأشياء مجرّدة عمّا عداها من الأمور الغريبة.

وأيضاً مدرَكات العقل غير متناهية، والإدراكات الحسّيّة متناهية محصورة في عدد قليل.

ولأنّ مدرَكات العقل إنّما هو الحقّ الأوّل مع الجواهر العقليّة والنفوس السماويّة والبشريّة المجرّدة عن الموادّ، والقوى الحسّيّة لاتدرك ذلك وإنّما تدرك السطوح والأعراض فحسب.

وأيضاً العقل من حيث هو لايدرك الشيء على خلاف ما هو عليه، فلايمكن أن يغلط أو يكذب أصلاً. وأمّا الاعتقادات الفاسدة والآراء الباطلة الراسخة في بعض عقول العامّة إنّما حصلت من جهة الأوهام والتخيّلات البدنيّة المسلّطين على العقل في حال التعلّق البدنيّ. وأمّا القوى الحسّيّة فكثيرة الكذب والمحال؛ فإنّا نرى الكبير صغيراً وبالعكس والساكن متحرّكاً وبالعكس والمستقيم معوجّاً وبالعكس وغير ذلك من الغلط.

والعقل هو الحاكم على المحسوسات وغيرها وهو المميّز لصادقها وكاذبها، فهو الحاكم[1] المطلق الذي لايغلطه من جهة ذاته، بل من جهة غيره كما ذكرنا.[2] فالإدراكات العقليّة ولذّاتها هي الإدراكات واللذّات الحقيقيّة، وما عداها من اللذّات الحسّيّة فشوب منها ورشح عنها؛ لأنّ العقل المفارق يفيضها عند ملاقاة الأجسام المخصوصة على وجه مخصوص.

---

١. مر: الحكم.

٢. هامش حج: فيجب عليه الانفراد من الأغيار والتجرّد عن ملابستها ومصاحبتها، فاعتبروا يا أولي الأبصار والاعتبار! «نوري قدّس سرّه».

[كيفيّة الاتّحاد بين الأنوار المجرّدة]

والاتّحاد الذي بين الأنوار المجرّدة من العقول والنفوس إنّما هو الاتّحاد العقليّ دون الجرميّ، فكما أنّ النفس في حال التعلّق بالبدن تتوهّم أنّها هي البدن أو أنّها فيه ـ وإن لم تكن هي هو ولا فيه[١] ـ فكذلك النفس الكاملة إذا فارقت البدن من شدّة قوّتها ونوريّتها وعلاقتها العشقيّة مع نور الأنوار والأنوار العقليّة تتوهّم أنّها هي، فتصير الأنوار العقليّة مظاهر للنفوس المفارقة، كما كانت الأبدان مظاهر لها. فهذا معنى الاتّحاد، لابمعنى صيرورة الاثنين أو الشيئين شيئاً واحداً، فقد عرفت بطلان ذلك.

[تتميم الكلام في أحوال النفوس بعد المفارقة]

وإذا كانت النفوس المفارقة مجرّدة عن الموادّ بالكلّيّة وهي باقية فكلّ واحد منها يمتاز عن باقي النفوس بالملكات الفاضلة والهيئات الشريفة المكتسبة من /٢٧٨ ب/ الأبدان مع شعور كلّ نفس بذاتها وبغيرها وبالإشراقات الفائضة عليها. وإذا صارت الأنوار التامّة العقليّة مظاهر للنفوس المفارقة واستولى عليها قهرها وسلطانها ودامت عليها إشراقاتها العقليّة وقعت في لذّة وذوق وعشق وبهجة ليست لها نسبة إلى لذّاتنا في هذا العالم. وقهر الأنوار بعضها لبعض غير مفسد بشيء منها؛ لانتفاء الطبيعة القابلة للعدم وعدم الأضداد هناك بالكلّيّة، بل تكمل اللذّات والبهجات بذلك، فهذا هو حال الكاملين المستعدّين للتجرّد بعد المفارقة.

---

١. هامش حج: رذيلة الوهم للنفس الكاملة ورداءة التوهّم لها، فلايتيسّر لها الكمال حتّى تسمّى بالنفس الكاملة والنفس التي تقول: «سبحاني، ما أعظم شأني!»، فما لها كما ترى. «نوري مدّ ظلّه».

وأمّا حال السعداء من المتوسّطين والزهّاد من المتنزّهين فإنّ نفوسهم بعد المفارقة البدنيّة يرتقون إلى عالم المثل المعلّقة التي تكون مظاهرها بعض الأجسام السماويّة. فكلّما كانت النفس أشرف كان مظهرها فلكاً أعلى، وإن كانت أخسّ فأدنى. ثمّ لاتزال النفوس المتعلّقة بالأدنى ترتقي منه إلى ما هو أعلى وهكذا ترتقي من أدنى إلى أعلى بعد الإقامة في كلّ فلك زماناً طويلاً أو قصيراً لايمكننا ضبطه إلى أن ترتقي إلى الفلك الأعلى. فإن استعدّ بعض النفوس الشريفة وهي التي انقطع شوقها عن الجسمانيّات بالكلّيّة وحصل لها شوق إلى الروحانيّات وشعور وتفطّن للمجرّدات بالكلّيّة فإنّها تتخلّص عند وصولها إلى أعلى الأفلاك بالتدريج المذكور إلى عالم العقل المحض والنور المجرّد الصرف ويحصل لها الكمال التامّ والخير العامّ وإن لم يحصل لها هذا المعنى ولم تتصوّر العالم العقليّ كما ينبغي؛ فإنّه يدوم مكثها في بعض الأفلاك اللائقة بأخلاقها وأعمالها وملكاتها ويخلدون في تلك الأفلاك؛ لبقاء علاقتهم مع الأجرام وعدم فساد تلك الأجرام الفلكيّة. وهذه النفوس المتعلّقة بالأفلاك لها القوّة والقدرة على إيجاد المثل واستعمالها والتلذّذ بها، فيستحضرون من الأطعمة الشهيّة والمشارب الهنيئة والصور البهيّة والملابس الفاخرة والنعمات[1] المناسبة وغير ذلك من أنواع المشتهيات وأصناف اللذّات ما أرادت واشتهت وتتلذّذ بها لذّة أتمّ وأكمل من اللذّات الحسّيّة والمشتهيات الجسمانيّة؛ لأنّ مظاهر الصور المثاليّة الآن هي الأجرام العلويّة الثابتة، ومظاهر الصور الحسّيّة وحواملها هي الأجسام السفليّة الفاسدة.

---

١. مر، حج: النغمات.

[مراتب النفوس المفارقة للأبدان الإنسانيّة]

فبالجملة للنفوس المفارقة للأبدان الإنسانيّة أربع مراتب:

المرتبة الأولى: السابقون، وهم الكاملون بالعلم والعمل، المتخلّصون /٢٧٩ أ/ إلى عالم العقل المحض.

والمرتبة الثانية: السعداء، وهم المحصّلون للعلم المقصّرون في العمل، فيقيمون في كلّ فلك زماناً طويلاً، ثمّ يأول حالهم في الأخير إلى التجرّد المحض والخلاص من أعلى الأفلاك إلى العالم العقليّ.

والمرتبة الثالثة: هم الكاملون في العمل المقصّرون في العلم، وهم المقيمون في الأفلاك المخلّدون فيها، إمّا أعلى أو أدنى بحسب مراتبهم. وأصحاب هاتين المرتبتين هم أصحاب اليمين.

والمرتبة الرابعة: هم الأشقياء على مراتبهم الكثيرة وهم الذين لم يتخلّصوا عن عالم الكون والفساد، وهؤلاء هم أصحاب الشمال، إذا تخلّصوا من جميع الأبدان الحيوانيّة تكون لها ظلال من الصور المثاليّة على حسب أخلاقها وملكاتها، تتنعّم بها أو تتألّم.

وتبقى هاهنا مرتبة خامسة وهي مرتبة البُله والأطفال وكلّ من غلب عليه سلامة الصدر والسذاجة مع خلوّهم عن الهيئات الرديئة، فيجب على حكم القواعد السالفة أن يتعلّقوا ببعض الأجرام السماويّة من الحسّيّة المثاليّة ويخلدون فيها، مُنعَمون بجميع اللذّات والمشتهيات، كما ورد ذلك مفصّلاً في الشرائع الإلهيّة[1] من تنعّم أهل الجنان بالحور والقصور والولدان والأطعمة والأشربة وغير

---

١. هامش حج: لايخفى عدم موافقة هذه الظواهرَ الشرعيّة من طيّ السماوات وانطوائها ←

ذلك، وتلك اللذّات أقوى وأتمّ ممّا عندنا ـ كما تقدّم ـ».[١]

هذا خلاصة ما ذكره بعض الحكماء الإسلاميّين من المتأخّرين ممّا رآه موافقاً للحكمة والشريعة؛ لأنّه وجد في ظواهر الأحاديث النبويّة بل والآيات القرآنيّة ما يدلّ على هذه التفصيلات، فتدبّره وتدبّر تلك الظواهر، فتجدهما متطابقين.

[رأي المصنّف في المعاد الجسمانيّ]

قال: «ومحقّقوهم يجعلون مفارقة النفس للبدن القيامة الصغرى، والقيامة الكبرى هي مفارقة جميع النفوس البدنيّة الجزئيّة بالكلّيّة إلى مراتب الجنان: جنّة الفردوس وجنّة عدن وجنّة المأوى وجنّة النعيم وجنّة الخلود إلى غير ذلك من الأسماء الواردة على لسان الأنبياء[٢] في الكتب المُنزَلة.

فبعد المفارقة تنتقل النفس بالكلّيّة إلى أبدان تناسبها من الأبدان الحسنة البهيّة، تتلذّذ بها وهي جنّة لها، ثمّ ترتقي من مرتبة أدنى إلى مرتبة أعلى من الجنان إلى أن تصل الكمال اللائق بها، فتصل إلى اللذّات العقليّة والسعادات الروحانيّة، فإذا وصلت إلى هذه المرتبة تمّ الكمال وأوَت إلى جنّة المأوى وسكنَت دار القرار.

فإذا وصلت جميع النفوس الجزئيّة إلى هذه الكمالات والسعادات التي كانت مستعدّة لقبولها ارتفع العالم الجسمانيّ /٢٧٩ ب/ وكانت القيامة الكبرى

وخرابها وغير ذلك، فتأمّل جيّداً، ذلك كذلك. «نوري ﷺ».

١. نفس المصدر: ٥٩٧/٣

٢. حج: + و.

والطامّة العظمى وهلك كلّ شيء كما جاء في التنزيل: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ﴾**[١].

ثمّ إنّ المبدأ الأوّل يستأنف خلق عالم آخر جسمانيّ على الترتيب ونفوس أخرى على سبيل الإبداع، ثمّ يستكمل كما قال تعالى: **﴿كَما بَدَأنا أوّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾**[٢]، وهذا هو معنى المعاد الجسمانيّ الموافق للشرائع[٣]، ويقولون: نحن الذين عرفنا أسراره وفهمنا مقاصده».[٤]

«وأمّا النفوس الغير الكاملة من أهل الجهالات والهيئات الرديئة والأخلاق المذمومة فتنتقل إلى الأبدان المناسبة لتلك الملكات، ولايزال ذلك دأبها في أنواع الأبدان إلى أن تزول عنها تلك الهيئات الرديئة والأخلاق السيّئة، ثمّ تطهّر وترقّى إلى طبقات الأفلاك إلى أن تنتهي إلى التجرّد المحض».[٥]

والمصنّف أشار إلى هذا المذهب واستقرّ به وقال: لايبعد القول به[٦]؛ لموافقته

---

١. القصص/٨٨

٢. الأنبياء/١٠٤

٣. هامش حج: المعاد الجسمانيّ هو عود النفس بعد الموت والمفارقة للأبدان العنصريّة وانصرام الأجل الفتريّة والأحوال البرزخيّة إلى الأبدان التي هي بعينها عود هذه الأبدان الدنيويّة، ولاتفاوت بينها وبين هذه الأبدان إلّا بالعنصريّة. وما قالوا ليس بمُعاد، بل خلق مستأنف، فافهم. «نوري قدّس سرّه».

٤. رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٦٤/٣

٥. نفس المصدر: ٥٧٧/٣

٦. هامش تش: وجه القرب من حيث إنّ الدليل العقليّ يرد على ذلك لإمكانه، وكلّ ممكن من حيث هو ممكن جائز الوقوع، وهذا معنى قولنا: «لايبعد القول به؛ لموافقته لطريقتَي الحكمة والشريعة». أمّا من حيث النقل الشريعة لاتدلّ على ذلك دلالة ظاهرة؛ فإنّ ما ذكر في الآيات القرآنيّة دالّ على ذلك، لكن دلالة محتملة، فلايصار إليها، وأيضاً اتّباعاً للشريعة ←

لطريقتَي الحكمة والشريعة وجمعه بينهما على وجه لاتكون بينهما منافاة ظاهرة[1]، فتعيّن القول به[2]؛ لأنّ في ظواهر الشريعة ما يدلّ على تنقّل النفوس في الأبدان الحيوانيّة[3 و4].

المحمّديّة. وأمّا قولنا: «فتعيّن القول به» على تقدير الموافقة؛ لأنّا إذا قلنا بالشريعة لزمنا القول بما يوافقها؛ لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «انظر إلى ما قال ولاتنظر إلى من قال» [غرر الحكم: ٥٨، ٤٣٨؛ فرج المهموم: ٢٢٠]. ولاتتوهّم غير ذلك أيّها الناظر في هذا الكتاب؛ فإنّي قد أوصيتك في أوّله أنّك لاتبادر إلى الإنكار. «منه قدّس سرّه».

١. هامش حج: ليس فيه جمع أصلاً وهو عين الفرق وتنفيه الحكمة الرصينة والشريعة القويمة بتصوّر ما. «نوري قدّس سرّه».

٢. هامش تش: إنّما مالت نفس الشارح إلى هذا المطلب واستقرّ به وقال: «فتعيّن القول به» لكونه عند العقل النظريّ أقوى من المذهب الذي لم يعضده ظاهر النقل. فلو وقف الشارح عند هذا الدليل ولم يلاحظ ما اتّفقت عليه الأنبياء المرسلون وجميع أهل الإسلام من المعاد البدنيّ لكان فلسفيّاً أو إشراقيّاً، لكنّه صرّح بالمعاد الجسمانيّ في البحث السابق واللاحق واستدلّ على بطلان مذهب الحكماء بالنقل المتواتر والعقل الخالي عن شوب الوهم، فخلص من الاعتراض عليه؛ لأنّ القائل بالتناسخ والمعتقد بصحّته هو مخالف لإجماع الأنبياء والمرسلين، بل ولسائر أهل العقائد الحقّة من المسلمين. ومن قاعدة الشارح إذا حكى الأقوال وترجّح في نفسه أحدها فإنّه يستقرّ به، وليس كلّ قريب إلى الحقّ يكون حقّاً في نفسه؛ فإنّ المذهب الحقّ كالمركز وسائر المذاهب كالدائرة حوله، فبعضها قريب إليه وبعضها بعيد عنه، وهكذا جميع أنواع العالم وأشخاصه؛ فإنّ لكلّ منها مركز ودائرة حوله. فتنبّه من سنة النوم، فعند الصباح يحمد القوم السرى.

٣. هامش حج: ما يدلّ في الشريعة على الانتقال إنّما هو يدلّ على الانتقال إلى القوالب المثاليّة، كلّ نفس بقالب مثاليّ يناسبها من الصور الحيوانيّة المثاليّة، لاالعنصريّة كما ذهبت إليه التناسخيّة المنكرون للمعاد ودار الآخرة الجسمانيّة، ودار الآخرة عندهم وعلى ما ذهبوا إليه ينحصر في الدار العقليّة وهو خلاف الشريعة الحقّة المحمّديّة، فاستبصروا. «نوري قدّس سرّه».

٤. جاء نفر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: إنّ المعتمد يزعم أنّك تقول: هذا الجرّيّ مسخ. فقال: ←

مكانكم حتّى أخرج إليكم. فتناول ثوبه، ثمّ خرج إليهم، فمضى حتّى انتهى إلى الفرات بالكوفة، فصاح: يا جرّيّ! فأجابه لبّيك لبّيك.

فقال: من أنا؟ قال: أنت إمام المتّقين وأمير المؤمنين.

فقال له أمير المؤمنين: فمن أنت؟ فقال: أنا ممّن عرضت عليه ولايتك، فجحدتها ولم أقبلها، فمسخت جرّيّاً، وبعض هؤلاء الذين معك يمسخون جرّيّاً.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فبيّن قصّتك وممّن كنت ومن مسخ معك. فقال: نعم! كنّا أربعاً وعشرين طائفةً من بني إسرائيل قد تمرّدنا وطغينا واستكبرنا وتركنا المُدُن لانسكنها وسكنّا المفاوز رغبةً منّا في البعد عن المياه والأنهار، فأتانا آتٍ ـ واللّه يا أمير المؤمنين أنت أعرف به منّا ـ في ضحى النهار، فصرخ صرخةً، فجمعنا في جمع واحد وكنّا منبثّين في تلك المفاوز والقفار، فقال لنا: ما لكم هربتم من المدن والأنهار وسكنتم في هذه المفاوز؟

فأردنا أن نقول: لأنّا فوق العالم تعزّزاً وتكبّراً، فقال لنا: قد علمت ما في أنفسكم، أفعلى اللّه تتعزّزون وتتكبّرون؟ فقلنا له: لا. فقال: أفليس أخذ عليكم العهد لتؤمننّ بمحمّد بن عبد اللّه المكّي صلى الله عليه وآله؟ فقلنا: بلى! قال: وأخذ عليكم العهد بولاية وصيّه وخليفته من بعده عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فسكتنا ولم نجب بألسنتنا، وقلوبنا ونيّاتنا لاتقبلها ولاتقرّ بها. قال لنا: أولاتقولون بألسنتكم؟ فقلناها جميعاً بألسنتنا، فصاح بنا صيحةً وقال: بإذن اللّه كونوا مسوخاً، كلّ طائفة جنساً، أيّتها القفار كوني بإذن اللّه أنهاراً تسكنك هذه المسوخ واتّصلي ببحار الدنيا وأنهارها حتّى لايكون ماء إلّا كانوا فيه. فمسخنا ونحن أربع وعشرون طائفةً، أربعة وعشرون جنساً، فصاحت اثنتا عشرة طائفةً منّا: أيّها المقتدر علينا بقدرة اللّه تعالى! بحقّه عليك لمّا أعفيتنا من الماء وجعلتنا على ظهر الأرض كيف شئت؟ فقال: قد فعلت.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: هيه يا جرّيّ! فبيّن لنا ما كانت الأجناس الممسوخة البرّيّة والبحريّة؟ فقال أمّا البحريّة فنحن الجرّيّ والرقّ والسلاحف والمارماهي والزمّار والسراطين وكلاب الماء والضفادع وبنت يقرض والعرضان والكوسج والتمساح.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هيه والبرّيّة ما هي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! هي الوزغ والخفّاش والكلب والذرّ والقرد والخنازير والضبّ والحرباء والورَل والخنافس والأرانب والضبع.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: فما فيكم من خلق الإنسانيّة وطبعها؟ قال الجرّيّ: أفواهنا والبعض لكلّ صورة وخلق كلّنا تحيض منّا الإناث.

[شواهد على القول بالتناسخ في القرآن والأحاديث]

بل قال بعض أهل الفحص عن هذه الغوامض:

إذ[١] ما من أمّة من الأمم إلّا وللتناسخ فيها قدم راسخ، وإنّما يختلفون في الطرق. وفي الكتب المُنزلة وكلام الأنبياء من الإشارة إليه كثير[٢]، مثل قوله تعالى: ﴿**لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوابُ السَّماءِ وَلايَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ في سَمِّ الْخِياطِ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها**﴾[٤]، وقوله: ﴿**كُلَّما أرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها أعيدُوا فيها**﴾[٥]، وقوله: ﴿**وَما مِنْ دابَّةٍ فِي الأرْضِ وَلاطائِرٍ يَطيرُ بِجَناحَيْهِ إلّا أُمَمٌ أمْثالُكُمْ**﴾[٦]، وقوله: ﴿**وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازيرَ وَعَبَدَ الطّاغُوتَ**﴾[٧]، أي عبيد الدنيا المستعبدون لأهلها كالخيل والإبل والحمير والبغال والبقر والغنم، وقوله: ﴿**قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئينَ**﴾[٨]، وقوله: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ألْسِنَتُهُمْ وَأيْديهِمْ وَأرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٩]، وقوله: ﴿**وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ**

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدقت أيها الجريّ وحفظت ما كان. قال الجريّ: فهل من توبة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الأجل هو يوم القيامة وهو الوقت المعلوم، ﴿**فَاللّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ**﴾ [يوسف عليه السلام/٦٤]. (مستدرك الوسائل: ١٦/١٧٠، ١٧٩؛ بحار الأنوار: ٢٧/٢٧١؛ إرشاد القلوب: ٢/٢٨٢).

١. حج (خ ل): إن.

٢. هامش حج: نعم! كذلك، ولكن ليس كما توهّمه، بل المراد نسخ الباطن ومسخه. «نوري قدس سره».

٣. الأعراف/٤٠

٤. النساء/٥٦

٥. السجدة/٢٠

٦. الأنعام/٣٨

٧. المائدة/٦٠

٨. البقرة/٦٥؛ الأعراف/١٦٦

٩. النور/٢٤

شَهدْتُمْ عَلَيْنا﴾[١]، وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَة [عَلى وُجُوهِهِمْ] عُمْياً وبُكْماً وَصُمّاً﴾[٢]، وقوله: ﴿في أيٍّ صُورَة ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾[٣]، وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ في أحْسَنِ تَقْويم * ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلينَ﴾[٤]، وقوله: ﴿لِكُلِّ باب مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[٥] و[٦]، وقوله عليه السلام: «يحشر الناس يوم القيامة على صور شتّى بحسب اختلاف أحوالهم»، وقوله عليه السلام: «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون»[٧][٨].

ورواية المسوخ عنه عليه السلام /٢٨٠ أ/ وتعدادها مشهورة، إلى غير ذلك من الظواهر الدالّة على تنقّل النفوس في الأبدان الحيوانيّة، فلايبعد صحّة هذه الأحوال. وكذا الكلام في أحوال نفوس السعداء وما جاء فيها من الظواهر النقليّة عن القرآن والحديث من أحوال طبقاتها ومراتبها وأنّها تحت العرش في وادي القدس في القوالب المثاليّة البهيّة وصور الأشخاص الكاملة الشهيّة، وذلك ثابت في الشرائع لايمكن إنكاره إلّا أنّ ذلك أحوال القيامة الصغرى المشار إليها في قوله عليه السلام: «من مات منكم فقد قامت قيامته»[٩].

---

١. فصّلت/٢١

٢. الإسراء/٩٧

٣. الانفطار/٨

٤. التين/٥ـ٤

٥. الحجر/٤٤

٦. هامش حج: أكثر هذه الآيات الكريمة يدلّ على النسخ والمسخ، ولكن على مسخ الباطن، والباطن عند كشف الغطاء يظهر بصورة تناسبه من الصور البهيّة النورانيّة والخسيسة الظلمانيّة ـ بهيميّة كانت أو سبعيّة، مركّبة أو بسيطة ـ «نوري قدس سره».

٧. عوالي اللآلي: ٧٢/٤

٨. رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٩٣/٣

٩. بحار الأنوار: ٧/٥٨؛ ٦٥/٧٠؛ إرشاد القلوب: ١٨/١

[أحوال النفوس البشريّة في القيامة الكبرى]

أمّا مع انتهاء هذه الأدوار الموجبة لهذه التنقّلات بإذن المدبّر الحكيم والفاعل المختار المتصرّف في إظهار الموجودات على مقتضى عنايته وحصول الدور الآخر الذي تحصل معه القيامة الكبرى والطامّة العظمى فلابدّ من ردّ هذه النفوس كلّها إلى القوالب الإنسانيّة والصور الألفيّة كما كانت عليه في هذه الدار. ثمّ يعذّب المستحقّ منها للعذاب[١] وينعّم المستحقّ منها للنعيم بعد المحاسبة الحقّة والجمع القياميّ والمرور على البرازخ والصراط والميزان وأحوال الحشر ومراتب القيامة؛ التزاماً بما جاءت به الشريعة المحمّديّة، فلايصحّ إنكار شيء منه؛ لوقوع ذلك متواتراً. ولايجوز حمله على التأويل؛ لوجوب الحمل على الظاهر عند إطلاق اللفظ، ولاتّفاق المسلمين على وجوب بقائها على ظواهرها وعدم جواز حملها على التأويل. وإلى هذا أشار بقوله: «ما دام الدور الأول».

وأمّا عند تمامه وحصول الدور الآخر الذي تحصل معه النشأة الأخرى وهو المراد بالقيامة الكبرى[٢] الذي يبتدأ فيه خلق عالم آخر[٣] فلابدّ من ردّها ـ أي ردّ

---

١. حج: + الأليم.

٢. هامش حج: وهو كما ترى يخالف ما سلف منه في معنى القيامة الكبرى، ولعلّ بالتعسّف والتكلّف يوجّه الجمع بينهما بإرجاع ضمير في قوله: «وهو المراد» إلى قوله: «تمامه». فافهم، ولكنّه بعيد جداً، فتأمّل.

٣. هامش حج: مطابق لما اقتضته الشريعة الحقّة والحكمة الرصينة، ولكنّه مخالف لظاهر ما سبق منه من قوله: «ثمّ إنّ المبدأ الأوّل يستأنف خلق عالم آخر جسمانيّ على الترتيب ونفوس أخرى على سبيل الإبداع، ثمّ يستكمل كما قال تعالى: ﴿**كما بدأنا أوّل خلق نُعيدُهُ**﴾ [الأنبياء/١٠٤]»، حيث قال: «ونفوس أخرى». وإنّما المعاد يتحقّق بعود تعلّق النفوس التي فارقت الأبدان بهذه الأبدان التي كانت متعلّقة بها، وخلق نفوس أخرى وأبدان ←

الأنفس البشريّة بجملتها، سعيدها وشقيها ومتوسّطها وغيرهم ـ إلى الأجسام. والاعتماد في ذلك على النقل الشريف؛ فإنّه مصرّح بذلك في آيات عدّة لايجوز حملها على التأويل؛ لاتّفاق المسلمين على المنع من تأويلها، وهو ظاهر بيّن.

[رواية المسوخ]

أقول: «أمّا رواية المسوخ فهو ما رواه بعض الفضلاء مرفوعاً إلى عليّ عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل عن المسوخ فقال: هي ثلاثة عشر: الفيل والدبُّ والخنزير والقِرد والجِرّيّ والضبّ والخفّاش والعقرب والدُعموص والعنكبوت والأرنب وسهيل والزهرة[1].

فلمّا سئل عن سبب مسخهم فقال: أمّا الفيل فكان رجلاً جبّاراً لوطيّاً لايدع رطباً ولايابساً، والدبّ رجلاً مؤنّثاً يدنوا الرجال إليه، وكان الخنزير رجلاً نصرانيّاً، والقرد من الذين اعتدوا في السبت، والجرّيّ فكان رجلاً ديّوثاً، والضبّ كان سرّاقاً، والخفّاش كان يسرق الثمار، والعقرب كان رجلاً لذّاعاً لايسلم من لسانه أحد، والدعموص كان نمّاماً يفرّق بين الأحبّة، والأرنب كانت /٢٨٠ ب/ امرأة لاتطّهر من الحيض ولا من غيره، وسهيل كان رجلاً عشّاراً، والزهرة امرأة نصرانيّة.[2]

آخر لامدخل له في المعاد الجسمانيّ، كما لايخفى على أولي النهى، فتنبّهوا. «نوريّ قدّس سرّه».

١. هامش حج: قال الصدوق رحمه الله: الزهرة وسهيل دابّتان في البحر وليسا نجمين، لكن سمّي بهما النجمان كالحمل والثور [الخصال: ٤٩٤/٢؛ علل الشرائع: ٤٨٨، ٤٨٩].

٢. وسائل الشيعة: ١٠٩/٢٤، ١١٠؛ بحار الأنوار: ٢٢٠/٦٢ وما بعد، ٦٦/٧٧، ٦٧؛ الخصال: ٤٩٣/٢؛ علل الشرائع: ٤٨٦/٢ وما بعد؛ مسائل عليّ بن جعفر: ٣٣٣ وما بعد.

فهذه رموز وإشارات دالّة على صحّة ما ذكرناه من النقل، وفي كلام أنبياء بني إسرائيل من ذلك كثير، كقول دانيال عليه السلام: إنّ البُخت نصر مسخ في شبح صور من السباع، وفي كلام داوود عليه السلام وسليمان وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل من هذا شيء كثير، وكذا في شرائع قدماء الأنبياء والحكماء يظهره بعضهم ويرمز عليه بعض، وهذا هو حال النفوس الشقيّة التي فاتها الكمال العقليّ والعمليّ».[١]

[كلام الشهرزوريّ في تنقّل الأنفس الطاهرة]

قال بعض أهل هذه الطريقة من المتأخّرين:

و[٢] إذا لم تتمكّن الهيئات الرديئة والأخلاق الدنيئة في النفس عند الملابسة والمباشرة إمّا بسبب كثرة اطّلاع النفس على الأمور العالية الشريفة ومعرفتها بها وشدة الشوق والعشق إلى ما هناك، أو لقوّة النفس في فطرتها بسبب من الأسباب الاتّصاليّة[٣] وبسبب ضعف القوى البدنيّة؛ فإنّ أمثال هذه الأمور لايقتضي أن تكون تلك الهيئات الرديئة والأخلاق الدنيئة التي لابستها متمكّنة فيها ثابتة، بل هي أمور عارضة وأحوال لاحقة، فتزول بسرعة. ومثال ذلك عندنا هاهنا تلذّذ نفس العاشق أحياناً بغير المعشوق وتلذّذ ضعيف القوى ببعض المشتهيات؛ فإنّه بعد الترك لها لايجد الإنسان أثراً موجوداً في نفسه، فأمثال ذلك لايجوز أن تنتقل نفوسهم إلى أبدان شيء من الحيوانات، بل يرتقون إلى سعادة تليق بهم.

وجميع الحكماء المتألّهين متّفقون على أنّ الأنفس الطاهرة تنتقل إلى عالم النور المحض دون العقل؛ فإنّ النور النفسيّ إذا قهر القوى الظلمانيّة البدنيّة واستولى عليها وكان شوقه إلى العالم النوريّ العقليّ أكثر منه إلى الأجسام

---

١. رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٥٩٤

٢. مر: + أمّا.

٣. تش (خ ل): + بالكواكب.

المظلمة وقواها، وكلّما ازداد كمالاً ازداد نوراً وعشقاً إلى الأنوار المجرّدة العقليّة ونور الأنوار، فازداد قرباً من النور الأوّل، فإذا اشتدّ شوقه وعشقه إلى العالم العقليّ والنور الإلهيّ واستضاء بها وحصلت له ملكة الاتّصال بتلك الجواهر العقليّة فعند فساد البدن الإنسانيّ لاينجذب إلى أبدان شيء من الحيوانات المنتكسة؛ لكمال قوّتها العقليّة وشدّة انجذابها إلى العوالم النوريّة الصرفة المتقوّي بالشوارق العظيمة. فلامحالة ينجذب إلى معدن الحياة وينبوع الأنوار الصرفة ويتخلّص بعد الموت إليها وينخرط في سلكها ويصير عقلاً من العقول المجرّدة مستغرقاً أزلاً وأبداً في النور الأزليّ والسرور السرمديّ. ولمّا لم يتصوّر القرب من العلّة الأولى والمبادئ العقليّة بالمكان، بل بالصفات /٢٨١ أ/ الروحانيّة العقليّة كان أكثر الناس تجرّداً عن العلائق البدنيّة الظلمانيّة أقرب منها، والعشق العقليّ والشوق الروحانيّ هو حامل الذوات الدرّاكة إلى نور الأنوار والمبادئ العقليّة والأتمّ شوقاً وعشقاً أتمّ انجذاباً إلى النور.[١]

[الظواهر النقليّة الدالّة على انتقال نفوس السعداء إلى المظاهر الحسنة]

وأمّا الظواهر النقليّة الدالّة على انتقال نفوس السعداء إلى المظاهر الحسنة البهيّة من الصور الألفيّة و[٢] المثاليّة فكثير، مثل قوله تعالى: ﴿**وَلاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللّهِ أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ**﴾[٣]، ومثل قوله عليه السلام: «أهل الجنّة جُرد مُرد مكحّلين»[٤]، ومثل ما ورد في الأحاديث عنهم عليهم السلام أنّ أرواح السعداء تجتمع في وادي القدس تحت العرش في أشباح مثاليّة لو

---

١. نفس المصدر: ٥٩٥/٣

٢. حج: ـ و.

٣. آل عمران/١٧٠ـ١٦٩

٤. مرويّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وعن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام في: مستدرك الوسائل: ٤١٠/٨؛ بحار الأنوار: ٤٩/٧، ٢٢٠/٨، ٢٩٤/١٦؛ الاختصاص: ٣٥٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٤٨

رأيت الواحد منهم لقلت: إنّه هو، وأنّهم يستبشرون بمن يصل إليهم من إخوانهم، وأنّهم يسألون القادم: ما فعل فلان؟ فإذا قال لهم: قد مات ولم يرونه معهم، قالوا: هوى هوى[١].

وفي حديث: لو رأيتهم بين الغربين لوجدتهم حلقاً حلقاً يتحدّثون[٢]. إلى غير ذلك من الأحاديث إذا تأمّلتها وجدتها مصرّحة بما ذكرناه.

وكذلك حديث المعراج[٣] ورؤية النبيّ صلى الله عليه وآله للأنبياء كلّ واحد منهم في

---

١. مرويّ عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنّة تعارفُ وتساءلُ، فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول: دعوها؛ فإنّها قد أفلتت من هول عظيم. ثمّ يسألونها: ما فعل فلان وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى هوى (الكافي: ٢٤٤/٣؛ من لايحضره الفقيه: ١٩٣/١؛ بحار الأنوار: ٢٤٩/٦، ٢٦٩، ٧٩/٥٨).

٢. روي عن حبّة العُرنيّ أنّه قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر، فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين! إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة. ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: يا حبّة! إن هو إلّا محادثة مؤمن أو مؤانسته. قال: قلت: يا أمير المؤمنين! وإنّهم لكذلك؟ قال: نعم! ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون. فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلّا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنّها لبقعة من جنّة عدن (الكافي: ٢٤٣/٣؛ بحار الأنوار: ٢٦٧/٦، ٢٢٣/٤١، ٥١/٥٨، ٢٣٤/٩٧).

٣. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بينما أنا في الحجر إذ أتاني جبرئيل، فهمزني برجلي، فاستيقظت، فلم أر شيئاً، ثمّ أتاني الثانية، فهمزني برجلي، فاستيقظت، فأخذ بضبعي، فوضعني في شيء كوكر الطير، فلمّا طرّفت ببصري طرفة فرجعت إليّ وأنا في مكان، فقال: أتدري أين أنت؟ فقلت: لا يا جبرئيل! فقال: هذا بيت المقدس بيت الله الأقصى، فيه المحشر والمنشر. ثمّ ←

مرتبته[١] وأنّهم اجتمعوا فصلّوا خلفه، وكلّ ذلك دالّ على ما قلناه.

❊

قام جبرئيل، فوضع سبّابته اليمنى في أذنه اليمنى، فأذّن مثنى مثنى يقول في آخرها: حيّ على خير العمل مثنى مثنى، حتّى إذا قضى أذانه أقام الصلاة مثنى مثنى وقال في آخرها: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة.

فبرق نور من السماء، ففتحت به قبور الأنبياء، فأقبلوا من كلّ أوب يلبّون دعوة جبرئيل، فوافى أربعة آلاف وأربعمئة نبيّ وأربعة عشر نبيّاً، فأخذوا مصافّهم ولاأشكّ أنّ جبرئيل سيتقدّمنا. فلمّا استووا على مصافّهم أخذ جبرئيل بضبعي، ثمّ قال لي: يا محمّد! تقدّم فصلّ بإخوانك، فالخاتم أولى من المختوم. فالتفتُ عن يميني وإذا أنا بأبي إبراهيم عليه السلام عليه حلّتان خضراوان وعن يمينه ملكان وعن يساره ملكان، ثمّ التفتُ عن يساري وإذا أنا بأخي ووصيّي عليّ بن أبي طالب عليه حلّتان بيضاوان عن يمينه ملكان وعن يساره ملكان. فاهتززت سروراً، فغمز بي جبرئيل عليه السلام بيده.

فلمّا انقضت الصلاة قمت إلى إبراهيم عليه السلام، فقام إليّ، فصافحني وأخذ بيميني بكلتا يديه وقال: مرحباً بالنبيّ الصالح والابن الصالح والمبعوث الصالح في الزمان الصالح. وقام إلى عليّ بن أبي طالب، فصافحه وأخذ بيمينه بكلتا يديه وقال: مرحباً بالابن الصالح ووصيّ النبيّ الصالح يا أبا الحسن! فقلت له: يا أبت كنيتَه بأبي الحسن ولاولد له. فقال: كذلك وجدته في صحفي وعلم غيب ربّي باسمه عليّ وكنيته بأبي الحسن والحسين ووصيّ خاتم أنبياء ربّي (بحار الأنوار: ٣١٧/١٨، ٣٢١، ٣٢٥؛ تفسير القمّيّ: ٥/٢، ٨؛ سعد السعود: ٥/٢، ٨).

١. حج: مرتبة.

[وجوب القول بسائر السمعيّات]

قوله: وجميع ما ورد من النقل من سؤال القبر والصراط والميزان وإنطاق الجوارح وتطاير الكتب وأحوال القيامة والجنّة والنار وما أعدّ اللّه فيهما يجب التصديق بأجمعه؛ لإمكانه ووروده عن الصادقعليه السلام[1].

والقول بأنّ الثواب لايستحقّ بفعل الطاعة؛ لوقوعها شكراً؛ لأنّها لاتوازى ما على العبد من النعم وإن كثرت، فيكون تفضّل العبيد بقوله تعالى: ﴿جَزاءً بما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وبأنّ الشكر ليس هو فعل هذه التكاليف السمعيّة؛ لوجوبه عقلاً ولايقتضيها وإنّما هو الاعتراف بنعمة المنعم مع ضرب من التعظيم. وأمّا العقاب فإنّه وإن اشتمل على اللطفيّة فإنّا لانجزم بوقوعه عقلاً. ويستحقّ الأوّل بفعل الواجب؛ لوجوبه، وفعل المندوب كذلك، وبترك القبيح؛ لقبحه، وفعل ضدّ القبيح المتوصّل به إلى تركه؛ لوجوبه أيضاً، ويستحقّ الثاني بفعل القبيح وترك الواجب.

[سبب وجوب العلم بهذه السمعيّات]

قال: سائر السمعيّات من أحوال الآخرة في أنفسها ممكنة، واللّه تعالى عالم

---

١. مراده نبيّناصلى الله عليه وآله، لاجعفر بن محمّد الصادقعليه السلام، كما لايخفى.

٢. السجدة/١٧؛ الأحقاف/١٤؛ الواقعة/٢٤

بالكلّ قادر على الكلّ، والصادق أخبر عنها، فلزم العلم بوجودها.

[إمكان عذاب القبر]

أمّا أنّها ممكنة فلأنّ عذاب القبر إمّا للنفس أو لها مع البدن، وكلّ منهما جائز.[١]

أمّا إذا كان للنفس فظاهر؛ لجواز بقاء النفس، فجاز أن يعذّبها اللّه تعالى في القبر /٢٨١ ب/ كما شاء. ولأنّها لما حلّت البدن حلول السريان كالدهن في جرم اللوز وتلذّذت باللذّات الجسمانيّة والعقليّة فيه ومنه وبه ومعه وله وترشّحت فيها الآمال والأمانيّ وبها وما فهمت لذّة غيرها ألفته غاية الألفة وصار هذا عادة طبيعيّة لها. فإذا فارقته جاوزته متحسّرة متألّمة بخرابه بالآفات والحسرات[٢] وحرمانها بذلك عن الأمانيّ والآمال، وجاز أن يجعل اللّه تعالى عقائدها الرديئة وأخلاقها الذميمة بمنزلة حيّات تنهشها. وأمّا النفوس المهتمّة بالمعارف واللذّات الأخرويّة فتكون مستنيرة بها وبرحمة اللّه تعالى.

وأمّا إذا كان للنفس مع البدن[٣] فذلك واضح؛ لجواز أن يحصل للبدن بتأثير قدرة اللّه تعالى ما يستعدّ ثانياً لقبول علاقة النفس بوجه ما لايدركه، أو بالوجه الذي كان على حالة الحياة، أو بذلك الوجه بدون الروح الحيوانيّ والنباتيّ؛ لفنائهما، وهذا أشبه الوجوه[٤]. وله مثال في بعض الأحوال كالنوم والمرض لاسيّما

---

١. تتبّع تفصيل البحث في كلام ابن قيّم الجوزيّة، فراجع: الروح: ٨٠

٢. حج: ـ والحسرات.

٣. تش (خ ل): + علاقة.

٤. هامش تش، مر، حج: وفي الأشبهيّة نظر؛ من حيث إنّ التعلّق إذا كان على هيئة الوجه الذي ←

بقرب الموت، وحالة بين النوم واليقظة للمتحيّرين بأسباب مدهشة لاسيّما للمرتاضين؛ فإنّ القوى الحيوانيّة والنباتيّة تنقطع في هذه الحالة عن أفعالها، كأنّها فقدت، فتخلّص النفس الناطقة عن منازعتها، فتلوح لها منامات صادقة ومشاهدات مطابقة حقّة لاخياليّة مع الاستغناء أيّاماً عن الغذاء لوقوف النامية، وقد يوهم كون العذاب للنفس ـ كما مرّ ـ

[كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في عذاب القبر]

أقول: وممّا يدلّ على أنّ عذاب القبر واقع وأنّه للنفس مع البدن قول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الموسومة بالغرّاء في قوله: «حتّى إذا انصرف المشيّع ورجع المتفجّع أقعِد في حفرته نجيّاً؛ لبَهتة السؤال وعثرة الامتحان»[1]؛ فإنّ هذا الكلام صريح في القول بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير.

قال بعض شرّاحه:

> اعلم أنّ الإيمان بما جاء من ذلك على وجهين:
>
> **أحدهما**: وهو الأظهر الأسلم أن يصدّق بذلك وتحمله على ظاهره وأنّ هناك ملكين يقال لهما منكر ونكير، يتولّيان سؤال الإنسان على الصورة المحكيّة، وأنّ هناك حيّات وعقارب تلدغ الميّت وإن كنّا لانشاهدها؛ إذ لاتصلح هذه العين /٢٨٢ أ/ لمشاهدة الأمور الملكوتيّة. وكلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام وكان

على هذه الحالة وقد بيّنّا أنّ التعلّق في هذه الحالة لايتصوّر بدون الروح الحيوانيّ الذي هو الواسطة ـ كما مضت الإشارة إليه ـ فكيف يصحّ أن يقال: إنّ التعلّق على هذا الوجه بدون الروح الحيوانيّ؟ فإنّ ذلك على القول بتجرّدها بيّن الاستحالة، فكيف يكون هذا الوجه أشبه الوجوه؟ نعم! إن قلنا: إن النفس هي البدن أو حالّة فيه، أمكن أن يقال بجواز ذلك.

١. بحار الأنوار: ٢٤٣/٦، ٤٢٥/٧٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩٦/٦؛ نهج البلاغة: ١١٢

النبيّ ﷺ يشاهده وهم لايشاهدونه، وكما أنّ جبرئيل عليه السلام لايشبه الناس، فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيّات والعقارب في القبر ليس من حيّات عالمنا، فتدرك بمعنىً آخر.

الثاني: أن يتذكّر ما قد يراه النائم من صورة شخص هائل يقتله أو حيّة تلدغه، وقد يتألّم بذلك حتّى يراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه. كلّ ذلك يدركه من نفسه ويشاهده ويتأذّى به، كما يتأذّى اليقظان وأنت ترى ظاهره ساكناً ولاترى حوله شخصاً ولاحيّةً، والحيّة موجودة في حقّه متخيّلة له. ولافرق بين أن يتخيّل عدوّاً وحيّةً أو يشاهدهما، وهذا الوجه إنّما هو بالنسبة إلى النفس خاصّة.[١]

[إمكان الصراط وتحقيق معناه]

قال: وأمّا الصراط فلأنّ ما هو المشهور غير خارج عن حدّ الجواز؛ لأنّ الجسم الطويل الدقيق ممكن، وما قيل في تأويله: إنّه الأعمال السيّئة التي يسأل عنها ويؤاخذ بها كأنّه هو عليها، فلابدّ أن يطول ذلك بكثرة الأعمال وينقص بقلّتها، كما هو منقول أنّ الصراط يطول لمن سيّئاته أكثر ويقصر لمن كان أقلّ، فأيضاً غير مجاوز حدّ الجواز[٢ و٣].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٢٦٥/٢

٢. مر، حج: الاعتدال.

٣. راجع في تحقيق معني الصراط: الاعتقادات: ٧٠؛ الاقتصاد في الاعتقاد: ١٣٣؛ أسرار الآيات: ١٩٠؛ أوائل المقالات: ٧٨؛ بحار الأنوار: ٦٤/٨؛ تصحيح الاعتقاد: ١٠٨؛ حقّ اليقين في معرفة أصول الدين: ٤٥٧؛ الذخيرة في علم الكلام: ٥٣٠؛ شرح الأصول الخمسة: ٤٩٨؛ شرح العقائد النسفيّة: ٦٩؛ شرح المواقف: ٣٢٠/٨؛ شرح توحيد الصدوق: ٥٤٤/١؛ علم اليقين: ١١٨٨/٢؛ كشف المراد: ٤٢٤؛ المبدأ والمعاد: ٤٥٨؛ المضنون به على غيره: ٣٥٣؛ المظاهر الإلهيّة: ١٢١؛ معاني الأخبار: ٣٢؛ مقالات الإسلاميّين: ٤٧٢

أقول: اعلم أنّ القول بالصراط حقّ يجب الإيمان به وما ذكره في الأصل فهو إشارة إلى الصراط الأخرويّ. وأمّا الصراط الدنيويّ فيرجع إلى الوسط بين الأخلاق المتضادّة كالحكمة بين الجهل والجربزة، وكالسخاوة بين التبذير والبخل، والشجاعة بين التهوّر والجبن، والعدالة بين الظلم والانظلام، وبالجملة الوسط بين كلّ طرفَي إفراط وتفريط من أطراف الفضائل، فهو الطريق إلى اللّه تعالى المطلوب سلوكه.

ولهذا سئل الصادقعليه السلام عن معنى قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[١]، فقال: «معناه أرشِدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك، والمبلّغ دينك، والمانع لنا أن نتّبع هوانا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك»[٢]. ولأجل ذلك كثرت مزالقه؛ لأنّها مظانّ الخطأ من العقل والشهوة والغضب والعبور عن فضائلها إلى أحد طرفَي الإفراط والتفريط منها، ثمّ تلزم تلك المزالق الأهاويل الأخرويّة التي هي مظاهر ذلك الزلل، فتسمّى تلك بالصراط الأخرويّ باعتبار لزومها لعدم استقامة الدنيويّ أو استقامته، وقد أشرنا في ما تقدّم إلى ذلك مستوفىً في شرح أحوال العدالة المطلقة.

[الميزان]

قال: وكذا الميزان، إمّا ما هو المشهور من /٢٨٢ ب/ الميزان الذي توزن به

---

١. الفاتحة/٦

٢. وسائل الشيعة: ٤٩/٢٧؛ بحار الأنوار: ٩/٢٤، ٢٢٢/٢٧، ٢٣٨/٤٧، ٢٥٢/٨٩؛ الاحتجاج: ٣٦٨/٢؛ تأويل الآيات: ٢٩؛ تفسير الإمام العسكريعليه السلام: ٤٤؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٣٠٥/١؛ مجموعة ورّام: ٩٦/٢؛ معاني الأخبار: ٣٣

صحائف الأعمال، أو يكون المراد منه تقابل الحسنات من أهل الطاعة بسيّئاتهم؛ ليظهر الرجحان أو التساوي، وهذا أيضاً جائز.[١]

[إنطاق الجوارح]

وكذا إنطاق الجوارح أمر ممكن؛ فإنّ حقيقة النطق أصوات مقطّعة دالّة على معانٍ، فهي جائزة الحصول عن الجمادات؛ إذ يمكن حصول أصوات مقطّعة لاسيّما عن غير الجمادات.[٢]

[تأويل أحوال الجنّة والنار عند بعض المحقّقين]

ومنهم من أوّل أحوال الجنّة والنار بأنّا متى ندرك لذّة أو ألماً كان المدرِك لذلك أنفسنا ضرورة؛ لما عُلم أنّ النفس ما يشير إليه كلّ أحد بقوله «أنا»، والبدن وغيره من الأجسام الموصوفة بالكيفيّات الطعميّة وغيرها آلة متوسّطة للنفس في الإدراكات، فالبدن آلة وغيره ممّا ذكر واسطة. ولاخفاء أنّ اللذّات والآلام ـ سواء كانت جسمانيّة أو روحانيّة ـ بالحقيقة ضرب من تأثيرات النفس وانفعالاتها؛ إذ هي تتأثّر وتنفعل عن الأشياء، فيحصل لها ضرب من اللذّة والألم، فيكون لكلّ

---

١. راجع في تحقيق معني الميزان: الاعتقادات: ٧٣؛ الاقتصاد في الاعتقاد: ١٣٣؛ أسرار الآيات: ٢٠٧؛ أوائل المقالات: ٧٨؛ بحار الأنوار: ٢٤٢/٧؛ حقّ اليقين في معرفة أصول الدين: ٤٢٢؛ الذخيرة في علم الكلام: ٥٣٠؛ شرح المواقف: ٣٢٠/٨؛ شرح توحيد الصدوق: ٦٢/١، ٥٥٣؛ علم اليقين: ١١٤٧/٢؛ كشف المراد: ٤٢٤؛ المبدأ والمعاد: ٤٥٨؛ المظاهر الإلهيّة: ١٢٨؛ مفاتيح الغيب: ٢٩٩؛ مقالات الإسلاميّين: ٤٧٢

٢. راجع في تحقيق إنطاق الجوارح: بحار الأنوار: ٣٠٦/٧؛ تسلية الفؤاد: ١٧٨؛ حقّ اليقين في معرفة أصول الدين: ٤٣٢؛ مدينة المعاجز: ٤٤٨

نوع وكلّ صنف من اللذّة والألم نوع وصنف من التأثير، فمتى حصل للنفس ذلك التأثير حصلت تلك اللذّة والألم، سواء كان بواسطة الآلة أو لابواسطتها أو لايكون.

ومثال هذا حال النوم؛ فإنّا ندرك فيها إدراكات الحواسّ ونلتذّ ونتألّم بأنواع اللذّات والآلام وأصنافها من المنكوحات والمطعومات وغير ذلك التذاذاً وتألّماً فوق ما في اليقظة بدون توسّط الأجسام الموصوفة بتلك الكيفيّات؛ فإنّا ندرك لذّة الوِقاع بدون محلّه ولذّة الحلاوة بدون موضوعها.

فإن قيل: ذلك في النوم إنّما يكون بواسطة الخيال؛ فإنّ الصورة الخياليّة عند سكون الحواسّ واستغراق النفس في تدبير أحوال النوم تتعدّى إلى الحسّ المشترك، فتلوح على النفس على وجه تضطرب غير مرتّب لاشتغال النفس بالتدبير، فتدرك اللذّات والآلام على ذلك الوجه، وهذا المعنى مفقود بعد البدن، فكيف يتصوّر ذلك؟ **قلت**: نعم! قد يكون بسبب ذلك وذلك أضغاث أحلام، وقد يكون بسبب من أسباب عالم القدس وذلك يكون من قبيل الإلهام والكشف مطابقاً للواقع إمّا على التطابق أو على التأويل والتعبير، وكلّ ذلك لايضرّنا؛ فإنّا ندّعي أنّ النفس قد تدرك اللذّات والآلام بدون توسّط الأجسام الموصوفة بتلك الكيفيّات، لأنّها ليست قد سلبت، فجاز أن يكون السبب فيض رحمة اللّه تعالى أو سخطه وغير ذلك من جهة الملائكة والروحانيّين، هذا في حالة النوم.

وقد يكون مثل ذلك في حالة اليقظة، كما يسنح للواغلين في الارتياض والمُمعِنين في الإعراض عن الأغراض الدنياويّة[1] حالة اليقظة بدون الوسائط العنصريّة من اللذّات والآلام ما لايسع في فهم غيرهم ولايتصوّره عقل من

---

١. حج (خ ل): الدنيويّة.

سواهم حتّى بلغ بهم /٢٨٣ أ/ الإتعاب في ذلك غاية تشتاق أنفسهم إلى قطع العلاقة النفسانيّة عن البدن رجاء استبقاء تلك المعاني.

وإذا علمت هذه المعاني علمت أنّه يجوز أن تحصل للنفس لذّات وآلام إمّا بغير واسطة أو وسط[1] غير جسم، بأن يكون من فيض رحمة اللّه تعالى وسخطه أو من تصوّرات النفس بأن تتصوّر لذّة فتدركها فتلتذّ بها، أو لاتدركها فتدرك ضدّها فتتألّم بذلك؛ فإنّ التصوّرات المُمعنة لها مدخل في التأثيرات، فإذا تصوّر الشيء بالإمعان واستغرق فيه بحيث لاتقع مزاحمة من شيء آخر من القوى وغيرها يحصل في النفس أثر ذلك الشيء، كما أنّ تصوّر المباشرة بالإمعان قد يفيد لذّاتها، وكذا في غير ذلك حتّى أن تصوّر الحامض جدّاً قد يفيد تغيّر الأسنان كما يكون في وجوده، لاسيّما إذا لم يكن للنفس استغراق في أحوال البدن وانجذاب إليها، فتستوفي من اللذّات والآلام حظّاً وافراً أقوى وأشدّ ممّا يكون في حال التعلّق بالبدن والاستغراق فيه، وأحوال الجنّة والنار إنّما تكون من هذا القبيل.

[نقد المصنّف على هذا الكلام]

هذا ما قالوه، ولاخفاء في أنّ أمثال هذه بتقدير تحقّقها إنّما تكون من قبيل الخيالات[2] الغير الحقيقيّة ولاالمضبوطة التي لاعبرة بها، كأحوال النوم وصنف من الجنون وأحواله، فلاعبرة بها. وقد عرفت أنّ ما ذكرناه من الأمور الحقيقيّة ممكن بالنظر إلى القابل والفاعل، بل لازم في سعة قدرة اللّه تعالى وكمال حكمته، وأنّ تكميل خلق العباد بتتميم أحوالهم أمراً وزجراً إنّما يتمّ بذلك، على أنّ الإخلال

---

١. حج: واسطة.

٢. حج (خ ل): التخيّلات.

بالمكافاة ضرب من النقصان والإهمال، وكمال كلمة اللّه تعالى لاترخّص إهمال هذا الكمال مع توفّر قدرته على ذلك؛ فإنّ في قدرة اللّه تعالى ورحمته سعة لايضيق عليه الأمر في شيء ممّا يجري هذا المجرى؛ لاستغنائه في جميع ذلك بكمال قدرته وعظيم عنايته الموجب لاستغنائه عن جميع ما عداه، ﴿فَسُبْحانَ الَّذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

[موافقة كلام المصنّف لمذهبَي الأشاعرة والمعتزلة]

أقول: راعى في تعليله حصول الجنّة والنار بأنّ الإخلال بهما ضرب من النقصان حتّى يكون الكلام موافقاً لمذهبَي الأشاعرة والمعتزلة؛ لأنّ النقص والكمال في باب الحسن والقبح العقليّين اتّفق الكلّ على إثباتهما بهذا النوع عقلاً، وأنّ كلّ ما هو كمال لائق بالذات المقدّسة يجب بطريق العقل ثبوته لها، وكلّ ما هو نقص يجب عنده تنزّهها عنه. ولمّا كان الإخلال بالمكافاة والمجازاة نوع نقص وكان القيام بهما على أتمّ الوجوه نوع كمال لائق بالذات جزم العقل أنّ كمال قدرة اللّه تعالى وعنايته لاترخّص في إهمال ذلك الكمال اللائق بها وهو إنّما يتمّ بخلق الجنّة والنار المحسوستين، فوجب بذلك الطريق وجودهما؛ لاشتماله على الكماليّة اللائقة بجناب القدس. /٢٨٣ ب/ فراعى المصنّف بهذا التقرير ونمّقه على هذا السياق وعبّر عنه بهذه العبارة مراعاةً لرضا الجانبين وجمعاً بين الفريقين؛ لاتّفاقهما معاً على أحوال الجنّة والنار الحسّيّتين، فافهم ذلك.

* * *

---

١. يس/٨٣.

[وجوب التوبة وكيفيّتها]

قوله: وتجب التوبة عن المعاصي؛ لـدفعها للضـرر المعلـوم أو المظنـون وللأمر بها، وهي الندم على ترك الواجب وفعل القبيح فـي الماضـي والعـزم على ترك المعاودة في المستقبل جزماً.

فإن كانت عن حقّ اللّه محضاً فإن كان ترك واجب في وقته[1] فعلـه فيـه، وإن خرج وقته وسقط بخروجه فالندم والعزم، وإن لم يسقط فالقضـاء، وإن لم يكن ذا وقت فعله[2] مطلقاً، وإن كان عن فعل محرّم فالندم والعزم.

وإن كانت عن حق آدميّ فإمّا إضلالاً في الدين بفتـوىً مخطئـة فالتوبـة الإعلام بالخطأ، أو قدحاً في عِرض وصَل فلابدّ من الاعتذار، ولو[3] لم يصـل فيكفي الندم وروي وجوب الاستغفار له، أو أخذ مال فلابدّ من إيصاله إليـه أو إلى وارثه أو الاتّهاب منه أو من الوارث مع القدرة، ومـع العجـز يكفـي الندم مع العزم على الأداء، وإن كانت عن إزهاق نفس فلابـدّ مـن التسـليم لنفسه إلى الوارث والكفّارة مع الندم والعزم.

وهل قبولها واجب أو تفضُّل؟ الحقّ الثاني؛ لعـدم وجـوب قبـول عـذر المُسيء عقلاً.

---

١. مو: + وجب.

٢. مو: ففعله.

٣. مو: أو.

[رأي المعتزلة في قبول التوبة]

قال: أوجب سقوط العقاب بها المعتزلة، وقالت المرجئة: إنّه تفضُّل.

والمعتزلة بنوه على أصلهم من منع العفو عن الفاسق، فلو لم يجب سقوط العقاب بها قبح تكليف العاصي؛ فإنّ حسنه للتوصّل به إلى حصول الثواب وهو لايجتمع مع استحقاق العقاب عندهم، فلاخلاص من العقاب حينئذٍ، فيقبح التكليف، هذا خلف.

وأيضاً فإنّ سقوط الذمّ عقيب التوبة واجب، فكذا العقاب؛ لأنّهما معلولا علّة واحدة هو فعل القبيح. وسقوط أحد المعلولين يستلزم سقوط المعلول الآخر؛ لارتفاع العلّة بارتفاع أحدهما، فيرتفع الآخر بارتفاعها. ولهذا إنّه متى اعتذر إلى من أساء إليه وعرف صحّة نيّته وخلوص اعتذاره وندمه وجب أن يسقط ذمّه على تلك الإساءة، ولهذا إنّ العقلاء يذمّون من يذمّه عقيب ذلك.[1]

[اعتراض على رأي المعتزلة]

والاعتراض عليه أمّا أوّلاً فلابتنائه على منع العفو، وهو ممنوع، مع جواز أنّ بعض القبائح يقتضي الذمّ ولايقتضي العقاب ـ كما في حقّه تعالى ـ مع العفو.

أقول: عُلم من هذا أنّ الذمّ والعقاب لاتلازم بينهما في الوقوع، ومع عدم التلازم جاز ارتفاع أحدهما دون الآخر. نعم! هما متلازمان في الاستحقاق، فيتمّ الكلام على تقديره.

فإن قلت: لو لم يجب قبولها لما وجب قبول الإسلام من الكافر، فلايصحّ

---

١. راجع: شرح الأصول الخمسة: ٥٣٥؛ المغني: ٣٣٧/١٤

تكليفه، وذلك مخالف للإجماع؛ **قلت**: الفرق ثابت؛ فإنّه لمّا ثبت دوام عقاب الكافر وعدم جواز انقطاعه بالأدلّة النقليّة لم يكن ثَمّ طريق إلى حسن تكليفه إلّا /٢٨٤ أ/ بوجوب قبول إسلامه، ولاكذلك العاصي؛ لوجوب انقطاع عقابه، بل وجواز العفو عنه، فلايقبح تكليفه حينئذٍ؛ لثبوت استحقاق الثواب له وإن لم يجب قبول توبته، فمع هذا الفرق لايتحقّق الإيراد.

[رأي المصنّف في قبول التوبة]

قال: والحقّ أنّه تفضُّل؛ فإنّ سقوط العقاب إن كان لوجوب قبولها فهو ممنوع؛ فإنّ من أساء إلى غيره بأعظم الإساءات ثمّ اعتذر إليه لايجب في العقل قبول عذره ولايذمّه العقلاء على عدمه، بل قد يحسن ردّه وعدم العفو عنه. وإن كان لكون الثواب بها أكثر فذلك باطل؛ لابتنائه على التحابط.

نعم! إنّ التعلّق بالجسمانيّات موجب لبُعد النفس عن المعقولات واشتغالها بالمجرّدات؛ لشدّة تعلّقها وعظم انغماسها في عالم الطبيعة، فيحصل البعد الموجب للحرمان عن الوصول إلى الكمال. فحقيقة التوبة الإقلاع عن ذلك التعلّق ونفي العلاقة وجذب النفس عن عالم الأجسام حتّى يصير ذلك ملكة لها لتتعلّق بعالم التطهير والحصول مع القدّيسين. وبذلك تنجو عن ورطة الحجاب والبعد بسبب الالتفات إلى المعقولات والتعلّق بالمجرّدات؛ فإنّ البعد عن أحد الجانبين بتقرّب[١] إلى الآخر، وهو تحقيق هذا الموضع.

أقول: ومن هذا قولهﷺ: «الدنيا والآخرة ككفّتي الميزان، أيّهما رجحت

---

١. حج (خ ل): مقرّب.

نقصت الأخرى»[١]. وقال بعض أهل الحكمة: إنّهما كالضرّتين[٢]، الأنس بأحدهما يوجب الوحشة من الأخرى[٣]. وبالجملة الأمور الدنيويّة والتعلّق بها موجب للحرمان[٤] ومنع التعلّق بالأمور الأخرويّة، وبقدر ما يبعد عن أحدهما يقرب من الأخرى. وعبّر ﷺ عن هذه الجملة بقوله: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»[٥]، فلايتحقّق التوبة المعتبرة عند أهل اللّه إلّا بالإعراض عن الأحوال الدنيويّة بالكلّيّة، بحيث لايلتفت إليها ويبعدها عن مطمح نظره، كما جاء في الحديث: «الدنيا محرّمة[٦] على أهل الآخرة، والآخرة محرّمة على أهل الدنيا، وهما معاً محرّمتان على أهل اللّه»[٧].

[أنواع التوبة]

ولهذا قيل: إنّ التوبة على ثلاثة أنواع:

---

١. بحار الأنوار: ٩٢/٧٠؛ الخصال: ٦٤/١؛ عوالي اللآلي: ١١٥/٤؛ مجموعة ورّام: ٧٤/١

٢. الضرّتان: امرأتان لرجل واحد (كتاب العين).

٣. عدّة الداعي: ١١٠

٤. حج: يوجب الحرمان.

٥. الكافي: ١٣٠/٢؛ وسائل الشيعة: ٨/١٦، ٩؛ مستدرك الوسائل: ٣٨/١٢ وما بعد، ٤٥، ٩٦؛ بحار الأنوار: ٢٥٨/٥١، ٢٣٩/٦٧، ٣١٥، ١٩/٧٠، ٥٩، ٩٠، ١١٩، ٢٢/٧٥؛ إرشاد القلوب: ٢١/١؛ إعلام الدين: ١٤٩؛ التحصين لابن فهد: ٢٧؛ الخصال: ٢٥/١؛ روضة الواعظين: ٤٤١/٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٣/٦، ٢٣٩/٩، ٥٢/١٩، ٣٣٠؛ عوالي اللآلي: ٢٧/١؛ غرر الحكم: ١٤٢؛ كنز الفوائد: ٢١٧/١؛ مجموعة ورّام: ١٢٨/١؛ مشكاة الأنوار للطبرسيّ: ٢٦٦؛ مصباح الشريعة: ١٣٧

٦. مص: حرام (وكذا ما يليه).

٧. عوالي اللآلي: ١١٩/٤

عامّ للعبيد كلّهم، وهي التوبة عن ترك الطاعة وفعل القبيح.

وخاصّ بأهل الورع، وهي التوبة عن فعل المكروه وترك المندوب.

وأخصّ من الخاصّ، وهي التوبة عن الالتفات إلى غير اللّه وهي لأهل الولاية الذين هم في مرتبة الحضور في أغلب الأوقات. وتوبة نبيّناﷺ وأوليائه من هذا القبيل، ومنه قولهﷺ: «إنّه ليُغان[1] على قلبي وإنّي لأستغفر اللّه في اليوم سبعين مرّة»[2]. وأهل هذه الطبقة هم أهل المراقبة[3].

❊

---

١. هامش مر: الغين هو الصداء وهو حجاب دقيق يتجلّى بالتصفية ويزول بنور التجلّي لبقاء الإيمان معه، فهو دون الرين. وأمّا الرين فهو حجاب كثيف حائل بين القلب والإيمان.

٢. مستدرك الوسائل: ٣٢٠/٥، ٣٧٥؛ بحار الأنوار: ٤٤/١٧، ٢٠٤/٢٥، ١٨٢/٦٠، ٢٨٢/٩٠؛ جامع الأخبار: ٥٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٤/١١؛ كشف الغمّة: ٢٥٤/٢؛ مفتاح الفلاح: ١٥٠

٣. هامش حج: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ [طه/١٢]. كون التوبة على ثلاثة أنواع هو بعينه كون التقوى عليها، ولكلّ من الأخيرين عرض عريض وكذا للأخير. وفي *الكافي*: «للتوبة عشر درجات والدرجة العاشرة منها يكون أدنى درجة الورع، وللورع كذلك عشر درجات عاشرها أدنى درجة اليقين، وهكذا» [ما عثرت عليه في المجامع الروائيّة، والظاهر أنّ مراد المحشّي ما روي عن عليّ بن الحسينعليه السلام أنّه قال: «الزهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا» (الكافي: ٦٢/٢، ١٢٨؛ وسائل الشيعة: ٢٥٣/٣، ١٢/١٦؛ بحار الأنوار: ٣٣٤/٦٩، ٥٠/٧٠؛ مسكّن الفؤاد: ٨٦)]. فعلى هذا يكون لكلّ من ليلته عرضاً كما لايخفى، وفي هذا المقام أسرار لاتكاد تحصى. «نوريقدس سره».

[تحقيق في جواز التوبة من بعض القبائح دون بعض]

قوله: وهل تصحّ من قبيح دون قبيح؟

قيل: نعم؛ لصحّة الإتيان بواجب دون واجب.

وهو قياس مع فارق[1]؛ فإنّ الترك لعلّة القبح ليس كالفعل لعلّة الوجوب. والحقّ الجواز إلّا في قبيحين اشتركا في وجه واحد قبحا لأجله. /٢٨٤ ب/

[حجّة القائلين بعدم جوازه]

قال: وقع النزاع، فذهب جماعة إلى عدم جوازه؛ لوجوب الندم عن القبيح؛ لقبحه، وإلّا لم تكن توبة حقيقةً والقبح متحقّق في الكلّ، فلو تاب من بعضها دون بعض كشف ذلك عن كونه غير تائب عن القبيح لعلّة القبح؛ لأنّ الاشتراك في العلّة يوجب الاشتراك في المعلول.

[حجّة القائلين بجوازه]

وقال آخرون بجوازه؛ قياساً على جواز الإتيان بواجب دون واجب؛ إذ كما يجب ترك القبيح لقبحه يجب فعل الواجب لوجوبه، فلو لزم من اشتراك القبائح في القبح عدم صحّة التوبة من بعضها لزم ذلك في الواجبات، لكن الإجماع منعقد على بطلانه[2]؛ إذ لاخلاف في صحّة صلاة من أخلّ بالصوم.

---

١. حج: الفارق.

٢. مر: خلافه.

[اعتراض حجّة القائلين بجوازه]

واعترِض عليه بجواز الفرق؛ فإنّ التعميم في الترك واجب دون الفعل؛ فإنّ من قال: لاآكل الرمّان الحامض، يجب عليه الامتناع من مجموعه؛ لعلّة الحموضة التي هي سبب لجهة الاتّحاد في الترك، بخلاف من قال: أنا آكله لحموضته؛ فإنّه لايجب أن يأكل جميعه، بل يحصل الفعل بأكل واحده، هذا مع أنّ القياس لايكون حجّة في أمثال هذه المباحث.

[تحقيق حصول الفرق في هذا القياس]

أقول: تحقيق حصول الفرق في هذا القياس أنّ التعليل المذكور كان قياساً لترك القبيح على فعل الواجب لاشتراكهما في العلّة، وهي وجوب فعل الواجب لوجوبه ووجوب ترك القبيح لقبحه. وهذا القياس لايتمّ؛ لحصول الفرق بين الأصل والفرع فيه؛ لأنّ أحدهما في باب الفعل والآخر في باب الترك، فلايتّحدان في العلّة؛ لأنّ الاختلاف في الأصل والفرع موجب لاختلافهما في العلّة، فيوجب الاختلاف في الحكم، فلايتمّ القياس مع وجود الفارق، فلايتمّ التعليل به.

[صحّة توبة معتقِد حُسن بعض الأفعال]

قال: نعم! معتقِدُ حُسن بعض الأفعال تصحّ توبته من الباقي وإن كان ما اعتقد حسنه قبيحاً في نفس الأمر؛ لحصول شرط التوبة بالنسبة إلى معتقده. ومثله المستحقر الذي لايعتدّ به بالنسبة إلى ما هو أكبر منه؛ فإنّه متى تاب من ذلك العظيم قبلت توبته ولم يعتدّ بذلك المستحقر؛ فإنّ كاسر القلم وقاتل الولد إذا قبلت توبته من قتل الولد لم يبق كسر القلم معتداً به وإن لم تحصل التوبة منه.

[كلام العلّامة الحلّيّ في جواز التوبة من بعض القبائح]

وبعض المحقّقين قال:

الحقّ أنّه تجوز التوبة عن قبيح دون قبيح؛ لأنّ الأفعال تبع الدواعي، فإذا ترجّح الداعي وقع الفعل، فيجوز حينئذٍ أن يرجّح فاعل القبيح داعيه إلى الندم عن بعض القبائح دون بعض، وإن كانت مشتركة في أنّ الدواعي تدعو إلى الندم عليها. والسبب أن تقترن ببعضها أمور زائدة كعظم بعضها وكثرة زواجره أو شناعته ولايقترن بالبعض الآخر ذلك، فلايقع عليها الندم؛ لعدم الدواعي ووجود الصوارف؛ فإنّ الأفعال قد تشترك في الدواعي. ثمّ يؤثر بعض تلك الأفعال على بعض، فيرجّح دواعيه بما يقترن به من زيادة الدواعي إلى الندم، فيترجّح /٢٨٥ أ/ لأجلها إلى الندم على البعض. وإذا اشتركت القبائح في قوّة الدواعي اشتركت في الندم ولم تصحّ من البعض دون البعض.[١]

ثمّ قال:

وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وكلام أولاده ـ كالرضا وغيره عليهم السلام ـ في ما نقل عنهم من نفي تصحيح التوبة من بعض القبائح دون بعض؛ فإنّه لولا الحمل على هذا المعنى لزم خرق الإجماع وهو باطل؛ فإنّ الكافر إذا تاب عن الكفر فأسلم مع إقامته على بعض القبائح كالكذب مثلاً يجب أن يحكم بإسلامه وقبول توبته من الكفر إجماعاً؛ لوجوب إجراء أحكام المسلمين عليه، ولو قلنا بمنع جواز التوبة من قبيح دون قبيح لامتنع الحكم بصحّة إسلامه.[٢]

[كلام بعض المشايخ في جواز التوبة من بعض القبائح]

وقال بعض المشايخ[٣]:

---

١. كشف المراد: ٤٢٠

٢. نفس المصدر.

٣. هامش تش: وهو شيخ شيخنا ـ دام ظلّه ـ عليّ بن محمّد بن ماتع الأحساويّ.

إنّ القبيحين إذا اشتركا في علّة القبح لم تصحّ التوبة من أحدهما دون الآخر، ولو اختلفا في العلّة بأن تكون علّة القبح في أحدهما غير علّة قبح الآخر صحّت التوبة من أحدهما دون الآخر. مثال الأوّل الزناء واللواط؛ فإنّ العلّة في قبحهما لحفظ النسب، فاتّحدا في علّة القبح[1 و2]. ومثال الثاني الزناء والشرب؛ فإنّ العلّة في الثاني لحفظ العقل والأوّل لحفظ النسب ولاتعلّق لأحدهما بالآخر.

وهذا قريب من الصواب، بل هو التحقيق. وحمل كلام أئمّة الهدى عليهم السلام على هذا الوجه أنسب ممّا ذكروه في الأوّل.

[الضروريّات الخمسة الكلّيّة]

أقول: فيه إشارة إلى تعليل الأحكام بالمصالح وقد حصرت على سبيل الاحتمال في الضروريّات الخمسة الكلّيّة التي علّلت بها الأحكام الشرعيّة الكلّيّة؛ فإنّ كلّ واحد منها حرم لحفظ شيء من تلك الكلّيّات التي هي الضروريّات التي لايستقيم النوع إلّا بحفظها، ولهذا قيل: إنّها ممّا يجب تقريرها في جميع الشرائع.

---

١. هامش حج: إنّ الزناء يخلّ بحفظ النسب ويوجب الهرج والمرج، وإنّ اللواط فهو يخلّ بحفظ النسل وبفناء النوع وهو أشدّ من الزناء مقتاً وإخلالاً بالنظام. وأنّى علّة المنع من أحدهما من علّة منع الآخر؟ بل بينهما بون بعيد كما بين السماء والأرض، وكأنّه إليه يومئ خطّ الأستاذ ـ طاب ثراه ـ حيث رقم بخطّه في الحاشية منه، تأمّل. «نوري قدّس سرّه».

٢. سأل زنديق عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: لم حرّم الله الزناء؟ قال: لما فيه من الفساد وذهاب المواريث وانقطاع الأنساب، لاتعلم المرأة في الزناء من أحبلها ولاالمولود يعلم من أبوه ولاأرحام موصولة ولاقرابة معروفة. قال: فلم حرّم الله اللواط؟ قال: من أجل أنّه لو كان إتيان الغلام حلالاً لاستغنى الرجال عن النساء، وكان فيه قطع النسل وتعطيل الفروج وكان في إجازة ذلك فساد كثير (وسائل الشيعة: ٣٣٢/٢٠؛ بحار الأنوار: ١٨١/١٠، ٣٦٨/١٠٠؛ الاحتجاج: ٣٤٧/٢).

وهي:

الزناء وتوابعه؛ فإنّها حرمت لحفظ النسب عن الضياع والاختلاط؛ فإنّه من ضرورة بقاء النوع واستمرار اجتماعه.

والغصب والسرقة وتوابعهما؛ فإنّ تحريمها لحفظ المال؛ فإنّه من ضرورة المعاش البدنيّ الذي لايتمّ النوع إلّا بإصلاحه.

والمسكرات وما يتبعها؛ فإنّها إنّما حرمت لحفظ العقل؛ فإنّه من ضروريّات حفظ الشخص والنوع.

والردّة وما يتبعها من السحر والكهانة والزندقة؛ فإنّها حرمت لحفظ الدين؛ فإنّه من ضروريّات استقامة النوع والشخص باعتبار المعاش والمعاد.

والقتل وما يتبعه من قطع الأعضاء والجرح وما تحتهما من الأذى البدنيّ؛ فإنّ تحريمها لحفظ النفس الذي هو من ضروريّات حفظ الشخص والنوع واستقامة الاجتماع المدنيّ.

وكلّ واحد من هذه الضروريّات الخمسة كلّيّ صادق على جزئيّات كثيرة، /٢٨٥ ب/ فلاتصحّ التوبة عن جزئيّ داخل تحت كلّيّ دون الجزئيّ الآخر الداخل تحت ذلك الكلّيّ. وأمّا إذا كان أحد الجزئيّات داخلاً تحت كلّيّ والآخر داخل تحت كلّيّ آخر صحّت التوبة من أحدهما دون الآخر. وكذلك تصحّ التوبة من أحد الكلّيّين دون الآخر؛ لأنّ ذلك كلّه من باب الاختلاف بالعلل الموجبة لاختلاف الأحكام، وقد عرفت أنّ اختلاف العلل موجب لاختلاف المعلولات.

[كلام أمير المؤمنين عليه السلام في باب التوبة]

وأمّا كلام أمير المؤمنين عليه السلام في باب التوبة فهو ما روي عنه في *نهج*

البلاغة[١] أنّه عليه السلام قال بحضرته قائل: أستغفر اللّه. فقال: ثكلتك أمّك، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيّين وهو اسم واقع على ستّة معان:

أوّلها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة ضيّعتها، فتؤدّي حقّها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت[٢]، فتُذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تُذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر اللّه.

وهذا دليل على عدم جواز التوبة عن قبيح دون قبيح وأنّ ذلك كلّه شروط في حصول حقيقة التوبة والانتفاع بالاستغفار وأنّه بدون اجتماعها[٣] غير نافع. ولعلّ هذا إشارة إلى حقيقة التوبة الكاملة لامطلق التوبة، بل هو الأقرب باعتبار الأدلّة العقليّة والنقليّة، واللّه أعلم.

❊ ❊

---

١. نهج البلاغة: ٥٤٩

٢. السحت: كلّ حرام قبيح الذكر يلزم منه العار (كتاب العين).

٣. مر: + محال.

[الإيمان والكفر]

قوله: والإيمان لغةً التصديق، فكذا شرعاً، إلّا أنّه اختصّ بالتصديق باللّه وبالرسول وبجميع ما جاء به الرسول ممّا عُلم ضرورة مجيئه عليه السلام به.

وهل الأعمال الصالحة جزء منه؟ قالت المعتزلة: نعم. فهو عندهم تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وعليه السلف والأحاديث دالّة عليه، وحمله على الإيمان الكامل أحقّ؛ لعطف الأعمال الصالحة عليه والعطف يقتضي المغايرة.

ويقابله الكفر. وهو لغةً الستر، وشرعاً إنكار ما عُلم ضرورة مجيء الرسول به أو بعضه.

وهل يقبل الإيمان الزيادة والنقصان؟ يبنى على ما تقدّم إن كان في الكمّ، وأمّا في الكيف فيقبلهما مطلقاً؛ لتفاوت مراتب المعارف في الشدّة والضعف.

[الفسق والعدالة والنفاق]

والفسق الخروج عن طاعة اللّه تعالى في ما دون الكفر. ووعيد الفاسق منقطع؛ لثبوت إيمانه المقتضي لحصول الثواب له، فلابدّ من وصوله، ولايمكن اجتماعهما. وتعقيب العقاب مستحيل، فوجب انقطاع عقابه، ولورود النقل بذلك.

وفي مقابله العدالة، وهي ملازمة التقوى والمروّة. وتزول بمواقعة[1] الكبائر

---

١. مر: بموافقة.

وبالإصرار على الصغائر. ونعني بالكبيرة ما توعّد اللّه عليها بعينها النار، وبالصغيرة ما ليس كذلك.

والنفاق إبطان الكفر وإظهار الإسلام؛ لأنّه لغةً إبطان الشخص خلاف ما يظهره.

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

وممّا جاء به الشرع وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والأمر طلب الفعل قولاً استعلاءً، والنهي طلب الترك، والمعروف كلّ فعل حسن اشتمل على وصف زائد على حسنه، والمنكَر /٢٨٦ أ/ هو القبيح.

وهل وجوبهما عقليّ لأنّهما لطفان أو سمعيّ لاغير؟ إن قلنا بالأوّل وجبا عيناً وإن قلنا بالثاني فكفايةً. وإنّما يجبان بشرط علم الآمر والناهي بالمعروف والمنكر وتعلّقهما بالمستقبل والأمن من الضرر وتجويز التأثير وعدم ظهور أمارة الإقلاع. ويجبان أوّلاً بالقلب، ثمّ ينتقل إلى اللسان، ثمّ إلى اليد. وفي باب العجز ينتقل إلى اللسان، ثمّ إلى القلب. والأمر ينقسم إلى الواجب والندب[١]، والنهي كلّه واجب.

[النزاع في حقيقة الإيمان الاصطلاحيّ]

قال: وقع النزاع في حقيقة الإيمان الاصطلاحيّ أوّلاً، ثمّ في أحكامه ثانياً[٢].

---

١. مو: المندوب.

٢. راجع في تحقيق معنى الإيمان: أبكار الأفكار: ٥/٧؛ الاقتصاد في ما يتعلّق بالاعتقاد: ٢٢٧؛ إرشاد الطالبين: ٤٣٦؛ أسرار الآيات: ٢٧؛ الأنوار الجلاليّة: ١٨٨؛ بحار الأنوار: ٣٦٧/٨؛ ←

أمّا الأوّل: فقيل: إنّه تصديق الرسول في كلّ ما عُلم بالضرورة أنّه ﷺ جاء به؛ ليخرج ما عُلم لابالضرورة كالاجتهاديّات؛ فإنّ منكرها لايخرج عن الإيمان إجماعاً.

أقول: هذا التعريف إنّما يتمّ على مذهب الأشعريّ؛ لأنّه يقول: إنّ وجوب المعارف سمعيّ، فلايعلم العقل حينئذٍ بوجوبها إلّا من الشرع، فجميع أحكام الشرع هي أحكام الإيمان، فأحكام الإيمان أصولاً وفروعاً إنّما يعلم من الرسول، فالتصديق بالشرع كافٍ في الإيمان.

وأمّا على مذهب من يقول: إنّ المعارف وجوبها عقليّ، فلايتمّ التعريف؛ لأنّ التصديق بوجود الصانع وصفاته غير موقوف على الشرع، فلايكون تصديقاً للرسول حسب، بل هو تصديق لمقتضى الدليل العقليّ الدالّ على وجوده وصفاته وإن كان الشرع قد جاء بذلك أيضاً؛ لوجوب مطابقة ما جاء به الرسول للأحكام العقليّة.

قال: وقيل: إنّه المعرفة مع الإقرار والعلم بما جاء به الرسول ﷺ، وهو قريب من الأوّل.

وقيل: إنّه مجموع الطاعات. وهو مذهب السلف؛ لما نقل عنهم أنّ الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، ونقل عن عليّ عليه السلام مثل ذلك[1]. وهو مذهب كافّة المعتزلة وجماعة من الإماميّة.

تلخيص المحصّل: ٤٠١؛ الشافي: ٤٠١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥١/١٩

١. مستدرك الوسائل: ١٤٣/١١؛ بحار الأنوار: ٣١٦/٦٥، ٧٣/٦٦، ١٣١، ١٤٣، ٤٩/٩٠؛ دعائم الإسلام: ٣/١

[النسبة بين الإسلام والإيمان]

وأمّا الإسلام فهو قبول قول الرسول، فإن وجد معه اعتقاد وتصديق قلبيّ كان هو الإيمان وإلّا كان إسلاماً خاصّة، فالإيمان أخصّ من الإسلام. ومن هذا عُلم كون الإسلام والإيمان غير متّحدين؛ فإن أطلق أحدهما على الآخر كان من باب المجاز.

وقال آخرون: إنّهما حقيقة واحدة وإنّما يختلفان بالألفاظ والعبارات؛ اعتماداً على قوله تعالى: **﴿إنَّ الدّينَ عِنْدَ اللّهِ الإسْلامُ﴾**[1]، وقوله: **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾**[2].

واحتجّوا أيضاً بأنّ الإيمان هو التصديق باللّه، والإسلام إن كان بمعنى التسليم أو الاستسلام فهو راجع إلى تصديق قلبيّ.

وأيضاً لو تغايرا لصحّ تصوّر أحدهما بدون الآخر، ولايتصوّر مسلم ليس بمؤمن.

أجيب عن الآية بأنّا لانسلّم أنّ الإيمان الذي هو التصديق فقط دين، بل إنّما يقال الدين على الأركان المعتبرة /٢٨٦ ب/ ويكون معنى الآية: ومن يبتغ ديناً غير دين محمّد فلن يقبل منه. وفيه نظر؛ فإنّ دين محمّد لايجب مغايرته للإيمان، بل الإيمان يجب أن يكون حاوياً على جميع أركانه.

وعن الاحتجاج الأوّل بأنّ التسليم هاهنا هو تسليم العبد نفسه، بل هو الانقياد وهو يغاير الإيمان؛ لجواز الانقياد ظاهراً بدون تصديق القلب.

وعن الثاني أنّ عدم تغايرهما بهذا التفسير لايوجب اتّحادهما معنىً بحيث

---

١. آل عمران/١٩

٢. آل عمران/٨٥

يكونا متساويين. وأمّا قوله تعالى: ﴿**قالَتِ الأعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولٰكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا**﴾[1] فالمراد: استسلمنا وانقدنا. نعم! قد قيل: إنّ الإيمان في الشرع الإقرار، ولمّا كان ذلك دالاً على الاعتقاد قائماً مقامه كان هو الإسلام، فمن نظر إلى ظاهر الشرع فهما واحد.

[قول بعض المحقّقين في النسبة بين الإسلام والإيمان]

وقال بعض أهل الفحص[2]:

إنّ الإسلام جاز أن يكون مع الاعتقاد والتصديق وهو الإسلام الحقيقيّ والمسمّى بدين الإسلام، وجاز أن لايكون، وحينئذٍ لايكون إسلاماً حقيقيّاً وإن عدّ في الظاهر إسلاماً، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿**قالَتِ الأعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولٰكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا ولَمّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُمْ**﴾[3]. والأوّل هو المراد بقوله: ﴿**إنَّ الدّينَ عِنْدَ اللّهِ الإسْلامُ**﴾[4]، وقوله: ﴿**ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[5] وهو مساوٍ للإيمان في الوجود؛ لأنّه متى وجد وتحقّق الإسلام بهذا المعنى تحقّق التصديق ضرورةً ومتى تحقّق التصديق تحقّق الإسلام بهذا المعنى؛ لأنّ من المحال أن يصدّق الإنسان بكلّ ما جاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله بالضرورة تصديقاً تامّاً ولايأتي بمجموع أركان الإسلام.

[وقوع المعصية حين وقوعها مستلزم لنفي الإيمان في الحال]

أقول: والذي يدلّ على هذا ما روي عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «لايزني الزاني

---

١. الحجرات/١٤

٢. هامش تش: صاحب الصحائف.

٣. الحجرات/١٤

٤. آل عمران/١٩

٥. آل عمران/٨٥

حين يزني وهو مؤمن، ولايشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[1]. وهذا يدلّ على أنّ وقوع هذه الأفعال من فاعلها حين وقوعها مستلزم لنفي التصديق بمجيئها من الشارع المستلزم لنفي الإيمان في الحال؛ لما تحقّق عند العقل الصريح من أنّ المصدّق حقّ التصديق بالشيء لايأتيه من غير وجهه. فالمصدّق بأركان الإسلام حقّ التصديق لايخلّ بشيء من أركان الإسلام؛ لما بينهما من الملازمة الذاتيّة.

[معنى الكفر لغةً وشرعاً]

قال: وأمّا الكفر فهو لغةً الستر، وإنّما سمّي الكافر كافراً لأنّه يستر الحقّ. وفي الشرع يقابل الإيمان، فهو إنكار شيء ممّا علم بالضرورة مجيء الرسولعليه السلام به.

[جواز تحقّق الواسطة بين الإيمان والكفر]

وهل يتحقّق الواسطة بين الإيمان والكفر؟

أمّا على مذهب من قصر الإيمان /٢٨٧ أ/ على التصديق فلاواسطة؛ فإنّه لمّا تحقّق التصديق بكلّ ما جاء به النبيّصلى الله عليه وآله تحقّق الإيمان ومتى تحقّق إنكاره أو بعضه تحقّق الكفر، هذا في حقّ من وصلت إليه الدعوة. أمّا من لم تصل إليه الدعوة فلايسمّى مؤمناً ولاكافراً؛ لأنّه غير مصدّق ولامنكر حينئذٍ.

---

١. مرويّ عن النبيّصلى الله عليه وآله وعليّ بن موسى الرضاعليه السلام، كما في الكافي: ٣١/٢، ١٢٣/٥؛ من لايحضره الفقيه: ٢٢/٤؛ التهذيب: ٣٧١/٦؛ وسائل الشيعة: ٣٤/١، ١٦٩/١٧؛ مستدرك الوسائل: ٣٢٨/١٤ وما بعد، ١١٩/١٨، ١٢٠؛ بحار الأنوار: ٣٥٦/١٠، ٢٦١/٦٥، ٢٧٠، ٢٩٤، ٨٩/٦٦، ٤٤/٦٧، ٣٨/٦٨، ٢٨/٧٦؛ الخصال: ٦٠٨/٢؛ دعائم الإسلام: ٤٨٨/٢؛ عوالي اللآلي: ٤٠/١، ١٦٨؛ عيون أخبار الرضاعليه السلام: ١٢٥/٢؛ فقه الرضاعليه السلام: ٢٧٥؛ مجموعة ورّام: ٢٦٧/٢

وأمّا على مذهب من زعم أنّ العمل الصالح جزء منه فقد يصحّ تحقّق الواسطة؛ فإنّ من صدّق بجميع ما جاء به النبيّ ﷺ وترك بعض الطاعات لايكون مؤمناً؛ لعدم حصول جميع الطاعات، ولاكافراً؛ لعدم إنكاره شيئاً ممّا جاء به النبيّ ﷺ. وسمّى المعتزلة هذا القسم منزلة بين المنزلتين.

وبعض من ذهب إلى هذا المذهب قائل بعدم الواسطة ويقول: إنّ تارك بعض الواجبات كافر.

[حجّة القائلين بأنّ الطاعات ليست جزءً من الإيمان]

وأكثر المحقّقين على أنّ الطاعات ليست جزءً من الإيمان، واستدلّوا على ذلك بأنّه قد قيّد الإيمان بالطاعات في مواضع كثيرة، فلو كانت داخلة في حقيقته لكان تكريراً ويكون تقييده بعدم المعصية نقضاً. وكذلك عطف الأعمال الصالحة عليه دليل المغايرة؛ لاستحالة عطف الشيء على نفسه.

أقول: أمّا تقييده بالطاعات ففي مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيُّهَا الّذينَ آمَنُوا أطيعُوا اللّهَ وَأطيعُوا الرَّسُولَ**﴾[1]؛ فإنّه قيّد الإيمان بطاعة اللّه وطاعة الرسول، فلو كان طاعتهما جزءً من الإيمان لم تكن للتقييد فائدة، فيكون تكريراً.

وأمّا تقييده بعدم المعصية ففي قوله تعالى: ﴿**الّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾[2] قيّده بعدم لبسه بالظلم، فلو كان عدم لبسه به جزءً منه لم يفد التقييد إلّا التناقض الذي لايصحّ صدوره من الحكيم.

وأمّا عطف العمل الصالح عليه ففي قوله تعالى: ﴿**الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

---

١. النساء/٥٩؛ محمّد ﷺ/٣٣

٢. الأنعام/٨٢

الصّالِحاتِ﴾[١] والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه؛ لاستحالة عطف الشيء على نفسه وعطف الجزء على كلّه. وكلّ ذلك مستلزم لكون الأعمال الصالحة ليست جزءً من الإيمان ولاداخلة في مفهومه ولايتوقّف حصوله عليها، وذلك ظاهر.

[حجّة القائلين بأنّ الطاعات جزء من الإيمان]

قال: واحتجّ القائلون بأنّه جزء منه بأنّ فعل الواجبات هو الدين والدين هو الإسلام والإسلام هو الإيمان، فيكون فعل الواجبات هو الإيمان.

والمقدّمة الأولى ثابتة بقوله تعالى: **﴿ذلِكَ دينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[٢]، والثانية بقوله: **﴿إنَّ الدّينَ عِنْدَ اللّهِ الإسْلامُ﴾**[٣]، والثالثة بما تقدّم.

[ردّ هذا القول]

والجواب الحمل على كمال الدين ويكون معناه: ذلك الذي هو فعل الطاعات هو الإيمان الكامل الذي لايكون وراءه غيره. ويدلّ عليه وصفه له بكونه دين القيّمة؛ فإنّه يدلّ على أنّ غيره لايكون كذلك، مع أنّه دين.

---

١. البقرة/٢٥، ٨٢، ٢٧٧؛ آل عمران/ ٥٧؛ النساء/ ٥٧، ١٢٢، ١٧٣؛ المائدة/ ٩، ٩٣؛ الأعراف/ ٤٢؛ يونس عليه السلام/ ٤، ٩؛ هود عليه السلام/٢٣؛ الرعد/٢٩؛ إبراهيم عليه السلام/٢٣؛ الكهف/٣، ١٠٧؛ مريم/٩٦؛ الحجّ/١٤، ٢٣؛ الشعراء/٢٢٧؛ العنكبوت/٧، ٩، ٥٨؛ الروم/١٥، ٤٥؛ لقمان/ ٨؛ السجدة/١٩؛ سبأ/٤؛ فاطر/٧؛ ص/٢٤، ٢٨؛ غافر/٥٨؛ فصّلت/٨؛ الشورى/٢٢، ٢٣، ٢٦؛ الجاثية/٣٠؛ محمّد صلّى الله عليه وآله/٢، ١٢؛ الفتح/٢٩؛ الطلاق/١١؛ الانشقاق/٢٥؛ البروج/١١؛ التين/٦؛ البيّنة/٧؛ العصر/٣

٢. البيّنة/٥

٣. آل عمران/١٩

وأيضاً إن أريد ما لايكون إسلاماً لايكون مقبولاً يلزم أن لاتكون الصلاة ولاغيرها من الطاعات مقبولة؛ لكونها غير الإسلام، لكنّه ليس كذلك. مع أنّه يلزم من صدق الدليل صدق الإيمان على الطاعات، وصدق الشيء على الشيء لايوجب اتّحادهما، فجاز أن يكون صدق الإيمان على الطاعات لتضمّنها للتصديق والاعتقاد.

أقول: وبيان ذلك أنّ الطاعات إن كانت /٢٨٧ ب/ خارجةً عنه على القول بالمغايرة بينها وبينه فلاكلام، وإن كانت جزءً منه ـ على ما ذهبوا إليه ـ فالمغايرة أيضاً ثابتة؛ لوجوب المغايرة بين المركّب وأجزائه. فعلى كلّ حال لايلزم من صدق الإيمان على الطاعات اتّحادهما، بل هما متغايران، فلايتمّ الاستدلال.

[مثال لبيان نفي الإيمان عن أهل الكبائر]

قال: قالوا: قاطع الطريق يخزى، والمؤمن لايخزى، فقاطع الطريق ليس بمؤمن.[1]

أقول: أمّا بيان الصغرى ففي قوله تعالى: ﴿**ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا**﴾[2]، وأمّا الكبرى فلقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لايُخْزِي اللّهُ النَّبِيَّ وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾[3]. ففي الكبرى نفي الخزي عن المؤمنين، وفي الصغرى ثبوته لقاطع الطريق، فيعلم منهما أنّ قاطع الطريق ليس بمؤمن. ولافرق بين قاطع الطريق وغيره من أهل الكبائر

---

١. راجع: المحصّل: ٥٦٨؛ تلخيص المحصّل: ٤٠٢؛ شرح المواقف: ٣٢٧/٨؛ شرح المقاصد: ١٩٤/٥؛ إرشاد الطالبين: ٤٣٧

٢. المائدة/٣٣

٣. التحريم/٨

في هذا الحكم؛ لعدم القائل به.

[شبهة على صحّة هذا الاستدلال]

قال: وفيه نظر؛ لأنّه مبنيّ على كون الواو للعطف. وجاز أن يكون ابتدائيّة، وحينئذٍ لايلزم كون المؤمنين مع النبيّ في عدم الإخزاء، والظاهر أنّهما كذلك.

أقول: هذا الجواب مشتمل على منع الكبرى القائلة بأنّ المؤمن لايخزى؛ فإنّها إنّما تتمّ على تقدير كون الواو عاطفة. فأمّا إذا كانت ابتدائيّة فلاتتمّ الكبرى؛ لكون عدم الخزي حينئذٍ مختصّاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله دون الذين آمنوا.

قال: ولو سلّم أنّها عاطفة جاز أن يكون المراد بـ ﴿**الَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ الصحابة دون غيرهم.

[شبهة في التعبير عن الصلاة بالإيمان في القرآن والجواب عنها]

قالوا: قوله تعالى: ﴿**ما كانَ اللّهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ**﴾[1] مع أنّ المراد صلاتكم كما ذكروه المفسّرون[2]؛ **قلنا:** المراد التصديق بوجوب تلك الصلاة.

---

١. البقرة/١٤٣

٢. صلّى رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى البيت المقدس بعد النبوّة ثلاث عشرة سنةً بمكّة وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثمّ عيّرته اليهود فقالوا له: إنّك تابع لقبلتنا. فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلمّا كان في بعض الليل خرج صلى الله عليه وآله يقلّب وجهه في آفاق السماء، فلمّا أصبح صلّى الغداة، فلمّا صلّى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل عليه السلام، فقال له: ﴿**قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ**﴾ [البقرة/١٤٤]. ثمّ أخذ بيد النبيّ صلى الله عليه وآله، فحوّل وجهه إلى الكعبة وحوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال، فكان أوّل صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة. وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلّى أهله من العصر ركعتين، فحوّلوا نحو الكعبة، فكانت أوّل ←

[تحقيق في جواز قبول الإيمان الزيادةَ والنقصان]

وأمّا الثاني: ـ وهو الخلاف في أحكامه ـ فهو أنّ الذاهبين إلى أنّ الإيمان هو التصديق، منهم من منع من قبول الإيمان الزيادةَ والنقصان؛ لأنّ التصديق شيء واحد، فلايتطرّقان إليه.

وقال آخرون منهم: إنّه يقبلهما من حيث الاستكمال والنقص. وأمّا من ذهب إلى أنّ الإيمان هو مجموع الطاعات فإنّه بالضرورة يكون قابلاً للزيادة والنقصان على قوله بزيادة الطاعات ونقصانها.

قال الرازيّ:

> النزاع لفظيّ؛ لأنّ المراد بالإيمان إن كان هو التصديق فلايقبلهما، وإن كان هو الطاعات قبِلهما.[1]

ثمّ وفّق بينهما فقال:

> الطاعات مكمّلة للتصديق، فكلّ ما دلّ من الدلائل على أنّ الإيمان لايقبل الزيادة والنقصان كان منصرفاً إلى أصل الإيمان الذي هو التصديق، وما دلّ على كونه قابلاً لهما كان مصروفاً إلى الإيمان الكامل.[2]

صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة، فسمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين. فقال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول اللّه؟ فأنزل اللّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**ما كانَ اللّهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ**﴾ [البقرة/١٤٣]، يعني صلاتكم إلى بيت المقدس (الكافي: ٣٦/٢؛ من لايحضره الفقيه: ٢٧٤/١؛ التهذيب: ٤٣/٢؛ مستدرك الوسائل: ١٧٢/٣، ١٩٣، ١٤٨/١١؛ بحار الأنوار: ١٩٥/١٩ وما بعد، ٢٧٣/٦٥، ١٨/٦٦، ٢٧، ٧٦، ١٤٠، ٢٣٨/٧٧، ٣٧/٨١، ٦٦، ٧١، ١٤٥، ٨/٩٠، ٥٣؛ تفسير العيّاشيّ: ٦٣/١؛ تفسير القمّيّ: ٣١/١؛ دعائم الإسلام: ٨/١؛ الصراط المستقيم: ٣٤١/١؛ فقه القرآن: ٨٨/١؛ متشابه القرآن: ١١٠/١).

١. المحصّل: ٥٧٠؛ تلخيص المحصّل: ٤٠٤

٢. نفس المصدر.

وقال بعض أهل الفحص: الحقّ أنّ الإيمان قابل لهما مطلقاً. أمّا على القول بجزئيّة الطاعات فظاهر. وأمّا على مذهب التصديق فإنّ التصديق بالقلب هو الاعتقاد الجازم، ولاريب أنّه قابل للشدّة والضعف؛ إذ الاعتقاد بأجلى البديهيّات أقوى الاعتقادات، ثمّ الاعتقاد بما هو دونه منها حتّى ينتهي إلى النظريّات، ثمّ هي متفاوتة باعتبار قوّة البرهان وكثرة الأدلّة وأضدادهما.

فعلى هذا إنّما يقبل الإيمان الزيادةَ والنقصان باعتبار الكيف لاباعتبار الكمّ؛ لأنّ التصديق باعتبار المقدار شيء واحد لايصحّ أن يتفاوت فيه، وإلّا لما تحقّق الإيمان. وهذا مذهب جماعة من المتأخّرين بناءً على /٢٨٨ أ/ اختلاف مراتب المعارف في كيفيّات الوصول إليها وهو حقيقة مذهب جماعة من المكاشفين؛ فإنّ معارفهم ليست في القوّة كمعارف من عداهم من أهل البحث الصرف من أهل البرهان، وأهل البراهين ليسوا كأصحاب الإقناعيّات من أهل الخطابة وأهل الجدل، حتّى ينتهي إلى مراتب أهل التقليد الصرف، وهو مذهب جماعة الإشراقيّين.

وبعض أهل الظاهر ينكر هذا التفاوت ويقول: إنّ الموصل هو البحث الصرف، فلايكفي التقليد في الإيمان ولامكاشفة زائدة على البرهان، وحينئذٍ فلايقبل الزيادة والنقصان أيضاً بحسب الكيف. وهو إنكار لما يشهد به العقل الصريح وما ورد به النقل، ولهذا قال عليّ عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً»[١].

---

١. بحار الأنوار: ١٥٣/٤٠، ١٣٤/٤٦، ٣٢١/٦٤، ٢٠٩/٦٦، ١٤٠/٦٧، ٣٠٤/٨٤؛ إرشاد القلوب: ١٢٤/١، ٢١٢/٢؛ الألفين: ١١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٣/٧، ١٤٢/١٠، ←

[حكم صاحب الكبيرة]

ويتفرّع على الخلاف الأوّل حكم صاحب الكبيرة في أنّه هل هو مؤمن مطيع بإيمانه عاصٍ بفسقه أم لا.

فعند المعتزلة ليس بمؤمن ولاكافر؛ لأنّه مصدّق غير عامل.

وأكثر المحقّقين على أنّه مؤمن، لكنّه عاص بفسقه؛ بناءً على جواز اجتماع الاستحقاقين.

ومنعه المعتزلة وقالوا: إن كانت الطاعات أزيَد كفّرت المعاصي، وإن كانت المعاصي أزيَد أحبطت الطاعات. ثمّ إنّ الطارئ يعدم الباقي ويبقى هو بحاله، وهو الإحباط وهو مذهب أبي عليّ.

وقال أبو هاشم: يعدم كلّ منهما بالآخر ويبقى الزائد وهو الموازنة.

ونفاه المحقّقون؛ لأنّ عدم الباقي بالطارئ ليس بأولى من عدم الطارئ بالباقي؛ لمنعه من تأثيره فيه؛ لأنّ التضادّ حاصل من الطرفين، وللزوم صيرورة المغلوب غالباً في الموازنة.[1]

[تحقيق في الموازنة]

أقول: يرد على قوله: «إنّ عدم الباقي بالطارئ ليس أولى من عدم الطارئ بالباقي» سؤال تقريره أن يقال: نمنع عدم الأولويّة، بل هي حاصلة؛ لأنّ الطارئ

١٧٩/١١، ٢٠٢، ٨/١٢؛ الصراط المستقيم: ٢٣٠/١؛ الطرائف: ٥١٢/٢؛ غرر الحكم: ١١٩؛ الفضائل: ١٣٧؛ كشف الغمّة: ١٧٠/١، ٢٨٦؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣٨/٢

١. راجع في تفصيل حكم صاحب الكبيرة: تلخيص المحصّل: ٤٠٣؛ شرح الأصول الخمسة: ٤٨٠؛ شرح المقاصد: ٢٠١/٥؛ شرح المواقف: ٣٠٣/٨؛ اللوامع الإلهيّة: ٤٤٣

متعلّق السبب، فيكون أقوى؛ لوجود علّته، وإذا كان أقوى كان بالتأثير أولى من الأضعف.

وللمجيب أن يقول: لاأسلّم ذلك؛ لأنّه بناء على أنّ الباقي مستغنٍ عن المؤثّر حتّى لايكون متعلّق السبب.

وللمانع أن يمنعه ويقول باحتياجه إلى السبب كالطارئ، فيكون متعلّق السبب أيضاً، فيساويه في القوّة. مع أنّا نقول: لو قلنا باستغناء الباقي عن السبب لايلزم أن يكون أضعف من الطارئ؛ لكونه أولى بالوجود؛ لبقائه بنفسه واستغنائه في ذاته[١] واحتياج الطارئ إلى سببه المغاير له، وما هو مستغنٍ أقوى بالضرورة من المحتاج.

قال: وأيضاً فإنّ القول بهما يستلزم الظلم؛ لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[٢].

[انقطاع عقاب صاحب الكبيرة]

ويتفرّع على هذا القولُ بانقطاع عقابه وهو مذهب الأكثر؛ لأنّه يستحقّ الثواب بإيمانه، فلابدّ من إيصاله إليه، فلايتقدّم الثواب إجماعاً، فوجب تأخّره قطعاً، /٢٨٨ ب/ فانقطع العقاب.

ومنعه المعتزلة بناءً على الإحباط والتكفير، ثمّ تمسّكوا بظواهر السمعيّات؛ فإنّ في آيات القرآن من الظواهر ما يمنع من انقطاع عقابه.

وحملها المحقّقون على التأويل؛ لمخالفتها للدليل العقليّ، فوجب الحمل على

---

١. حج (خ ل): نفسه.
٢. الزلزلة/ ٨ ـ٧

التأويل توفيقاً بين الأدلّة. فأوّلوها إمّا بتخصيص العمومات بالكفّار أو بالمكث الطويل.[١]

[جواز الشفاعة]

وهل يصحّ العفو عنه وإسقاط عقابه بلاتوبة؟[٢]

المحقّقون على جوازه، بل على وقوعه، والآيات الكريمة دالّة على ذلك، مع أنّ العقاب حقّ للّه[٣] فجاز له إسقاطه. بل هو حسن وما هو حسن يصحّ وقوعه؛ إذ لامانع منه حينئذٍ، بل وشفاعته أولي الشفاعة لامانع من حسنها عقلاً؛ فإنّ المحلّ الموجب للقرب إلى اللّه المستلزم للولاية عنه في تدبير خلقه بإصلاحهم ونفي الفساد عنهم يوجب قبول قوله وثبوت شفاعته في من يريد إسقاط عقابه، فجاز إسقاط عقابه بشفاعته؛ إذ لامانع منه عقلاً. مع أنّ النبيّ ﷺ أخبر عن نفسه بذلك في قوله: «ادّخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[٤]، وأشار القرآن الكريم

---

١. الباب الحادي عشر مع شرحيه: ٥٥، ٢١٥؛ بحار الأنوار: ٣٧١/٨، ١١٤/٦٦، ١٩٧/٦٨؛ الأربعين في أصول الدين: ٤١٣؛ المحصّل: ٥٦٢؛ تلخيص المحصّل: ٣٩٧؛ الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ٤٧١؛ الحكمة المتعالية: ٣٤٦/٩؛ شرح تجريد العقائد للقوشجيّ: ٣٨٦؛ كشف المراد: ٤١٤

٢. راجع في تحقيق الشفاعة: الاعتقادات: ٦٦؛ الاقتصاد في ما يتعلّق بالاعتقاد: ٢٠٦؛ إرشاد الطالبين: ٤٢٧؛ أنوار الملكوت: ١٧٥؛ أوائل المقالات: ٤٧، ٧٩؛ بحار الأنوار: ٢٩/٨؛ التوحيد للماتريديّ: ٢٦٣؛ الشافي: ٩١٧؛ شرح المقاصد: ١٥٦/٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٤/١٨؛ علم اليقين: ٨٩/٢؛ المضنون به على غيره: ٣٤٩؛ مقالات الإسلاميّين: ٤٧٤؛ أعيان الشيعة: ١٠٨/١، ١٩٤/٢؛ مناهج اليقين: ٥٢٨؛ الميزان: ١٥٧/١؛ نوادر الأخبار: ٣٥٠

٣. حج: اللّه.

٤. بحار الأنوار: ٣٠/٨، ٦١؛ أعلام الدين: ٢٥٢؛ متشابه القرآن: ١١٩/٢؛ مجموعة ورّام: ٢٩٩/١

إلى إثبات هذا المقام له بقوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[١]؛ فإنّه إشارة إلى مقام الشفاعة كما ذكره المفسّرون.[٢]

[ثبوت الشفاعة لأئمّتنا عليهم السلام]

وكما أنّ الشفاعة ثابتة له عليه السلام فكذلك هي ثابتة لجميع أوليائه القائمين بالأمر من بعده؛ لمساواتهم له في مقام الولاية والتدبير للخلق، فيكون لهم من اللّه تعالى مقام قبول الشفاعة طلباً لمرضاتهم بواسطته عليه السلام. فلأئمّتنا عليهم السلام الشفاعة في عُصاة شيعتهم وقد أخبروا بذلك عن أنفسهم في ما صحّ عنهم من الأحاديث المرويّة عنهم عليهم السلام، منه ما روي عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلاصَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾[٣]: واللّه لنشفعنّ يوم القيامة في عُصاة شيعتنا حتّى يقول غيرهم: ﴿**فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلاصَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾.[٤]

---

١. الضحى/٥

٢. روي عن بشر بن شريح البصريّ قال: قلت لمحمّد بن عليّ عليه السلام: أيّة آية في كتاب اللّه أرجى؟ قال: ما يقول فيها قومك؟ قلت: يقولون: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ**﴾ [الزمر/٥٣]. قال: لكنّا أهل البيت لانقول ذلك. قلت: فأيّ شيء تقولون فيها؟ قال: نقول: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى**﴾ [الضحى/٥]، الشفاعة، واللّه الشفاعة، واللّه الشفاعة (بحار الأنوار: ٥٧/٨؛ تفسير فرات: ٥٧٠؛ شواهد التنزيل: ٤٤٦/٢).
والمفسّرون أكثرهم فسّروها بالشفاعة، أشهرهم: تفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين: ٣٣٥/٣؛ تفسير جوامع الجامع: ٥٠٤/٤؛ تفسير فرات: ٥٧١؛ الدرّ المنثور: ٣٦١/٦؛ مفاتيح الغيب: ٤٩٦/٣؛ الميزان: ١٧٦/١؛ تفسير الصافي: ٣٤١/٥؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤١٢/٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣٤٤٣/١٠؛ روح المعاني: ٣٧٩/١٥؛ شواهد التنزيل: ٤٤٧/٢؛ مجمع البحرين: ١٨٥/١؛ مجمع البيان: ٧٦٥/١٠

٣. الشعراء/ ١٠٠ـ١٠١

٤. بحار الأنوار: ١٥٣/٧، ٣٧/٨، ٤٣، ٢٧٢/٢٤، ١٢٢/٢٧؛ أعلام الدين: ٤٤٩؛ تأويل الآيات: ←

ولامانع منه عقلاً؛ لما عرفت أنّ مرتبة الولاية الثابتة الموجبة لهﷺ مع اللّه مقام الشفاعة ثابتة لهمعليهم السلام؛ إذ ولايتهم كولايته من غير فرق بينهما في مقام الكثرة الموجبة للردّ إلى مقام الولاية التصرّفيّة في عالم الجرم، فما ثبت لهعليه السلام في هذا المقام ثبت لهمعليهم السلام. وحينئذٍ فمع حصول الشفاعة للفاسق والعفو عنه ينقطع عقابه حتماً، بل قد لايعاقب أصلاً؛ لجواز تقدّم العفو الشفاعةَ عليه، فلايتحقّق ثبوت العقاب أصلاً، فضلاً عن دوامه.

[مذهب الأشاعرة في جواز سقوط العقاب والجواب عنه]

و[١] قول الأشاعرة بأنّ الثواب والعقاب لاوجوب لهما بطريق العقل، فلايستحقّ المطيع بطاعته الثواب ولاالعاصي بمعصيته العقاب عقلاً؛ إذ لاتجب على اللّه إثابة /٢٨٩ أ/ المطيع على طاعته ولاعقاب العاصي على عصيانه؛ لأنّه لايجب عليه شيء أصلاً، بل قد يجوّزون أن يعاقب اللّه المطيع ويثيب العاصي؛ لأنّ الكلّ ملكه، فلاتعريض عليه في تصرّفاته، له الحكم كيف شاء.

وهذا بناء على أصولهم التي هي مضادّة لأصول العدليّة، فلايجب البحث معهم فيها، بل إنّما يباحثون في تلك الأصول المتفرّع عليها هذه الفروع، وقد عرفت بطلانها على قواعد العدليّة، فتبطل هذه الفروع.

[مذهب المرجئة في جواز سقوط العقاب والجواب عنه]

وأمّا قول المُرجِئة بأنّه لاعقاب أصلاً؛ لأنّه لافائدة فيه؛ لأنّها إن كانت عائدة

٣٨٦، ٣٨٧؛ تفسير القمي: ١٢٣/٢؛ عوالي اللآلي: ٨١/٤؛ المناقب لابن شهر آشوب: ١٦٤/٢

١. حج: + أمّا.

إلى اللّه فذلك محال، أو إلى العبد ولافائدة لـه فيـه قطعـاً؛ لأنّ الضـرر المحـض لافائدة فيه، وما لافائدة فيه يكون قبيحاً؛ لكونه خالياً عن وجوه المصلحة.

وجوابهم أمّا على قواعد الأشاعرة فظاهر؛ لأنّ الحكم إليه، فلامجال للعقل في تحسين شيء أو تقبيحه، فجميع ما يفعله لااعتراض للعقل فيه. نعم! يلزمهم أنّـه لابدّ فيها من ملاحظة الكماليّة ولاكماليّة في الضرر الغير المستحقّ، ومـا لاكمـال فيه يكون نقصاً.

أقول: **لقائل أن يقول**: ما تريدون بملاحظة الكماليّة؟ الكماليّـة الحاصـلة فـي ذات الفعل باعتبار وقوعه الخارجيّ عن فاعله أو الكماليّة الحاصلة بالفعل باعتبار اشتماله على النفع والضرر؟

إن أردتم الأوّل فلانسلّم أنّ العقاب الواقع علـى المكلّـف غيـر كامـل بـذلك المعنى، بل الكماليّة متحقّقة فيه من حيث صدوره عن فاعله؛ لكونه على الوجـه الذي ينبغي أن يقع عليه بحسب مفهومه العقليّ من غير زيادة ولانقـص كسـائر أفعاله المطابقة لما يراد منها.

وإن أردتم الكماليّة بالمعنى الثاني فذلك أمر مفوّض إلى الشرع.

[مذهب المعتزلة في جواز سقوط العقاب والجواب عنه]

قال: وأمّا العدليّة فتحيّروا في جواب هذه الشبهة.

فقال بعضهم: إنّه حسن؛ لاشتماله على اللطفيّة، فهي الفائدة فيه.

وهو ضعيف؛ فإنّ اللطفيّة إنّما تستلزم الاستحقاق، لاحسن وقوع العقاب الذي هو مناط الشبهة؛ فإنّ أهل الإرجاء يقولون: إنّ آيات الوعيد كلّها جاءت على هذا المعنى، فهي ألطاف للمكلّف تزجره عن وقوع المعاصي، والفائدة فيهـا لـيس إلّا

ذلك. وأمّا وقوع العقاب من اللّه تعالى للمكلّف فلافائدة فيه ـ على ما مرّ ـ ولاتصحّ دعوى اللطفيّة في الآخرة؛ لامتناع التكليف ثمّة، فلافائدة في اللطفيّة حينئذٍ.

وقال آخرون: إنّها حسن؛ لأنّ اللّه توعّد به العاصي، فلو لم يقع لزم الكذب في وعيده وهو باطل، كما لايصحّ الكذب في وعده.

وفيه بحث؛ لابتنائه على قبح ترك الوعيد كالوعد، والعقلاء لايقبحون من المتوعّد عبده على عصيانه بالمعاقبة إذا لم يفعل عقابه، ولايذمّونه على تركه ولايعدّونه كاذباً، بل ويحكمون بحسن ذلك ويمدحونه على ترك عقابه.

أقول: حسن ترك الوعيد بعقاب العبد من سيّده معلوم عند العقلاء، خصوصاً إذا كان قصد السيّد بذلك الوعيد زجر العبد وترهيبه وإيقاع /٢٨٩ ب/ الهيبة والرهبة في قلبه؛ لتدوم منه الطاعة وامتثال الأوامر ولايكون قصده بوعيده إيقاع الضرر؛ فإنّ إيقاع الضرر هنا ربّما لايحسن؛ لأنّه غير المقصود من الوعيد. وهذا بعينه مستمسك المرجئة؛ لحملهم الوعيد كلّه على هذا المعنى. فإيقاع الضرر حينئذٍ لاوجه لحسنه. نعم! هذا الجواب يتمّ على مذهب الوعيديّة القائلين بمنع العفو عن الفاسق، ويكون حينئذٍ جواباً قاطعاً للشبهة لكون الوعيد حينئذٍ واجب[1].

قال: وقال آخرون: إنّ حسنه باعتبار أصله من حيث حكم العقل باستحقاق العاصي له بعصيانه، فيكفي هذا الاستحقاق في حسن وقوعه من فاعله، ولايجب أن يستعقب فائدة أخرى زائدة على الحسن الثابت له بالأصل وليس بعيداً من الصواب، إلّا أنّه إذا ضويق في نفس الوقوع بأن يقال: العقاب الواقع على العاصي

---

١. حج: + الوقوع.

لافائدة فيه لفاعله ولاللمكلَّف، احتيج إلى إثبات وجه يقتضي حسن الوقوع، اللّهمّ إلّا أن يقال: نفس الحسن مستلزم لصحّة الوقوع، فينتفي القبح.

أقول: هذا الجواب مبنيّ على أنّ الحكم باستحقاق العاصي للعقاب عقليّ. وفيه بحث؛ إذ لمانع أن يمنع ذلك؛ فإنّ الأكثر على أنّ الحكم به سمعيّ وحينئذٍ لايكون الجواب مخلّصاً؛ لعدم الوجه في حسن وقوعه من الشارع.

وأيضاً فإنّه مبنيّ على أنّ نفس الحسن كافٍ في صحّة الوقوع من غير اشتماله على وجه مرجّح يقتضي وقوعه زائداً على الحسن، فيستلزم أن يكون فعلاً حسناً خالياً عن الغرض. وللمانع أن يمنع جواز وقوع مثل ذلك من الحكيم المطلق؛ لأنّه لايكون داخلاً في الأفعال المباحة، وذلك ممّا لايرتضيه العدليّة القائلون بتعليل الأفعال بالحكَم والمصالح.

قال: ولقائل أن يقول أيضاً بأنّه قد تقرّر في المباحث السالفة أنّ جميع أفعال الحقّ تعالى مشتملة على الحكَم والمصالح وإن لم نعرفها في كلّ جزئيّ من أفعاله تفصيلاً؛ لعجز القوّة البشريّة عن استيفاء دقائق الصنع ولطائف الحكَم المودّعة في المكنونات.

فيقال: إنّ هذا العقاب لمّا كان من أفعاله وجب اشتماله على حكمة ومصلحة وإن لم نعرفها تفصيلاً ونعرف الوجه فيها؛ لتعذّر ذلك على قدرتنا، فلااعتراض حينئذٍ على شيء من أفعاله بعد ثبوت انتسابه إليه؛ بناءً على قواعد العدليّة.

أقول: هذا الجواب أيضاً غير مخلّص من الشبهة؛ لابتنائه على أنّ العقاب يصحّ وقوعه من اللّه، والمانع في الشبهة منع من صحّة وقوعه منه، بل وقبّح وقوعه؛ لأنّ حكمته تعالى لايصحّ معها وقوع ما لانفع فيه ولافائدة، فلاوجه لحسن وقوعه منه، فلايتمّ الجواب.

[كلام الشهرزوريّ في تحقيق عذاب الآخرة]

قال: وقد حقّق بعض أهل الإشراق هذا البحث على قاعدة الإشراق، فقال:

إنّ العذاب الوارد على /٢٩٠ أ/ النفس بعد مفارقة البدن إنّما هو لتقصيرها وخطيئتها، لالمنتقم خارجيّ عاقبها وانتقم منها، كما يتوهّمه العوام من أنّ العذاب الحاصل في العالم بالأسباب الخارجيّة وليس[1]؛ فإنّ العذاب لها إنّما هو بسبب الهيئات الرديئة والأخلاق السيّئة، فهي حاملة لعذابها معها وموجبة له بسبب تلك الهيئات، فهي الموجبة لعذاب نفسها؛ فإنّها متى فارقت متلطّخة بالملكات المذمومة والهيئات الرذيلة وزال الحجاب البدنيّ عنها شاهدت ثمار تلك الهيئات وعاينت مرارة تلك السيّئات، فتأذّت بذلك وردّت إليها أعمالها القبيحة بعينها وكانت عقابها. وإليه الإشارة بقولهعليه السلام: «إنّما هي أعمالهم ردّت إليهم»[2] وقوله تعالى: ﴿**وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**﴾[3]. ويكون حالها كحال المريض المقصّر في الحِمية والاحتياط إذا أدّت إليه شهوته وساقت إليه قوّته البهيميّة أوصاباً وأمراضاً مؤلمة، فيكون هذا التألّم من لوازم ما ساق إليه القدر من الجهة الموجبة لذلك التألّم، لا أنّ منتقماً من خارج انتقم منه.[4]

[زيادة في تحقيق نار جهنّم]

وزاد بعضهم في تحقيق هذا المعنى، فقال:

إنّ النار المعاقبة بها ليست ناراً خلقت من مادّة خارجة عن أفعال المعذَّب، بل هي نار اشتعلت من أفعاله الرديئة، بل هي بعينها نار، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً**﴾[5] وقولهصلى الله عليه وآله: «الذين يشربون في آنية

---

١. حج: + الأمر كذلك.

٢. روي عنهصلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم» (بحار الأنوار: ٩٠/٣؛ توحيد المفضّل: ٩٣؛ الحكايات: ٨٥).

٣. البقرة/٨١

٤. رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦١٩/٣

٥. النساء/١٠

الذهب و[1] الفضّة إنّما يجرجر في بطونهم نار جهنّم»[2].

والأصل عدم المجاز، وكانت تلك الأفعال ظاهرة بصورها الحقيقيّة، فكانت ناراً، فيعذّب بها، لا بنار خارجة. واحتراقه بها تطهيراً لـه مـن دنـس المعاصـي ونجاسة الذنوب؛ ليطهّر فيصير مستعدّاً لإفاضـة الكمـال الـذي لايصـحّ قيامـه بالنجس المتلوّث بالقاذورات؛ لأنّ النار تحيله وتذهب أخباثه، فيصـير عنصـراً طاهراً خالياً من جميع الخبائث، مستعدّاً لفـيض الكمـالات الحسـيّة والعقليّـة. ويزيد ذلك وينقص بحسب قوّة النجاسة وضعفها وشدّة ملازمتها وعدمها.

فتدبّر هذه الأسرار؛ فإنّها حقائق تحتاج إلى فحص عن معاني أسرار الشـريعة والجمع بينها وبين الحكمة، ذلك مطلوب عزيز [المنال][3].

[ظهور الحقيقة الكلّيّة في الصور المختلفة]

أقول: هذا البحث مبنيّ على قاعدة كلّيّة مقرّرة عند أهل الحكمـة الإشـراقيّة، إذا حقّقتها وكشفت أسرارها عرفت بها غوامض هذا المعاني، بل وتطّلع بها على غوامض كثيرة من أسرارهم. وهي أنّ الحقيقة الكلّيّة تظهر فـي الصـور المختلفـة وتتداول عليها أحكامها باعتبار ظهورها في تلك الصـور المكتسـبة بهـا، بحيـث تكون تلك الصور مظاهر لتلك الحقيقة في مواطن متعدّدة، تظهر لتلك الحقيقة في كلّ موطن من تلك المواطن أحكام خاصّة وأفعال خاصّة وأحـوال خاصّـة /٢٩٠ ب/ بواسطة ظهورها في تلك المواطن بواسطة تلك الصور على حسب اختلافهـا في تنزّلاتها من العالم العقليّ إلى النفسيّ إلى الحسّيّ إلى غير ذلك مـن مواطنهـا

---

١. مر: ـ الذهب و.

٢. مستدرك الوسائل: ٥٩٧/٢، ٥٩٨؛ بحـار الأنـوار: ٥٣١/٦٣، ٥٣٢، ٥٤٢، ٥٤٨؛ عـوالي اللآلـي: ٢١٠/٢، ٢١١، ٨/٤.

٣. تش، مر، حج: المثال.

المتعدّدة باعتبار قوّة الكشف والمعاينة الحاصلين عند النفس في مواطن تعقّلاتها. فإذا بسطت هذا الأصل وعرفت غوامضه عرفت به غوامض أسرار الحقيقة وكيفيّة تنزّلاتها في الملابس المختلفة والمواطن المتفاوتة واطّلعت بذلك على أسرار الشريعة وظهورها في الملابس المختلفة وعرفت به الجمع بين الظاهر والباطن واطّلعت على أسرار العوالم وانطباق بعضها على بعض. فافهم ذلك؛ فإنّه بحث نفيس.

فإذا تطّلع سرّك على معرفة هذه القاعدة علمت أنّ الطاعة والمعصية حقيقتان تظهران في العالم الحسّيّ بالصور العقليّة ولهما في أنفسهما حقائق أخرى تظهران بها في ملابسهما بالصور المعنويّة في العالم المثاليّ وفي العالم العقليّ، فتصيران جنّةً وناراً مثاليّتين وعقليّتين، ومظهرهما في عالم الحسّ الجنّة والنار الحسّيّتين، فتصيران بحقائقهما جنّةً أو ناراً. وقد أشارت الآثار النبويّة وأسرار الشرائع الإلهيّة إلى ذلك في قولهعليه السلام في أحوال الطاعة: «الجنّة قيعان، غِراسها سبحان اللّه وبحمده»[١]، وفي أحوال المعصية قوله: «الذين يشربون في آنية الفضّة إنّما يجرجر في بطونهم نار جهنّم»[٢].

[أحاديث في كيفيّة ظهور عذاب المعاصي]

وقد رويت عن والدي الشيخ زين الدين عليّ بن إبراهيم بن أبي جمهور ـ تغمّده اللّه برحمته ـ عن شيخه ناصر الدين بن نزار، عن الشيخ الزاهد جمال

---

١. بحار الأنوار: ٢٢٩/٧؛ عوالي اللآلي: ٨/٤

٢. مستدرك الوسائل: ٥٩٧/٢، ٥٩٨؛ بحار الأنوار: ٥٣١/٦٣، ٥٣٢، ٥٤٢، ٥٤٨؛ عوالي اللآلي: ٢١٠/٢، ٢١١، ٨/٤

الدين حسن الشهير بالمطوّع الجرواني، عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس الأحساوي، عن شيخه العلّامة فخر الدين أحمد بن متوّج الأوائلي، عن شيخه فخر المحقّقين محمّد بن حسن بن المطهّر، عن والده الشيخ العلّامة جمال المحقّقين حسن بن يوسف، عن والده أبي مظفّر سديد الدين يوسف بن المطهّر الحلّيّ، عن الشيخ كمال الدين ميثم البحرانيّ، وعن الشيخ نجم الدين بن سعيد الحلّيّ، وعن الشيخ زين الدين عليّ بن سليمان البحرانيّ، عن الشيخ كمال الدين بن سعادة البحرانيّ، عن الشيخ القارئ نجيب الدين محمّد السوراويّ، عن الشيخ الفقيه الحسين بن هبة اللّه بن رطبة، عن الشيخ الفقيه العالم أبي عليّ الحسن بن محمّد الطوسيّ، عن والده الشيخ السعيد العالم الكامل شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ، عن الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، عن[1] الشيخ العالم العامل أبي جعفر محمّد عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، والشيخ[2] أيضاً يروي عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن [محمّد بن] قولَوَيه، عن الشيخ العالم محمّد بن يعقوب الكلينيّ، عن الشيخ محمّد بن محمّد بن محبوب، عن الشيخ محمّد بن أحمد العلويّ، عن السيّد أبي الحسن /٢٩١ أ/ عليّ بن الإمام جعفر الصادق، عن أخيه موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمّد الباقر، عن أبيه الإمام زين العابدين، عن أبيه الإمام الحسين السبط الشهيد، عن أبيه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «إذا دخل وقت كلّ فريضة نادى ملك من السماء:

---

١. حج: + الإمام.

٢. هامش حج: أي المفيد.

أيّها الناس! قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم، فأطفِئوها بصلاتكم»[١،٢].

وبهذا الإسناد عن الشيخ الصدوق مرفوعاً إلى أبي جعفرعليه السلام أنّه قال: «ما من عبد منع من زكاته شيئاً إلّا كان ذلك الذي منعه ثعباناً من نار يكون طوقاً في عنقه، ينهش من لحمه حتّى يفرغ الناس من الحساب»[٣].

[امتناع إدراك الصور الحقيقيّة للخير والشرّ في هذا العالم]

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة في مواضعها في باب أعمال الخير وفي باب أعمال الشرّ وأنّ الأولى تتولّد منه الجنان والولدان والقصور والدود وأنواع المسرّات الحسّيّة واللذّات البدنيّة، وأنّ الثانية تتولّد منها النار والأهوال والأغلال

---

١. من لايحضره الفقيه: ٢٠٨/١؛ التهذيب: ٢٣٨/٢؛ وسائل الشيعة: ١٢٠/٤؛ بحار الأنوار: ٣١٤/٧٠، ٢٠٩/٧٩، ١٥/٨٠؛ الإقبال: ٧٢٥؛ الأمالي للصدوق: ٤٩٦؛ ثواب الأعمال: ٣٥؛ روضة الواعظين: ٣١٨/٢؛ علل الشرائع: ٢٤٧/١؛ عوالي اللآلي: ٢١/١، ٣٥١؛ فلاح السائل: ١٥٦؛ مكارم الأخلاق: ٣٠٠

٢. هامش مر: ويناسب هذا الكلام لبعض من نسك نسكاً عقلياً وتصوّف تصوّفاً علميّاً ويشبه أن يكون من نبث روح القدس في روح قائله [وهو فيثاغورس، كما في: مفاتيح الغيب: ٦٤٨؛ الشواهد الربوبيّة: ٢٩٥؛ أسرار الآيات: ٢٠٥؛ الحكمة المتعالية: ٢٩٤/٩؛ كسر الأصنام الجاهليّة: ٧٨] وهو: اعلم أنّك ستعارض بأفكارك وأقوالك وأعمالك، وستظهر من كلّ حركة فكريّة [أو] قوليّة أو عمليّة صور روحانيّة وجسمانيّة. فإن كانت تلك الحركة شهويّة أو غضبيّة صارت مادّة لشيطان يؤذيك حال حياتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك، وإن كانت تلك الحركة عقليّة أو شرعيّة صارت مادّة لملَك تلتذّ بمنادمته في دنياك وتهتدي بنوره في أخراك وعقباك ويوصلك إلى جوار رحمة اللّه وكرامته. «منه قدّس سرّه».

٣. الكافي: ٥٠٤/٣؛ من لايحضره الفقيه: ١٠/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٢/٩؛ مستدرك الوسائل: ٢٠/٧؛ بحار الأنوار: ٢٠/٩٢؛ تفسير العيّاشيّ: ٢٠٧/١؛ ثواب الأعمال: ٢٣٤؛ عوالي اللآلي: ٣٤٤/١

وأنواع الآلام الحسيّة والغموم البدنيّة. ولكن لايظهر ذلك لفاعلهما حال وقوعهما منه، بل إنّما يظهران عليه بصورهما[١] الظاهرة؛ لانحجابه عن الحقائق الكامنة تحت هذه الصور بالانغماس في الحجب البدنيّة والانغمار بالأحوال الطبيعيّة وغفلة النفس عن تلك الحقائق بمهامّ عالم الغربة، فيكون ذلك عائقاً لها عن إدراك تلك الحقائق وأمثالها ممّا هو ثابت في عالم الغيب. فإذا زال الحجاب عنها بقطع العلاقة ـ إمّا بالكلّيّة كما في حالة الموت أو لابالكلّيّة كما في حال الريّاضات والمجاهدات النفسانيّة ـ انكشفت لها تلك الحقائق بصورها الحقيقيّة وأدركتها على ما هي عليه في أنفسها إدراكاً تامّاً؛ لعدم الممانع لها حينئذٍ عن ذلك؛ إذ المانع ليس إلّا حجاب العلاقة البدنيّة وقد زال بزوالها، فتدرك صور تلك الأعمال الخيريّة أو الشرّيّة، فتلتذّ بالأولى التذاذاً تامّاً وتتألّم بالثانية كذلك. فلامعاقب لها من خارج وليس لمفيض الجود والوجود عليها في ذلك أثر سوى الفيض لتلك الصور بواسطة الاستعدادات الذاتيّة، فهي الحاملة لعذابها معها والمحصّلة لنفسها آلامها وعقابها، وكذا الكلام في بهجتها وسرورها.

وأمّا بيان أنّ أهل الكشف يشاهدون الحقائق لابصورها الظاهرة لأهل الحجاب، بل بصورها الحقيقيّة وملابسها الذاتيّة فظاهر لمن تدبّر أسرار الشريعة؛ فإنّ فيها ما يدلّ على ذلك، كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «رأيت الجنّة والنار في عرض هذا الحائط»[٢].

---

١. مر: بصورتهما.

٢. روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «صوّرت لي الجنّة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط» (بحار الأنوار: ٣٠/٢٢).

[روايات وحكايات في تأييد هذا القول]

وفي كتاب الراونديّ المشهور بـ *خرائج الجرائح*[١] /٢٩١ ب/ روي عن الصفّار عن أحمد بن الحسين عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن توقار[٢] عن إسماعيل بن عبد العزيز عن أبان عن أبي بصير عن الصادقعليه السلام قال: قلت له: ما فضلنا على من خالفنا؟ فوالله إنّي لأرى الرجل منهم أرخى بالاً وأكثر مالاً وأنعم عيشاً وأحسن حالاً وأطمع في الجنّة. فسكت عنّي حتّى إذا كنّا بالأبطح من مكّة رأينا الناس يضجّون إلى الله، فقال: يا با محمّد! هل تسمع ما أسمع؟ قلت: أسمع ضجيج الناس إلى اللّه. فقال: ما أكثر الضجيج والعجيج وأقلّ الحجيج. والذي بعث بالنبوّة محمّداً وعجّل بروحه إلى الجنّة ما يتقبّل اللّه إلّا منك ومن أصحابك خاصّة. قال: ثمّ مسح بيده على وجهي، فنظرت، فإذَن أكثر الناس خنازير وحمير وقردة إلّا رجل بعد رجل.[٣]

وروي عن أبي سليمان داوود بن عبد اللّه عن سهل بن زياد عن عثمان بن زياد[٤] عن عثمان بن عيسى عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة[٥] عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفرعليه السلام: أنا مولاك وشيعتك ضعيف ضرير، اضمن لي الجنّة. فقال: أوَلا أعطيتك علامة الأئمّة؟ قلت: وما عليك أن تجمعها لي؟ قال: وتحبّ ذلك؟ قلت: كيف لاأحبّ؟ فما زاد أن مسح على بصري، فأبصرت جميع ما في

---

١. الخرائج: ٨٢١/٢

٢. مص: الحسن بن برّة.

٣. بحار الأنوار: ٢٩/٢٧؛ بصائر الدرجات: ٢٧٠

٤. مص: ـ عثمان بن زياد.

٥. مص: + عن أبيه.

السقيفة التي كان جالساً فيها. ثمّ قال: يا با محمّد! هذا بصرك، فانظر ما[1] ترى بعينك؟ قال: فوَاللّه ما أبصرت إلّا كلباً أو خنزيراً أو قرداً، فقلت: ما هذا الخلق المسوخ؟ قال: هذا الذي ترى هذا السواد الأعظم، لو كشف الغطاء للناس ما نظر الشيعة إلى من خالفهم إلّا في هذه[2] الصور. ثمّ قال: يا با محمّد! إن أحببت تركتك على حالك هذا، وإن أحببت ضمنت لك الجنّة ورددتك إلى حالك الأوّل. قلت: لاحاجة لي إلى النظر إلى هذا الخلق المنكوس، ردّني ردّني، فما للجنّة عوض. فمسح على عيني، فرجعت كما كنت[3]. إلى غير ذلك من الأحاديث الدالّة على هذه المعاني.

وسمعت عن بعض حكايات المكاشفين ما يقارب ذلك أو يماثله، وهو أنّه دخل رجل من العامّة على بعض الأولياء ليسلّم عليه وكان قد عرض له بعض الأحوال. فلمّا رآه قال لخادمه: اخرج عنّا هذا الحمار. فأمر الخادمُ ذلك الرجلَ بالانصراف. فلمّا مضى ساعة وسُرِيَ عنه قال له الخادم: إنّ فلاناً دخل ليسلّم عليك. فقال: واللّه ما رأيت صورة إنسان، إنّما رأيت صورة حمار.

وحكي عن الشيخ الجنيد أنّه ألزم بصلاة الجماعة، فحضر لصلاة المغرب ليلة بالجامع، فصلّى خلف إمامه. فلمّا[4] ركع للثانية جلس الشيخ وترك الصلاة. فلمّا أتمّ الجماعة صلاتهم قال له بعض من حضر: ما بال الشيخ قطع الصلاة؟ فقال: أيصحّ أن يصلّي خلف إمام في السوق؟ إنّما تصحّ الصلاة خلف إمام في

١. حج: ماذا.
٢. حج (خ ل): بهذه.
٣. بحار الأنوار: ٣٠/٢٧؛ الخرائج: ٨٢١/٢
٤. حج: + قام.

الحجرات ولم أره فيه وإنّما رأيته في السوق يشتري بقلاً. ‎/٢٩٢ أ/ فسئل الإمام عن ذلك فقال: صدق الشيخ، إنّي لمّا ركعت في الثانية خطر بقلبي أنّي قد أروح بعد الفراغ إلى السوق، فأشتري بقلاً، فشاهد الشيخ حالي واطّلع على ضميري. فما صلّى الجنيد مع الجماعة بعد ذلك. إلى غير ذلك من حكاياتهم وأحوالهم؛ فإنّهم لوصولهم إلى الحقائق الغيبيّة وانكشافها لهم إنّما يشاهدون الأشياء بصورها الحقيقيّة في الملابس الغيبيّة، فلاينحجبون بالصورة[١] الظاهرة ولايحجبهم شيء عن مشاهدة الحقائق المتأصّلة في عالم الغيب، ﴿**ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ**﴾.[٢]

[سبب اقتصار الحكماء بالمعاد النفسانيّ]

تكملة ينبّه بها على كشف إيهام: قد يتوهّم أكثر الضعفاء أنّ أهل الإشراق من الحكماء وأهل التصوّف بل وحكماء الإسلام من المشّائيّين غير قائلين بالمعاد البدنيّ، بل من المنكرين له، وليس الأمر كذلك. بل حاشاهم من هذه الأوهام الفاسدة التي منشؤها سوء الفهم بالعبارات؛ فإنّهم بأجمعهم قد صرّحوا بالقول به رجوعاً إلى الشرائع الإلهيّة وتقليداً لها؛ لأنّهم يتنزّهون عن إنكار شيء ممّا جاءت به الشرائع الحقّة، وإنّما الذي في عباراتهم القول بعدم ثبوته من جهة القياسات البرهانيّة؛ لأنّ البراهين القطعيّة لاتساعد على إثباته، فاقتصروا في عباراتهم على المعاد النفسانيّ؛ لمساعدة القياسات البرهانيّة القطعيّة عليه. وذكروا ما يتعلّق به من اللذّات العقليّة والجنان المعنويّة؛ لأنّها هي الحقائق الثابتة الغير

---

١. مر: بالصور.

٢. المائدة/٥٤؛ الحديد/٢١؛ الجمعة/٤

المحتاجة إلى التجدّد والتصرّم، بل هي أمور ثابتة بذاتها أبد الآبدين. وجعلوا البحث عن المعاد الجسمانيّ وما يتعلّق به من السعادات والشقاوات الحسّيّة البدنيّة موكولاً إلى الشرائع وأقوال الأنبياء والأولياء؛ فإنّهم قد صرّحوا بذلك وأشارت إليه جميع الشرائع بالإشارات الظاهرة للعوام؛ لأنّهم لايفهمون ما وراء ذلك ولايعرفون سواه؛ لقصور أفكارهم على الأمور الوهميّة. ولهذا جاءت الشرائع بتقريبهم إلى ما يفهمونه حتّى في باب التوحيد وذلك هو السبب في إنزال المتشابهات وخصوصاً الشريعة المحمّديّة؛ فإنّها مشحونة بذلك في مواضع كثيرة ظاهرة يعرفها كلّ من عرف معاني ألفاظ العرب.

وأيضاً فإنّ أهل الحكمة لعلوّ هممهم عن التعلّق بالأمور الجسمانيّة لم يكن لهم التفات إلى اللذّات الحسّيّة الجسمانيّة؛ لعدم اعتبارهم لها في جنب اللذّات العقليّة الحقيقيّة والتنزّه في رياض جناب[1] القدس الأعلى والفردوس الأكبر، فصغر ما دونه في أعينهم واستحقروه؛ لأنّه مرتبة العوام والمتعلّقين بعالم الأجسام، فلهذا قصروا بحثهم على ذكر المعاد الروحانيّ ومتعلّقاته. فلايظنّ مَن وقف على رموزهم وإشاراتهم وأقوالهم أنّهم تركوا ذكر المعاد البدنيّ /٢٩٢ ب/ ومتعلّقاته لإنكار وجحود، جلّ جنابهم الأعلى وكشفهم التامّ عن أمثال هذه المعايب.

والذي يدلّ على ذلك ما ذكره الشيخ كمال الدين ميثم البحرانيّ في شرح *نهج البلاغة* عند شرح قوله عليه السلام في صفة الجنّة: «درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات»[2]،

---

١. مر، حج: جنّات.

٢. بحار الأنوار: ١٦٢/٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٤٨/٦؛ نهج البلاغة: ١١٦

قال:

> هذا الوصف صادق في الجنّة المحسوسة الموعودة في القرآن الحكيم وفي الجنّة المعقولة، واتّفقت العقلاء على أنّ ألذّ ثمارها هي المعارف العقليّة والنظر إلى وجه اللّه تعالى ذي الجلال والإكرام.[١]

والسعداء في الوصول إلى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة، ولهذا قالﷺ: «الجنّة إلى سلمان أشوق من سلمان إلى الجنّة»[٢]. وقال بعض الكُمَّل: «اللّهمّ لاتجعلني من المقيّدين بالجنّة»، وأراد بها الجنّة الصوريّة كما أنّهعليه‌السلام أراد أنّ الجنّة الصوريّة أشوق إلى سلمان منه إليها؛ لانصراف همّته إلى الجنّة المعنويّة التي هي مطلوب أهل اللّه وخاصة أوليائه وخلّص صفوته.

[كلام الشيخ الرئيس في التصريح باعتقاد الحكماء بالمعاد الجسمانيّ]

والذي يدلّ على أنّ الحكماء الإسلاميّين قائلون بالمعاد الجسمانيّ ما ذكره الشيخ الرئيس في كتاب *الشفاء* في قوله:

> يجب أن تعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولاسبيل إلى إثباته إلّا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوّة، وهو الذي للبدن عند البعث، وخيرات البدن وشروره معلومة لاتحتاج إلى أن تعلم، وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا بها سيّدنا ومولانا محمّدﷺ حال السعادة والشقاوة [اللتين][٣] بحسب البدن.
>
> ومنه ما هو مدرَك بالعقل والقياس البرهانيّ وقد صدّقته النبوّة، وهو السعادة والشقاوة البالغتان الثابتتان بالعقل والقياس اللتان للأنفس وإن كانت

---

١. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ: ٢٧٧/٢

٢. عوالي اللآلي: ١٠١/٤

٣. تش، مر، حج: الذين.

الأوهام منّا تقصر عن تصوّرها الآن لما نوضح من العلل. والحكماء الإلهيّون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنيّة، بل كأنّهم لايلتفتون إلى تلك وإن أعطوها، ولايستعظمونها في جنب هذه السعادة التي هي معارفة الحقّ الأوّل.[١]

وجميع ما ذكره الشيخ في هذه العبارة صريح في ما ذكرناه عن الحكماء من القول بالمعاد الجسمانيّ رجوعاً إلى الشرائع الإلهيّة، وأنّهم لقلّة التفاتهم إلى الأحوال البدنيّة اقتصروا على ذكر السعادات والشقاوات النفسانيّتين؛ لأنّها[٢] غاية مطلوبهم ونهاية مقاصدهم التي اقتضاها علوّ هممهم وشرف مراتبهم، وذلك هو الفوز المبين[٣] والنعيم الدائم المقيم.

* * *

---

١. الشفاء، الإلهيّات: ٤٢٣

٢. حج (خ ل): كأنّها.

٣. مقتبس من: الأنعام/ ١٦؛ الجاثية/٣٠